

في محاسن أهل العصر

تأليف

أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري

المتوفى ٤٢٩ هجرية

شرح وتحقيق

الدكتور مفيد محمد قميحة

الجزء الثاني

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

يطلب من: دار الكتب العلمية - ص ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
نيو ملكارت سنتر - الرملة البيضاء - قرب محلات سبينيز
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٠٨٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ الوزير أبو مروان عبد الملك بن جهور

أنشدت له [من البسيط] :

أسقمْتَ قلبي فكن أنت الدواءَ له ولا تدعْه بأيدي الشوق مخترما[١]
عيناي أورثتاه سقمه نظرا رضيت دمعيَ من عينيَّ منتقما

وقوله [من الكامل] :

ألحاظه منهوكة النظر ضعفت نواظرها من الخفَر[٢]
وحديثه أشهى لسامعه من نغمة الشّادي على الوتر
ورضابه أشهى على كبدي من ريٍّ عذبٍ باردٍ خَصِرِ[٣]
وكأنَّ قلبي حين يفقده ما بين ذي نابٍ وذي ظفر

وقوله [من البسيط] :

يا أحسن الناس في عينيَّ مبتسماً وأعذب الخلق عندي منطقاً وفما
حلَّت بقلبيَ من عينيك نازلةٌ من الهوى صيَّرتني في الورى علما

---

(١) المخترم : اسم المفعول من مصدر اخترمته المنيّة مثلاً ، والمقصود أنّه هالك .
(٢) الخفر : الحياء .
(٣) الخصر : البارد .

لم تبقَ جارحةٌ منّي أقلّبها إلاّ بعثت عليها بالهوى سقما
فارحمْ مقام محبٍّ ما شكا وبكى تبرّماً بالذي يلقى ولا ندما[1]

وقوله [من السريع] :

أملح ما تنظر عيناكِ شاكٍ شكا الحبّ إلى شاكي
يَقْصُرُ من ذكرك ليلي على أنّيَ فيه ساهرٌ باكي
ولي فؤادٌ يستجير من الـ ـشوق إلى برد ثناياك
سيدتي لو كنت أبصرت ما يصنع بي حبّك أبكاك

وقوله [من البسيط] :

أنار لي وجهه ليلاً فخلت به بدراً تماماً على الآفاق يطّلع
ومرَّ يمشي دقيق الخصر يجذبه ردفٌ ، فقلت : أُدْركوه قبل ينقطع[2]

وقوله [من الوافر] :

أجلّك أن تحلّ بك الأماني فكيف بأن أراك وأن تراني
وأكره أن يمثّلك التمنّي حذاراً أن يبوح به لساني
ولو أني ستطعت لفرط شجوي عليك لما رآك الحافظان
وما أشكو إليك بغير دمعي بيانُ الدمع أعربُ من بياني

وقوله [من البسيط] :

اليوم منقبض والدمع منبسط وحب من شفّني بالروح مختلط
حمّلت قلبيَ أن يسلو تذكُّرَه فقال : إن الذي حمّلتني شطط[3]

---

(١) التبرم : الملل والضجر .
(٢) وصل الهمز من « أدركوه » ليستقيم له الوزن .
والردف : العجز .
(٣) الشطط : البعد والجفاء .

تسومني الصبر عن روحي وتمنعني ... عن ذكره ، إن ذا من رأيك الغلط

وقوله [من الوافر] :

ترى العشّاق لاقوا ما ألاقي ... فقد بَلَغَتْ بيَ النّفس التّراقي ؟[1]
خصصت من الهوى بأمرٍ شيءٍ ... وكنت أرى الهوى عذبَ المذاق
أنا العبد الذي لا عتق يرجو ... ولا يجد السبيل إلى الإباق[2]

وقوله [من الطويل] :

وما سرَّني أن الهوى غير صاحبي ... وأنَّ خراج العبشميين في ملكي[3]
ولا كنت أرضى أن أرى متخلياً ... من الحبّ لو أعطى به خاتم الملك
نسيم الهوى أذكى وإن جار واعتدى ... على أُنُف العشاق من نفحة المسك

وقوله [من الطويل] :

ومن يحمد الصبر الجميل على الهوى ... فإنّ خلاف الصبر عنديَ أحمد
إذا كان قلب المرء لا يألم النوى ... ويشكو لظى نيرانها فهو جلمد

وقوله [من الكامل] :

أحوى النواظر ألعس الـ ... ـشفتين عذب الريق آلمى[4]
مخضرٌ شاربه علا ... دراً يريك الدرَّ نظما
لو زارني طيفٌ له ... عند الهجوع ولو ألمّا
لأعاد روحاً أو لفرَّ ... ج من هموم النفس همّا

* * *

---

(١) التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .

(٢) الأإباق : الهرب .

(٣) العبشميين : كلمة منحوتة من « عبد شمس » .

(٤) الأحوى : شديدُ بياض العيان وسوادها ، واللعس : سواد مستحسن في الشفة ، واللّمى : سمرة في الشفة .

٢ ـ أحمد بن عبد ربه الأندلسي ، رحمه الله تعالى !

أنشدت له [من الكامل] :

بكَرَتْ علـيَّ عواذلـي تلحينني وعلى الـذي لم يعـد بي أعدينني[١]

إيهـاً عليك فقـد كبـرت عن الصِّبا ونهـى المشيب عن الـذي تنهينني[٢]

أنَّـى وكيف وقـد رأين تغيّري عن عهدهـنّ إذا العيون رأينني

وعلى مفارقـة الشبـاب شمتْـنَ بي وعلـى معـاداة الصبـا عاديْنني

أُدْنَيْننـي حتـى إذا التهـب الجوى أقصيننـي أضعـاف ما أدنينني[٣]

وفتَّننـي بلواحـظٍ تشـكو الضنى دائـب بهـن وربمـا داوينني

يُذْكين في قلبـي وبين جوانحي حُرَقـاً بنـار جحيمهـا أصلينني[٤]

ومنها أيضاً :

يا ابـن الخـلائف ، إن أيام الغنى أيامـك الغـرُّ التـي أغنينني

بنـوالهـا وسجـالهـا وثمالهـا أسـقينني حتـى لقـد أروينني

وقوله [من الكامل] :

وصحائحٍ مرضـى العيون شحائحٍ بيض الوجـوه نواعـم الأبشار

أضنينني بلواحـظٍ تشـكو الضنى وكسونـني ما هنَّ منـه عواري

بجـوى حوتـه مهجتـي عن مقلتي والجـار قد يشقـى بذنـب الجار

---

(١) بكرت : أسرعت . وتلحينني : تلومني .

(٢) إيهاً : أمر بالسكوت .

(٣) الجوى : العشق والحرقة .

(٤) أصلينني : أي أسعرت النار بين الجوانح .

وله في العذار [من الكامل] :

يا ذا الـذي خط الجمـال بخده ... خطين هاجـا لوعـةً وبـلابلا
مـا صح عنـدي أنّ لحظـك صارمٌ ... حتى لبسـتَ بعـارضيك حمائلا[1]

وفي مثله [من الكامل] :

ومعـذرٍ نقش الجمـال بمسكه ... خداً له بدم القلـوب مضرَّجا
لمـا تَيَقَّـنَ أن سيف جفونه ... من نرجسٍ جعل النّجاد بنفسجا[2]

وقوله [من الوافر] :

تعللنا أمـامـة بالأمانـي ... ولـجَّ بنـا البعـاد من التداني
إذا ما قلت : أين الوصل؟ قالت : ... طلبـت العـز في دار الهوان

وقوله [من الخفيف] :

بذمـام الهـوى أمتُّ إليه ... وبحـكـم العقـار أقضـي عليه
بأبـي من زهـا علـيَّ بوجهٍ ... كاد يدمـي لمّـا نظـرت إليهِ
كلّمـا علَّنـي من الـراح صرفا ... علنـي بالرضـاب مـن شفتيه
نـاول الـكأس واستمـال بلحظ ... فسقتنـي عينـاه قبـل يديه

وقوله [من الرمل المجزوء] :

أيّهـا البـدر الـذي ضـنّ علينـا بالطلـوع
ابـغِ لي عنـدك قلباً طار مـن بيـن ضلوعي
يا بديعَ الحسـن كم لي فيك من وجـدٍ بديع

---

(١) العارضين : الخدّين ، والحمائل : علائق السيف .
(٢) النجاد : حمائل السيف .

وقوله [من الطويل] :

وساحبةٍ فضل الذيول كأنّها ... قضيبٌ من الريحان فوق كثيب
إذا ما بدت من خدرها قال صاحبي : ... أطِعْني وخذ من وصلها بنصيب

وقوله [من الكامل] :

ينبيك أنك لم تجد وجدي ... ما خَدَّت العبرات من خدِّي[1]
نام الخليُّ عن الشجيِّ به ... وجفا الملول ولجَّ في الصدّ
كنت الشفاء فصرت لي سقماً ... أبداً تتوق إلى هوىً مُرْدِي[2]

وقوله [من الطويل] :

سقوني حمامي يوم ساقوا حمولهم ... فرحت وراحوا بين ساقٍ وسائقِ
وأَخْرَسَ لفظي وهو ليس بأخرسٍ ... وأَنْطَقَ دمعي وهو ليس بناطق
فيا بأبي تلك الدموع التي همت ... فدلَّت على مكنون تلك العلائق

وقوله [من الكامل] :

أزف الرحيل فودَّعتني مقلةٌ ... أوحت إليَّ جفونها بسلامِ
وتطلعت بين الحدوج كأنها ... شمس تطلَّعُ في خلال غمام[3]
وشكت تباريح الصبابة والهوى ... بمدامعٍ نطقتْ بغير كلام
كمهاة رمل قد تربَّعت الحمى ... بين الظباء العفْر والآرام[4]
حتى إذا ضرب المصيف رواقه ... صافت بظلّ أراكةٍ وبشام[5]

---

(١) ينبيك : يخبرك ، والوجد : شدّة العشق وخدَّت : تركت آثاراً في الوجه والعبرات : الدموع .
(٢) تتوق : تشغف وتميل أشدّ الميل ، والمردي : المهلك .
(٣) الحدوج : مراكب للنساء .
(٤) الظباء العفر : هي التي يعلو بياضها حمرة، أو في سرّتها احمرار ، والآرام : جمع رئم وهو ولد الظبية .
(٥) صافت : أي قضت زمن المصيف ، والبشام بفتح الباء : شجرٌ عطر الرائحة .

وقوله [من الطويل] :

ألا إنما الدنيا غضارة أيكة … إذا اخضر منها جانب جف جانب
هي الدار ما الآمال إلا فجائع … عليها ، ولا اللذات إلا مصائب
فكم سخنتْ بالأمس عينٌ قريرةٌ … وقرت عيونٌ دمعها اليومَ ساكب
فلا تكتحلْ عيناك منها بعبرة … على ذاهب منها فإنك ذاهب

وقوله [من الطويل] :

صحا القلب إلا نظرةً تبعث الأسى … لها زفرة موصولة بحنينِ
بلى ربّما حلّت عرى عزماته … سوالف آرامٍ وأعين عين[1]
لواقط حبّات القلوب إذا رنت … بسحرِ عيونٍ وانكسار جفون
وريطٍ من الموشيِّ أينع تحته … ثمار صدورٍ لا ثمار غصون[2]
برودٌ كأنوار الربيع لبسْنها … ثياب خضابٍ لا ثياب مجون
قرين نجوم ديم عن نور أوجهٍ … تجنٌّ بها الألباب أيَّ جنون[3]
وجوه جرى فيها النعيم فكلّلتْ … بورد خدودٍ يجتني بعيون
سألبس للأحزان ثوبَ تصبُّر … وإن لم يكن عند اللّقا بحصين
وكيف ولي قلب إذا هبت الصبّا … أهاب بشوقٍ في الفؤاد كمين

وقوله [من البسيط] :

ونائحٍ في غصون السّدر أرقّني … وما عنيت بشيءٍ ظَلَّ يعنيه
مطوّقٌ بعقودٍ ما تزايله … حتى تزايله إحدى تراقيه[4]

---

(١) العرى : ما يصل الشيء بالشيء ومنه العروة .
(٢) الريط : كل ملاءة من نسجٍ واحد وقطعة واحدة .
(٣) ديم : يقال ديم به : أي أخذه الدوّار في رأسه .
(٤) تزايله : تفارقه .

قد بات يبكي لشجوٍ ما دريت به　　وبتُّ أبكي لشجوٍ ليس يدريه

وقوله [من الخفيف] :

وقضيب يميس فوق كثيب　　طيِّبِ المجتنى لذيذ العناقِ
قد تغنّى كما استهلّ يغنّي　　ساق حرٍّ مغرّدٍ فوق ساق[1]
ينثر الدر في المسامع نثراً　　بين درٍّ منظّمٍ مستاق[2]
وافتضضنا من العواتق بكرا　　نكحتْ أمها بغير صداق[3]
ثم بانت ولم تطلّق ثلاثاً　　لم تبنْ حرة بغير طلاق
ديننا في السماع دين مدينيٍّ ، وفي شربنا الشراب عراقي[4]

وقوله [من الوافر] :

سرى طيف الحبيب على البعاد　　ليصلح بين عيني والرقادِ
فبات إلى الصباح يدي وسادٌ　　لوجنته كما يده وسادي
بنفسي مَن أعاد إليَّ نفسي　　وردَّ إلى جوانحه فؤادي
خيالٌ زارني لما رآني　　عَدَتْني عن زيارته عوادي
يواصلني على الهجران منه　　ويدنيني على طول البعاد

وقوله [من الطويل] :

وريّانَ من ماء الشباب تهاتفت　　به نشواتٌ من صبا ودلال[5]
كما اهتزَّ بانٌ من أكاليل روضةٍ　　تلاعبه ريحا صَبا وشمال

---

(١) ساق حر : هو ذكر القماري المعروف بالحمام القمري ، سمّيَ بذلك لأن حكاية صوته ساق حر .
(٢) مستاق : متتابع بعضها بعد بعض .
(٣) العواتق : الفتيات أوّل إدراكهن والصداق : المهر .
(٤) يريد بالمديني المنسوب إلى علم المدينة الامام مالك إذ يبيح السماع ، وبالعراقي المنسوب إلى عالم العراق أبي حنيفة إذ لم يحرم غير المسكر من النبيذ .
(٥) الرّيان : الكثير الارتواء ، وتهاتفت : تداعت وثبّت .

تعلّم منه الهجرَ طيفُ خياله   هدواً فما يلقاه طيف خيال
وأعرض حتى عاد يعرض في المنى   ويمنع ذكراه الخطور ببالي

وقوله [من الكامل] :

بأبي غزال صدّ بعد وصاله   وزها عليَّ بحسنه وجمالِهِ
سلب الكرى عيني وألبسها الكرى   وحمى خيالي من لقاء خياله[1]

وقوله [من البسيط] :

مستوحشاً من جميع الناس كلّهمِ   كأنما الناس أقذاءٌ على بصري[2]

وقوله [من الطويل] :

أما والذي سوّى السماء مكانها   ومن مرج البحرين يلتقيانِ
ومن قام في الأوهام من غير رؤية   بأثبت من إدراك كل عيان
لما خلقت كفّاك إلا لأربع   عقائل لم يخلق لهن يدان
لتقبيل أفواه ، وإعطاء نائل ،   وتقليب هنديٍّ ، وحبس عنان

* * *

٣ ـ عبد الملك بن سعيد المرادي

أنشدت له [من المديد] :

قد بلوت الحب مختبراً   فأنا المسئول عن خبرهِ
هو عذب عز موردُه   غير أن الموت في صَدْرِهِ
نظري أذكى جوى كبدي   وهلاك الصَّبِّ في نظره[3]

---

(١) الكرى : من الأضداد يطلق على الأرق والسهاد ، ويطلق على النوم .
(٢) القذى : ما يقع في العين من وسخٍ وغيره .
(٣) أذكى : أوقد وأشعل وأهاج والصب : العاشق .

وقوله [من الكامل] :

قمـرٌ بسبـي ذوي العقـول أنيقا ... ورشـاً بتقـطيع القلـوب رفيقا[1]

مـا إن رأيت ولا سمعـت بمثله ... درّاً يصير من الحياء عقيقا

وإذا نظـرت إلـى محاسـن وجهه ... أبصرت وجهك في سناه غريقا[2]

وقوله [من الكامل] :

برح الخفـاء فأعْتِبـي أو عاتبي ... فهـواك سدٌّ علـيَّ رحـب مذاهبي

لو كنـت أعلـم لي سوى فرط الهوى ... ذنبـاً إليك لكنـت أول تائبِ[3]

يـا ظالمـاً لا يسـتفيد بظلمه ... متعتّبـاً في الحـبّ غير معاتب

هلاّ عطفـت علـيَّ عطفـة راحمٍ ... لمـا ذللـت إليك ذِلـة راغب

* * *

٤ ـ الوزير أبو عثمان عبد الله بن يحيى بن إدريس

أنشدت له [من الطويل] :

أسحراً سقت عيني جفونـك أم خمرا ... فقـد رحـت ملآن الجفـون به سكرا

وشعـراً أرانـي صبح وجهـك أم دجا ... ووجهـاً جلا إظـلام شعـرك أم فجرا

وجسـمٌ تثنّـى بين ثوبيك ناعمٌ ... أم الغُصُنُ اللدن اكتسى ورقاً خضرا[4]

وقوله [من الخفيف] :

رب خمـر شربتهـا من جفون ... ورياض جنيتهـا مـن خدودِ

---

(١) أنيق : متقن ومعجب .

(٢) السناء : الضياء .

(٣) فرط الهوى : شدّته .

(٤) اللدن : الطري .

إذ يشجّ اللثام ريقاً بريقٍ ويلفّ العناق جيداً بجيد[1]
تحت ظل من النعيم ظليل وبفيء من السرور مديد

وقوله [من الخفيف] :

إنّ بين الضلوع نيران شوقٍ وغليلاً يذوب منه الغليلُ[2]
وحنيناً إليه في طول ليلٍ ما إلى الصبح من دجاه وصول
غاب صبري الجميل إذ غاب فيه وجهه عنّيَ المليح الجميل

وقوله [من الخفيف] :

إنّ بين الضلوع شوقاً دفيناً ترك القلب والهاً مستكينا
يا غزالاً يصبي القلوب هواه وهلالاً يُعشي سناه العيونا[3]
أنت علّمتني الصبابة والبخـ ـل فصرت البخيل فيك الضنينا[4]

وقوله [من البسيط] :

لأنزعنّ وإن لم أقض من وطري إلاّ لبانة أشواقٍ ومُدّكَرِ[5]
أكفُّ كفي وأثني من تقلّبه قلبي وأقصر من سمعي ومن بصري

* * *

٥ ـ يوسف بن هرون البطليوسي

أنشدت له [من الكامل] :

هو ظالمي لكن أرقُّ عليه من أن أجيل اللحظ في خدّيْهِ

(١) يشجّ : يشق ، والجيد : العنق .
(٢) الغليل : الظمأ .
(٣) أصبى : استمال، وأعشى : أضعف البصر ليلاً ونهاراً .
(٤) الصبابة : رقة الحبّ وشدّته والضنين : الشديد الحرص .
(٥) الوطر : الغاية ، واللبانة : الحاجة .

أعفيت رقـة وجنتيه من أذى عينـي ومـا أعفيت من عينيه
وكأن در الخـد يكسـي حمـرة الـــياقـوت من نظـر العيون إليه

وقوله [من الوافر] :

أتضـرب بين عينـي واغتماضي بواشٍ من لواحظـك المراضِ
وتخلفنـي بوعـد قد تَقَضّى مدى عمـري وليس له تقاضي
ولـم أسـألك إلاّ النـزر ، إنّي بذاك النّـزر مغتبـطٌ وراض[1]
أبـحْ تفـاحتيك للحـظ عيني وأعـطيك الأمـان من العضاض

* * *

٦ ـ عبد الله بن إسمعيل بن بدر

قال [من البسيط] :

أشكو إلى الله من سمعي ومن بصري ما يجلبـان إلـى قلبـي من الفِكَر
قد كنـت أسمـع عمّـن لسـت أذكره خوفـاً عليه من التصـريح بالذكر
سمعت حتـى إذا أبصـرت قلـت له : يا حاش لله ما هذا من البشر

* * *

٧ ـ سعيد بن محمد بن فرج

أنشدني له [من البسيط] :

سمعـي فلا كان أعمـى بالبـكا بصري وقـاد قلبـي إلـى الأحـزان والفكرِ
فإن بكت مقلـة مِن فَقْـد من عَرَفَتْ فقـد بكيت بمـن لم أدر بالنظر
يا واصـفيهِ رويداً إنَّ وصفَكُمُ لم يُبْقِ من جَلَـدي شيئـاً ولـم يذر[2]

---

(١) النزر : القليل واليسير .
(٢) الجلد : الصبر .

قالــوا بدا فغلطنــا بالسّــرار له ... لمــا تَبَلَّــج منـه الليل بالقمر[1]

وقوله [من الكامل] :

سقــم الأحبــة للقلــوب سقام ... وإذا القلـوب سقمــن فهــو حمامُ
لله بدرٌ قد تنقص نوره ... بالسقــم ، وهــو بمــا سواه تمام

وقوله [من المتقارب] :

بــكيت ومثلــي بكى للوداع ... وعاصــي العــزاء بشــوقٍ مطاعِ
ولــم أحمــد الصبــر يوم النوى ... ولا كان من قبلــه في طباعي[2]
ولــو كنــت لم أبــك من بينهم ... بكيت علــى عهــد حبٍّ مضاع

وأنشدني لبعضهم شعراً [من الوافر] :

كلامــك مثــل ريقــك ، ذا بهذا ... مزاج سلافــةٍ حلــوٌ بعذبِ[3]
فلــو أنــي إذا أسمعْــتُ هذا ... شربــت بذاك ضاع عليَّ لبِّي[4]
فــإن أبصرْتَنــي منــه صريعاً ... فغالــطْ في هوايَ وشــاةَ صحْبي
وقــل هو نشــوةٌ من خمــر حبٍّ ... فإنّ الــدنَّ قد يدعــى بحبٍّ

* * *

٨ - يحيى بن عبد الملك بن هذيل رحمه الله تعالى !

أنشدني له [من الخفيف] :

لا تلمْ هائمـاً قدِ استْحسـن الوجــــــد وكلّ أمـره إلــى استحسانِهْ

(١) السرّار : اختفاء القمر والتبلّج : الإشراق .
(٢) النوى : الفراق .
(٣) السلافة : الخمر .
(٤) لبّي : عقلي .

فأنا الطائع المشوق لمن صا ... ر يُريني الهوانَ في عصيانه
مرّ بي خاطراً يكاد من العجب ... به ان يُراعَ في ريعانه[1]
في ملاءٍ كأنّه وهو فيها ... ورد خدَّيْه في جنى سوسانه[2]
يشتكي بالفتور من كسل المشي ... ولا يشتكيه من أجفانه
ولقد شفّني وأسهر طرْفي ... لمع برقٍ يزفّ في لمعانه[3]
شمته والظلام يفترّ عنه ... كافترار الزنجيٍّ عن أسنانه[4]

وقوله [من الطويل] :

ألا عودة من طيفه فيرى حالي ... ألا يا ادّكاري للكرى لي أتى تالي
يكاد يضيق الجو من عظم زفرتي ... وتهفو نجوم الليل من فرط إعوالي
أبي غير تعذيبي ولو أمر الردى ... أطاع ولكن فعله هو أنكى لي

وقوله [من الخفيف] :

والثريا دنت من البدر حتى ... خلتها دارعا يدير مجنًا[5]

وقوله [من الكامل] :

ومزنّةٍ والبرق ينسج فوقها ... بردَيْن من نوءٍ وطلٍّ باكي[6]
مالت على طيّ الجناح وإنّما ... جعلت أريكتها قضيب أراك[7]

---

(١) خاطراً : ماشياً بزهوٍ وتبختر، ويراع : من الروع وهو الخوف .
(٢) الملاء : الخمار .
(٣) شفّني : أمرضني وأهزلني .
(٤) شمته : ترقبته وتطلعت إليه .
(٥) المجن : الدرع .
(٦) المزنّة : السحابة ، والنوء ، المطر .
(٧) الأراك : شجر طيّب الرائحة .

وقوله في الخضاب [من الكامل] :

لما رأت شعري تغيّر لونه ... ورأته محتجباً وراء حجابِ
قالت : خضبت ، فقلت : شيبي إنما ... لبس الحداد على ذهاب شبابي

* * *

٩ ـ قاسم بن عبد الرحمن العجلي

أنشدني له [من السريع] :

استحيت الأغصان من قدِّه ... وحار ماء الحسن في خدِّهِ
إنّي لمشتاقٌ إلى ريقه ... طوبى لمن يرشف من برده

* * *

١٠ ـ محمد بن هشام بن سعد الخير

أنشدني له [من الخفيف] :

يا سقيم الجفون من غير سقمٍ ... حاشَ لله أن تبوء بإثمي[1]
أنت أذكيت في الحشا نار شوقي ... وجعلت السّقام يلهو بجسمي
ما أبالي بمن لحاني إذا قا ... م خطيباً من سحر عينيك خصمي

* * *

١١ ـ عبد الله بن حارث

قال [من الطويل] :

عزائم وجدٍ ما يحلّ لها عقد ... وجرية دمعٍ ليس يبقى لها خدٌّ

---

(١) تبوء بإثمي : أي تتحمله .

ومقلـة ممنـوعِ الرّقـاد كأنّما جرى بين عينيه وبين الـكرى حقد
وبـادية الإعـراض لا عن ملالةٍ ولـكنَّ إعراضـاً يولِّـده الود[1]
منعَّمـة تزهـو بخـدٍّ مورّدٍ كأنّ شعـاع الشـمس من خدهـا يبدو
وقـد وثقـت منـي بعـزم صبابةٍ لها دون عقد الصبر من مهجتـي عقد
ومـا الصـّد إلا كالوصـال إذا غدا لغير ملالٍ أو قلَـى ذلكَ الصدُّ[2]

* * *

١٢ ـ عباس بن قرماس

أنشدني له [من الطويل] :

وأحـورَ ما يعفـى العيون من العشق له كذبٌ في الجدِّ أحلى من الصدقِ[3]
وللحسـن في خديه شمس مقيمةٌ وبـدر كمـالٍ لا يحـور إلـى محق[4]
ومـا العيش إلا ميتـة الهجـر والنوى بأحـورَ ما يبقـى هواه ولا يُبقي

* * *

١٣ ـ أحمد بن محمد بن فرج

قال [من الوافر] :

بنفسـيَ من يصـدُّ بغير ذنب سوى إدلالـه ثقـةً بحبّي
عجبـت لقلبـه قاسٍ كجسمي ويحـكي جمسـه في اللين قلبي
فهـلاّ بالتشـاكل كان قاسٍ لقاسٍ ، واغتـدى رطـبٌ لرطْب[5]

---

(١) الإعراض : الصدّ والهجر .
(٢) القلى : البغض والكره .
(٣) الأحور : من كان في عينيه حور ، وهو شدّة البياض وشدّة السواد معاً .
(٤) لا يحور : لا يرجع ، والمحق : من المحاق وهو اختفاء القمر ، وأراد به النقصان .
(٥) التشاكل : التشابه .

وإن لم ينعطف باللين فظٌّ ... فقولي بالقساوة قلب صَبٍّ

وقوله [من الوافر] :

بأيِّهما أنا في الحب بادي ... بشكر الطَّيْف أم شكر الرقادِ[1]
سرى وأرادني أملي ولكنْ ... عففت فلم أنل منه مرادي
وما في النوم من حَرَجٍ ولكنْ ... جريت من العفاف على اعتقادي

وقوله [من الوافر] :

وما زال الهوى سكناً لقلبي ... أفرُّ إليه من نوب الخطوبِ
وألتذُّ الغرام المحض منه ... وأستحلي به حتى كروبي[2]
كذاك الحب ضيفٌ ليس يأتي ... إلى غير الكرام من القلوب

وقوله [من الطويل] :

بمهلكة يستهلك الجهد عفوها ... فتترك شمل العزم وهو مبدَّدُ
يرى عاصف الأرواح فيها كأنه ... من الأين يمشي ظالعٌ ومقيّد[3]

* * *

١٤ ـ أبو الصخر عبد الله بن محمد

قال [من الخفيف] :

حبذا العيش بين يوم وصالٍ ... مستجدٍّ وبين يوم صدودِ
وحديثٌ موشَّحٌ بعتابٍ ... فيهما نزهة الفؤاد العميد[4]

---

(١) بادي : أراد أن يقول « بادىء » فلم يستقم له الوزن فقلب الهمز ياء .
(٢) المحض : الخالص ، والكروب : الهموم .
(٣) الأين : التعب والاعياء . والظالع : الذي أصابه الظلع : وهو شبه العرج .
(٤) الموشّح : المزيّن ، والعميد :

مــن غزالٍ في مقلتيه سهامٌ   هنّ أمضى من مرهفـات الحديد[1]

وقوله [من الطويل] :

وكم ليلــةٍ قد نادمتنــي نجومها   أديمُ صبوحــاً عندهــا وغبوقا[2]
يعاطيننــي كأســاً ألــذَّ من المنى   وأعــذبَ من ريق الأحبّــة ريقا

وأنشدني لبعض شعرائهم [من الطويل] :

أيا شمس دنياي التــي كلمــا غدتْ   لهــا عزّة المولــى فلــي ذلَّــةُ العبدِ
أعالــج داء الدهــر منــك بذلّتي   وقد قيل قِدْماً : عالجوا الضِّـدَ بالضدِّ

* * *

١٥ ـ زكريا بن يحيى المعروف بابن الطنجية

أنشدني له [من الكامل] : *

صبــراً علــى هجــر الحبيب وصدِّهِ   لا يؤْيِسَــنَّــكَ هجــره من ودِّهِ
لا تقنطــنَّ من الصــدود فإنّما   لين الزمــان معــرَّضٌ بأشدّه[3]
وأنــا الفــداء لشــادنٍ علّقته   حبّه صيَّرنــي تحلّــة عبدِهِ[4]
مــاء الشبــاب يجــول في وجناته   وحســام رونقــه يجــول بخدّه

وقوله [من الكامل] :

قف بالمطــيِّ علــى المنازلْ   بالسفــح من حصــنٍ فعاقلْ
دِمَــنٌ أنــاخ بهــا الربيــــــع وحــلَّ أثقــال الرواحلْ[5]

---

(١) المرهفات : أي الحادة ، وأمضى : أقطع .
(٢) الصبوح : مشرب الخمر صباحاً ، والغبوق شرب الخمر مساءً .
(٣) القنوط : اليأس ، والصدّ : الإعراض .
(٤) الشادن : الغزال ، وعلقته : عشقته .
(٥) الدمن : الأطلال .

لعبت بها هوج البوا ... رح بالغدوِّ وبالأصائل[1]
تستنُّ في عَرَصاتها ... وتجرُّ أذيال القساطل[2]
حتى كأنَّ رسومها ... إخلاق أجفان المناصل[3]
أو أسطرٌ من عهد ذي الـ ... ـقرنين في الصُّحُف الأوائل

* * *

١٦ ـ فاتك الشهواجي

[قال] في غلام يهواه [من الرجز] :

رسالةٌ من كلف الفؤاد ... معذَّبٍ بالصَّد والبعادِ[4]
أجفانه وقفٌ على السُّهاد ... يبكي بدمعٍ رائحٍ وغادي
إلى الذي ممّا لقيت خالي ... منعَّم العيش رخيٍّ البال
يريد هجري ويرى مطالي ... لئن سلاني لست عنه سالي[5]
يا غصن بانٍ مخْجل الأغصان ... ويا رخيم الدلِّ والمعاني
يا قمراً ما إنْ له مداني ... يا ذا الذي بطرفِهِ سباني[6]
بلغت أعداي الذي أحبُّوا ... صرت عليَّ والزمان ألْبُ
هذا جزا من بصبيٍّ يصبو ... عثرْتُ والطَّرفُ الجواد يكبو
يا عبد ما تعرفُ ما ألاقي ... يا عبد ما شوقك كاشتياقي
نفِّسْ بحقِّ الودِّ عن خناقي ... ما شَدَّد الهجرانُ من وثاقي

---

(١) البوارح : الآلام .
(٢) العرصات : الساحات، والقساطل: الغبار الساطع في الحرث .
(٣) إخلاق : إبلاء ، والمناصل : السيوف وغيرها .
(٤) كلف الفؤاد : العاشق والمتيَّم .
(٥) المطل : التسويف .
(٦) سباني : أسرني .

يا ذا الـذي يمْلكنـي بطرفِهْ	يا من يجـلُّ الـوصف عنـدَ وصفِهْ
يا قاتلـي بوعـده وخُلْفهِ	ارحـمْ محبّـاً قد دنـا من حتْفه[1]
ارحـم عزيزاً في هواك ذلا	ألبستـه ثوبـاً فمـا تملّـى
قطعـه العـذّال فيك عذلا	يا بدرَ تمٍّ في السمـا تجلّـى
إرْثِ لقلـبِ دائـمِ الجراحِ	ارْعَ انتهـاكي فيك وافتضاحي
لا تقبلنَّ فيَّ قولَ لاحي	يا ذا الـذي بكفّـه سراحي[2]
فقـد عفـا الرحمـن عمـا قد سلفْ	فعدٍّ عن زور التصابي والصلف[3]
واحْنُ على الصبِّ بوصلٍ وانعطفْ	إن لم ينلـه منـك إحسـان تلف
بحـق ما في فيك من رضابِ	يا من غَذَتْـه نعمـةُ الشباب[4]
لا تقطعـنَّ الدهـر في عتاب	فقـد تقضَّـى زمـن التصابي
بحـق من أنـزل صُحْفـاً وكتبْ	إجعـلْ إلـى القلـب طريقـاً وسببْ
يا لعبـةً وافـت علـى كل اللعبْ	قد مسَّنـي بعـدك بؤس ونصب
لـم يرض بالذلـة غير نذل	ولسـت أرضـى بقبيح الفعل
إنـي ،أرى من دون هذا قتلي	فاقطع وصالـي أو فجـد بالفضل[5]

وهي طويلة جداً .

* * *

١٧ ـ أبو بكر إسماعيل بن بدر

أنشدت له [من الطويل] :

غزالٌ جنينـا الـورد من وجناته	علـى أنـه منّـا القلـوب بهـا يجْني

(١) الخلف : عدم الوفاء ، والحتف : الموت والرّدى .
(٢) اللاّحي : اللائم ، وسراحي : فكّ أسري .
(٣) الصلف : التكبّر .
(٤) الرضاب بضمّ الراء : الريق .
(٥) جد : تكرّم .

إذا ما بدا والليل منسدل الدُّجا رأيت سناه كيف يفعل بالدّجنِ
أُخبِّرُهُ بالطّرف أني أحبه فتخبرني عيناه أنْ قد وعى منّي

وقوله [من السريع] :

كيف ترى شوقي وتعذيبي يا غايةً في الحسن والطيبِ
إن الذي قال علَيَّ العدى إفك كما قيل على الذِّيب
يا يوسفَ الحسنِ أمَا رحمةً تكْشف عنّي ضُرَّ أيّوب ؟[1]

* * *

١٨ ـ مؤمن بن سعيد بن إبراهيم

أنشدت له [من مجزوء الرمل] :

قل لمن لست أُسَمِّي بأبي أنت وأمي
ما على بعض ظباء الـ إنس لو فُرِّجَ هَمِّي ؟
سَيِّدي ، وجهكَ شمسٌ أشرقتْ أم بدر تم ؟

وقوله [من الكامل] :

أودى الفراق بقلبه فكأنّه بعد الظعائن ميتٌ لم يلحدِ[2]
يا ظاعناً ولّى بقلبي إذ غدا ما الصبر من جزعي عليك بأحمد
أفنيت فيك دموع عيني بعد ما أفنيْتُ فيك تصبُّري وتجلُّدي
الله يعلم أن نار صبابتي من يومِ بنْتَ جحيمُها لم يبردِ[3]

---

(١) يوسف الحسن : أي النبي يوسف عليه السلام وتكشف : تزيل ، والضرّ : البؤس والشقاء والعذاب ، وأيوب : أي النبي أيوب عليه السلام .
(٢) أودى : أذهب وأهلك وقضى ، والظعائن : النساء الراحلات ، والظعن : الرحيل والفراق .
(٣) بنت : بعدت وغبت .

وقوله [من الكامل] :

ذكر الرّصافة قلبه فاشتاقا ... وأذاع ماء جفونه مهراقا[1]
كم بالرصافة من أخٍ ليَ مسعدٍ ... لولا النوى ما جئتهم مشتاقا
يا حبذا أرض الرصافة منزلاً ... لقيَ الفؤاد بذكره ما لاقى
لا تنكروا شوقي إلى بلدٍ به ... أهلي فحكم البين أن أشتاقا

وقوله [من الرمل] :

إنما أزري بقدري أنني ... لست من بابة أهل البلدِ[2]
ليس منهم غير ذي مقلية ... لذوي الألباب أو ذي حسد[3]
يتحامون لقائي مثلما ... يتحامون لقاء الأسد
طلعتي أثقل في أعينهم ... وعلى أنفسهم من أحد
لو رأوني قعر بحرٍ لم يكن ... أحدٌ يأخذ منهم بيدي[4]

* * *

١٩ ـ الوزير أبو وهب عبد الوهاب بن محمد

قال [من الرمل المجزوء] :

قتلت عيناك عبدَكْ ... قبل أن تقضيه وعدكْ
حُلْتَ عن عهد محبٍّ ... لم يزل يحفظ عهدك

* * *

(١) أذاع : أسال وأظهر ، ومهراقا : أي أراقها وسفحها .
(٢) أزرى : أعاب وأنقص والبابة : الصنف ، والخصلة .
(٣) ذي مقلية : أي صاحب بغضٍ وكره .
(٤) أي أنهم لو رأوه غريقاً لما ساعدوه .

٢٠ ـ عبد محمد بن حسين بن طلحة العبسي

قال [من الخفيف] :

كيف صبري وأملح الثَّقَلَيْنِ ... مُخْلِفٌ موعدي ولاوٍ بديني[١]
كلما رمت وصلها وصلتني ... بصدودٍ وذنَّبتني ببين[٢]
هي وسْنى الجفون لكنْ بنومٍ ... مذ أرتنيهِ أذهبَتْ نومَ عيني[٣]

* * *

٢١ ـ الوزير أبو عثمان عبيد الله بن محمد بن أبي عبيدة

أنشدت له [من المتقارب] :

أمولاي حتى متى أضرعُ ... وأشكو إليك فما تسمعُ
نبا بي الوساد وطول البعاد ... وطار الرقاد فما أهجع[٤]
أودُّ بأن المنايا أتت ... وأين يرى اللحد لي مضجع
يُقَطِّع قلبي صدودك عني ... فما ليَ في عيشةٍ مطمع

وقوله [من الوافر] :

صدودٌ ليس يبلغه عقاب ... وعتبٌ ليس يثنيه عتابُ
وإبعادٌ بلا ذنبٍ طويلٍ ... وإعراضٌ وصدٌّ واجتناب
فلا سهرٌ يطيب ولا رقادٌ ... ولا أكلٌ يسوغ ولا شراب

* * *

---

(١) الثقلين : الجن والانس ، ولاوٍ بديني : مماطل به ، ومنكر لهُ .
(٢) ذنبتني ببين : أي زاد البعد بعد الصدّ .
(٣) الوسن : النعاس .
(٤) نبا : جفا وباعد ، والهجوع : الرقاد .

٢٢ ـ محمد بن مطرق بن شخيص

أنشدت له [من الطويل] :

يقولـون كم تدعـو إلـى غير راحم ... وما كل من يشكو إلى الناس يرحمُ
وددت بأن يرضى فإن جاد بالرضا ... تفكَّر في ذنب المحب فيندم

وقوله [من الخفيف] :

كان في كثرة العتاب دليلٌ ... لي على أنَّ من هويْتُ ملولُ
من نوى جفوةً تقوَّل في الحـ ... ـب على من يحبه ما يقولُ[1]
فاقطعي الوصل أو صلي فبقائي ... مع طول العتاب منك قليل
واسلكي بي سبيل عروةَ إن لم ... يَتَّجِه لي إلى رضاك سبيل[2]

وقوله [من الطويل] :

ولم أدر إذ زمّوا الهوادج بالضّحى ... أطرْفِيَ أعمى أم نهارِيَ مظلمُ ؟[3]
فيا جفن عيني كيف تطمع في الهوى ... بنوم ونوم العاشقين محرَّمُ ؟

* * *

٢٣ ـ علي بن حتفان بن أخت النظام

أنشدت له [من الكامل] :

وذكرت ما يلقى المحبّ مخلَّفاً ... بعد الأحبة من جوى وسهادِ
بالله لا تنس الوداد فإنّني ... باقٍ على عهدي ومحض ودادي

* * *

(١) تقوّل : اختلق الأقوال .
(٢) عروة : هو عروة بن حزام أحد متيّمي العربِ وصاحبته اسمها عفراء .
(٣) زمّوا : شدّوا وأزمعوا الرحيل .

٢٤ ـ محمد بن عبديس الجناني رحمه الله !

أنشدت له [من المتقارب] :

إليك أمدُّ بشجْوي يداً فقد بلغ الحبُّ منّي المدى[1]
فريد المحاسن أنت الذي قَد اثْبتَّني في الأسى مفردا
ترفَّقْ فلو كنت بعض العدى وفعلك فعلك ما بي عدا
أرحني فقد بتُّ ممّا لقيت وأَرْوَحُ ما أرتجيه الرَّدى

* * *

٢٥ ـ أحمد بن أبي صفوان بن العباس ابن عبد الله بن عمر بن مروان

قال [من البسيط] :

فلو تراني نشواناً أميل على هذا وذاك بلا خوف الرقيبيْنِ
والكأس يسعى ونقر العود يخفرها ونقل كأسيَ من ريق الغزالين
رأيت أحسن مرئيٍّ وأبهجه ليث العرين صريعا بين ريميْن

* * *

٢٦ ـ أغلب بن شعيب

أنشدت له [من الخفيف] :

ربَّ ليلٍ أحييتْ فيه سنا الصبـ ـح بوجه يُعشي الوجوهَ سناهُ
بات والراح في غلائلها البيـ ـض تعاطيكها به راحتاه

(١) الشجو : الحزن .

فأعـــار الــكؤوس توريدُ خديّْـ ـه وطيب النسيم مـن رياه
وكأنّ المـــدام قد علّمتها كيف تَسْبـــي ألبابنَـــا مقلتاه[1]

وقوله [من الخفيف] :

قد توقعــت حادث البين إشفا قاً عليه من قبــل حين وقوعِهْ
فرأيت الفــراق دلّ علـــى أن فـراق الحيـاة فـي توديعه

وقوله [من الخفيف] :

مـن مجير المشـــوق من أشواقهْ ويكـف الدمــوع مـن آماقِهْ
بان عنـــي من غادر القلـــب مني فَرَقـــاً مـن تأسُّفــي لفراقه[2]

وأنشدني لبعض أدبائهم [من الطويل] :

وليلـــة أنسٍ كاد يسبقهـــا الفجر وتسفـر في عينـي بهـــا الظُّلـــم الكُدْرُ
لقيتـــك منهـــا بالأمانِـــيٍّ ذاكراً فيا طيب ليلـــى من لقـــاءٍ هو الذكر
أقمتـــك في نفســـي لنفســـي تذكُّرا ففـــزت بوصـــل ما يغالبـــه الهجر
ألســـت نظير البـــدر حسنـــاً وبهجةً فمالك لا تسـري كمـا يفعـل البدر ؟

* * *

٢٧ ـ محمد بن سليمان الفاني الأكبر

قال [من المنسرح] :

أمثـل شوقـــي إليـك ينفرج وهـو بروحـــي والجســـم ممتزجُ ؟
أيـن لقلبـــي من الهـــوى وزر ولوعـــة الشـــوق فيـه تعتلج ؟[3]

---

(١) المدام : الخمر ، وتسبي : تأسر .
(٢) الفرق : الخوف .
(٣) وزر : مساعد ، تعتلج : تتلاعب .

وابأبـي من يذيب نفسـيَ بالتَّـكريه منه الـدلال والغنج
عَلَّمَ طرْفـي السهـاد من طرفـه السـاحـر ذاك الفتـور والدَّعَج[1]

* * *

٢٨ ـ حسن بن محمد بن ربيع الفاني

قال [من البسيط] :

لولا جفونـك ما استولـى بيَ الكمد ولا تَحَـكَّمَ في أجفانِـيَ السَّهَدُ[2]
الهجـر يذكي جوى قومٍ فيا عجباً للوصـل يذكي جوى قومٍ فيتَّقد
كأنـه ليس يبقـى في جوانحه إلاّ ليشقـى بمـا يلقـى ومـا يجد
هذا مقـام فؤادي في تشوُّقه فلا تسـلْ بعـد ذا ان كان لي كبد

* * *

٢٩ ـ عبد الله بن بكر
رحمه الله تعالى !

أنشدت له [من الخفيف] :

حَسَـدَتْ نفسِيَ الـطبيب وقالت ليت كفـي مكان كفٍّ الطبيبِ
عجبـاً كيـف ساعدتْـه يـداه فصَـدْ ذاك المطـرَّفِ المخضوب[3]
ليت وجـه الحبيب كان من الدنـيا ومـن جنـة الخلـود نصيبي

---

(١) الفتور : الضعف والإنكسار ، والدّعج : سعة العين مع اشتداد بياضها وسوادها .
(٢) الكمد : الحزن والغمّ ، والشهد : الأرق والسهر .
(٣) الفصد : من الفصاد وهو إخراج الدم من الجسد بآلة حادة والمطرّف المخضوب : أي الكفّ المخضّب بالخضاب .

وقوله [من الكامل] :

لمـا رأيت شعـاع وجهـك قد بدا ... متهلـلاً كتهلـل البـرقِ
سَبَّحْـتُ من عجـبٍ وقلـت : متى ... للشـمس مُطَّلَـعٌ سوى الشرق ؟
ما كنـت أحسـب مثـل صورتها ... متكوِّنـاً أبـدا مـن الخلق

وأنشدني للكلبي [الوافر] :

بنفسِـيَ من هواك لهيب شوقٍ ... ومـا يخبـو كمـا يخبـو اللهيبُ[1]
هو الـداء الـذي لم يشف منه ... لقـاء يلتقيـه ولا مغيـب
وتـروي بالعنـاق قلـوب قومٍ ... وتظمـأ لو تعانقـت القلوبُ
علـى أنـي إذا ما غبـت عني ... وان أصبحْـت في أهلـي غريب

قال : وعتب الحكم ولي العهد على الكلبي في بعض الأمر فأقصاه وأبعده ، فكتب إليه كتاباً متنصلاً[2] ، وجعل عنوانه « عبده الكلب إلا أن يمنحه مولاه ياء نسبته » فاستظرف الحكم كتابه ، وضحك منه ، ودعاه فأعتبه[3] ، ووصله .

* * *

٣٠ ـ محمد بن حفص بن فرح

قال [من البسيط] :

يا من غدت نفسه نفسي فإن سَلِمَتْ ... سلمـتُ أو أَلِمَـتْ قاسمتُهـا الألما
ما إن علمـت الذي تشكوه من سقمٍ ... حتـى وجـدت بنفسـي ذلك السَّقما

(١) يخبو : يخمد وينطفىء .
(٢) متنصّلاً : متبرئاً .
(٣) أعتبه : أرضاه وأزال سبب عتبه .

وله [من الخفيف] :

فـي المنـى راحـة لكل عميد شفـه الحـب بالنـوى والصدودِ
إن تنـاءى الحبيب أدْنته منه فغـدا في العبـاد غير بعيد
أو جفـاه فإنـه لمنـاه واصـل حبلـه برغـم الحسود

* * *

٣١ ـ عبد الله بن محمد بن فرح الأندلسي

قال [من الطويل] :

شكا السقم من أهوى وجدٌ به الصبا ولا مثـل ما جدّ الصبّـا بي في الحبٍّ
ومـا عدتـه إلاّ وسقمِـيَ واحدٌ وأُبْتُ ولي سقمان بالحـب والكرب[(١)]

وقوله [من الخفيف] :

ما لهـذا الصـدود من غير معنى يا حبيبـي ، إلـى متـى تتجنّى ؟[(٢)]
أنـت غصـنٌ فكيف تقسـو لجانٍ مدَّ كفـاً وأنـت تهتـزٌّ لدنا[(٣)]
إن تكن قد مللـت قربـي تباعد ت قليلاً لعلنـي سوف أدنى
أيهـا الباخـل الممانـع جُدْ لي من حياتـي ببعـض ما أتمنّى
أو أرحنـي بالمـوت فالمـوت عندي هو خير من أن أعيش مُعنَّى[(٤)]

وقوله [من الطويل] :

رحلـت وقلبـي عنـك ليس براحل وزلـت وصبـري عنـك أوّل زائلِ

---

(١) أبت : عُدت .
(٢) تتجنّى : تتحامل وتتهم .
(٣) الجاني : القاطف ، واللدن : الطري الناعم .
(٤) المعنّى : المعذّب .

وجَـدَّتْ بنـا العيس العتـاق وإنما رحيلـي من الـدنيا بتلك الرواحل[1]
ومـن عجـب أختـار فيك منيَّتي ومـا في الـدنيا من خيارٍ لعاقل

وقوله [من المتقارب] :

نظـرت إلـى عقـدات الكثيبِ بعينـيْ مشـوقٍ إليهـا كئيبِ
وكم نظـرة ملأتْ ناظـري إليهـا دما مستهـلٍّ الغروب
رعـى الله أهـل كثيب اللوى كرَعْيك منهـم عهـود الحبيب[2]
وشقَّـق فيهـم جيوب السماء كمـا شقـق البين رتـق الجيوب[3]

وقوله [من الطويل] :

أرى نار ليلـي بالعقيق تلوح فتدنـو النّوى بالشـوق وهـي تروحُ
نظـرت إليهـا وهـي تسْبـح في الدجى وإنسـان عيني في الدمـوع سبوح[4]
فسلني بوجـد لو تقسّـم في الورى لمـا بات بين الخـافقين صحيح
فيا لك ناراً تصطليهـا جوانحي ودون الصَّـلا منهـا مهامـه فيح[5]

* * *

٣٢ ـ محمد بن أحمد بن قادم

قال [من الخفيف] :

لـم أبـح باسمـه لأنّـي ضنينٌ باسمـه أن تذيلـه الأفواهُ

---

(١) العيس العتاق : النوق الكريمات .
(٢) الكثيب : التلّ من الرمال ، واللوى : ما التوى من الرمال .
(٣) الرتق : ضدّ الفتق .
(٤) إنسان عيني : ناظرها . وسبوح : سابح وغارق .
(٥) الفيح : الواسعة ، والمهامه : الفلوات والقفار .

أنــا من خاطــري أغــار عليه عنــد ذكــري له فكيف سواه
ســاء ظنــي لفــرط غيرة قلبي مَعَ علمــي عفــافَ من أهواه
وإذا ما سمعــت من يتشكّى حرقــةً خلــت أنهــا شكـواه

وقوله [من البسيط] :

إنّــي زعيمٌ لمــن أسهــرْتَ مقلتَهُ أن لا يطيف به طيف من الوسنِ[1]
سبحــان رب الــورى ما كان أغفلني حتــى رمتنــي الليالــي فيك بالمحن

وقوله [من الخفيف] :

قفْ بربــع البلــى وربــع الهموم واسفــحِ الدمــع فيه سفــح الغيومِ
غيّرت آيَــهُ صروفُ الليالي ومحاهــا الغمــام محــو الرّقيم[2]
ساء ما اعتــاض بالسحائــب من نبـ ـت المعالــي بمنبــت القيصــوم[3]
فالأســى حين يعــدم الشــيء محمو لُ علــى قدر جوهــر المعلــوم

وقوله [من الوافر] :

أمــا والبيت والشهــر الحرام وزمــزم والمشــاعــر والمقــامِ[4]
لقــد حنَّــت ركاب الــركب حتى شجــت قلــب الخلــيِّ من الغرام[5]
إذا شاق الحنين فؤاد خلوٍ فكيف نــرى فؤاد المستهام ؟
تحــنُّ إلــى حنين العيس نفسي ويبعــث شجوهــا نوحُ الحمام[6]
وإنّ حياة نفسٍ كلّ شيءٍ يُشَوِّقُهــا لموشــكـة الحِمام

---

(١) زعيمٌ : كفيل ، والوسن : النعاس .
(٢) الصروف : الأحداث والتقلّبات ، والرّقيم : الخطّ والكتاب .
(٣) القيصوم : نبات ذهبيّ الزهر طيب الرائحة يُتداوى به .
(٤) يجمع الشاعر في هذا البيت الحجّ ومناسكه .
(٥) الخليّ : الذي لا يعرف العشق .
(٦) يبعث : يثير ، والشجو : الحزن .

وقوله [من الكامل] :

ما كان تركي للعيادة عن قلى ... مني ولا لتبدل وتغيُّرِ
لكنْ علمت إذا سمعتك تشتكي ... أن لا يقوم به جميل تصبُّري

* * *

٣٣ ـ محمد بن عبد العزيز العتبي

قال [من الكامل] :

فاسأل بهن ربوعهن ، وما الذي ... يجدي عليك سؤال ربع داثرِ ؟
عَفَّتْ معالمه الليالي مثل ما ... عفَّى سواد الشعر بهجة عامر

وقوله [من الكامل] :

حوراء خوْدٌ تستعير إذا مشتْ ... لينَ القضيب الناعم الميّاسِ[٢]
لانت أناملها ولكنْ قلبها ... في قسوة الحجر الصَّلود القاسي

وقوله [من الكامل] :

ألا في سبيل الله قلب متيم ... أصيبت ببين الظاعنين مقاتلُه
هوى صبره بالبين من ذروة الهوى ... وغالته إذ بان الخليط غوائله[٣]
وبين الحمول المستقلّة شادنٌ ... أغنُّ غليظ القلب رخصٌ أنامله[٤]
تيقنت أن الصبر عنِّيَ زائلٌ ... عشيةَ زَمَّت للرحيل رواحله

* * *

---

(١) لموشكة الحِمام : لقريبة إلى الموت .

(٢) الحوراء : من الحور ، وهو شدّة بياض العين وشدّة سواد ، والخود : الشابة الجميلة الناعمة والمياس : المتمايل .

(٣) غالته : أهلكته وقضت عليه وبان الخليط .

(٤) الأغنّ : من في صوته غنّة كغنّة الظبي والرخص : الناعم اللين .

٣٤ ـ محمد بن مروان بن حرب

قال [من مخلع البسيط] :

مـن فرط شحِّـي عليك أنّي رسـول نفسـي إليـك عنّي
فلـو سألـت الرسـول ممـن أتـى لقال الرسـول منـي

* * *

٣٥ ـ المكفوف محمد بن محمود بن أيوب الغنوي

قال [من البسيط] :

لا يبعـد الله أيامـاً نعمْـت بها بين الغواني وشمـل الحـي ملتئمُ[١]
بكلّ ناعمـة الأطـراف مشرقة تكاد تسفـر من إشراقهـا الظُّلم
كأنّهـا دميةٌ بل كوكبٌ شَرِقٌ بل روضـةٌ أُنُفٌ زهـراءُ بل صنم[٢]
فمـا لمثلِـيَ لا يبـكي لفرقتها والعهـد منهـا ولـو أن البـكاء دم

* * *

٣٦ ـ مازن بن عمرو بن مروان بن محمد بن عاصم

قال [من السريع] :

كم لي بمـن أهـواه مـن وجدِ بينٍ إلـى هجـرٍ إلـى صدٍّ
وعبـرةٍ لو أنهـا جمرةٌ ما أطفئـت مـن شدَّة الوقد
إن حالـت الـريح إلـى غيرها أقـول قد حال عن العهد
وإن دنـا دانٍ توهمته دنـا ليثنيـك عـن الودّ
كأن سوء الظـن مستجمعٌ من بين هذا الخلـق لي وحدي

---

(١) ملتئم : مجتمع .
(٢) روضة أنفٌ : أي لم ترعَ .

وقوله [من الكامل] :

ومنعـم للحسـن في وجناته ... فجـر ينـم صباحـه ونهارُهُ
قـد تاه قرطقـه بنهـدَيْ صدرِهِ ... وزهـا بلعبـة خصـره زناره[1]
أمسـى يعلّلنـي المـدام وعنده ... عود ترنُّ بشجـوه أوتاره
فيهيج منّـي لوعـةً لو أنها ... بصفا المقرّر ضعضعت أحجاره
والـدنُّ مقطـوع الـوتين ترى له ... علقـاً يجـود بصوبـه مدراره[2]
طفئـت مصابحنـا فكان سراجنا ... مصباحـه حتـى الصبـاح وناره

* * *

٣٧ ـ أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز ابن أمية بن الإمام الحكم

قال [من الطويل] :

لئـن منعـوا من ناظـر نور ناظري ... فمـا منعـوا ما بيننـا في الضمائرِ
نمـوت ولا نشـكو الهـوى غير أننا ... إذا ما التقينـا نشتـكي بالمحاجر[3]

وقوله [من السريع] :

ودّعنـي إذ ودّعـوا صبـري ... وجمّعـوا البين إلـى الهجر
واستخلفـوا في كبـدي لوعةً ... لاعجهـا أذكى مـن الجمر[4]
لولا دمـوع العين يوم النوى ... لأحرقـت من حرّهـا صـدري
وكيف صبـري في هوى شادنٍ ... مكتحـل الأجفـان بالسّحر

* * *

(١) القرطق : الثوب أو نوعٌ من الثياب .
(٢) الوتين : شريان في القلب يسقي عروق الجسد كلها . والصوب : المطر .
(٣) المحاجر : يعني العيون .
(٤) اللاعج : حرقة الحبّ .

٣٨ ـ محمد بن عبد الله بن عبد الواحد المعروف بعرجون

قال [من الخفيف] :

يا رسولي أبلغ إليها شكاتي ... واسْأَلَنْها ولو بقاء حياتي

قل لها قد قضى هواك عليه ... فهو مَيْتٌ أو مؤذِنٌ بالممات

فالحظيه ترين إن شئت ميتاً ... كان يحيا بأيسر اللحظات

واعجبي أن تكون لحظة عينٍ ... منك تهدي الحياة للأموات

* * *

٣٩ ـ عيسى بن أبي جرثومة

قال [من البسيط] :

يا من سقتنِيَ كأسَ الحبِّ عيناه ... صرفا وَثَنَّى بأخرى طيب ريّاهُ[١]

وزادني وردتي خديه ثالثة ... فأسْكَرَتنِيَ عيناه وخدّاه

يا من كساه ضياء الحسن خالقه ... فبالملاحة حيّاه وردّاه[٢]

حيٌّ يرجّي سلاماً في ملاحظةٍ ... تشفي به سقم قلبٍ طال بلواه

* * *

٤٠ ـ أحمد بن عبد الملك بن مروان

قال [من الكامل] :

ولقد نَفَسْت على الأراك ، وحق لي ... لما اجتني بالذوق طيب جناكِ

وبِيَ الصّدى لا بالأراك ، فما له ... رشف اللّمى وحرمت رشف لماك ؟[٣]

---

(١) الصرف : الصافي الذي لم يمزج بغيره .

(٢) ردّاه : ألبسه .

(٣) الصّدى : الظمأ .

أشعـرت لـو أنّـي حللـت محله لم أمتهنـك بأن أقبِّـل فاك

وقال [من الطويل] :

على صدع شملي منـك قلبـي تصدعا فعن أي حال منك أبـدي التوجُّعا ؟[1]
على النَّأي منـكم أم على قرب داركم بهجـرٍ يزيل الصبـر عنِّـيَ أجمعا ؟
بلى إن في قرب الـديار لراحةً وإن لم يَدَعْ فيك هجـرك مطمعا
كما أن أيام النـوى تبعـث الأسى ويدعـو التصابـي للمحـب إذا دعا

وقوله [من البسيط] :

هبّت لنـا الـريح من تلقـاء كاظمة وهناً فكم ردّ نفـح الـريح من روح[2]
ومـا عرفـت نسيم الـريح من بلدي إلا بعـرف حبيب هَبَّ في الريح

* * *

٤١ ـ عيسى بن جوشن

قال [من البسيط] :

أذاع سافـحُ دمـع العين حين همى من الجوانـح سراً كان مُكْتَتَما[3]
لا تحسبـي أنّـه سرٌّ بذلـت به ولا فتحـت به للكاشـحين فما[4]
لولا عواصـي دمـوع لا تطاوعني ما ذاع سرُّكِ عنـدي لا ولا عُلِما
لؤمٌ بذي الحـب أن يُبْـدي سرائـر ما يهـوى ومـن صانهـا حفظاً فقـد كرما
سجيّتـي أننـي أرعـى ودائعكـم وأحفـظ العهـد منـكم كلمـا قدُما[5]

---

(١) صدع الشمل : تفرّقه .
(٢) كاظمةِ : إسم موضع ، والوهن : الضعف .
(٣) همى : نزل واندرف والمكتتم : المستتر .
(٤) الكاشح : المبغض .
(٥) السجيّة : الطبع .

وأنني أمنح الواشي بكم أذناً معارةً فيكُمُ عن قوله صمما[1]

* * *

٤٢ ـ عبد الله بن سعيد الكاتب المعروف بابن الأخرس

قال [من الخفيف] :

ما لعذري يزيد في قدر ذنبي وعتابي يغريك فِيَّ بعتْبِ
ولماذا اشتريت ودِّي وقد أعطيتك الود من لساني وقلبي
حسبِيَ الله من أعادٍ وحسًّا دٍ ، وبالصدق في ترضيك حسبي
أنت شربي وليس في العيش حظ لِيَ يصفو إذا تكدَّرَ شربي

* * *

٤٣ ـ عبد الله بن حسين بن عاصم بن طاهر

قال [من المجتث] :

أبدى الصدود حبيبٌ قد خان عهدي وملاّ
ولي فمن لي بروحي يردّها إذ تولّى !
لا آخذ الله منه من بالجفاء تحلّى

وقوله [من البسيط] :

أغرى بِيَ الشوق فِكْر ما يسالمني أقام بين ضلوعي حرب صفينا[2]
هذا وما خان أحبابي الأولى ظلموا وإنّهم لعهود الحبّ راعونا[3]

---

(١) الصمم : الوقر .

(٢) صفّين : مدينة على الفرات كانت بها الواقعة العظمى بين جيشيْ عليّ ومعاوية سنة ٣٧ هـ .

(٣) راعون : محافظون .

يا أهـل ودّي عدا بي عن زيارتكم هوى يلـحُّ بإبعـادي أحايينـا
ما لي على الحـبّ من عونٍ يوازرني فيه سوى أدمـع تجـري أفانينا(1)

* * *

٤٤ ـ الوزير أبو الحزم جهور بن عبد الله

قال [من الكامل] :

يا عائبـاً لي بالصدو د إذا ذكرت قبيح عذركْ
أخليت من قلبـي مكا ناً كان معمـوراً بذكرك
وأنـا أحبّـك لو وثقـ ـت وأستـديم بقـاء عمرك

* * *

٤٥ ـ عيسى بن عبد الملك بن قزمان

قال [من السريع] :

كم من حبيبٍ كان لي قُرَّةً مقتـرب الـود لطيف المكانْ
يرى علـى الأعـداء فيمـا يرى كالصـارم الهنـدي أو كالسّنانْ
حتـى إذا الدهـر نبـا نبوةً حال فحلنـا بانقـلاب الزمان(2)
كان صديق الغيب فيمـا يرى وإنّمـا كان صديق العيان(3)

وقوله [من المتقارب] :

تقـول : بعـدتَ فأنسيتنـا ولـم يـك حبـك بالدائمِ

---

(١) الأفانين : جمع أفنان الذي هو جمع فنن وأصله الغصن من الشجرة .

(٢) نبا نبوةً : جفا جفوةً، والصارم : السيف القاطع .

(٣) صديق الغيب : أي من يودّك في القرب والنأي . وصديق العيان : من لا يودّك إلاّ في القرب والمشاهدة، أي صديق المصلحة .

فقلت لها : لو علمت الهوى ... لما جرْتِ فيه على العالم[1]
لأن الهوى وانتزاح النوى ... يزيدان في لوعة الهائم[2]
كفعل الرحيق وسكر الكرى ... إذا ما استعانا على النائم[3]

* * *

٤٦ ـ محمد بن عبد الجبار النظام

قال [من الخفيف] :

إنَّ جهلاً بالمرء ذي الحزم والرأ ... ي رجوعٌ في الغيِّ بعد نزاعِ[4]
ومحالاً بأن يطيع هواه ... والهوى ـ ما علمت ـ شرُّ مطاع

وله [من الخفيف] :

أوْدَعَتْ مهجتي غداة الوداع ... حرقات تجنُّها أضلاعي
طفلة تستبي العقول بدلٍّ ... آخذٍ للقلوب والأسماع
كشف البينُ ما كتمت وما كنـ ... ـت قديماً أصونه في قناعي[5]

* * *

٤٧ ـ الوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد[6]

أنشدني له أبو سعيد بن دوست ، قال : أنشدني الوليد بن بكر الفقيه الأندلسي قوله من قصيدة يمدح فيها [من الطويل] :

---

(١) جرتِ : ظلمت من الجور .
(٢) انتزاح النوى : كدر البعد وطول مدّته .
(٣) الرحيق : الشراب .
(٤) النزاع : وهو النزوع عن الشيء والإقلاع عنه .
(٥) البين : البعد ، وأصونه : أحفظه والقناع : يريد به الصدر موضع الأسرار .
(٦) له ترجمة وافية في ذخيرة ابن بسّام (١ ـ ١٦١) وما بعدها .

وأخــرى اعتلقنــا دونهــن، ودونها قصــور وحُجّــابٌ ووالٍ ومعشرُ
يزيِّنهــا مــاء النعيــم وحفُّها من العيش فينــان الأراكة أخضر[1]
إذا رامهــا ذو حاجــة صدَّ وجهه ظبــا الباتــرات والــوشيج المكسّر[2]

ومنها :

ومــن قبــةٍ لا يدرك الطــرف رأسها تزلُّ بهــا ريح الصبــا فَتَحَدَّر
إذا زاحمـت فيهــا المخــارم صوَّبت هبوباً على بعد المـدى وهـي تجأر[3]
تكلّفتهــا والليل قد جاش بحره وقــد جعلــت أمواجــه تتكسّر
ومن تحت حضني أبيضٌ ذو شقاشقٍ وفي الكف من عسَّالـة الخـط أسمر[4]
إلـى بيت ليلـى وهــو فرد بذي الغضا يضــيء كعين المستهــام ويزهر
همـا صاحبــاي من لدنْ كنــت يافعاً مقيلان من جدّ الفتــى حين يعثر
فذا جدول في الكفّ تشفـي به المنى وذا غُصُـنٌ في الــكفّ يجنــي ويثمر
فبتنــا علــى ضمٍّ اشتياقنا تكاد له أكبادنــا تتفطّـر

ومنها :

ودَوِّيةٍ من فتنــةٍ مدلهمّةٍ دريس الصُّــوى معروفهــا متنكّر[5]
إذا جابهــا الخِــرِّيت في طرقاتها يظـل بهــا أعمــى وإن كان يبصر[6]
ترى ثابتـات الحــكم عنــد اعتسافها تركُّ علــى إدفافهــا فتهوّر
وإن سلــكت أضواجهــا عَيَّتْ بها غوارب من ذي مطـريات تزجّر[7]

---

(١) الفينان : وصف للغصن الرطيب الطويل الكثير الحسن .
(٢) الظبا : الحد ، والباترات : القاطعات ، والوشيج : شجر تتخذ منه الرماح .
(٣) المخارم : جمع مخرم ، وهي الطرق والأنفاق في الجبال .
(٤) الحضن : الجانب وبين الإبط ، والأبيض : السيف ، والأسمر : الرمح .
(٥) الدّوية : القفر والصحراء ، والصّوى : الطريق والمعالم .
(٦) الخرّيت : الدليل الحاذق الماهر .
(٧) أضواجها : منعطفات الأودية وغوارب : المطيّ النشيطة .

وسرنـا نجـوز النهـج حتـى بدا لنا بغـرَّة يحيى ساطـع اللـون أزهر

وله من أخرى أولها [من الطويل] :

* أمن رسم دار بالعقيق محيل *

ولمـا هبطنـا الغيث يذعـر وحشه علـى كلّ خوّار العنـان أسيلِ[1]
مسـوَّمـة نعتدُّهـا مـن جيادنا لطـرد قنيص أو لطـرد رعيل[2]
إذا ما تغنـى فوق متونها ضُحَيّاً أجابـت تحتهـم بصهيل
تدوس بنـا أوكار نوء كأنه رداء عروس أوذنـت برحيل
رمينـا بهـا عرض الصـوار فأقعصتْ أغـنَّ قتلنـاه بغيـر قتيل[3]
وبـادر أصحابـي النـزول فأقبلت كراديس من غضٍّ الشِّـواء نشيل[4]
فقلـت لساقيهـا أدرهـا سلافـةً شمـولاً ومـن عينيك صرف شمول
فقـام بكأسيه مطيعـاً لإمرتي يميلِ به الإدلال كلّ ميـل
وشعشـع راحيه فمـا زال مائلاً برأس كريمٍ منهـمُ ونبيل

وله من أخرى[5] [من الطويل] :

منازلهـم تبـكي إليك عفاءها سقتهـا الثـريا بالعُـرِيٍّ نحاءها[6]
أَلَثَّـتْ عليهـا المعصـرات بقطرهـا وَجَـرَّتْ بهـا هوج الـرياح ملاءها[7]
حبسـت بهـا عدواً زمـام مطيتي فحلَّت بهـا عينـي علـيَّ وكاءها[8]

---

(١) الأسيل : الليّن المستوي الأملس .
(٢) المسوّمة : المعلّمة ، والرعيل : القطيع .
(٣) الصوار : القطيع من البقر الوحشي ، فأقعصت : قتلت في مكانها .
(٤) الكراديس : القطع .
(٥) ورد كثير من هذه الأبيات في الذخيرة (١ ـ ٢١٦) مع اختلافٍ يسير .
(٦) العفاء : زوال آثارها ، والعري : اسم مكان والنحاء : الزقّ والجرّة .
(٧) ألثت عليها المعصرات : أي دام المطر بها أيّاماً متتابعة دون انقطاع .
(٨) الوكاء : رباط القربة والوعاء والكيس وغيره .

رأت شدَنَ الآرام في زمـن الهوى ولـم تر ليلـي فهـي تسفـح ماءها
خليلـيَّ عوجـا بارك الله فيكما بدارتهـا الأولـى نُحَـيٍّ فناءها
ولا تمنعانـي أن أجـود بأدمعٍ حواهـا الجـوى لمـا نظـرت جواءها
فأقسـم ما شمـت الغـداة وقودها وقـد شمـت ما راب الحمـى وأساءها
ميادين أفـراس الصبـا ومراتعٌ رتعـت بهـا حتـى ألفـتُ ظباءها
ولـم أر أسرابـاً كأسرابهـا الدمى ولا ذئـب مثلـي قد رعـى ثَمَّ شاءها
ولا كضـلالٍ كان أهـدى لصبوتي ليالِـيَ يهدينـي الغـرام خباءها
ومـا هاج هذا الشـوق إلاّ حمائمٌ بكيت لهـا لمـا سمعـت بكاءها
تغـنَّ فلا يبعـدْ بذي الأيك عاشقٌ بكى بين ليلـى فاستحـثَّ بكاءها
أنا البحـر لا يستوهـن الخطب طاقتي وتأبـى الحسـان أن أطيق لقاءها
تيمَّـم قصـدي النائبـات فردَّهـا فتـى لم يشجَّـعْ حين حان رياءها
إذا طرقتـه الحادثـات أعارهـا شبـا فكرات قد أطـال مضاءها[1]
أمـا وأبـي الأعـداء ما دفعتهم يد سبقتهـم يَتَّقـون عداءها
جزاهم بمـا حازوا من الجهـل حلمه كريم إذا رَأْيُ المـكارم جاءها

ومنها :

وكم لك من يوم وقفـت بظله وقـد نازلتنـا الحادثـات إزاءها
ومن موقف ضنـك زحمـت به العدى وقـد نفضـت فيه العقـاب رداءها
وكم أمـةٍ أنجدتهـا وكأنها يرابيع سدَّتْ خيفـةً قصعاءها[2]
ومـن خطبـة في كبَّـة الصَّـك فيصلٍ حسمـت بهـا أهواءهـا ومراءها[3]

(١) الشبا : يقال شبا النار : أوقدها وهنا يقصد قوّة الفكر والرأي ومضاءها : إعمالها وحدّها .
(٢) يرابيع : جمع يربوع ، وهو حيوان قاضم يشبه الفأر ، قصير اليدين طويل الرجلين وطويل الذنب .
(٣) كبّة الصك : الكبّة : الزحمة والجماعة والشدّة والصك : الكتاب ، والمراء : المزاج والهوى .

ومن أخرى أولها [من الكامل] :

* أنكيت ـ إذ ظعن الفريق ـ فراقها *

يقول فيها :

إنـــي امـــرؤٌ لعـــب الزمـــان بهمّتي ... وسـقيتُ من خمــر الخطــوب دهاقَها
فإذا ارتمــتْ نحــوي المنــى لأنالها ... وقف الزمـــان لهـــا هنـــاك فعاقها
فإذا أبـــو يحيى تأخّـــر سعيه ... فمتـــى أؤمِّـــل في الدّنـــا إلحاقها[1]
الملبســي ذهبيَّةً مــن فضله ... ثنـتِ العيون فلـم تطـق رقراقها
والمانعــي من صرف دهــري بعدما ... قلبـتْ إلــيَّ الحادثــات حداقها[2]
حتّـام لا تزوي جيادك للوغى ... وتشيم من بيض السيوف رقاقها[3]
وتسـدّ طرق الأرض منــك بجحفلٍ ... يذر الملــوك مديمةً إطراقها
بحـــرٌ إذا خفقـــت عقـــاب لوائه ... بتخـــوم أرضٍ لم تخف إخفاقها

ومنها :

بطـلٌ إذا خطـب النفـوس إلـى الوغى ... جعل الظُّبا تحـت العجـاج صداقَها[4]
لو عارضـــت هوج الـــرياح بنانه ... يومـــاً لســـدَّ بعضـــهـا آفاقها
وإذا الملــوك جرت جياداً في الوغى ... والجـــود قطّـــع غفـــوةً أعناقها
ولَـــو أنَّ أفـــواه الضراغـــم منهلٌ ... للـــورد أورد خيلـــه أشداقهـا[5]

وقوله [من الطويل] :

أفـــي كلّ عامٍ مصـــرعٌ لعظيم ... أصـــاب المنـــايا حادثـــي وقديمي

---

(١) كذا ، وفي الذخيرة « فمتى أؤمل في الزمان لحاقها » .
(٢) الحداق : جمع حدقة ، وهي سواد العين .
(٣) تزوي : تجمع وتهيّىء .
(٤) الصداق : المهر .
(٥) المنهل : مشرع الماء ، والورد : حيث ترد الحيوانات للإرتواء من الماء .

فكيف لقائـي الحادثـات إذا سطت وقـد فلّ سيفـي منهـم وعزيمي[1]
مضـى السّـلَف الوضّـاح إلاّ بقيةً كغـرّةِ مُسْـودٍّ القميص بهيم[2]
وكيف اهتدائي في الخطوب إذا دجتْ وقـد فقـدت عينـاي ضوء نجومي
أمـا وأبـي الأيام لولا اعتداؤها لظاهـرتُ فـي ساداتهـا بقروم[3]
وقارعـت من يبغـي قراعِـيَ منهمُ بأحـلام بطشٍ أو بطيش حلوم
أحلُّـوا ملامـي لا أبـا لأبيهمِ وإنّـي وربِّ المجـد غير ملوم
فلا تعذلونـي إن ولهـتُ فإنها علاقـة حبـر لا علاقة ريم

وقوله [من الخفيف] :

قـد تركنـا الصبـا لكل غَوِيٍّ وانسلخنـا من كل ذام وعابِ
وانقطعنـا لواعظـات مشيب آذنتنـا حياتهـا بذهـاب
وإذا ما الصبـا تحمَّـل عنا فقبيحٌ بمـا ارتضـاه التصابي
وفُتُـوٍّ سروا وقـد عكف الليـل وأقعـي مغـدودن الأطناب[4]
وكأن النجـوم لمـا هدتهم أشرقـتْ للعيون مـن آدابي
وكأنّ الصبـاح قانصُ طيرٍ قبضـت كفّـه برجـل غراب
وكأن البـروق إذ طالعتهم أوقـدت في سمائهـا من شهابي
يتقـرُّون جوز كلّ فلاة جنـح ليل جوزاؤه من ركابي[5]
عَـنَّ ذكري لمدلجيهـم فتاهوا من حديثي في عرض أمرٍ عجاب[6]

---

(١) سطت : من السطوة : أي بطشت وفتكت ، وفلّ : تشقق وتقطّع .
(٢) أي كغرّة الفرس .
(٣) القروم : الأسياد ، وظاهرت : استعنت ، وطابقت .
(٤) الفتو : جمع فتى ، والمغدودن : الناعم .
(٥) يتقرّون : يتلمّسون ويتفحّصون وجوز الفلاة : وسطها .
(٦) الإدلاج : المسير في الظلمة .

همـةٌ في السمـاء تسحـب ذيلاً ... من ذيول العـلا وجـدٌ كابي[1]
وفتـىً أرهفـت ظبـاه المعالي ... فثنته بالبـاتـر القرضاب[2]
نيَّبتـه أيامـه ولياليـــه بظَفْـرٍ مِنَ الْخطـوب وناب
حُـوَّنٍ لو رآه صرف الليالي ... لتـوارى من خوفـه في حجاب
ذاق أيامـه فكان سواء ... عنـده طعـم شهدهـا والصّاب
ولَـو آنَّ الـدنيا كريمـة نجرٍ ... لم تكن طعمـة لفـرس الكلاب[3]
وإذا ما نظـرت ما حاز غيري ... قلَّ عمـا حملتـه في ثيابي

وقوله [من الرمل] :

أصـفيحٌ شيمَ أم برقٌ بدا ... أم سنـا المحبـوب أورى أزندا[4]
هـبَّ من مرقـده منكسراً ... مسبـلا للـكُمِّ مُرْخٍ للرّدا
يمسـح النعسـة من عينـيْ رشأ ... صائـد في كل يوم أسـدا
كاد أن يرجـع من لثمـي له ... وارتشافـي الثغـر منـه أدردا[5]
قـال لي يلعـب : صدْ لي طائراً ... فترانـي الدهـرَ أجـري بالكدا[6]
فـإذا استنجـزت يومـاً وعده ... قال لي يمطـلُ : ذكِّرنـي غدا
شربـت أعضـاؤه خمـر الصبا ... وسقـاه الحسـن حتـى عربدا
وأنـا المجـروح من عضته ... لا شفانـي الله منهـا أبدا !
ومـكانٍ عازبٍ من جيرةٍ ... أصدقـاء وهـمُ عين العدا
ذي نبـاتٍ بلبلـت أعرافه ... كعـذار الشعـر في الخـدّ بدا[7]

---

(١) وجدٌ كابي : أي خط عاثر .
(٢) أرهفت : أمضت ، والباتر : القاطع .
(٣) النجر : الأصل .
(٤) أورى أزندا : أشعل الزند ، والزند شجر سريع الاحتراق وشديد الحرارة .
(٥) الأدرد : ذاهب الأسنان .
(٦) الكدا : الاستعطاء .
(٧) الأعراف : تيجان النبات والعذراء : الشعر الذي يحاذي الأذن من جانب اللحية .

قلـت إذ خيَّمْـتُ فيه قاطناً وتلاقتني الأمـاني سُجَّـدا
ورأيت الدهـر خوفـي ساكناً وبنـى الأحـرار حولـي أعبدا
جـاد من أصبحـت في أيامه والـردى يحـذر من خوفـي الردى
ملكٌ يحسـب عدلاً ملكاً وإمـامٌ أَمَّ فينـا فهدى
خلتـه والرمـح في راحته قمـراً يحمـل منـه فرقدا
نِعْـمَ ما اختـرت لنفسـي فاعلموا إنْ زمـان جار أو صرفٌ عدا
ليس من يعشـو إلـى نار القرى مثـلَ من يعشـو إلـى نار الهدى[1]

ومن شعره [من الطويل] :

أبـرقٌ بدا أم لمـع أبيضَ قاصل ورجـعٌ شدا أم رجـع أشقـرَ صاهلِ
ألا إنهـا حرب جنيت بلحظة إلـى عُرُبٍ يوم الـكثيب عقائل
هوى تغلبـيٍّ غالـب القلـب فانطوى علـى كمـدٍ من لوعـة القلـب داخل
ردى تعلمـي بالخيل ما قرِّب النوى جيادك بالثرثـار يا ابنـة وائل
جزينـا بيوم المـرج آخـر مثله وغصـنٍ سقينـا ناب أسمـر عاسل[2]

ومنها :

سهـرت لهـا أرعـى النجـوم وأنجماً طوالـع للـراعين غير أوافل
وقـد فغـرت فاهـاً بهـا كلّ زهرة إلـى كلّ ضرعٍ للغمامـة حافل[3]
كأنّ الدجـى همِّـي ودمعـي نجومه تَحَـدَّرَ إشفاقـاً لدهـرٍ مماحل[4]
ومـا بيَ إلاّ همـةٌ أشجعية ونفسٌ أبـت لي من طلاب الرذائل
وكيف ارتضائـي دارة الجهـل منزلاً إذا كانـت الجـوزاء بعض منازلي

---

(١) يعشو : يقصد ليلاً ، والقرى : الضيافة .
(٢) العاسل : الرمح .
(٣) فغرت : فتحت ، والضرع : الثدي في الحيوانات اللبونة .
(٤) هميٌ : من هما المطر : أي نزل .

وصبري على محض الأذى من أسافلٍ ... ومجـدي حُسامـى والسِّيادةُ ذابلي
ولمـا طمـى بحـر البيان بفكرتي ... وأغـرق قرن الشـمس بعض جداولي
زففْـت إلـى خير الـورى كلَّ حرةٍ ... من المدح لم تخمل برعي الخمائل(1)
ومـا رمتهـا حتـى حططـت رحالها ... علـى ملكٍ منهـم أَغَـرَّ حلاحل(2)

وقوله من قصيدة أولها [من الكامل] :

* هاتيك دارهم فقف بمغانها *

يقول فيها :

ودَّعتُهُـمْ وزنـاد قدح في الحشا ... دون الضلـوع يشـبُّ من نيرانِها
يا صاحبـيَّ إذا ونـى حاديكما ... فتنشَّقـا النفحـات من ظيَّانها(3)
وخـذا بمرتبَـع الحسـانِ فربما ... شفع الشباب فصرت من أخدانها
وكأنمـا الشعـرى عقيلـة معشرٍ ... نزلـت بأعلـى النسـر من ولدانها
وكأنّمـا طرق المجـرة منهجٌ ... للعامـرية ضامـنٌ فينانهـا
المعجليـن عداتهـم برماحهـم ... والجـاعلين الهـام مـن تيجانها
أنـا طودهـا الراسـي إذا ما زلزلت ... أيدي الحـوادث من فؤاد جبانها
وعلـيَّ للصبـر الجميل مفاضـةٌ ... زغفٌ أفـلُّ بهـا شبـاة سنانها(4)
وكأنّني لمـا كرمـت وقـد شكت ... أرضى الحوادث غبت من حدثانها
وقضـت بعـزّ النفس منـي دوحةٌ ... من عامـرٍ أصبحـت من أغصانها
أسـري لهـم بالخيل حتـى خيّلوا ... أنّ الجبـال رمتهـمُ برعانها(5)

(1) زففت : قدّمت وأنشأت أحسن القصائد والأفكار ، لم تخمل : تزول آثارها .
(2) حلاحل : السيّد الشجاع .
(3) ظيّانها : عسلها .
(4) المغاضة : الدرع . والزغف : الدرع الواسعة الطويلة .
(4) المفاضة : الدرع ، والزغف : الدرع الواسعة الطويلة .
(5) خيّلوا : حسبوا ، والرعان : جمع رعن وهو أنف الجمل .

ورمى العـدى بكتائـبٍ ملء الفضا أعمدن نصـل الصبح في رهجانها[1]
مــن كلّ سلهبــةٍ تطير بأربعٍ ينسيك مُؤْخَرهــا التمــاح لبانها[2]
نشــأوا بزاهــرة الملــوك ومائها وكأنهــم نشــأوا علــى غسّانها[3]
وأَرَتْهُـمُ العــرب الــكرام مصاعها فتعلّمــوا من ضربهــا وطعانها[4]

وقوله من قصيدة أخرى [من الطويل] :

خليليَّ ما آنفــك الأسى منــذ بينهم حبيبِــيَ حتــى حلَّ بالقلــب فاختطا
أريد دنــواً من خليلي وقــد نأى وأهــوى اقتراباً من مزار وقـد شطا[5]
وإنــي لتعرونــي الهمــوم لذكركم هدوّاً فلا أستــطيع قبضــاً ولا بسطا
وإن هبــوط الــواديين إلى النقا بحيث التقى الجمعان واستقبل السقطا
لمسرح سربٍ ما تقــرًى نعاجه بريراً ولا تقــرو جآذره خمطا[6]
ومرتجــزٍ ألقــى بذي الأثــل كلكلاً وحــطّ بجرعــاء الأبــارق ما حطّا[7]
سعــى في قياد الــرّيح يسمــح للصبا فألقَــتْ على غــير التِّــلاع به مرطا[8]
وما زال يروي الترب حتى كسـا الربى درانـك والغيطـان من نسجـه بسطا[9]
وعَنَّــتْ له ريح فأسقــط قطره كما نثـرت حسنـاء من جيدهــا سمطا
ولــم أر درا بدَّدتــه يد الصبا سواه فبــات الزهــر يجمعــه لقطا

---

(١) الرهج : الغبار .
(٢) السلهبة : الطويلة الجسيمة ، واللبان : الصدر .
(٣) غسّانها : رجالها ، والغسّان : ريعان الشباب وحدّته .
(٤) المصاع : الجلاد والقتال .
(٥) شطا : بعُدَ .
(٦) تقرى : تطعم ، والبرير: الأول من ثمر الأراك ، والخمط : نوع من الشجر .
(٧) الكلكل : الصدر ، والجرعاء : أرض حزنة بها رمل وحجارة .
(٨) التلاع : المرتفع والمنتصب من الأرض والمرط : الثوب الطويل الذيل .
(٩) الدرانك : ضربٌ من الثياب .

وقوله يصف الذئب وأحسن [من الطويل] :

أزلٌّ كسا جثمانه مستترا طيالس سوداً كالدجى وهو أطلسُ[1]

فدلٌّ عليه لحظ خِبٍّ مخادعٍ ترى ناره من ماء عينيه تقبس[2]

وقوله [من مجزوء الكامل] :

وأغرَّ قد لبس الدجى برداً فراقك وهو فاحمْ

يحكي بغُرَّته هلا ل الفطر لاح لعين صائم

أرمي به بقر الحمى وأصدُّ عن عصم العواصم[3]

وتجانبي فتق النفو س من المهاريت الدلاقم[4]

حتى إذا علم الصبا ح أشار من تلك المعالم

وتمايلت أيدي الثريّا وهي مُذْهبة الخواتم

ورنت ذكاءُ بناظرٍ رمدٍ من الأقذاء سالم[5]

قلت : ومن رسائله العجيبة قوله يصف البرد والنار والحطب :

أطال الله بقاء مولاي الذي أهتدي بمصباحه ، وأعشو إلى غرره وأوضاحه ، صبحتنا اليوم خيل البرد مغيرة ، فانقبضت إلى أخريات الإيوان ، وقد كدسني بصارم وسنان . فجعلت مجني حطباً دل على نفسه ، وتشظى من يبسه[6] فسلطت عليه صاحب الشرر[7] ورميته منها ببنات الحديد والحجر . فواقعه قليلاً ، وعاركه طويلاً . فكان لها عجيج ، وله من حرها ضجيج . ثم خلا لها صريعاً ، واستولت

---

(١) الأزلّ : الضيق .

(٢) الخبّ : الخداع والخبث .

(٣) أصدّ : أمنع ، والعصم : جمع أعصم ، وهو من الغزلان وغيرها ، ما في ذراعيه أو احداهما بياض وسائره أسود أو أحمر .

(٤) المهاريت الدلاقم : الأسود المغيرة .

(٥) ذكاء : هي الشمس .

(٦) تشظى : تشقّق .

(٧) صاحب الشرر : الزناد .

عليه صعباً منيعاً . فبددت شمله وألفت شملها ، واستحالت حية لا يستلذ قتلها . ترمي بألوان وتتهدد بلسان ، فلذعت البرد لذعة ، ونكرته على فؤاده نكزة ، خرّ لها على جبينه ، ومات بها من حينه . وغشينا من فائض حمتها حر كان لنا حياة ، ولذلك وفاة . فالحمد لله على نعمته ، وما أرانا من غريب قدرته ، ودلنا به من لطيف صنعته . ولما استحال جمرها رماداً ، وقد مهد لنا من الدفء مهاداً ، ولمحته العين كالورد ، وذر عليه كافور الهند ، انبسطت نفس شاكرك فتذكر لما كلفته ، من الزيادة في المعنى الذي اعتمدته ، محرماً له لا مقتدياً به ، ومستثنياً فيه لا آخذاً منه .

وله من أخرى يصف فيها البرد والحمام :

لما تلقى اليوم البرد شاكرك بنوع ، ومشى إليه بروع ، وكان بالأمس برداً أجحف[1] ، فابتنى من سحابة أو طف[2] ، قصد بيت النار ، ومورد الأبرار والفجار . فلما رأى الناس أخلاطاً تذكر جهنم ، ولفحها المتضرم ، وقوله تعالى ﴿ وإن منكم إلا واردها﴾ واستعاذ بالله من لهبها ، وسأله أن لا يكون من حطبها ، وإذا بأهلها يتساقون أكواب الحر ، ويتعاورون أثواب القر ، فلما أخذت منهم حمياه ، تهللت الشفاه ، وانطلقت الأفواه ، فأخذوا من تجالدهم ، وأكثروا من عوائدهم ، وكشفت الأبشار ، وهتكت الأستار ، وجعلوا يتجالدون دلكا ، ويتضاربون حكا. حتى إذا خرجوا بجماهرهم ، وانحفلوا بحذافرهم[3] . صب على جسمه من عريض ، وامتد على وضاح ذي وميض ، قاربه الحر حتى احتواه ، وباعده القر حتى اشتهاه . فحينئذ أخذ في طهره ، وقضى من أمره ، وقد لطف حسه ، وتراجعت إليه نفسه . فذكر ما خاطبك به أمس في المعنى الذي كلفته ، على الاختيار الذي قصدته ، فإذا بذلك الكلام لا يدل على سواه ، ولا يقتضي لغير

(١) أجحف : مهلك وكثير الضرر .

(٢) أوطف : أرفع .

(٣) انحفلوا : اجتمعوا .

معناه . فأثبتت فقراً مخترعة أرهفت جوانبها ، فسالت غرائبها ، وهي حلة ملبسها المشكور ، فإن كان ذلك من كريم كان ذلك طرازاً على كمها ، ورقماً على حاشيتها ، فإن زاد أن يكون عن كريم ، فإن ذلك تميمة لوشيها ، وذهب يرف على أرضها، فالشكر حلوبة مسخرة للمشكور، دريها أمل ، وملحها[1] عسل . فإن كانت من كريم كان روضها ورداً ، وحوضها شهداً ، وإن زاد أن يكون عن كريم كانت ناقة صالح ، صرها ثواب ، وحفظها عقاب ، والشكر طائر يتغنى باسم المشكور فإن كان من كريم كان شخصه محبوباً، ورجعه تطريباً . وإن زاد أن يكون عن كريم كان حمامة نوح يغرد بنغم ،ويقع ببشرى ، والشكر درع حصينة يلبسها المشكور ، فإن كان من كريم كان ظلها برداً ، ونفحها نداً ، وإن زاد أن يكون عن كريم كان ثمرها عجوة[2]، وجناها شهوة ، والشكر واد يسقي أرض المشكور ، فإن كان من كريم استحال أتيا[3] ، وإن زاد آن يكون عن كريم عمر عمر العجاج ، وأترع الأضواج[4] . والشكر نسيم يهب على المشكور ، فإن كان من كريم كان نشره فوحاً ، ونفحه روحاً . وإن زاد أن يكون عن كريم صاك منه عنبر ، وتنفس منه مسك أذفر[5] .

وقوله في صفة برغوث :

أسود زنجي ، وأهلي وحشي ، ليس بوان ولا زميل ، وكأنه جزء لا يتجزأ من ليل ـ أو شونيزة[6] ، أو بنتها عزيزة . أو نقطة مداد ، أو سويداء قلب فؤاد ، شربه عب ، ومشيه وثب ، يكمن نهاره ، ويسير ليله، يدارك بطعن مؤلم ، ويستحل دم

(١) الدرى : الدرّ والإدرار ، وملحت الناقة : ذهب لبنها إلاّ قليلاً يجد ذائقه فيه ملوحة .
(٢) العجوة : التمر المخلوط بعضه ببعض .
(٣) الآتي : السيل الذي يأتي من حيث لا يدرك أو النهر الذي يسوقه الرجل إلى أرضه .
(٤) الأضواج : منعطفات الوديان .
(٥) أذفر : ما ظهرت رائحته واشتدت طيبةً كانت أم خبيثة .
(٦) الشونيزة : الحبّة السوداء ..

كل كافر ومسلم ، مساور للأساورة ، ومجرد له على الجبابرة ، يتكفن بأرفع الثياب ، ويهتك كل حجاب ، ولا يحفل ببواب ، يرد مناهل العيش العذبة ، ويصل إلى الأحراج الرطبة ، لا يمنع منه أمير ، ولا ينفع فيه غيرة غيور . وهو أحقر حقير ، شره مبثوث ، وعهده منكوث ، وكذلك كل برغوث . كفى بهذا نقصاناً للإنسان ، ودلالة على قدرة الرحمن .

وقوله في صفة بعوضة :

مالكة لا حس لها سواها ، تحقرها عين من رآها ، تمشي إلى الملك بندبها ، وتضرب بحبوحة داره بطلبها، تؤذيه بإقبالها ، وتعرفه بإراقة مالها ، فتعجز كفه ، وترغم أنفه ، وتضرج خده ، وتفري لحمه وجلده ، زجرتها تسليمها ، ورمحها خرطومها ، تذلل صعبك إن كنت ذا قوة وعزم ، وتسفك دمك وإن كنت ذا حلفة[1] وعسكر ضخم ، تنقض العزائم وهي منقوضة ، وتعجز القوى وهي بعوضة ، ليرينا الله عجائب قدرته، وضعفنا عن أضعف خليقته .

وله يصف ثعلباً :

أدهى من عمرو ، وأفتك من قاتل حذيفة بن بدر . كثير الوقائع في المسلمين ، مغري بإقامة ذم المؤمنين ، إذا رأى الفرصة انتهزها ، وإن طلبته الكماة أعجزها ، وهو مع ذلك بقراط في إدامه ، وجالينوس في اعتدال طعامه . غذاؤه حمام ودراج ، وعشاؤه بذرح[2] ودجاج .

وله يصف ماء :

كأنه عصير صباح ، أو ذوب قمر لياح ، له من إنائه ، انصباب الكوكب الدري من سمائه ، العين كانونه ، والقمر عفريته . كأنه خيط من غزل قلق ، أو مخصرة ضربت من ورق ، يترفع عنك فتردى ، ويصدع به قلبك فتحيا .

---

(١) الحلفة : من الحِلف ،وهو المعاهدة والاتفاق على المساعدة .

(٢) الذرح : اللبن الذي مزج فيه الماء .

وقوله من رسالة يصف فيها الحلوى :

وما أرّقني إلا ليلة أضحيانة دخلت فيها الجامع ، ووقفت موقف الساجد والراكع ، حتى إذا قضيت من حق الله أمراً ، وأتبعت الشفع وتراً[1] . جلت في أكنافه ، وانعطفت في أعطافه ، فإذا أرضه تباهي السماء ، وغبراؤه تضاهي الخضراء ، زجاجة نورية ، كأنها الكواكب الدرية . ورعد قراء لله تعالى وخيرته ، كالرعد يسبح بحمده والملائكة من خيفته . فصحت واويلاه ، واحر قلباه . أين منك المفر ، وأين دونك المقر . لاها الله لا يتركك كريم ، ولا يقلاك إلا لئيم ، بركا كبرك الجمال ، وثباتاً كثبات الجبال . ثم خرجت في تتمة من الأصحاب ، وثبة من الأتراب[2] ، وفيهم فقيه كان ذا لقم ولم أشعر به ، فلما طالعتنا الحلوى صاح : هذا وأبيكم الروض ، فناديته اسكت فضحتنا لا أبالك . فقال : لا وأبيك ، قلت : مالك وما تريد ، قال : ذلك الشهيد العتيد ، واضطرب به الألم واستخفه الشره فدار في ثيابه ، وأسال من لعابه ، وازور جانبه ، وخفق شاربه ، ثم نهض في كر ، وصدر بحر ، ونظر إلى الفالوذج ، فصاح هذا اللص كأنه تألى مجاجة[3] الزنابير ، حدثت على شوابير ، وخالطها لباب الحبة ، فجاءت أطيب من ريق الأحبة ، ثم نظر إلى الخبيص[4] ، فصاح بأبي الغالي الرخيص ، أنظر فيه ذا التماع ، أكرم به من شعاع . هذا جليد سماء الرحمة ، تمخضت به فأبرزت منه زبد النعمة ، تجرحه اللحظة ، وتدميه اللفظة ، بماء أبيض ؟ قالوا : بماء البيض البض ، فقال : غض من غض . أنظروه له إشراق ، هذا وأبيكم بقية العشاق . ما أطيب خلوة الحبيب ، لولا حضرة الرقيب . ثم نظر إلى الزلابية . فصاح ويل لأمه الزانية ،

---

(١) الشفع : المزدوج ، والوتر : المفرد .

(٢) الثبّة : الجماعة .

(٣) المجاجة : ما يقذفه الإنسان من فمه ، ومجاجة الشيء عصارته .

(٤) الخبيص : حلواء تتخذ من تمرٍ وسمن .

أبأحشاء نسجت . أم صفاق قلبي ألفت ؟ بأبي أجد مكانك من نفسي مكيناً ، وجبل هواك على كبدي متيناً ، من أين خلصك كف طابخك إلى باطني ، فأقطعك مني دواجني ، والعزيز الغفار لأطلبن بالثأر ،وتلمظ[1] له لسان الميزان، فجعل يصيح الثعبان الثعبان . فلما عاينته قد ألبس، وهو ينظر نظر المفلس ، حنت له ضلوعي ، وعلمت أن الله فيه غير مضيعي . وقد تحل الصدقة على ذي الوفر ، وفي كل كبد رطبة أجر. فأمرت الغلام بابتياع أرطال تجمع أنواعها التي أنطقته ، وتحتوي على ضروبها التي أخرعته. فجاء بها فوضعها بين يديه ، فلما عاينها انحنى عليها بليانه ، وألقى عليها بجرانه ، وجعل يركل برجليه ، ويجاحش بفخذيه ممانعاً ، ومدافعاً عنهـا . فصحت به لا عليك حكمها ، فجعل يقطع ويبلع ، ويوجر فاه ويدفع . وعينـاه تبضان ، كأنهما جمرتان ، وقد برزتا عن وجهه كأنهما خصيتان ، وأنا أقـول : على رسلك يا فلان . البطنة تذهب الفطنة . وهو يقول (أكلها دائم وظلها) حتى التهم جماهرها . وألحق أولها بآخرها . وهبت منه ريح عقيم . أهبا لنا بالعذاب الأليم، وفرقتنا شذر مذر[2] . وسربتنا في كل شعب شغر بغر[3] ، فانتحينا منه الطرفان ، وصدق الخبر فيه العيان ، نفخ ذلك فبدد النعام ، ونفح هذا فبـدد الأنـام ، فلـم نجتمع بعد هذا والسلام .

وله يصف جارية :

أخت نعمة ، وربيبة نعمة ، كأن شعرها على غرتها الغراء ، غراب يسفد[4] حمامة بيضاء. وكأن خدها على جيدها المشرق، تفاحة قدم بهـا إبـريق من راووق تكلمك بألحاظها، وتأسوك بألفاظها. تقابلك من خدها بوردة، ومن عينها بنرجسة .

---

(١) تلمّظ : أصل معناه أخرج لسانه فمسح به شفتيه .

(٢) شذرمذر : أي ذهبوا في كلّ وجه .

(٣) شغر بغر : أيّ تفرّقوا في كل وجه .

(٤) يسفد : يجامع .

كأنما ثغرها من جوهر ،وشفتها خيط حرير أحمر . وتقبل إليك بقضيب بان ، ثمرته رمانتان، وتنفتل عليك بكفل مائج ، كأنه كثيب عالج [1] ، تنطوي بقبطية ، وتقوم على أنبوب بردية ، أن استقبلتها بركان ، تضحك لك عن فلقة رمان . أو يطحنك جبهة أسد غرير، فيقبض روحك قبض أرواح المؤمنين . ويتوفاك بكدّ كالفقيه المشرف على المذاهب ، ركبت فيه اخلاق كاتب . فإن كنت شافعياً سددتك ، وإن كنت مالكياً قلدتك ، المنظر غلام ، والمخبر فتاة ، إن علوتها تدفعت إليك ، أو علتك تداركت عليك ، وإن أعطشك فراشها سقتك من شراب ، إن شئت قلت خمرة أو رضاب ، أو أجاعك عراكها أطعمتك من لسانها ، يصل إليك وصول الإيمان .

فنثره في غاية الملاحة ، ونظمه في غاية الفصاحة .

* * *

ومن شعره ما أنشدنيه الشيخ أبو سعيد بن دوست عن الفقيه الوليد أبي بكر الأندلسي قوله [من الخفيف] :

قل لمن زاد إذ تباعد بعدا وتناسى عهدي ولم أنس عهدا
لا يغرنّكَ ما ترى من ودادي فلعلّي إن شئت غيرَت ودّا
لا وحق الهوى وحق لياليـ ـه ومن صاغ حسن وجهك فردا
ما أطيق الذي آدّعيت ولو ملّـ ـكته لم أكن لغيرك عبدا

وله [من الكامل] :

ما أطربت فوق الغصون حمامةٌ ألا رأيت دموع عيني تسكبُ
وإذا الرياح تناوحت ألفيْتني بين الصبابة والأسى أتقلّب
يا عاذلي في الحب مهلا بالأذى لو كنت تعشق ما ظللت تؤنب

(١) الكفل : الأرداف ، والكثيب : التلّ من الرمل .

كم حاولـت نفسي السلـوَّ فطالبت أسبابـه جهـداً فعـزَّ المطلب

* * *

٤٨ ـ غسان بن سعيد

قال [من البسيط] :

من خانـه حسـبٌ فليطلـبِ الأدبا ففيه منيتـهُ إن حلَّ أو ذَهَبا

فاطلـب لنفسـك آدابـاً تعـزُّ بها كيما تسـود بهـا من يملك الذهبا

* * *

٤٩ ـ محمد بن يحيى النحوي
المعروف بقلفاط

قال [من الوافر] :

طـوى عنّـي مودتـه غزال طوى قلبـي على الأحـزان طيًّا

إذا ما قلـت يسـلاه فؤادي تجـدد حبـه فازددت غيّا[1]

أحيّيه وأفـديه بنفسي وذاك الوجـه أهـلٌ أن يُحيًّا

وقوله [من الوافر] :

أيا طيفـاً سما وهنـاً إليّا لقـد جدّدت لوعاتـي عليّا

ألـمَّ مواصـلاً كأخـي غرامٍ سيذكر وصلـه ما دام حيّا

غـزالٌ لو رأى غيلانُ يوماً محاسـنـه إذاً أنسـاه ميّا[2]

* * *

٥٠ ـ شهيد بن المفضل
عفا الله عنه

قال [من الكامل] :

كم ذا تردُّ عنـان شوقـك صابرا وأخـو الصّبابـة لا يكون صبورا

---

(١) يسلاه : يصبر على بعاده والغيّ : الضلال . (٢) غيلان : هو ذي الرّمة ، ومي : معشوقته .

فاخلـع عذارك في هواه فربما كان المحـب على الهـوى معذورا
ما العـزّ إلا أن تذلّ مع الهوى شحّـاً عليه وإن ظللـت أسيرا

* * *

٥١ ـ منصور بن أبي الهول

قال [من مجزوء الرمل] :

كـم إلى كم أتسلى ليس لي صبـرٌ، أجـل لا
بـأبي أنـت وأمّـي أتـرى قتلِيَ حـلاّ
حـاش لله بأن أسـلـو عن الحـبّ وكلاّ !

وأنشدني لبعض شعرائهم [من المتقارب] :

إسـار الهـوى لا إسـار العدا هو التـارك الحـرَّ مستعبدا
عبـوديةٌ تُؤْيس الآملين له أن يبـاع وأن يفتدى
فليس له فرجٌ يرتجيه من الأسر غـير تمنّـي الردى
فيا غصـن بانٍ إذا ما مشى ويا بدر تمٍّ إذا ما بدا
ويا عارضـاً كلما أطمعت بوارقـه زاد قلبـي صدى [1]
أسرت فهـلاّ بحـكم الكتا ب قضيَّتَ بالمنِّ أو بالفدى
ولـكن أبيت سوى قسوةٍ يفـوت بهـا قلبـك الجلمدا [2]

* * *

٥٢ ـ غريب بن سعيد

أنشدني له [من مجزوء الكامل] :

وجـدٌ دخيـل واكتئـابُ وفـراق شمـلٍ واقتـرابُ
مـا بـين قلبـي إذ نأيـت وبين إخوانـي حجاب

---

(١) العارض : السحاب الممطر .
(٢) الجلمد : الصخر الصلب .

فـإذا خلا وَلَجَـتْ عليـــه همومـه من كلّ باب[1]
يا عاذلي لمّا رأى دمـع العيون له انسكاب
مـا لي على برح النوى جلـدٌ فأقصرْ في العتاب[2]

وله [من المنسرح] :

ألان يوم الفـراق قسوته حتّـى جرى دمعـه ومـا شعرا
فخلـت ما سال من مدامعه درًّا على وجنتيه منتثرا
لـم يبـك شوقـاً لكن بكى حزناً لهـول يوم الفـراق إذ حضرا
في مشهـدٍ لو أطـاق شاهده فيه استتـاراً لوجْـدِهِ استترا
أبـى أسـاه وفيض أدمعه إلاّ اشتهـاراً في الحـبّ فاشتهرا

وقوله [من الطويل] :

أستـودع الـريح الجنـوب تحيةً إليكم تؤدي من سلامـي ومـن شكري
وكم بلغـت ريح الشمال نسيمكم فأهـدتْ إلينـا منـكمُ أطيب النَّشْر
رعـى الله أحبابـاً تألّف شملهم بقرطبـةٍ بـين الرُّصافـة والقصر
تعوَّضت من أنسي بهـم وحشـة النوى ومـن قربهم قرب المهامه والقفر[3]

* * *

٥٣ ـ إدريس بن الهيثم بن براق الكلاعي

قال [من الطويل] :

ولـم أنسهـا يوم الـوداع ومسحَها بوادرَ دمـع العين والعين تذرفُ
أفـانين تجـري من دمـوعٍ ومـن دمٍ علـى الخـدِّ منهـا تستهـلُّ وترعف
وتكرارنـا نجـوى الهـوى ذات بيننا وكلٌّ إلـى كلٍّ يلين ويعطف

---

(١) ولجت : دخلت .
(٢) الجلد : التصبُّر .
(٣) المهامه : القِفار ، والنوى : البعد .

جعلنـا هنـاك الهجـر منـا بجانبٍ ... وللبيـن داعٍ بالترحُّـل يهتف
ولولا النوى لم نشك ضعفاً عن الأسى ... ومن يحمـل الأشجـان بالبين يضعف
فقلـت كلانـا مشتـكٍ من صبابةٍ ... ولكنّنـي عن حملهـا منـك أضعف

قال : وحدثت أن إدريس بن الهيم غنى بأبيات أولها [من الطويل] :

ألا إنّمـا أنسـى إذا ما نأيتُم ... بأقـرب من لاقيتـه بكمُ عهدا[1]
إذا حصلتْ روحي إليكم وقـد أتتْ ... على أرضكم ألقـتْ علـى كبـدي بردا
ويوحشنـي قرب الجميع وإنّها ... لتـأنس نفسـي إن ذكرْتـكمُ فردا
ومـا كان قلبـي إذ تبـدَّيتُ صخرةً ... فينبو الهـوى عنـه ولا حجـرا صلدا[2]
فقـد آن فقدانـي لنفسـي فلـو أتى ... عليهـا حِمـامٌ ما وجـدت لهـا فقدا

* * *

٥٤ ـ محمد بن سعيد بن مخارق الأسدي

أنشدني من أبيات [من الوافر] :

يظـل الدمـع من جزعٍ عليهمْ ... وقـد بانـوا يسـحُّ ويستهلُّ[3]
سأتبـع إثْرهـم شوقـاً إليهم ... وأقتصُّ المناهـل حيث حلُّوا
فمـا لي أشتـكي بالبين منهم ... كأنّـي ليس لي زادٌ ورحل

* * *

(١) النأي : البعد .
(٢) ينبو الهوى : يجافيه .
(٣) يسحّ : يهطل ويذرف .

٥٥ ـ قاضي الجماعة محمد بن يحيى بن يحيى

قال [من الرمل] :

نازح الـدار بنـا بي واغتربْ ... ورمـاه الدهـر رشقـاً من كَثَبْ
بعـدتْ عن دار ليلـى داره ... وهـو، في حبـل هواهـا مضطرب
فرجـتْ نفسِـيَ أن تشفـى بكم ... فرحـة في الحـب شيبـت بكرب
كنـت لي بدراً بدا في سجفه ... طلع البينُ عليـه فغرب[1]

* * *

٥٦ ـ أحمد بن نعيم

قال [من الخفيف] :

ليت أن الـرياح إن نفـد الصبـــــر وشطَّـتْ عن أرضهـا أوطاني
بلّغتهـا تحيتي وسلامـي وسـلام الإلّـه كلَّ أوانِ

* * *

٥٧ ـ سعيد بن محمد بن العاص المرواني

قال يصف الهلال وأجاد [من الكامل] :

والبـدر في جوِّ السمـاء قد انطوى ... طرفـاه حتـى عاد مثـل الزورق
فتـراه من تحـت المحـاق كأنّه ... غرق الـكثير وبعضـه لم يغرق[2]

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز (من الكامل] :

انظـر إليه كزورق من فضة ... قد أثقلتـه حمولـةٌ من عنبر

---

(١) السجف : الستائر ، والظلام .

(٢) المحاق : الوقت الذي يكون فيه القمر مختفياً .

وأنشدت له [من الكامل] :

رفعوا الهوادج للرحيل وأعتموا ... فغدت لبينهمُ المدامع تسجمُ[1]
وسرّوا وأروقة الظلام تكنُّهم ... فكأنهم من تحت ذلك أنجم[2]
واستكتموا بمسيرهم تحت الدجى ... فأبى نسيم المسك أن يستكتموا
ومن العجائب أنّني متأخِّرٌ ... عنهم وقلبي عندهم متقدّم
وهي النّوى لم يبق لي من بعدها ... غيرُ الهواء بنفحهِ أتنسَّم
وإذا الصّبا أسرتْ أقول لعلّها ... تلقاهم بتحيتي فيُسلِّموا

* * *

٥٨ ـ عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن حسان

أنشدت له [من الطويل] :

لقد هاجني للشوق نوح حمائمٍ ... مطوّقةٍ من مشْرقات الحمائمِ
وناحت وما أذرت دموعاً قد رأتْ ... عيوني تجري بالدموع السَّواجم
إذا ما تراجعْن الحنين حسبتها ... نوادب رجّعْنَ الصّدى في المآتم

* * *

٥٩ ـ سعيد بن عباس

أنشدت له [من الوافر] :

بنفسي من يجرِّعني منوني ... ويرجمني بأحجار الظُّنونِ
ويصرمني ولا يرثي لما بي ... وينفي النوم ظلما عن جفوني[3].

* * *

(١) تسجم : تذرف .
(٢) تكنّهم : تسترهم .
(٣) يصرمني : يهجرني .

٦٠ ـ عمر بن يوسف الحنطي

أنشدت له [من الكامل] :

أو ميض برقٍ أم سيوفٌ تبرق ... في عارضٍ أكنافه تتألَّقُ
دِيَمٌ إذا ارتدَّتْ إليك وجوهها ... أضحت وجوه الأرض منها تشرق
ترمي بأجفان الوميض كما انثنت ... أجفان عاشقةٍ إلى من يعشق

* * *

٦١ ـ يحيى بن عباد البسري

قال [من الطويل] :

إذا بارقٌ هاج الفؤاد المعذَّبا ... فَطَرَّبَ قلباً هائماً فتطرَّبا
بنفسي بلادٌ رحت من نحو أرضها ... بعيني مشوقٌ ما ألذَّ وأطيبا
بلادٌ بها قلبي رهينٌ معذَّبٌ ... وإن جلْت في الآفاق شرقاً ومغربا[1]

* * *

٦٢ ـ الغزال بن الحكم

أنشدت له [من الخفيف] :

ريع قلبي لما ذكرت الديارا ... وتنوَّرْتُ بالنخيلات نارا[2]
وازدهتني ذات السنا ببروق ... من لظاها فما أطيق اصطبارا
والقريح الفؤاد يزداد للنا ... ر وميض السعير منها استعارا

* * *

(١) جلت : رحلت وتنقلت .
(٢) ريع قلبي : أي اضطرب .

٦٣ ـ يحيى بن زكريا بن شماس

قال [من الكامل] :

نعب الغراب ببينهم فتحمّلوا ونأى المحل بها فكيف تزارُ
بكروا وفي الأظعان يوم تحملو هنّ القصور تكنُّها الأستار
صفر النحور من العبير روادعٌ بيض الثغور كواعبٌ أبكار[1]

* * *

٦٤ ـ الوزير أبو المظفر عبد الرحمن بن بدر

قال [من المديد] :

أيُّ طيفٍ في الكرى طرقا سام عيني الدمع والأرَقا[2]
أنا أفدي من بجنح دجى جاب في ظلمائه الطُّرُقا
ليَ حظٌّ في زيارته لي لَوَ آنَّ الكرى صدقا

* * *

٦٥ ـ الديك النيري مطرق بن محمود

قال [من الكامل] :

طرق الخيال فمرحباً بالطارق قرَّتْ به في النوم عين العاشقِ
طرق الخيال خيال ليلى موهناً رحلي ، فبات مُضاجِعي ومُعانِقي[3]
ومنى المشوق أخي الصبابة أن يرى وسنان أو يقظان وجه العاشق

* * *

(١) روادعٌ : متطيّبات بأنواع الطيب . والكواعب : النواهد .
(٢) سام : كلّف وترك وشغل .
(٣) الوهن : الضعف والإعياء .

٦٦ ـ أحمد بن إبراهيم بن قلزم

أنشدت له [من الكامل] :

هل تعتب الأيام منك بنظرةٍ ... تغدو بسرّاءٍ على ضرّاءِ
لولا محاباة الخيال برقدةٍ ... من طيفها لطوى الردى حوبائي[1]
يا ليت أيام النّوى عادت كرى ... فأنال من طيف الحبيب شفائي

* * *

٦٧ ـ يربوع بن أسد المالقي

أنشدت له [من السريع] :

يا بأبي طيفٌ سرى موهناً ... ودونه جوْب الفلا والقفارْ
أكرم به من راحلٍ ذاهبٍ ... يرعى نوى الدار وشحط المزار
لو أنه شايع إلمامه ... بطول مكثٍ دائم أو قرار
لكنه هيَّج نار الأسى ... ثم تولّى بفؤاد مُطار

* * *

٦٨ ـ الوزير أبو محمد غنائم المالقي

قال وأجاد [من البسيط] :

صيِّرْ فؤادك للمحبوب منزلة ... سمُّ الخياط مجال للمحبيْنِ[2]
ولا تسامحْ بغيضاً في معاملةٍ ... فقلّما تسع الدنيا بغيضين

* * *

(١) الحوباء : النفس .

(٢) سمّ الخياط : أي مكان دخول الخيط في الإبرة « الفتحة » .

٦٩ ـ غالب بن عبد الله بن عطية

أنشدت له [من الكامل] :

كيف الحياة ولي حبيبٌ هاجرٌ ... قاسي الفؤاد يسومني تعذيبا
لما درى أن الخيال مُواصِلي ... جعل السُّهاد على الجفون رقيبا

وله في عطش البحر [من السريع] :

إنّا إلى الله لقد نالنا ... همٌّ يذيب القلب إحراقه
يا عجباً مما دهينا به ... نسكن في الماء ونشتاقه

* * *

٧٠ ـ محمد بن أبي الحسن العروضي

قال [من البسيط] :

لما تطلع بدر التم أذكرني ... بدراً تطلَّع وهناً من بني قطنِ
بدر تطلّع والآفاق مظلمةٌ ... فانجاب إظلامها عن وجهه الحسن
كم مهجةٍ أرهفت ألحاظ مقلته ... ومقلة منعتها لذة الوسن[1]

* * *

٧١ ـ إسماعيل بن إسحاق المنادي

قال [من الطويل] :

سلامٌ على خِلٍّ أدين بحبّه ... وأصفيه من حلو الوداد وعذبهِ[2]
سلام امرىء أودى الفراق بصبره ... ولجٌّ فأوْدى بالفؤاد ولُبِّه

---

(١) المهجة : النفس ، والمقلة : العين، والوسن: النوم والنعاس .
(٢) أصفيه : أخصّه .

لعـلّ الـذي شتَّ الجميع بنأيه سيجمعنـا بعـد الشَّتـات بقربه[1]
ومـا الأخُ بالأخِ الشـقيق ، وإنّما أخـوك الـذي يعـطيك حبـة قلبه

* * *

٧٢ ـ محمد بن وافد

أنشدت له [من الوافر] :

كتابـك هاج لي شوقـاً عجيباً وأورثنـي الصَّبـابـة والنحيبا
تغـرَّب عن أحبَّتـه محبٌّ فأصبـح صبـره عنـه غريبا
فـكيف بصبـره والقلـب منه يكاد من الصَّبـابـة أن يذوبا

* * *

٧٣ ـ خلف بن أيوب

أنشدت له [من السريع] :

والله لولا خطـرات المنى ما طال يومـاً عمـر أهـل الهوى
وابأبـي من ظَلْـتُ من هجره مستشعـراً ثـوب الأسـى والجوى

* * *

٧٤ ـ علي بن أحمد الأندلسي

قال [من الكامل] :

بيض كبيض الهنـد في أفعالها فلـذاك قيل ظبـاً وقيل ظباءُ
وتـرى محاسنهـا تروق كأنّما نشـرت عليهـا وشيَهـا صنعـاءُ

* * *

---

(١) الشتات : التباعد والفراق .

٧٥ - يحيى بن الفضل

قال [من الطويل] :

وسُفْنٍ تثير الريح منها عجاجةٌ ... تظلُّ مياه الأرض وهي صعيدُها[١]
تلوح كأمثال الشواهين حلَّقت ... على دهم خيل قد أثيرت صيودها[٢]
فللطير ما قد نشَّرَتْهُ قلوعها ... وللخيل ما قد أظهرتْه قدودها

وقوله أيضاً [من مجزوء الكامل] :

لا تيأسنَّ بوفاة مَنْ ... لم تنتفع بحياته
ولْيجرِ عندك ميّتاً ... مجراه قبل مماته
فوفاته كحياته ... وحياته كوفاته

* * *

٧٦ - أبو بطال

أنشدت له في العذار [من الطويل] :

وعارضِ كافورٍ تراه كأنّما ... يدبُّ به من خالص المسك عقربُ
تنزَّه عن لسب الجلود ، وإنما ... يغوص على حَبِّ القلوب فيلسب[٣]

وقوله [من البسيط] :

جمعتَ مالاً ففكِّرْ هل جمعت له ... يا جامع المال أبواباً تفرِّقهُ
المال عندك مخزون لوارثه ... ما المال مالك إلاّ يوم تنفقه

---

(١) العجاج : الغبار .
(٢) الشواهين : الصقور . والأدهم من الخيل : الأسود ، والصيود : ما يصطاد بواسطة الخيل من حيوانات كالبقر الوحشي والظباء وغيرها .
(٣) اللسب : اللسع .

إنّ القناعة من يحللْ بساحتها لم يلق في ظلها همّاً يؤرِّقه

وأنشدت لبعض شعرائهم [1] في العذار [من الكامل] :

ومعذَّرٍ نقشَ العذار بمسكهِ خداً له بدم القلوب مضرَّجا
لما تيقّن أن سيف جفونه من نرجسٍ جعل النِّجاد بنفسجا [2]

* * *

٧٧ ـ القرشي المعروف بالفرح

أنشدت له [من الرمل] :

رُبَّ كأس قد كست جنح الدجا ثوب بردٍ من سناها يَقَقا [3]
قلت أسقيها رشاً في جفنه سِنة تورث عيني أرقا
أشرقتْ في ناصع من كفِّهِ كشعاع الشمس وافى الفلقا
خفيتْ للعين حتى خلتها تتَّقي من لحظه ما يتّقى
أصبحت شمساً وفوه مغرباً ويد الساقي المحيِّي مشرقا
فإذا ما غربت في فمه تركتْ في الخدِّ منه شفقا
خلع البرق على أرجائه ثوب وشيٍ منه لمّا برقا

* * *

٧٨ ـ إدريس بن عبد الله بن عباد الليزي

أنشدت له [من الطويل] :

غريبٌ بأرض الغرب منقطع الذكر بعيدٌ من الأهلين في بلدٍ قفرِ

---

(١) هو أحمد بن عبد ربه ، وقد مرّ ذكر هذين البيتين في ترجمته ، وهذه العبارة والبيتان معها لا وجود لها في «ب» .

(٢) النجاد : حمائل السيف .

(٣) اليقق : الأبيض الشديد البياض .

تذكّر في أهـل الجـزيرة أهله فهيَّجـه طول التشـوُّق والفكر
فصوْت حمـامٍ في الغصـون كأنّما ندبْـن قتيلا أو روينَ من الخمر
لئـن كن ما تجـري لهـن مدامع فكل غريب الـدار أدمعـه تجري

* * *

٧٩ ـ عثمان بن إبراهيم بن النضر

أنشدت له [من الطويل] :

ألا يا حمـام الأَيْك مالك باكيا وغصنـك نضـرٌ والجنـاب مريعُ[١]
تغـنَّ ولا تنشـجْ فإلفـك حاضرٌ قريب وإلفـي غائـبٌ وشسوع[٢]
بكيت بلا دمـعٍ وتـرفض مقلتي شآبيب منهـا في المصيف ربيع[٣]
وقلبـك خلـوٌ من تبـاريح لوعتي وقلبـي بلوعـات الفـراق صريـع

* * *

٨٠ ـ المنصور بن أبي عامر

أنشدت له [من الطويل] :

ألـم ترنـي بعـت المقامـة بالسُّرى ولين الحشـايا بالخيول الضوامرِ[٤]
وبدَّلـت بعـد الزعفـران وطيبهِ صدا الدرع من مستحكمات المسامر
فلا تحسبـوا أنّـي شغلـت بلذّةٍ ولـكن أطعـت الله في كلّ كافر

* * *

(١) الأيك : الشجر الملتف .
(٢) تنشج : تبكي وتصوّت حزنا ،وشسوع : أي بعيد .
(٣) شآبيب : الشؤبوب : الدفعة من المطر.
(٤) السرُّى : المسير ليلاً ، والضوامر : الهزال .

٨١ ـ الوليد بن الحكم

أنشدت له [من الطويل] :

إلـى رجـبٍ أو غُرَّة الشهـر بعده   توافيكمُ بيـض المنـايا وسودُها
ثمانـون ألفـاً دين عثمـان دينها   بشرذمـةٍ جبـريل فيهـا يقودها

* * *

٨٢ ـ القاضي محمد بن عبد الله بن أيوب بن أبي عيسى

أنشدت له قوله من أبيات أولها [من الخفيف] :

* لا تلمني على البكا والعويل *

فعلـت زفرتـي وطـال انتحابي   وبـدت لوعتـي وهـاج غليلي
ولنعـم البـلاد للنـازح الأو   طان دمـعٌ جرى برغـم العذول
وقبيحٌ صبـر الخليل أخـي الوجـــد عن الدمـع عنـد ذكر الخليل
وبنفسي نائـي المحـلّ قريبٌ   من فؤادٍ صبٍّ وجسـمٍ نحيل
كان بينـي وبينـه البحـر والقفـــر ووخْد السُّرى وطـول الذميل(١)
يا قليل الإِنصـاف في الهجـر مهلاً   إنّ وجـدي عليك غـيرُ قليل

وقوله [من البسيط] :

بل ما ادِّكارك من وُرْقٍ مغرِّدةٍ   على قضيبٍ بذات الهضـب ميّاسِ
هجْـنَ الصبابـة لولا همـةٌ شرفتْ   فصيَّرت قلبـه كالجنـدل القاسي(٢)

* * *

---

(١) الوخد : ضرب من العدو . والذميل : السريع .
(٢) الجندل : الصخر .

٨٣ ـ محمد بن فطيس

قال [من الكامل] :

ثكلتكَ أمّك هل سمعت مخلداً ... أم هل رأيت مصحَّحاً لم يسقمِ
أم هل رأيت من البريّة ناشئاً ... نال الذي في مدةٍ لم يهرم
فدعِ الأماني إنّها مكذوبةٌ ... واجعل دعاءك للسبيل الأقوم
أي امرىءٍ يرجو البقاء وقد رأى ... آثار عادٍ في البلاد وجرهم[1]

* * *

٨٤ ـ أحمد بن عبد الله بن أحمد اللؤلؤي

قال [من الطويل] :

لئن غاب عن عيني وأعجز ناظري ... لما غاب عن وهمي، ولا زال عن فكري
وتالله لو أستطيع، محض مودةٍ، ... لأحللته قلبي وأسكنته صدري[2]
أتتني بصفو الودّ منه صحيفة ... تخبِّرُ عن وُدٍّ وتنطق عن برٍّ
تضمّنها من جوهر الشعر حكمةٌ ... بها سحرت من كاد ينفث بالسحر
يطول لها لفظ الذكيّ بلاغةً ... ويقصر بالراوي لها طائل العمر

وقوله [من الرجز] :

أقبِلْ فإن اليوم يوم دجنِ ... إلى محلٍّ كالضمير المكْني
ساكنه كطائر في وكن ... لعلّنا نعلم أدنى وفن[3]

---

(١) عاد وجرهم : من القبائل البائدة .

(٢) « محض مودة » هو مفعول لأجله عامله أحللته وما عطف عليه .

(٣) الوكن : عش الطائر ، الوفن : القلة في كلّ شيء .

فـي مجلسٍ مزخـرفٍ ذي كنٍّ   فأنـت في سنّـك دون سني[1]

* * *

٨٥ ـ أبو عثمان سعيد بن أحمد بن عبد ربه

أنشدت له [من الكامل] :

لمـا عدمـت مواسيا وجليساً   جالسـت بقراطـاً وجالينوسا
وجعلـت كُتْبَهمـا شفـاء تفرُّجي   وهمـا الشفـاء لكلّ جرحٍ يوسى

وقوله [من الطويل] :

أمـن بعـد غوصـي في علـوم الحقائق   وطـول انبساطـي في مواهـب خالقي
ومـن بعـد إشرافـي علـى ملَكوته   أرى طالبـاً شيئـاً إلـى غير رازقي
وقـد آذنـتْ نفسـي بتقـويض رحلها   واعنف في سَوقي إلى المـوت سائقي
وإنّـي وإن أيقنـت أو زغـت هارباً   عن الموت في الآفاق فالموت لاحقي

* * *

٨٦ ـ الحسن بن محمد بن بابل

.ال [من الطويل] :

ألا ما لجسمـي قد علاه شحوب   ومـا بال قلبـي ضامرتـه كروبُ
ومـا بال أحشائـي تَوَقُّـدُ لوعةً   ومـا بال رأسـي قد علاه مشيب
ومـا ذاك إلا أن رمتنـي يد النوى   وأنـيَ في أرجـاء مصـر غريب
أراعـي نجـوم الليل لا آنف الكرى   كأنّـي علـى رعـي النجـوم رقيب
إذا ما دعـوت الدمـع يومـاً أجابني   وإن رمـت دعـوى الصبر ليس يجيب

---

(١) الكنّ : الستر .

وإن رمت كتمان الـذي بي من الأسى جرى هاطـلٌ من مقلتـيَّ سكوب
ألا ليت شعري هل أرى الدهـر منزلاً تبـوَّأه بعـد الفـراق حبيب[1]
وهـل أَرِدَنْ يومـاً مياهُ رصافةٍ وهـل يصفُـوَنْ لي عيشهـا ويطيب

* * *

٨٧ ـ عبد النصير بن أحمد

أنشدت له ما كتب به إلى بعض الرؤساء بديهة في عيد الأضحى ، وكان عوده أن ينفذ إليه كبشاً لأضحيته فأبطأ عليه [من المديد] :

يـا سليل الأكرمين ومن فضلـه فرضٌ فمـا منـه بدُّ
أزف العيد وعودتـم الـــكبش داري والحبـل معد[2]
ولقـد أبـرزت مديّتنـا فهـي من قبـل الصبـاح تحدّ[3]
خيمـك الفضـل وقـد حكموا أنـك الفـرد ومـا لك نِدُّ[4]

فأنفذ إليه ثلاثة أكبش وصلة واسعة .

* * *

٨٨ ـ محمد بن أحمد العطار

أنشدت له من قصيدة يقول فيها من مدح المنصور بن أبي عامر الحاجب [من البسيط] :

يا حاجب الملك الأعلى الذي طفقت به الخلافـة والأيـام تبتسمُ

---

(١) تبوّأه : حلّه وأقام فيه .
(٢) أزف العيد : قرب .
(٣) المدية : السكين .
(٤) الندّ : المثيل .

ومـن به أمـن الرحمـن بلدتنا　من بعد أن فارقت ملكاً لها العجم
وخامر المسلمين الذعر وانحسرت　عنهم عوائد صنع الله والنِّعم[1]
حتى إذا قنط الإسلام وانبسطت　أعداؤه واستبيحت منهم الحُرُم
هبّت به ريح نصر الله عن كثب　للدين واستيقظت من نومها الهمم
وجرد السيف فانحازت لسلّته　من الجسوم طُلى الأعناق والقمم[2]
إذا تبسّم فالأموال عابسة　أو صال ماتت له الأبطال والبُهُم
فأيُّ بلدة شركٍ أمّها قدماً　ولم يحلّ بها في عقرها النقم ؟
بقيت للدين والدنيا تسوسهما　ما حنّت النيب أو ما أورق السَّلم[3]

* * *

٨٩ ـ موسى بن أحمد المعروف بالوتد

أنشد له يعارض العطار في قصيدته الميمية ويرد عليها فيها [من البسيط] :

يا أيها المنتمى للعطر قَدْكَ فقد　قدحْتَ نيران بغيٍ سوف تضطرمُ
زعمْت أنك محسود على نعم　أوليتها ومحالٌ أنها نعم
فربَّ ذي نقم يعتدُّها نعماً　بجهله وهي إمَّا حُصِّلتْ نقم
قذفت أعراض قومٍ جاهلاً بهمُ　يا ظالماً وهمُ أعلام عصرهم
وقلت إنك قد فارقتهم وهمُ　في حيث قدرك إمّا حصلوا رخم[4]
فما حماك اغتياب القوم فضلهمُ　ولا تحرَّجت فيمن عرضه حرم
مدحت نفسك فاستنقصتهم سفهاً　وما استزلّك إلاّ فرط حلمهم
أقسمت بالله ما يرضى بفعلك من　فيه حشاشة إيمان ولا كرم[5]

---

(١) خامر : داخل .
(٢) سل السيف : شهر من غمده :
(٣) النيب : جمع ناب ، وهي الناقة المسنّة والسّلم : من شجر البادية .
(٤) الرخم : طائر يشبه النسر كثير الريش أبيض اللون مبقّع بسواد .
(٥) الحشاشة : بقية الروح والنفس .

ما حصحص الحق فيما قد أتيت به لكنها ظلمات فوقها ظلم[1]
وعن قريب ستجني غبَّ ما غرستْ يداك فالبغي غرس طعمه وخم[2]

* * *

٩٠ ـ حبيب بن أحمد الشاعر

أنشدت له من قصيدة يقول فيها في ابن أبي عامر [من البسيط] :

لا ضيَّع الله للمنصور مالكنا حوط الهدى وصلاح الدين بالنظرِ
في كلّ يومٍ له في المسلمين يدٌ غرّاء تخبر عن أفعاله الغرر[3]
فيا لها فرجةً عمَّتْ طوالعها كما يعمُّ ضياء الشمس والقمر[4]
لا زالت الأرض والدنيا بطاعته معمورتين إلى أقصى مدى العمر

* * *

٩١ ـ أبو علي بن حسان الأسنجي

أنشدت له [من الكامل] :

ثقَّلْتَ نفسك بالذنوب ودونها جسرٌ لعمرك ما تَحير ثقيلا
يا بانيَ الغرفِ التي قد عطّلت ـ لو كنت تعقل ـ دينها تعطيلا
فاقصده إنّك ميتٌ ومشاهدٌ يوماً عليك من الحساب طويلا
تبني مصانعها وأنت مسافرٌ فلمن بناؤك إن أردت رحيلا

* * *

(١) حصحص الحق : ظهر وبان .
(٢) غبّ : عاقبه .
(٣) الغرر : البيض
(٤) فرجة : فسحة .

٩٢ ـ أبو محمد الباجي ، رحمه الله تعالى !

أنشدت له [من الطويل] :

إذا كنت لا أعفو عن الذنب من أخٍ ... وقلت أكافيه فأين التفاضلُ
ولكنني أُغضي جفوني على القذى ... وأصفح عمّا رابني وأجامل[1]
متى أقطع الإخوان في كلّ عثرةٍ ... بقيت وحيداً ليس لي من أواصل
ولكنْ أداريه فإن صحّ سرّني ... وإن هو أعيا كان عنه التجامل

* * *

٩٣ ـ عبد الرحمن بن عمرو الحجري

أنشدت له [من الكامل] :

لما قدمت وقال بعض صحابتي ... قد جاء من علقت يمينك حبلَهُ
قالت قعيدة بيتها يمِّمْ أبا ... إسحق سيّدنا وقبِّلْ نعله
نفسي تعاود نيله الغمر الذي ... هو أهله وعسى به ولعلّه[2]

* * *

٩٤ ـ عبد الملك بن خزيمة

قال [من البسيط] :

ابرز إلى الناس إنّ الناس في أسف ... إذ ليس بعدك للإسلام من خلفِ
وقد مضت لك أيامٌ ثمانيةٌ ... أشفى لها الناس من وجدٍ على التلف
خوفاً لعلّة حبْرٍ ليس يشبهه ... من البرّية إلاّ خيرة السلف[3]

---

(١) أغضي : أعضُّ وأطرق ، والقذى : ما يقع في العين من الأذى ، ورابني : جعلني أشك فيه .
(٢) الغمر : العطاء الوفير .
(٣) الحبر : العالم الجليل .

أضحـى الضـلال بإبـراهيم متَّضعاً وصـار بالمشرفـيٍّ الـدين ذا شرف

* * *

٩٥ ـ أبو العباس المرداوي

أنشدت له [من المجتث] :

إنـي رأيت لك اليو م يـا كريمـاً أجلُّه

طفـلاً عليه حيـاءٌ وفـي الحيا الخير كله

سقيتـه الحلـم لدنـاً والفـرع يسـقيـه أصله[1]

لا زلـت أثنـي عليه دهـري بمـا هو أهله

فبـارك الله فيـه وفـي محـلٍ يحلُّـه

* * *

٩٦ ـ محمد بن وهيب البدسمي

أنشدت له وقد حضر مجلس بعض الفقهاء ، وهو محتفل بسراة الناس ، وقد حضروا لعقد نكاح ، فقال الفقيه لابن وهيب : لو أمكنـا[2] عقد هذا النكاح لشاركتنا في الحسنة ، فقال : نعم وكرامة ، وكيف تريد ذلك : منثوراً أو منظوماً ؟ فقال له الفقيه : سبحان الله ، ويمكن نظم هذا والإتيان على فصوله ؟ قال لي : إي والله . وإنه لأيسر على من نثره ، وإن أردت نظمته الآن بين يديك من أوله إلـى آخره . ولا أخليه من البسملة في افتتاحه ، فقال : إذا أتيت بهذا أتيت بطامـة . فقال له : هات كاتباً أمل عليه ، فأحضره كاتباً فأمل عليه في نسق [نظما] لم يتردد فيه ولا أبطأ كأنه يتلوه من كتاب حفظه ، وذكر الشروط والتاريخ علـى نصهـا في

---

(١) لدناً : يافعاً طرياً .

(٢) كذا ، ولعله أمليتنا .

الصداقات قديماً . كل ذلك بحضرة من شهد المجلس ، فبهت القوم لما رأوه وشاهدوه ، وأقروا أنه نسيج وحده وفريد دهره ، واستكثروا من الثناء عليه والمباهاة به ، وقال له الفقيه : أمرك والله عجيب كاد لولا المشاهدة لم أصدقه .

وركب إلى المنصور بن أبي عامر فأخبره بالمجلس وأراه الشعر ، فعجب من ذلك ، وأمر بصلة جزيلة حملت إليه ، وكان عدة ما ارتجله ثلاثين بيتاً ، وقد كتبت بعضها ، وإن لم تكن من نادر الشعر وبديعه ، وهي [من الطويل] :

لأصدق عبد الله نجل محمدٍ ... فتى أمويّ زوجه البكر مريما
وأمهرها عشرين عجَّل نصفها ... دنانير يحويها أبوها مسلّما
وأنكحها منه أبوها محمد ... سلالة إبراهيم من حيٍّ خثعما[1]
وباقي صداق البكر باقٍ إلى مدى ... ثلاثة أعوام زمانا متمَّما[2]
مؤخّرة عنه يؤدي جميعها ... إذا لم يكن عند التطلب معدما
ومن شرطها أن لا يكون مرحّلا ... لها أبداً عن دارها أين يمّما
وأن لا يرى حتماً بشيء يضرّها ... يصرِّف فيه الدهر كفّاً ولا فما

وكان ابن وهيب هذا أحد أفراد زمانه ، وكان إذا جلس ابن أبي عامر في الأعياد للشعراء وأذن لهم في الإنشاد على مرابتهم جلس ابن وهيب وبدأ بما يصنعه بديهة فلا تأتيه نوبته حتى يفرغ من قصيدته ويقوم وينشده ، وإن مداده لم يجف ، وهذه مادة عظيمة .

* * *

٩٧ ـ أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي اللغوي

أحفظ أهل زمانه للإعراب والفقه واللغة والمعاني والنوادر ، وله كتب مؤلفة

---

(١) خثعم : اسم قبيلة .

(٢) الصداق : المهر.

منها اختصار كتاب العين ، وكتاب طبقات النحويين واللغويين في الأندلس والمشرق من زمن أبي الأسود الدؤلي إلى زمن عبد الله الرياحي النحوي معلم الزبيدي ، وله كتاب الأبنية في النحو ليس لأحد مثله ، وكان الشعر أقل أدواته .

فما أنشدت له في تكذيب منجم [من المتقارب] :

يقول المنجم لي لا تسرْ فإنك إن سرت لاقيت ضرّا
فإن كان يعلم أنّي جسير فقد جاء بالنهي لغواً وهجرا
وإن كان يجهل سيري فكيف يراني إذا سرت لاقيت شرّا

وله في رثائه لشيخه علي بن إسمعيل بن القاسم القالي البغدادي اللغوي قصيدة جزلة الألفاظ كثيرة الغريب ، صاغها صوغ فحول العرب ، وضمنها قطعة من غريب كلامهم ، وهي قصيدة طويلة أولها [من السريع] :

تالله لا يبقى لصرف النوى ذو جسدٍ في رأس نيقٍ منيفِ[1]

وقوله في الزهد [من السريع] :

لو لم تكن نارٌ ولا جنّةٌ للمرء إلاّ أنه يقبرُ
لكان فيه واعظٌ زاجرٌ ناهٍ لمن يسمع أو يبصر

وقوله [من السريع] :

الفقر في أوطاننا غربةٌ والمال في الغربة أوطانُ
والأرض شيءٌ كلّها واحدٌ والناس جيران وأخوان

* * *

(١) صرف النوى : كناية عن الصروف والأحداث ، والنيق : أعلى موضعٍ في الجبل ، والمنيف : الشاهق المطلّ . .

٩٨ ـ محمد بن يحيى بن يعقوب

أنشدت له قوله في الزهد [من الوافر] :

لقد فاز الموفّق للصواب ... وعاتب نفسه قبل العتابِ
ومن شغل الفؤاد بحب مولىً ... يجازى بالجزيل من الثواب
فذاك ينال عزاً لا كعزٍّ ... من الدنيا يصير إلى الذهاب
تفكَّرْ في الممات فعن قريبٍ ... ينادى بالرحيل إلى الحساب
وقدِّمْ ما تُرَجِّي النفع منه ... لدارِ الخلد واعمل بالكتاب
ولا تغترَّ بالدنيا فعمّا ... قريبٍ سوف يُؤْذَن بالخراب

* * *

٩٩ ـ الفقيه محمد بن عبد الله بن أبي ريمين

أنشدت له قوله في الزهد [من الخفيف] :

أيها المرء إنَّ دنياك بحرٌ ... طافحٌ موجه فلا تَأْمَنَنْها
وسبيل النجاة فيها مهينٌ ... وهو أخذ الكفاف والقوت منها

وقوله [من الطويل] :

خليليَّ إنّ الذي تعلمانه ... زمان التصابي وانطلاق عنانهِ
شديد الأسى حر الجوى محرق الحشى ... فهل من مجيرٍ مخبرٍ بأمانه[1]
رأى مجيرٍ غير من قد عصيته ... فيا أسفى أن لم يعد بحنانه

وقوله [من الطويل] :

وذي حُرَقٍ زادت به زفراتُه ... إذا ما سطت في قلبه خطراتُه

(١) من بحيرٍ : من حامٍ وحافظ

له في دجى الإظلام خلوة مخلصٍ | تذكّره فيها الجحيم هناته[1]
ويدفعه ذكر الوعيد إلى الأسى | فتنهلُّ من لوعاته عبراته
إذا ما تلا التنزيل وانكشفت له | عجائبه زادت له عزماته
وإن لحظت عين اليقين معاده | سقت خوفه من مائه لحظاته
بنفسي وليٌّ أنه بمليكه | وفي ذكره إصباحه وبياته

وقوله [من الخفيف] :

أيها المرء لم تسرِّك دنيا | أنت منها مرحَّل عن قريبِ
وإذا المرء لم يقصِّرْ خطاه | في أمانيه فهو غير لبيب

* * *

١٠٠ ـ أحمد بن محمد بن عفيف

أنشدت له قوله من قصيدة يمدح فيها أمير المرية خيران ، أولها [من الكامل] :

قف بالمطيِّ على مغاني الدار | ليس الوقوف على الرسوم بعارِ

يقول فيها :

أنت الذي أنقذتنا من بعدما | كنّا جميعاً تحت جرفٍ هارِ[2]
ونهضت نحو المارقين بجحفلٍ | جمٍّ أولي عزمٍ وذي استبصار
باعوا النفوس لنصر دين محمدٍ | فكأنّهم في الحرب أُسْد الزار[3]

وفيها يصف أعداءهم :

كانوا رياحاً للردى حتى رموا | من جيشك المنصور بالإعصار

---

(١) الهنة : خصلات شرّه .
(٢) جرفٍ هار : كناية عن الخطر الشديد أي أنهم كانوا على وشك الهلاك .
(٣) الزار : من الزئير ، وهو صوت الأسد .

الله أركسهم وفرّق شملهم حتى أحلّهمُ بدار بوار[1]

* * *

١٠١ ـ محمد بن عمر بن عبد الله بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية

من أعلم أهل زمانه باللغة والعربية ، وأرواهم للأشعار والأخبار ، وكان ـ مع ذلك ـ حافظاً للفقه والحديث ، من أهل النسك والزهادة ، وله كتاب في الأفعال لم يسبقه أحد إلى مثله ، وكان أبو علي البغدادي المعروف بالقالي يفضله ويعظمه ، ويعرف حقه ويقدمه .

أخبرني أبو سعيد بن دوست قال : أخبرني الوليد بن بكر الفقيه ان يحيى بن هذيل الشاعر زار يوماً ابن القوطية في ضيعة له ، فألفاه خارجاً منها ، فاستبشر بلقائه ، وابتدأه ببيت حضره على البديهة فقال [من البسيط] :

من أين أقبلتَ يا من لا شبيه له ومن هو الشمس ، والدنيا له فلك

فأجابه مسرعاً [من البسيط] :

من منزل يعجب النّساك خلوته وفيه سترٌ على الفتّاك إن فتكوا

قال ابن هذيل : فما تمالكت أن قبلت يده ، إذ كان شيخي وأستاذي ، وكان الشعر أقل صناعته لكثرة غرائبه : فمن بديعه قوله [من البسيط] :

ضُحىً أناخوا بوادي الطلح عيرهمُ فأوردوها عشاءً أيَّ إيرادِ[2]
أكرم به وادياً حلَّ الحبيب به ما بين رند وصفصاف وفرصاد[3]

---

(١) أركسهم : أهلكهم وبدّدهم والبوار : الهلاك .

(٢) أناخوا : حطّو الرحال والعير : الدواب .

(٣) الرند : شجرٌ طيب الرائحة ، والفرصاد : هو المعروف في بلادنا باسم التوت .

يا وادياً سار عنــه الــركب مُرتحلا بالله قل أين سار الــركب يا وادي
أبـالحمـى نزلـوا أم باللِّـوى عدلوا أم عنـك قد رحلـوا خُلْفـاً لميعادي
بانـوا وقـد أورثـوا جسمـي لبينهم سقمـاً وقـد قطعـوا بالبين أكبادي

* * *

١٠٢ ـ أحمد بن محمد بن عبد ربه

أحد محاسن الأندلس علماً وفضلاً ، وأدباً ونبلاً ، وشعره في نهاية الجزالة والحلاوة ، وعليه رونق البلاغة والطلاوة .

أنشدني له أبو سعيد بن دوست قال : أنشدني الـوليد بن بكر قولـه [مـن الكامل] :

يا من يجـرّد من بصيرته تحـت الحـوادث صارم العزمِ
رعْـت العـدو فمـا مثلـت له إلا تفـزَّعَ منـك في الحلم[١]
أضحـى لك التـدبير مطَّرداً مثـلَ آطّـراد الفعـل للاسم
رفـع العـدو إليك ناظره فرآك مطَّلعـاً مع النجم

وقوله [من الوافر] :

ومعتـركٍ تهـزّ له المنايا ذكور الهنـد في أيدي ذكورٍ[٢]
لوامـع يبصـر الأعمـى سناها ويعمـى دونهـا طرف البصير
وخافقـة الذّوائـب قد أقامت علـى حمـراءَ ذاتِ شبـاً طرير[٣]
نجـومٌ تحتهـا عقبـان موتٍ تخطَّفـتِ القلـوب من الصدور
بيوم راح في سربـال ليلٍ كمـا عرف الأصيل من البكور

---

(١) رِعْت : أخفْت .
(٢) ذكور الهند : سيوفها .
(٣) الشبا الطرير : الطرف الحادّ من السِّنان .

وعين الشـــمس تدنـــو في قتامٍ دُنُـــوَّ الإنف ما بين الستور
فـكم قصَّـرْتَ من عمـــر طويلٍ به وأطلْـــتَ من عمـــرٍ قصير

وقوله [من البسيط] :

كم ألحـــم السيف من أبنـــاء ملحمةٍ ما منهـــمُ فوق ظهـــر الأرض ديَّارُ
فأورد النـــار من أرواح بارقةٍ كادت تَمَيَّزُ من غيظٍ بهـــا النار
كأنَّمـــا صال في ثنـــي مفاضته مستأسـِـدٌ حنـــق الأحشـــاء هرّار[1]
لمـــا رأى الفتنـــة العمياء قد دخنتْ منهـــا علـــى النـــاس آفـــاقٌ وأقطار
وأطبقـــت ظُلَـــمٌ من فوقهـــا ظلمٌ ما يستضـــاء بهـــا نورٌ ولا نار
قاد الجياد إلـــى الأعـــداء ساريةً قبـاً طواهـا كطـيٍّ العصــب إضمار[2]
ملمومـــةٌ تتبـــارى في ململمةٍ كأنّهـــا لاعتـــدال الخلـــق أقمار
تفـــوت بالثـــأر أقوامـــاً وتدركه من آخـــرين إذا لم يدرك الثار
فانصـــاع ناصـــر دين الله يقدمهم وحولـــه من جنـــود الله أنصار
كتائـــبٌ تتبـــارى حول رايته وجحفـــلٌ كســـواد الليل جرارُ

وقوله يصف الحرب [من الطويل] :

ومعتـركٍ ضنـــكٍ تساقـــت كماته كؤوس المنـــايا من كلـــى ومفاصلِ[3]
يديرونهـــا راحـــاً من الـــراح بينهم ببيضٍ رقـــاقٍ أو بسمـــرٍ ذوابل[4]
وتسمعهـــم أمّ المنية وسطها غنـاء صهيل البيض تحـــت المناصل

---

(١) المفاضة : الدرع الوافية . وهرّار : مكشرّ عن أنيابه .
(٢) قباً : من القبّ ، وهو دقة الخصر وضمور البطن في الخيل . والعضب : نوعٌ من الثياب المخطّطة .
(٣) الضنك : الشديد الصعب ، والكماة : الفرسان والأبطال .
(٤) البيض والسمر : السيوف والرماح .

وقوله [من الطويل] :

بكلّ رديني كأنّ سنانه شهابٌ بدا في ظلمة الليل ساطعُ[1]
تقاصرت الآجال في طول متنه وعادت به الآمال وهي فجائع
وساءت ظنون الحرب في حسن ظنّه فهن ظباتٌ للقلوب قوارع
وذي شُطَبٍ تقضي المنايا بحكمه وليس لما تقضي المنية دافع[2]
فرندٌ إذا ما اعتن للعين راكد وبرق إذا ما اهتز بالكف لامع
يسلّ أرواح الكماة انسلاله ويرتاع منه الموت والموت رائع

وقوله [من السريع] :

بكلّ منشورٍ على متنه مثل مدبٍّ النَّمل بالقاعِ
يرتدُّ طرف العين عن حدِّه عن كوكبٍ للموت لمّاع

وقوله [من الطويل] :

كريمٌ على العلاّت جزلٌ عطاؤه منيلٌ ، وإن لم يعتمد لنوالِ
وما الجود من يعطي إذا ما سألته ولكنّ من يعطي بغير سؤال

وقوله [من السريع] :

من يُرتجى بعدك أو يتّقي وفي يديك الجود والباسُ
إن عشت عاش الناس في نعمةٍ وإن تمت مات بك الناس

وقوله في الشيب [من الوافر] :

شباب المرء تنفده الليالي وإن كانت تصير إلى نفادِ
فأسوده يصير إلى بياضٍ وأبيضه يعود إلى سواد

(١) الرديني : الرمح .
(٢) وذي شطب : كناية عن السيف .

وقوله [من البسيط] :

قالـوا شبابــك قد ولّـى فقلـت لهم — هل من جديدٍ علـى كرِّ الجديديْنِ [1]

صِلْ من هويْتَ وإن أبـدى معاتبةً — فأطيب العيش وصـل بين إلفين

واقطـع حبائـل خلٍّ لا تلائمه — فربمـا ضاقـت الـدنيا علـى اثنين

وقوله يرثي ولده [من الكامل] :

بليتْ عظامـك والأسـى يتجدَّدُ — والصبـر ينفـد والبـكا لا ينفدُ

يا غائبـاً لا يرتجـى لإيابه — ولقائـه حتـى القيامـة موعد

ما كان أحسـن ملحـداً ضُمِّنْتَهُ — لو كان ضم أبـاك ثَمَّ الملحد

باليأس أسلـو عنـك لا بتجلدي — هيهـاتَ أين من الحزين تجلّد

وقوله يرثيه [من المنسرح] :

واكبـداً قد تقطّعـت كبدي — وأحرقتـه لواعـج الكمـدِ [2]

مـا مات حيٌّ لميتٍ أسفاً — أعـذر من والـدٍ علـى ولد

يا رحمـة الله جاوري جدثاً — دفنـتُ فيه حشاشتـي بيدي

ونَـوِّري ظلمـة القبـور على — من لم يصـل ظلمـه إلـى أحد

أيّ حسـامٍ أخـذت رونقه — وأيّ روحٍ نزعـت من جسدي

يا قمـراً أجحف الخسـوف به — قبـل طلـوع السّـواء في العدد [3]

أيّ حشـىً لم يذب له أسفاً ؟ — وأيّ عينٍ عليه لم تجدِ ؟

لا صبـر لي بعـده ولا جلدٌ — فُجعْـتُ بالصّبـر فيه والجلد

يا لوعـةً لا يزال لاعجُها — يقـدح نارَ الأسـى علـى كبدي

---

(١) كرّ الجديدين : أي تقلّب الليل والنهار .

(٢) لواعج الكمد : حرقة الحزن والهمّ .

(٣) أجحف : ظلم وأضرّ ، وليلة السواء : هي ليلة أربع عشرة أو ثلاثة عشرة ، يريد أنه لم يكتمل .

وقوله [من البسيط] :

لا بيت يسكن إلا فارق السكنا ... ولا امتلا فرحاً إلا امتلا حزنا[1]
لهفا على ميت مات السرور به ... لو كان حياً لأحيا الدين والسننا
واهاً عليك أبا بكرٍ مرددةً ... لو سكّنتْ والهاً أو فتّرتْ شجنا[2]
إذا ذكرتك يوماً قلت واحزانا ... وما يرد عليك القول واحزنا
يا سيدي ومزاج الروح في بدني ... هلاّ دنا الموت منّي حيث منك دنا
يا أطيب الناس روحاً ضمّه بدنٌ ... أستودع الله ذاك الروح والبدنا
لو كنت أعطى به الدنيا معاوضةً ... منه لما كانت الدنيا له ثمنا

وقوله في التحبب إلى الناس [من الكامل] :

وجهٌ عليه من الحياء سكينةٌ ... ومحبّةٌ تجري مع الأنفاسِ
وإذا أحبّ الله يوماً عبده ... ألقى عليه محبّة للناس

وقوله [من البسيط] :

لا غرو إن نال منك السقم ما سألا ... قد يكسف البدر أحياناً إذا كملا
ما تشتكي علّةً في الدهر واحدةً ... إلاّ اشتكى الجود من وجدٍ بها عللا

وقوله [من البسيط] :

قالوا نأيت عن الإخوان قلت لهم ... ما لي أخ غير ما تحوي عليه يدي
دعني أصنْ حرَّ وجهي عن إذالته ... وإن تغرَّبْت عن أهلي وعن ولدي[3]

وقوله [من الطويل] :

وأعذر من أدمى الجفون من البكا ... كريمٌ رأى الدنيا بكفّ لئيمِ

---

(١) امتلا أصله امتلأ ـ بالهمز ـ مخفّف الهمزة بقلبها ألفاً لانفتاح ما قبلها ، لضرورة الشعر .
(٢) الشجن : الحزن .
(٣) إذالته : إهانته وابتذاله .

أرى كلّ فدمٍ قد تبجّح في الغنى ... وذو الظرف لا تلقاه غير عديم[1]

وقوله في الشيب [من الوافر] :

بدا وَضَحُ المشيب على عذاري ... وهل ليلٌ يكون بلا نهار

وألبسني النهى ثوباً جديداً ... وجرّدني من الثوب المعار

شريت سواد ذا ببياض هذا ... فبدّلت العمامة بالخمار

وما بعت الصبا بيعاً بشرط ... ولا استثنيت فيه بالخيار

وقوله في الشباب [من الكامل] :

ولّى الشباب وكنت تسكن ظلّه ... فانظر نفسك أي ظلٍّ تسكنُ

وأتَـهَ المشيب عن الصبا لو أنه ... يدلي بحجته إلى من يعلن

وقوله فيه [من المنسرح] :

كنت أليف الصبا فودّعني ... وداع من بان غير منصرفِ

أيام لهوي كظلّ أسجلةٍ ... وإذ شبابي كروضةٍ أُنُفِ[2]

وقوله فيه [من الوافر] :

شبابيَ كيف صرت إلى نفاد ... وبدّلت البياض من السوادِ ؟!

وما أبقى الحوادث منك إلا ... كما أبقت من القمر الدّآدي[3]

فراقك عرّف الأحزان قلبي ... وفرّق بين عيني والرقاد

كأني منك لم أربعْ بربعٍ ... ولم أرتدْ به أحلى مراد

سقى ذاك الرّبا وبلّ الثريا ... وغادى نبته صوب الغوادي[4]

---

(١) الفدم : الأحمق .

(٢) كظلٍّ أسجلة : أي الظل الواسع المتدلي ، والروضة الأنف : التي لم ترعَ .

(٣) الدآدي : الليالي الشديدة الظلام .

(٤) الوبل : المطر ، وصوب الغوادي : مطر السحاب .

زمــانٌ كان فيه الرشــد غيّاً	وكان الغــيّ فيه من رشادي
فــكم لي من غليل فيك خافٍ	وكم لي من عويل فيك بادي

وقوله [من البسيط] :

فكَّرْت فيك أبحــرٌ أنــت أم قمرٌ	فقــد تحــيرً فكري بــين هذيْنِ
إن قلت بحــرٌ وجــدت البحــر منحسراً	وبحــر جودك ممتــدٌ العنانين
أو قلــت بدرٌ رأيت البــدر منتقصاً	فقلــت شتَّــان ما بــينَ اليزيدين

وقوله في الزهد [من السريع] :

يا ويلتــا من موقف ما به	أخــوف من أن يعــدل الحاكمُ
أبَـارز الله بعــصيانــه	وليس لي من دونــه راحم
يا رب عفــواً منــك عن مذنب	أسرف إلا أنــه نــادم

وقوله [من الوافر] :

أتلهــو بــين باطيه وزير	وأنــت من الهــلاك على شفيرِ[1]
فيا من غرَّه أمــلٌ طويلٌ	به يرْدى إلى أجــل قصير
أتفــرح والمنية كلّ يومٍ	تريك مكان قبــرك في القبور
هــي الــدنيا وإن سرّتــك يوماً	فإن الحــزن عاقبــة السرور
ستسلــب كل ما جَمَّعْــتَ فيها	بعــاريةٍ ترد إلــى معير[2]
وتعتــاض اليقــين من التظنّي	ودار الحــق من دار الغرور

وقوله [من السريع] :

مدامــع قد خدّدت في الخدودْ	وأعــينٌ مكحــولــةٌ بالهجود[3]

---

(١) الباطية : الخمر وأوانيها والزير : إناء الخمر .
(٢) العارية : الأمانة ، أو الشيء المستعار .
(٣) خدّدت : تركت آثاراً وأخاديداً لمجراها .

ومعشــرٍ أوعــدهــم ربهــم فبــادروا خشية ذاك الوعيـد
فهــم عكوفٌ في محاريبهم يبــكون من خوف عقــاب المجيد
قــد كاد أن يعشــب من دمعهم ما قابلَــتْ أعينهــم في السجود

وقوله في الغزل [من الطويل] :

أتقتلنــي ظلما وتجحدنــي قتلي وقــد قام من عينيك لي شاهــدا عدلِ
أطــلاّب ذحلي ليس بي غــير شادن بعينيه سحــر فاطلبــوا عنــده ذحلي[1]
أغــار على قلبــي بعينيه شادن أطالبــه فيه أغــار على عقلي
بنفسي التــي ضنَّــت عليَّ بوصلها ولــو سألــتْ قتلي وهبــتُ لهــا قتلي
إذا جئتهــا صدَّت حياء بوجهها فيعجبنــي هجــر ألــذُّ من الوصل
كتمــت الهــوى جهــدي فحرّره الأسى بمــاء البــلا هذا يخــطُّ وذا يملي
وإن حكمــتْ جارت عليَّ بحكمها ولــكنَّ ذاك الجــور أحلى من العدل
وأحببــت فيهــا العــذل حبــاً لذكرها فلا شيء أشفــى في فؤادي من العذل
أقــول لقلبــي كلما ضامــه الأسى إذا ما أبيت العــز فاصبــر على الذل
برأيك لا رأيي تعرّضــتَ للهوى وأمــرك لا أمــري وفعلك لا فعلي
وجــدت الهــوى نصــلاً لموتــيَ مغمّداً فجرّدتــه ثم اتّــكيت على النصل[2]
فإن كنــت مقتــولاً على غــير ريبةٍ فأنــت الــذي عرّضــت نفســك للقتل

وقوله ، وهو من دقيق التشبيه وحسن النسيب [من الكامل] :

حــوراء راعتهــا النــوى في حور حكمــت لواحظهــا على المقدورِ
نظــرت إليك بمقلتــيْ أدمانةٍ وتلفّتــتْ بســوالف اليعفــور[3]

---

(١) الذحل : الثأر .
(٢) النصل : السيف والرمح وكلّ ماله حدّ ، ومغمّداً : أي في غمده . وغمد السيف : حيث يوضع وعاؤه وبيته .
(٣) الأدمانة : الظبية . واليعفور : الغزال ، وولد البقرة الوحشية .

وكأنمـا غاص الأسى بجفونها حتـى أتـاك بلؤلـؤٍ منثـور

وقوله [من الكامل] :

أدعـو إليك فـلا دعـاءٌ يسمع يا من يضرُّ بناظـريه وينفعُ
للـورد حـينٌ ليس يطلـع دونه والـورد عنـدك كلَّ حـينٍ يطلع
من لي بأحـورَ ما يبـين لسانه خجـلاً وسيف جفونـه لا يقطع[1]
منـع الـكلام سوى إشـارة مقلةٍ منهـا يكلِّمنـي وعنهـا يسمع

وقوله [من الطويل] :

جمـالٌ يفـوت الوهـم في غاية الفكر وطـرفٌ إذا ما فاه ينطـق بالسحرِ
ووجـهٌ أعـار البـدر ذلّـة حاسدٍ فمنه الـذي يسـودُّ في صفحـة البدر

وقوله في النحول [من الكامل] :

لـم يبـق مـن جثمانه إلا حشـاشـة مبتئـسْ
قـد رقَّ حتـى ما يرى بـل ذاب حتـى ما يحس

وقوله في البين [من الوافر] :

فررت من اللقـاء إلى الفراق فحسبـي ما لقيت ومـا ألاقي
سقانـي البـين كأس الموت صرفاً ومـا ظنـي أمـوت بكفّ ساقي
فيا برد اللقـاء على فؤادي أجِرْنـي اليوم من حرِّ الفراق

وقوله في نوح الحمام [من الطويل] :

ويهتـاج قلبـي كلما كان ساكناً دعـاء حمـامٍ لم يبـت بوكونِ[2]
وإن ارتياحـي من بكاء حمامةٍ كذي شجـنٍ داويتـه بشجون

---

(١) الأحور : من الحور وهو شدّة سواد العين وشدّة بياضها معا .
(٢) الوكون : جمع وكن وهو : العشّ .

كأنّ حمـام الأيك لما تجاوبت حزينٌ بكى من رحمـةٍ لحزين

وقوله فيه [من الطويل] :

أناحـت حمامـات اللـوى أم تغنَّتِ فأبـدتْ دواعـي قلبـه ما أجنَّتِ[1]

فديت التـي كانـت ولا شيء غيرها منـي النفس أو يقضى لهـا ما تمنّت

وقوله فيه [من الطويل] :

لقـد سجعـت في جنـح ليلٍ حمامةٌ فأيُّ أسًى هاجـت على الهائـم الصَّبِّ

لك الويل بل هيَّجْت شجوي بلا جوىً وشكوى بلا شكوى وكرباً بلا كرب

وأسكبْـت دمعـاً من جفـون مسهَّدٍ ومـا رقرقـت منـك المدامـع بالسَّكب

وقوله في الرياض [من الطويل] :

ومـا روضـةٌ بالحـزن حاك لهـا الندى بروداً من الموْشيِّ حمـر الشقائقِ

يقيم الدجـى أعناقهـا ويميلهـا شعاع الضحى المستنّ في كلّ شارق[2]

إذا ضاحكَتْهـا الشـمس تبـكي بأعينٍ مكلَّلـة الأجفـان صفـر الحمالق[3]

حكت أرضهـا لون السماء وزانها نجـومٌ كأمثـال النجـوم الخوافق

بأطيب نشراً من خلائقـك التي لها خضعـتْ في الحسـن زهـر الخلائق

وقوله في التضمين [من الطويل] :

وروضـة ورد حفَّ بالسوسـن الغضِّ تحلَّتْ بلون السَّام والذّهب المحضِ[4]

رأيت بهـا بدراً على الأرض ماشياً ولـم أر بدراً قطُّ يمشي على الأرض

إلى مثلـه تصبـو إذا كنـت صابياً فقد كاد منه البعض يصبو إلى البعض

---

(١) اللِّوى : ما التوى وانعطف وانثنى من الرمل أو مسترقّه .

(٢) في كلّ شارق : أي عند كلّ شروق .

(٣) الحمالق : باطن أجفان العين .

(٤) السام : عروق الذهب والفضة .

وقــل للــذي يفنــي الفــؤاد بحبّه   على أنــه يجــزي المحبّــة بالبغض
« أبــا منــذر أفنيت فاستبــق بعضنا   حنانيك بعضُ الشرِّ أهون من بعض »

وقثوله [من الطويل] :

وحاملــةٍ راحــا على راحــة اليد   موردَةٍ تسعــى بلــونٍ موردَّدِ
متــى ما ترى الإبـريق للــكأس راكعا   تُصــلِّ له من غــير طهــرٍ وتسجد
على ياسمــينٍ كاللُّجــين ونرجسٍ   كأقــراط درٍّ في قضيب زبرجد
بتلك وهــذي فَالْــهُ يومَــكَ كلَّه   وعنها فسلْ لا تسألِ النــاس عن غد
« ستبــدي لك الأيام ما كنــت جاهلاً   ويأتيك بالأخبــار من لم تزود »[1]

وقوله [من الطويل] :

أيقتلنــي دائــي وأنــت طبيبي   قريبٌ وهــل من لا يرى بقريبِ
لئـن خنـت عهـدي إنني خــير خائنٌ   وأيِّ محــبٍّ خان عهــد حبيب
وسـاحبةٍ فضــلَ الــذُّيول كأنها   قضيب من الريحــان فوق كثيب
إذا برزتْ من خدرهــا قال صاحبي   أطِعْنــي وخــذْ من حظهــا بنصيب
« فما كل ذي لب بمــؤتيك نصحَهُ   ومــا كلُّ مؤتٍ نصحَــهُ بلبيب »

وقوله [من المديد] :

يا طويل الهجــر لا تنس وصلي   واشتغالــي بك عن كلِّ شغلِ
يا هلالاً فوق جيد غزالِ   وقضيبــاً فوق دعصــة رملٍ[2]

وقوله [من المديد] :

يا وميض البــرق بين الغمام   لا عليهــا بل عليك السلام

---

(١) البيت لطرفة بن العبد الشاعر الجاهلي المشهور .

(٢) دعصة الرمل : التلّة والكثيب .

إنّ في الأحـــداج مقصورة وجهها يهتـك ستـر الظلام
تحســـب الهجـــر حلالاً لها وتـــرى الوصـــل عليهـــا حرام
مـــا تأسّيك لـــدارٍ خلت ولشعـــبٍ شتٍّ بعـــد التئام[1]
إنمـــا ذكرك ما قد مضى ضِلَّـــةٌ مثـــلُ حديث المنام

وقوله [من المديد] :

يا عاتبـــاً صرت له عاتباً رب مطلـــوبٍ غدا طالبا[2]
مـــن يتـــب عن حب معشوقه لســـت عن حبـــي له تائبا
فالهـــوى لي قدر غالب كيف أعصـــي القـــدر الغالبا
ســـاكن القلـــب ومـــن حلّه أصبـــح القلـــب به ذاهبا

وقوله [من المديد] :

أيُّ تفـــاح ورمّـــانِ نجتني من خـــوط ريحانِ[3]
أي وردٍ فوق خدٍّ بدا مســـتنيراً فـــوق سوسان
وثـــنٌ يعبـــد في خلوةٍ صيغ من درٍّ ومرجان
مـــن رأى الذلفـــاء في خلوةٍ لم ير الحـــدَّ علـــى الزاني[4]
« إنمـــا الذلفـــاء ياقوتةٌ أخرجـــت من كيس دهقان »[5]

وقوله [من المديد] :

مـــن محـــبٍّ شفَّـــهُ سقمُهُ وتلاشـــى لحمـــه ودمـــه

---

(١) شت : تفرق .
(٢) زاد في أول هذا البيت سبباً خفيفاً وهذه الزيادة سائغة عند أهل العروض .
(٣) الخوط : الغصن الناعم .
(٤) الذلفاء : إسم . علم ، والذّلف : صغر الأنف واستواء طرفه .
(٥) الدهقان : التاجر .

كاتبٌ حنَّت صحيفته ... وبكى من رحمةٍ قلمه
يرفع الشكوى إلى قمرٍ ... تنجلي عن وجهه ظلمه
خلِّ عقلي يا مسفهه ... إنَّ عقلي لست أتهمه
« للفتى عقلٌ يعيش به ... حيث تهدي ساقه قدمه »

وقوله [من المديد] :

زادني لومك إصرارا ... إنّ لي في الحبّ أنصارا
طار قلبي من هوى رشأٍ ... لو رثى للقلب ما طارا
خذْ بكفّي لا أمت غرقاً ... إن بحر الحب قد فارا
أنضجت نار الهوى كبدي ... ودموعي تطفىء النارا
« رب نار بتُّ أرمقها ... تقضم الهنديَّ والغارا »[1]

وقوله [من البسيط] :

يا ليلةً كان في ظلمائها نور ... إلاّ وجوهاً تضاهيها الدنانيرُ
حورٌ سقتْنِيَ كأس الموت أعيُنها ... ماذا سقتْنِيَ تلك الأعين الحور
إذا ابتسمن فدرُّ الثغر منتظمٌ ... وإن نطقْن فدر اللفظ منثور
خلِّ الصبا عنك واختم بالنهى عملاً ... فإنّ خاتمة الأعمال تكفير[2]
« فالخير والشر مقرونان في قَرَنٍ ... فالخير ممتنعٌ والشر محذور »[3]

وقوله [من البسيط] :

يا طالباً في الحبّ ما لا ينال ... وسائلاً لم يعف ذلّ السؤالْ
ولّت ليالي الصبا محمودة ... لو أنها ترجع تلك الليالي

---

(١) الهندي والغار : نوعان من الطيب يتبخر بهما .
(٢) خلّ : دع واترك . والتكفير : التوبة وعمل الخير إزالةً للذنب .
(٣) القرن : القيد والشَّرَكْ .

وأعقبتْـك التـي أوصلتها بالهجـر لمـا رأت شيب القذال[١]
لا تلتمس وصلـةً من مخلفٍ ولا تكن طالبـاً ما لا ينال
« يا صاح قد أخلفـت أسمـاء ما كانـت تمنّيك من حسـن وصال »

وقوله [من البسيط] :

ظالمتـي في الحـبّ لا تظلمي فتصرمـي حبـل من لم يصرمِ[٢]
أهـكذا باطـلاً عاقبتني لا يرحـمِ الله من لم يرحم
قتلـت نفسـاً بلا نفسٍ وما ذنـبٌ بأعظـم من سفـك الدم
لمثـل هذا بكت عينـيَ لا للمنـزل القفـر ولا للرَّسَم
« مـاذا وقوفـي علـى رسـمٍ عفا مخلولـقٍ دارسٍ مستعجمِ »[٣]

وقوله [من مخلع البسيط] :

مـا أقـرب اليأس من رجائي وأبعـد الصبـر من بكائي
يا مذكيَ النـار في جوائي أنـت دوائـي وأنـت دائي
مـن لي بمخلفـةٍ وعدها تخلـط لـي اليأس بالرجاء
سألتهـا حاجـةً فلـم تفهْ لي بنعـم لا ولا بلاء
قلـت استجيبـي فلمـا لم تجبْ فاضـت دموعـي علـى ردائي
كآبـة الـذل فـي كتابي ونخـوة العـزّ في الجواء[٤]

وله فيه [من مخلع البسيط] :

قتلـت نفسـاً بغير نفس فكيف تنجـو من العذابِ

---

(١) القذال : القفا ، حيث الصفع .
(٢) الصرم : الهجر والقطيعة .
(٣) الدارس : البالي الذي عفت آثاره، والمستعجم : الذي لا ينطق .
(٤) الجواء : من الجوى ، وهو شدّة الوجد والاحتراق من العشق والجواء : الداخل والباطن .

خلقــت من بهجــةٍ وطيب إذ خلــق النــاس من تراب
ولّــت حميّا الشبــاب عني فلهف نفســي علــى الشباب
أصبحــت والشيب قد علاني يدعــو حثيثــاً إلــى الخضاب

وقوله [من الوافر] :

تجافــى النــوم بعــدك عن جفوني ولــكن ليس تجفوهــا الدموعُ
يطير إليك من شوقٍ فؤادي ولــكنْ ليس تتــركه الضلوع
كأن الشــمس لمــا غبْــتَ غابتْ فليس لهــا علــى الــدنيا طلوع
يذكّرنــي تبسُّمــك الأقاحي ويحــكي لي توردُكَ الربيع
فمــا لي من تذكُّرِكَ امتناعُ ودون لقائــك الحصــنُ المنيع
« إذا لم تستطــع شيئــاً فدعْه وجــاوزْه إلــى مــا تستطيع »

وقوله [من الكامل] :

حال الزمــان له فبــدّل حالا وكســا المشيب مفارقــاً وقذالا
غابـت غوانــي الحــيّ عنــك وربما طلعــت إليك أكلَّــةً وحجالا[1]
أضحــى عليك حلالهــن محرَّماً ولقــد يكون حرامهــن حلالا
إن الكواعــب إن رأينــك طاوياً وصل الشبـاب طوين عنـك وصالا[2]
« وإذا دعونــك عمّهــن فإنّه نســبٌ يزيدك عندهــن خبالا »[3]

وقوله [من مجزوء الكامل] :

هتــك الحجــاب عن الضمائر طرفٌ به تبلــى السرائرْ
يرنــو فيمتحــن القلو ب كأنّــه فـي القلــب ناظر

---

(١) الأكلّة : المتزينة بالتاج ، أو بعصابة من الجواهر ، والحجال : الخلاخيل .
(٢) طاوياً : جائعاً .
(٣) الخبال : فساد العقل والرأي .

يا ساحراً ما كنت أعرف قبله في الناس ساحر
أقصيتني من بعد ما أدنيتني فالقلب طائر
« وغررتني وزعمت أنّك لابنٌ في الصيف تامر »[1]

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يا مقلةَ الرشأ الغرير وشقّة القمر المنير
ما رنّقت عيناك لي بين الأكلّمة والستور
إلا وضعت يدي على كبدي مخافة أن تطير
هبني كبعض حمام مكّة واستمع قول النذير
« أبني لا تظلم بمكةَ لا الصغير ولا الكبير »

وقوله [من مجزوء الكامل] :

قل ما بدا لك وافعل واقطع حبالك أوصلِ
هذا الربيع فحيِّهِ وانزل بأكرم منزل
وصل الذي هو واصلٌ وإذا كرهت تبدّل
وإذا نبا بك منزلٌ أو مسكنٌ فتحوّل
« وإذ افتقرت فلا تكن متخشّعاً وتحمّلِ »

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يا دهر ما لك ضنكٌ وأنت غير مواتي[2]
جرَّعتني غصصاً بها كدرت [عليَّ] حياتي
أين الذين تسابقوا في المجد للغايات
قومٌ بهم روح الحيا ة تردّ في الأموات

---

(١) لابن في الصيف تامر : أي عندك لبنٌ وتمر .

(٢) ورد صدر هذا البيت هكذا « يا دهر مالي بضنكٍ » وهو غير مستقيم الوزن .

وإذا همو ذكروا الإسا ءة أكثروا الحسنات

وقوله فيه [من الهزج] :

متى أشفي غليلي بنيلٍ من بخيلِ
غزالٌ ليس لي منه سوى الحزن الطويل
حملت الضيّم فيه من حسودٍ أو عذول
جميل الوجه أخلاني من الصبر الجميل
« وما ظهري لباغي الضيم بالظهر الذلول »[1]

وقوله [من الرجز] :

لم أدرِ جنيٌّ سباني أم بشرْ أم شمس ظهرٍ أشرقتْ لي أم قمرْ
أم ناظر يهدي المنايا طرفه حتى كأن الموت فيه في النظر
ويحيي قتيلاً ما له من قاتل إلا سهام الطَّرف ريشتْ بالحَوَرْ[2]
ما بال رسم الوصل أضحى دارسا حتى لقد أذكرني ما قد دثر
« دارٌ لسلمى إذ سليمى جارةٌ قفرٌ ترى آياتها مثل الزبر »[3]

وقوله [من الرجز] :

قلبٌ بلوعات الهوى معمود حيٌّ كميْتٍ حاضرٌ مفقودُ[4]
ما ذقت طعم الموت في كأس الرّجا حتى سقتنيه الظِّباء الغيد
من ذا يداوي القلب من داء الهوى إذ لا دواء للضنى موجود
أم كيف أسلو غادةً ما حبُّها إلاّ قضاءٌ ما له مردود
« القلب منها مستريحٌ سالم والقلب مني جاهد مجهود »

---

(١) الذلول : السهل امتطاؤه .

(٢) ريشت : يقال أراش السهم .

(٣) الزبر : المكتوب .

(٤) المعمود : الموجع والمضني .

وقوله [من الرجز] :

يا أيهـا المشعـوف بالحـب التعبْ كم أنـت في تقـريب ما لا يقتربْ
دع ودَّ من لا يرعـوي إذا غضب ومـن إذا عاتبتـه يومـاً عتب

« إنك لا تجني من الشوك العنب »

وقوله [من الرمل] :

أنـا في اللـذات ممنـوع العذار هائـم في حب ظبـي ذي احورارِ
صفـرةٌ في حمـرةٍ في خدّه جمعـتْ روضـة وردٍ وبهار[1]
بأبـي طاقـة آسٍ أقبلتْ تنثنـي بين حِجْـلٍ وسـوار
قادنـي قلبـي وطرفـي للهوى كيف من قلبي ومـن طرفـي حذاري
« لـو بغير المـاء حلقـي شرقٌ كنـت كالغصّـان بالمـاء اعتصاري »

وقوله [من الرمل] :

يا مدير الصـدغ بالخـد الأسيـل ومجيل السحـر بالطـرف الكحيل[2]
هبْ لمحـزونٍ كئيبٍ نظرةً منـك يشفـي بردهـا حرّ الغليل
وقليلٌ ذاك إلاّ أنـه ليس من مثلك عنـدي بالقليل
بأبـي أحـور غنّـى موهناً بغنـاء قصّـر الليل الطويـل
« يا بنـي الصيداء ردّوا فرسي إنمـا يفعـل هذا بالذليل »[3]

وله [من الرمل] :

شادنٌ يسحـب أذيال الطرب ينثنـي ما بين لهـوٍ ولعبْ

---

(١) البهار : كلّ شيء حسن ومنير وطيّب الرائحة .
(٢) الأسيل : الناعم الرقيق .
(٣) الصيداء : المائلة العنق .

بجبينٍ مفرغٍ من فضةٍ فوق خد مشْربٍ لون الذهب
كتب الدمع بخدي عهده للهوى والشوق يملي ما كتب
يا لجهلي ما أراه ذاهباً وسواد الرأس منّي قد ذهب
« قالت الخنساء لما جئتها شاب بعدي رأس هذا واشتهب »(1)

وقوله [من الرمل] :

يا هلالاً في تجلّيه وقضيباً في تثنّيه
والذي لست أسميه ولكنّي أكنيه
شادنٌ ما تقدر العين تراه من تلاليه
كلّما قابلها شخصٌ رأى صورته فيه
لان حتى لو مشى الذرّ عليه كاد يدميه(2)

وقوله [من الرمل] :

يا هلالاً قد تجلّى في سحابٍ من حريرِ
وأميراً بهواه قاهراً كلَّ أمير
ما لخدّيْك استعارا حمرة الورد المنير
ورسوم الوصل قد ألبسها ثوب الدثور(3)

وقوله [من السريع] :

أنت بما في نفسه أعلم فاحكم بما شئت به تحكمُ
ألحاظه في الحبّ قد هتكتْ مكتومةً والحبّ لا يكتم
يا مقلتي وحشيةٍ قتلت نفساً بلا نفسٍ ولا تظلم

---

(1) اشتهب : أي خالط بياضه سواده .
(2) الذرّ : النمل الصغير .
(3) الدثور : الستر .

قالـت تسـلّيت فقلنـا لها ... ما قال قبلـي عاشـق مغرم
« يا أيهـا الـزاري علـى عمرٍ ... قد قلـت فيه غير ما تعلم » [1]

وقوله [من السريع] :

ويحـي قتيلاً ما له من عقل ... من شادن يهتـزّ مثـل النصلِ [2]
مكحّـل ما مسّـه من كحل ... لا تعذلانـي إننـي في شغل

« يا صاحبي رحلي أقلا عذلي »

وقوله فيه [من المنسرح] :

بيضـاء مضمومـةٌ مقرطقةٌ ... تنقـدُّ عن نهدهـا قراطقُها [3]
كأنّمـا بات ناعمـاً جذلاً ... في جنـة الخلـد من يعانقها
وأي شيء ألـذّ من أملٍ ... نالتـه معشوقـةٌ وعاشقهـا
دعنـي أمـتْ في هوى مخدَّرةٍ ... يعلـق نفسـي بهـا علائقها
« مـن لم يمـت عبطة يمـت هرماً ... المـوت كأس والمـرء ذائقها » [4]

وقوله [من الخفيف] :

أنـت دائـي وفـي يديك شفائي ... يا دوائـي من الهـوى وشفائي
إنّ قلبـي يحـبّ من لا أسمّي ... في عنـاءٍ أعظِـمْ به من عناء
كيف لا كيف أن ألـذ بعيشٍ ... مات صبـري به ومـات عزائي
أيّهـا اللائمـون ماذا عليكم ... أن تعيشـوا وأن أمـوت بدائي

---

(١) الزاري : العائب .
(٢) العقل : الدّية ، سمّيت بذلك لأنها كانت تؤخذ من الإبل ، وكان قوم القاتل يجيئون بها فيعقلونها بفناء دار القتيل .
(٣) القراطق : نوع من الثياب والمضمومة : الملتفّة المكتنزة .
(٤) عبطة : شاباً ، أو فجأة .

« ليس من مات فاستراح بميتٍ   إنّما الميت ميت الأحياء »

وقوله [من الخفيف] :

ذات دلٍّ وشاحها قلق   من ضمورٍ وحجلها شرقُ
برت الشمس نورها وحباها   لحظ عينيه شادنٌ حدق[1]
ذهبٌ خدُّها يذوب حياءً   وسوى ذاك كله ورق
إن أمت ميتة المحبّين [يوما]   وفؤادي من الهوى حرق
فالمنايا ما بين غادٍ وسارٍ   كلُّ حيٍّ برهْنها علِق

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

أشرقتْ لي بدورٌ   في ظلامٍ تنيرْ
طار قلبي لحسنها   من لقلب يطير !
يا بدور أنا بها الـ   ـدهر عان أسير[2]
إن رضيتم بأن أمو   ت فموتي حقير[3]
« كلّ خطبٍ ما لم تكو   نوا غضبتم يسير »

وقوله [من المقتضب] :

يا مليحة الدعج   هل لديك من فرج[4]
أم أراك قاتلي   بالدلال والغنج
من لحسن وجهك من   سوء فعلك السّمج
عاذليَّ ويحكما   قد غرقت في لجج[5]

---

(١) حباها : أعطاها ، والشادن : الغزال .

(٢) في أ ، ب ، الدهر عان وأسير والوزن يختل عليها .

(٣) في أ ، ب ، فموتي بها حقير والوزن لا يستقيم .

(٤) الدعج : سعة العين وحورها .

(٥) عاذلي : لائمي ، واللجّة : الماء العميق .

هـل علـيَّ ويحكمـا إن لهوْت مـن حـرج

وقوله [من المتقارب] :

أأحـرم منـك الرضى وتـذكـر ما قـد مضى
وتعـرض عـن هائـمٍ أبـى عنـك أن يعرضا
قضـى الله بالحـب لـي فصـبـراً علـى ما قضى
رميت فـؤادي فمـا تركت بـه منهضـا
وقـوسـك شـريـانـةٌ ونبلـك جمـر الغضـا[1]

وقوله [من الطويل] :

وأزهـر كالعيّوق يسعـى بأزهرٍ لنـا منـه داء وهـو برءٌ من الداءِ[2]
ألا بأبـي صدغٌ حكى العين فتله وشـارب مسـكٍ قد حكى عطفـة الراء
فما السحر ما يعـزى إلـى أرض بابلٍ ولكن فتور اللحظ من طرف حوراء[3]
وكيف أدارت مذهـب اللـون أصفرا بمُذْهبـةٍ في راحـة الـكفّ صفراء

وقثوله [من الطويل] :

معذّبتـي رفقـاً بقلـبٍ معذّبٍ وإن كان يرضيك العـذاب فعذّبي
لعمـري لقـد باعـدت غير مباعد كمـا أننـي قربـت غير مقرّب
بنفسـيَ بدرٌ أخمـد البـدر نوره وشمسٌ متى تطلعْ إلى الشمس تغرب
لو ان امـرأ القيس بن حجـر بدتْ له لمـا قال « مـرّا بي علـى أم جندب »

وقوله [من الطويل] :

---

(١) شريانة : من الشريان ، وهو شجر للقسيّ وجمر الغضا : الغضا شجر حطبه شديد اللهب والاشتعال .
(٢) العيّوق : نجم في السماء .
(٣) الفتور : الضعف والانكسار .

محبٌّ طوى كشحاً على الزفراتِ   وإنسان عينٍ خاضَ في العبراتِ[1]
فيا من بعينيه سقامي وصحتي   ومن في يديه ميتتي وحياتي
بحبّك عاشرت الهموم صبابةً   كأني لها تربٌ وهنٌّ لداتي
فخدِّيَ أرضٌ للهموم ومقلتي   سماء لها تنهلُّ بالعبرات

وقوله [من المديد] :

طلَّق اللهو فؤادي ثلاثاً   لا ارتجاعٌ ليَ بعد الثلاثِ
وبياض في سواد عذاري   بدّل التشبيب لي بالمراثي
غير أني لا أطيق اصطباراً   وأراني صائراً لانتكاثي[2]
بإناثٍ في صفات ذكورٍ   وذكورٍ في صفات إناث

وقوله [من المديد] :

صدعتْ قلبي صدع الزجاج   ما له من حيلةٍ أو علاج[3]
مزجت روحي ألحاظها   فالهوى مني لروحي مزاج
يا قضيباً فوق دعص النقا   وكثيباً تحت تمثال عاج[4]
أنت نوري في سواد الدجا   وسراجي عند فقد السراج

وقوله [من المديد] :

مستهام دمعه سافحُ   بين جفنيه هوىً قادح
كلما أمَّ سبيل الهوى   قاده السافح والنازح[5]

---

(١) طوى كشحاً : أي تصبّر . وانسان عينٍ : أي ناظر العين .
(٢) الانتكاث : انتكث العهد : انتقض وانحلّ بعد إبرامه .
(٣) صدعت : شقّت .
(٤) النقا : القطعة من الرمل المحدودبة .
(٥) أمّ : قصد . والسافح : السائل من الدمع ، والنازح : البعيد عنه ، من أهلٍ وأحبّة .

حـلَّ فيمـا بين أعدائه وهـو عـن أحبابـه نازح
أيهـا القـادح نار الهوى أصلهـا يا أيهـا القادح

وقوله [من المديد] :

عـاد منهـا كلّ مطبوخ غير داذيٍّ ومفضـوح[1]
فاعتقـد من ود أهـل الحجى كلّ ودٍّ غير مشدوخ[2]
وانتشـق ريّاك من ملتقى شاربٍ بالمسك ملطوخ
إنّ في العلـم وآثاره ناسخـاً مـن بعـد منسوخ

وقوله [من المديد] :

يا مجـال الـروح من جسدي والـذي يفتـر عن بردِ
وفـريـد الحسـن واحده منتهـاه منتهـى العدد
خـذ بكفـي إننـي غرق فـي بحـار جمّـة المدد
ورياح الهجـر قد هدمت ما أقـام الصبـر من أَوَدي[3]

وقوله [من المديد] :

أذكرت من طيرناباذ فقـري الـكرخ فبغـداذِ
قهـوةً ليسـت ببارقـةٍ لا ، بتـع ولا داذي
مـرّةً يهـذي الحليم بها بأبـي ذلك مـن هـاذي
فهـي أستـاذ الشـراب معاً والمعـانـي دأب وأستاذ

(١) الداذي : شراب الفساق ، والمفضوخ : عصير القصب .
(٢) مشروخ : مجرّح .
(٣) الأود : الإعوجاج ، والكدّ والتعب .
(٤) البتع : نبيذٌ يتخذ من العسل ووقع في أ ، ب ، ولا بتع ولا باداذي .

وقوله [من البسيط] :

نورٌ تولّـد من شمسٍ ومـن قمر في طرفـه سقـمٌ أمضـى من القدرِ
أصلـي فؤادي بلا ذنـبٍ جوى حرقٍ لم يبـق من مهجتـي شيئـاً ولـم يذر
لا والـرحيق المصفـى من مراشفه ومـا بخـديه من خالٍ ومـن طرر[1]
ما أنصف الحـب قلبـي في حكومته ولا عفـا الشـوق عنـي غير مقتدر

وقوله [من البسيط] :

خرجـت أجتـاز قفـراً غير مجتاز فصادنـي أسهـل العينين كالبازِ[2]
صفـرٌ علـى أنـه صفـر لوالبه ذا فوق نعـلٍ وهـذا فوق قفّاز
كم موعـدٍ ليَ من ألحـاظ مقلته لو أنـه موعـدٌ يُقضـى بإنجاز
أبـكي ويضحـك منّـي طرفـه هزؤا نفسي الفـداء لذاك الضاحـك الهازي

وقوله [من البسيط] :

يا غصنـاً مائسـاً بين الرباط ما لي من بعـد بالعيش اغتباط[3]
يا من إذا ما ابتـدى ماشياً وددت أن له خدّي بساط[4]
تتـرك عينـاه مـن يبصره مختلـط اللّبسـة كلّ اختلاط[5]
قلـت متـى نلتقـي يا سيدي قال غدا نلتقـي عنـد الصِّراط

وقوله [من البسيط] :

يا ساحـراً طرفـه إذ يلحظ وفاتنـا لفظُـه إذ يلفـظ

---

(١) الخال : بثرة سوداء في الوجه والطرر : جمع طرّة ، وهي الخصلة من الشَّعر.
(٢) الأشهل : الذي يخالط سواد عينه زرقة .
(٣) في أ ، ب ، « مالي من بعدك بالعيش اغتباط » ولا يستقيم به الوزن .
(٤) في أ ، ب ، « وددت لو أنّ له خديّ بساط » ولا يستقيم عليه الوزن .
(٥) اللبسة : الشك .

يا غصناً ينثني من لينه وجهك من كل عين يحفظ
أيقظني إذ جاءني من نفسه من طرفه ناعس مستيقظ
ظبيٌ له وجنة من رقةٍ تجرحها مقلة من يلحظ

وقوله [من البسيط] :

يا من دمي دونه مسفوك وكلّ حرٍّ له مملوك
كأنه فضّةٌ مسبوكةٌ أو ذهبٌ خالصٌ مسبوك
ما أطيب العيش لولا أنه عن عاجلٍ كلّه متروك
والخير مسدودةٌ أبوابه ولا طريقٌ له مسلوك

وقوله [من البسيط] :

إليك يا غرّة الهلال وبدعة الحسن والجمالِ
مددت كفّاً بها انقباض وأين كفي من الهلال
شكوت ما بي إليك وجداً فلم ترِقِّي ولم تبالِ
أعاضك الله من قريبٍ حالاً من السقم مثل حالي

وقوله [من الوافر] :

بنفسي من مراشفه مدام ومن لحظات مقلته سهامُ
ومن هو إن بدا والبدر تمٌّ صبا من حسنه البدر التمام
أقول له وقد أبدى صدوداً فلا لفظ إليَّ ولا ابتسام
تكلَّمْ ليس يوجعك الكلام ولا يمحو محاسنك السلام

وقوله [من الوافر] :

سلبت الروح من بدني وصمت القلب بالحزنِ
فلي بدن بلا روح ولي روح بلا بدن

قرنـت مع الـردى نفسي فنفسـي وهـو في قَرَن
فليت السحـر مـن عينيـــــك لم أره ولــم يرني

وقوله [من الوافر] :

غـزالٌ من بنـي العاص أحـسّ بصـوت قنـاصِ
فأتلـعَ جيـده حذراً وأشـخَـصَ أيَّ إشخـاص[1]
أيا من أخلصـتْ نفسي هواه كـل إخـلاص
أطـاعـك من ضمير القلــــب عفـواً كلّ معتاص[2]

وقوله [من الكامل] :

في الكِلَّـةِ الصفـراء ريمٌ أبيضُ يشفـي القلـوب بمقلتيه ويمرضُ
لمــا غدا بين الحمـول مقوّضا كاد الفـؤاد عن الحياة يقوّض[3]
صدّ الـكرى عن جفـن عينـك معرضاً لمـا رآه يصـدُّ عنـك ويعرض

وقوله [من الكامل] :

أوحـت إليك جفونهـا بوداع خود بدت لك من وراء قناعِ
بيضـاء ما باهـى النعيم بصفرةٍ فكأنهـا شمسٌ بغير شعاع
أمـا الشبـاب فودّعـت أيامـه ووداعهـن موكّلٌ بوداعي
لله أيام الصبِّـا لو أنها كرَّت علـيَّ بلـذةٍ وسماع

وقوله [من الكامل] :

أصغـى إليك بكأسـه مصغي صلــت الجبين معقـرب الصدغ[4]

---

(١) أتلع : رفع ومدّ . ، وأشخص : تنبّه وازداد يقظةً واحتراساً .
(٢) المعتاص : الأمر الخفيُّ الصعب .
(٣) مقوّضاً : مهدّماً .
(٤) الصلت : الواضح والبارز المستوى .

كأسٌ تولَّـد بالمحبـة بيننا طوراً وتنـزغ أيّمـا نزغ[1]
في روضـةٍ درجـت بزهرتهـا الصَّبا والشـمس في درجٍ من الفرغ
واشـرب بكَفٍّ أغـنٍّ عقـرب صدغه للقلـب منـك مميتـة اللدغ[2]

وقوله [من الكامل] :

يا دمية ليسـت بمعتكف بل ظبية أوفـت علـى شرفِ
بـل درّة زهـراء ما سكنت بحـراً ولا درّا من الصدف
أسرفـت في قتلـي بلا ترةٍ وسمعـت قول الله في السرف[3]
إنـي أتـوب إليك معترفاً إن كنـت تقبـل قول معترف

وقوله [من الكامل] :

يا فتنـة بعثـت علـى الخلق ما بينهـا والمـوت من فرق
شـمس بدت لك في مغاربها يفتـرُّ مبسمهـا عن البرق
مـا كنـت أدري قبـل رؤيتها للشـمس مُطَّلعـاً سوى الشرق
يا من يضـن بفضـل نائله لو في يديك مفاتـح الرزق

وقوله [من الكامل] :

طلعـتْ له والليل دامس شمسٌ تجلّـت في حنادسْ[4]
تختـال في صفـر المجا سد بين حارسـةٍ وحارس
يا من لبهجـة وجهه يستأسـر البطـل الممارس
لـم يبـق من قلبـي سوى رسـمٍ تغيّر فهـو دارس

(١) النزغ : الافساد بين الناس .
(٢) اللدغ : اللسغ .
(٣) الترّة : الثأر .
(٤) الحندس : الظلمة الشديدة .

وقوله [من الكامل] :

دع قول واشيةٍ وواشي ... واجعلهما كلبيْ هراشِ[1]
واشرب معتَّقةً تَسلـ ... ـسلُ في العظام وفي المحاشي
حتى ترى العود المسن ... بها أرقَّ من الخشاش[2]

وقوله [من الكامل] :

ألحاظ عين تنتهي ... في روض ورد تزدهي
رتعت بها وتنزَّهتْ ... منها بأي تنزه
يا أيها الخنث الجفو ... ن بنخوة وتكرُّه[3]
والمكتفي عجباً أما ... ترثي لأشعث أمره

وقوله [من الكامل] :

أطفت شرارة لهوي ... ولوت بشرّة عدْوي[4]
شعل علون مفارقي ... ومضت ببهجة سرْوي
لما شككت عروضها ... ذهب الزحاف بحزْوي[5]
يا أيها الشادِيُّ صهْ ... ليست بساعة شدوِ

وقوله [من الهزج] :

ألا يا زين قلبي للـ ... ـشباب العفر إذ ولّى[6]

---

(١) الهراش : النباح والعراك .
(٢) العود : الجمل المسنّ ، والخشاش : حشرات الأرض .
(٣) الخنث : الذي فيه تكسر ولين .
(٤) الشرّة : الحدّة والنشاط .
(٥) الحزو : التقدير والتكهُّن .
(٦) العفر : أي المعفّر بالإثم ، وعفّره في التراب : أي مرّغه وقلّبه .

جعلت الغيَّ سربالي　　وكان الرشد بي أولى
بنفسي جائرٌ في الحكـ　　ـم يلفي جوره عدلا
وليس الشهد في فيه　　بأحلى عنده من لا

وقوله [من الهزج] :

هنا تفنى قوافي الشـ　　ـعر في هذا الرويِّ
قوافٍ ألبستْ حلياً　　من الحلى الرويّ
تعالت عن جرير بل　　زهير بل عديّ

* * *

١٠٣ ـ أبو عمرو يوسف بن هرون المعروف بأبي سبيح

وأنشدت لأبي عمرو يوسف بن هرون الأندلسي المعروف بأبي سبيح يمدح أبا علي إسماعيل بن القاسم البغدادي القالي ، من قصيدة أولها [من الكامل] :

مَنْ حاكمٌ بيني وبين عذولي　　الشجو شجوي والعويل عويلي
في أيّ جارحةٍ أصون معذّبي　　سلمت من التعذيب والتنكيل
إن قلت في بصري فثَمّ مدامعي　　أو قلت في كبدي فثمّ غليلي
وثلاث شيباتٍ نزلن بمفرقي　　فعلمت أنّ نزولهن رحيلي
طلعت ثلاثٌ في نزول ثلاثةٍ　　واشٍ ووجه مراقبٍ ومقيل[1]
فَعَذَلْنني عن صَبْوتي متذلّلاً　　ولقد سمعْتُ بذلة المعذول

ومنها :

حتى إذا صدت الوحوش فلم تدع　　منهنّ غير معالمٍ وطلول

(١) المقيل : مكان القيلولة .

ونهت محافظة الحسان فلم تصل كفّي إلى ظبي أغنٍّ كحيل
ومكبَّلٌ لم يجترم جرماً ولا دامت صحابته بغير كبول
متلفِّتٌ كتلفت المرتاع يقـ ـسم لحظه في الحول بعد الحول
حتى إذا ما السرب عنَّ للحظه أومى بقادمتيه خلِّ سبيلي[1]
ولّت جماعتها وشدّ وراءها وكأنه بطل وراء رعيل[2]
عجلت وأدركها ردىً في إثرها إنّ الردى قيدٌ لكلِّ عجول
ولقد غدوت بأهرت متضائل سر النفوس إليه غير ضئيل[3]
ولربما اشتمَّ الصعيد بأنفه حيناً فقام له مقام دليل[4]
متتبِّع لظلاله فكأنه في القيظ يطلب ظلّه لمقيل[5]
فنزلت في فرش الرياض ولم يكن ليحوزها مثلي بغير نزول
روضٌ تعاهده السحاب كأنه متعاهدٌ من علم إسمعيل
قِسْهُ إلى الأعراب تعلم أنه أولى من الأعراب بالتفضيل
حازت قبائلهم لغات جُمِّعَتْ فيهم وحاز لغات كل قبيل
فالشرق خال بعده فكأنما نزل الخراب بربعه المأهول
جمعوا بغيبته وموت شيوخه عنهم ولما يظفروا ببديل
مذ جاءهم وهمُ بليل همومهم منه فصاروا في دجى موصول
فكأنه شمسٌ بدت في غربنا وتغرّبت في شرقهم بأفول
يا سيدي هذا ثنائي لم أقلْ زوراً ولا عرَّضتُ بالتنويل[6]

---

(١) السرب : الجماعة .
(٢) الرعيل ـ القطعة من الخيل .
(٣) الأهرت : الأسد .
(٤) الصعيد : التراب .
(٥) المقيل : مكان القيلولة وقت اشتداد الحرّ .
(٦) التنويل : الإعطاء .

من كان يأمل نائلاً فأنا امرؤ   لم أرْجُ غيرَ القربِ في تأميلي

وقوله [من الطويل] :

وإني لأغضي الطرف عنك جلالةً   وخوفاً على خدَّيْك من لحظاتي
ولو أنني أهملت عيني بأن ترى   سناك لحالت دونها عبراتي
رأيت وشاة الكاشحين أباعداً   ولكن دمعي من عديد وشاتي
زعمت بأني حلت عنك ولم أكن   أُعنِّيك في بثّي وفي حسراتي[1]
وهل أنا إلا طالبٌ لمنيتي   إذا حلت عمّن في يديه وفاتي

وقوله [من الطويل] :

عزمت على قتلي بغير تحرّجٍ   شجى بك حتى تقتل الهائم الشجي
ولم يبد سرّي فيك رأيي ، وإنما   تبدّى فراراً من حشىً متوهّج[2]
نحولي ودمعي دبّجاً وجنتي بما   رأت مقلتي من خدك المتدبج
بهاراً ودرّاً هبّت الريح فوقه   بقروٍ فغطّت ورده بالبنفسج[3]

وقال يرثي البلدي الخباز [من الرمل] :

أنا إن رمت سلوّاً   عنك يا قرّة عيني
كنت في الإثم كمن شا   رك في قتل الحسين
لك صولات على قلـ   ـبي دليلات لحيْني
مثل صولات عليٍّ   يوم بدرٍ وحنين

---

(١) حلت عنك : تخلّيت وابتعدت ، أعنّيك : أقصدك .
(٢) لم يبدِ : لم يظهر ، ومتوهّج : متوقّد .
(٣) القرو : القصد والتتبع .

ومن شعره قوله [من الطويل] :

هَبوا أن سجني مانعٌ لوصاله ... فما العذر أيضاً في امتناع خيالهِ ؟
بلى لم تنم عيني فيطرق طيفها ... زوالُ منامي علّةٌ لزوالِهِ

* * *

١٠٤ ـ عبد الملك بن إدريس المعروف بالخريري

له من قصيدة كتب بها إلى ابنه عبد الرحمن من محبسه ، أولها [من الكامل] :

ألوي بعزم تجلّدي وتصبّري ... نأيُ الأحبة واعتياد تذكّري
شحط المزار فلا قرار ونافرتْ ... عيني الهجوع فلا خيالٌ يعتري[١]
أزرى بصبري وهو مشدود القوى ... وألان عودي وهو صلب المكسر
وطوى سروري كلّه وتلذذي ... بالعيش طيٌّ صحيفةٍ لم تنشر
هلاّ بما ألقى الحبيب توهّماً ... بضمير تذكاري وعين تفكّري
وإذا الفتى فقد الشباب سما له ... حب البنين ولا كحبّ الأصغر
عجباً لقلبي يوم راعتنا النوى ... ودنا وداعك كيف لم يتفطّر
ما خلتني أبقى خلافك ساعةً ... لولا السكون إلى أخيك الأكبر
إنسان عيني إن نظرت وساعدي ... مهما بطشت وصاحبي المستوزر
فإذا شكوت إليه شكوى راحةٍ ... ذكّرته فشكا إليَّ بأكثر
أربى عليَّ فحظه ممّا بنا ... حظ المعلَّى من قداح المَيْسر[٢]

ومنها :

واعلم بأن العلم أرفع رتبة ... وأجل مكتسب وأسنى مفخر

---

(١) شحط المزار : بعد ونأى .
(٢) المعلّى : القداح الفائز من الأقداح .

وبضُمَّر الأقلام يبلغ أهلها ما ليس يبلغ بالجياد الضُّمَّرِ
والعلم ليس بنافع أربابه ما لم يفد عملاً وحسن تبصر
فإذا دفعت إلى قرين فابْلُهُ قبل التقارض والتشارك واخْبُرْ
لا يستفزّك منظر حسن بدا حتى تقابله بحسن المخبر
كم من أخ يلقاك منه ظاهر باد سلامته وباطنه وري[1]
واشرح لكل ملمّةٍ صدراً وخذ بالحزم في كلّ الأمور وشمّرِ
واستنصح البرَّ التَّقيَّ وشاور الـ ـفطن الذكي تكن ربيح المتجر
واخزن لسانك واحترس من نطقه واحذر بوادر غيِّه ثم احذر
واصفح عن العوراء إن قيلت وعد بالحلم منك على السفيه المعور
وكل المسيء إلى إساءته ولا تنعقب الباغي ببغيٍ تنصر[2]
فكَفَاك من شرٍّ سماعك خبره وكفاك من خبرٍ قبول المخبر
وإذا سئلت فجد وإن قلّ الجدى جهد المقل إزاء جهد المكثر[3]
واشكر لمن أولاك براً إنّه حقٌّ عليك ولا تكن بالممتري[4]
ليس الحريص بزائدٍ في حرصه بأتمّ حيلته هشيمة إذخر[5]
أو ما رأيت غبيَّ قومٍ موسراً ولبيبهم يشقى بحال المعسر
قد أوعب التكوين كلَّ مكوَّنٍ مذ أحكم التقدير كلّ مقدر
فلوِ ابتغيتَ بكل جهدٍ نيل ما سبق القضاء بمنعه لم تقدر

* * *

(١) الوري : المتضرّم ناراً .
(٢) كِلْ : دعْ واترك .
(٣) الجدى : العطاء .
(٤) الممتري : الشاّك .
(٥) الإذخر : الحشيش الأخضر .

١٠٥ ـ أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج الأندلسي المعروف بالقسطلي

كان بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام ، وهو أحد الفحول . وكان يجيد ما ينظم ويقول ، فمن ذلك قوله من قصيدة يمدح بها محمد بن أبي عامر [من البسيط] :

ما كُفْرُ نعماك من شأني فيثنيني عمَّنْ توالى لنصر الملك والدين
ولا ثنائي وشكري بالوفاء بما أوليتني دون بذل النفس يكفيني
حقٌّ على النفس أن تبلى ولو فنيتْ في شكر أيسر ما أضحيت توليني
ها إنها نعمة ما زال كوكبها إليك في ظلمات الخطب يهديني
تنأى بجوهر ودٍّ غيرِ مبتذلٍ عندي وجوهر حمدٍ غير مكنون[1]
وحبذا النأي عن أهلي وعن وطني في كلّ برٍّ وبحرٍ منك يدنيني
وموقفٍ للنوى أغليت مُتَّئدي فيه وأرخصْتِ دمع الأعين العين
من كلّ نافرةٍ ذلَّت لقود يدي في ثني ما يدك العلياء تحبوني[2]
والخدر يخفق في أحشاء والهةٍ تردّد الشجو في أحشاء محزون
أجاهد الصبر عنها وهي غافلةٌ عن لوعةٍ في الحشى منها تناجيني
يا هذه كيف أعطي الشوق طاعته وهذه طاعة المنصور تدعوني
شدّي عليَّ نجاد السيف أجعله ضجيع جنب نبا عن مضجع الهون[3]
رضيت منها وشيك الشوق لي عوضاً وقلت فيها للوعات الأسى بيني[4]
فإن تشجَّ تباريح الهوى كبدي فقد تعوضْت قرباً منك يأسوني

(١) مكنون : مستتر .
(٢) النافرة : الشاردة ، وذلّت : انقادت .
(٣) الهون : الذل والصغار .
(٤) بيني : أي أبعدي .

وإن يمت موقف التوديع مصطبري — فأحرِ لي بدنوٍّ منك يحييني
أو أفرط الحظ من نعماك منقلب — من الوفاء بحظٍّ فيك مغبون
وخازنٌ عنك نفسي في هواجرها — وليس جودك عن كفّي بمخزون
وأي ظلٍّ سوى نعماك يلحقني — أو ورد ماء سوى جدواك يرويني
وحاش للخيل أن تزهى عليَّ بها — والبيض والسمر أن تحظى بها دوني
وربما كنت أمضي في مكارهها — قدماً وأثبت في أهوالها الجون
من كلِّ أبيض ماضي الغرب ذي شطبٍ — وكل لدنٍ طرير الحدِّ مسنون
كذاك شأوي مفدى في رضاك إذا — سعيت فيه فلا ساعٍ يباريني[1]
لكنْ سهام من الأقدار ما برحت — على مراصد ذاك الماء ترميني
يحملن للروْع أسداً في فرائسها — تمدُّ للطعن أمثال الثعابين
والبيض تحت ظلال النقع لامعة — تغلغل الماء في ظل الرياحين[2]
حتى يحوزوا لك الأرض التي اعترفت — بملك آبائك الشم العرانين
حيث استبوا فارساً والروم واعتوروا — رقَّ الأساور منهم والدهاقين[3]

وقوله من قصيدة أولها [من البسيط] :

لولا التحرج لم يحجب محياك

وحشية اللفظ هل يودي قتيلكم ؟ — دمي مضاعٌ وجاني ذاك عيناكِ[4]
إني أراك بقتل النفس حاذقة — قولي فديتك : من بالقتل أوصاك ؟
ما لي وللبرق أستسقيه من ظمأٍ — هيهات لا ريَّ إلاّ من ثناياك
لولا الضلوع لظل القلب نحوكمُ — ضعي بعيشك فوق القلب يمناك

---

(١) شأوي : مداي وحالي .
(٢) النقع : الغبار .
(٣) اعتوروا : امتلكوا ، ورقّ الأساور : أي نساءهم والدهاقين : السادة والأمراء .
(٤) يودي : تعطي عنه دية ، والجاني : الفاعل والقاتل .

أصليتنــي لوعــة الهجــران ظالمةً رحمـاكَ من لوعــة الهجـران رحماك
أظــنُّ عزمــك أن أخفــي لأسلوكم حلّــي غريمــي إنــي لســت أسلاك
حاشاك أن تجمعي حسن الصفات إلى قبـح الصــنيع بمــن يهـواك حاشاك
إن كان واديك ممنوعــاً فموعدنا وادي الــكرى فلعلِّــي فيه ألقاك
ظبـيٌ وقلــبٌ فمــن لي أن أصيدهما ضاع الفـؤاد وقلــب الظبــي أشراكي

وقوله [من الوافر] :

أصــخْ نحــوي لدعــوة مستقيل ينـادي من غيابــات الخمـولِ[1]
رهينــة كلّ همٍّ مستكنٍ ونهــزة كلّ خطـب مستطيل[2]
ومأمــونٌ علــى ظلــم الأعادي ونــوَّامٌ علــى ثوب الذحول[3]
ترانــي منــك في همــمٍ صحاحٍ نكصْــن على دجـى خطـبٍ عليل[4]
ولــكن رُبَّ دهـر ساورتني غوائلــه علـى نهـج السبيل
مظاهــر لأمتَــيْ بغــيٍ ومكرٍ ومصلــت صارمَــيْ قالٍ وقيل[5]
ورامٍ عن قســيِّ الغــلِّ نبلاً أصبْــن مقــاتـل الأدب النبيل
أبــا وبنين عن عرضٍ منيعٍ لقــد أجلين عن أمـل قتيل
فكان كأنــه جفــن سخين أســال دمــاً علــى خد أسيل
ومضطــرم الحشــى داءً دوياً تنفّس منــه عن سيفٍ صقيل
فتلك معالمــي علــم الرزايا وتلك وسائلــي درج السيـول
وتلك مراتــب الأخطــار مني حمائــم تنتحبــن علــى هديل

---

(١) أصخ : استمع وانتبه .
(٢) النهزة : الفرصة .
(٣) النوب : المصائب ، والذحول : الحقد والثأر والعداوة .
(٤) نكصن : تراجعن واحجمن .
(٥) اللأمة : الحاجة ، ولأم الشيء : جمعه .

لعـل رضـاك يا منصـور يوماً يحـلّ بسـاحتي عمّـا قليل
ويقـرع منـك أسمـاع المعالي لنـا بعثـار عبـدٍ مستقيل[1]
إليك جلـوت أبـكار المعاني معـاذيراً بلألاء القبـول[2]
سوارٍ في الظـلام بلا نجومٍ هوادٍ في الفـلاة بلا دليل[3]

وقوله من أخرى [من الطويل] :

إليك شحنّـا الفُلْكَ تهـوي كأنها وقد ذعرت عن مغرب الشمس غربانُ
علـى لججٍ خضـرٍ إذا هبـت الصَّبا ترامـى بنـا فيهـا ثبير وثهلانُ[4]
وإن سكنـت عنّـا الـرياح جرى بنا زفيرٌ إلـى ذكر الأحبـة حنّان[5]
يقلن ومـوج البحـر والهـمّ والدجا تمـوج بنـا فيهـا عيون وآذان
ألا هل إلـى الـدنيا معـادٌ وهـل لنا سوى البحر قبرٌ أو سوى المـاء أكفان
وهبنـا رأينـا معلـم الأرض هل لنا من الأرض مأوى أو من الإنس عرفان
هوت أمهـم ماذا هوت برجالهم إلـى نازح الآفـاق سفْـنٌ وأظعان
كواكب إلا أن أفـلاك سيرها زمـامٌ ورحـلٌ ، أو شراع وسكان
فإن غربـت أرض المغـارب موئلي وأنكرنـي فيهـا خليطٌ وخلاّن[6]
فكم رحبـت أرض العـراق بمقدمي وأجزلـت البشـرى علـى خراسان
وإنّ بلاداً أخرجتنـي لعاطلٌ وإن زمانـاً خان عهـدي لخوّان
سلامٌ علـى الإخـوان تسـليم آيسٍ وسَـقياً لدهـر كان لي فيه إخوان[7]

---

(١) العثار : ما عثر به واطلع عليه والمستقيل : فقير .
(٢) أبكار المعاني : أي القصائد البكر .
(٣) هوادٍ : أي مهتديات .
(٤) ثبير وثهلان : من الجبال .
(٥) الزفير : يعني به الشوق ، لأنّ المتشوق يكثر من التأوّه والزفرات الطويلة .
(٦) الخليط : المجالس والمساكن ، والخلاّن : الأصحاب .
(٧) آيس : قانط ويائس ، وسقياً : هي للدعاء .

فلا مؤنسٌ إلاّ شهيقٌ وزفرةٌ ... ولا مسعدٌ إلا دموع وأجفان

وما كان ذاك البين بين أحبةٍ ... ولكن قلوب فارقتهنّ أبدان

فيا عجباً للصبر منا كأننا ... لهم غير من كنا وهم غير من كانوا

مضى عيشهم بعدي وعيشي بعدهم ... كأنيَ قد خنت الوفاء وقد خانوا

وأفجع من آوى صفيح وجلمد ... ووازت رمال بالفلاة وكثبان

وجوه تناءت في البلاد قبورها ... وإنهمُ في القلب منّي لسكان

وما بليت في الترب إلا تجدّدتْ ... عليها من القلب المفجّع أحزان

ومنها :

وأوردتْها يوم اللقاء فراته ... كما انصرفَتْ يوم الهباءة ذبيانُ(1)

بكل كميٍّ عامريٍّ يسوقه ... لحرّ الوغى قلب على الدين حرّان

حليهمُ بيض الصّوارم والقنا ... لها وحلاها سابغات وأبدان

فيا ذل أعلام الهدى يوم عزّهم ... ويا عزّ أعلام الهدى بك إذ هانوا

حفرت لهم في يوم ثبرةَ بالقنا ... قبوراً هواء الأرض منهنّ ملآن(2)

يطير بهم بازٍ ونسرٌ وناعبٌ ... ويغدو بهم ذئبٌ رميحٌ وسرحان(3)

فلو نشر الأملاك يومك فيهم ... لألقى إليك التاج كسرى وخاقان(4)

ولو رد في المنصور روح حياته ... غداة لقيت الموت والموت غرثان(5)

وناديت في الهيجاء أبناء ملكه ... فلبّاك آساد عبيدٌ وفتيانُ

جبالٌ إذا أرسيتها حومة الوغى ... وإن تدْعُهَا يوماً إليك فعقبان

يقودهمُ داعٍ إلى الحق مجلبٍ ... على البغي يرضى ربه وهو غضبان

---

(1) يوم الهباءة : أحد أيام العرب ، نصرت فيه قيس على فزارة وذبيان .

(2) يوم ثبرة : أحد أيام العرب ، والقنا : الرماح .

(3) الناعب : الغراب ، والرميح : السريع ، الخفيف والسرحان : الذئب .

(4) الخاقان : من القاب الملوك عند المغول .

(5) غرثان : جوعان .

وأسمر يسري في بحارٍ من الندى بكفك لكنْ يغتدي وهو ظمآن

تلألأ نوراً من سناك سنانه وقد دعتِ الفرسان للحرب فرسان

فحيّاك من أحييت منه شمائلا يموت بها في الأرض ظلمٌ وعدوان

وناداك إسراراً وناداك معلناً وحسب المعالي منه سرٌّ وإعلان

ألا هكذا فليحفظ العهد حافظ ألا هكذا فليخلف الملك سلطان

فلله ماذا أنجبتْ منك عامرٌ ولله ماذا ناسبتْ منك قحطان

ولله منّا أهل بيتٍ رمتهم إلى يدك العليا بحورٌ وبلدان

فما قصرت بي عن علاك شفاعةٌ ولا بك عن مثلي جزاء وإحسان

وقوله من أخرى [من الخفيف] :

بشّر الخيل يوم كرّ الطراد وظبا الهند عند حرّ الجلادِ[1]

وسماء العلا بنجم المساعي ورياض المنى بصوب الغوادي

ثم واف القصور من ملك بصرى بالمشيدات من ذرى شدّاد

ثم ناد الأذواء عن ذي الرياسا ت نداءً يصغي له كلّ ناد[2]

وصلتكمْ أرحام ملكٍ نمتكمْ من كرام الأملاك والأجواد

وهناكمْ منصور كم من نجيب في مساعٍ جلتْ عن الأنداد

بلغت مجدكم نجوم الثريا ومساعيكمُ أقاصي البلاد

ونما منكمُ إلى الملك سيف نافذ الحكم في رقاب الأعادي

بسمات أهدت لكم هدى هودٍ وبحلم أعاد أحلام عاد

وأنارت به نجوم المعالي وأنار الدنيا ببيض الأيادي

وهو في المنجبين أعلى وأزكى والد أنت أكرم الأولاد

قمرٌ في مطالع الملك أوفى طالعاً والمنى على ميعاد

---

(١) كرّ الطراد : من المطاردة ، وتكون أثناء الصيد وأثناء الحرب ، والظبا : الحدّ .

(٢) الأذواء : ملوك اليمن الذين في صدور ألقابهم « ذو » ومنهم « ذو نواس » ملك الدولة الحميرية .

وتلاقت زهْرُ النجوم عليه بسُعود الجُدود والأجداد

وسما للإسلام باسم أبيه وانتحى باسم جدِّهِ للأعادي

هو للبين بالحياة بشيرٌ وهو للشرك منذرٌ بالبواد

سابق الشأو لم يؤخّر مداه عن مداكم تأخّر الميلاد

ولدته الحروب منكم تماماً فارس الخيل فارس الآساد

فاكتسى الدين منه ثوب سرورٍ وصليب الضلال ثوب حداد

فهنيئاً للتاج أيّ جبينٍ عنده أيّ عاتقٍ للنجاد[1]

وهنيئاً لنا وللدين والدنـ ـيا وللبيض والقنا والجياد

وغريبٍ تهوي به كلّ أرضٍ وشريدٍ ينبو به كل وادي

وهنيئاً لطيءٍ ولهمْدا ن ولخمٍ وكندةٍ وإيادِ[2]

وله من أخرى يرثي بها أم هشام المؤيد بالله [من المتقارب] :

بقاء الخلائق رهن الفناء وقصر التداني وشيك التنائي

لقد حلّ من يومه لاقتراب وقد حان من عمره لانتهاء

هل الملك يملك ريب المنون أم العزّ يصرف صرف القضاء

أرى الموت يصدع شمل الجميع ويكسو الربوع ثياب العفاء[3]

يبيد الحياة ببطشٍ شديدٍ ويلقي النفوس بداءٍ عياء

ألم تر كيف استباحت يداه حريم الملوك وعلّق النساء[4]

هو الرزء أودى بعزم الملوك مصاباً وأودى بحسن العزاء

فما في العويل له من كفاءٍ ولا في الدموع له من شفاء

(١) العاتق : ما بين المنكب والعنق .

(٢) أسماء قبائل عربية .

(٣) العفاء : الغناء .

(٤) العلق : النفيس من كلّ شيء .

فهيهـات فيه غنـاء الزفير ... وهيهـات فيه انتصـار البكاء
وأنّـى يدافـع سقـم بسقم ؟؟ ... وكيف يعالـج داءً بداء ؟
فتلك مآقـي جفـون رواء ... مفجَّـرة من قلـوبٍ ظماء
فـلا صدر إلاّ حريقٌ بنار ... ولا جفـن إلا غريق بماء
فقـد كاد يصـدع صمّ السلام ... ويضـرم نار الأسـى في الهواء
وجيب القلـوب وشـق الجيوب ... وشجـو النحيب ولهف النداء
فمـن مقلـة شرقـتْ بالدموع ... ومـن وجنـة غرقـت بالدماء
وسافـرةٍ من قناع الحياء ... ونابـذةٍ صبـرهـا بالعـراء
وبيضٍ صَبغْـن بلـون الحدا ... د حمـرَ البـرود وبيضَ الملاء
أنَجمـاً هوى من سمـاء المعالي ... لتبـكِ عليك نجـومُ السماء
وحاشـا لرزئـك أن يقتضيه ... عويلُ الرجـال ولـدم النساء[1]
لبيض أياديك في الصالحات ... تمسّـك وجـه الضحـى بالضياء
فقل لفقيدك أن يحتبي ... عليك الصبـاح بثـوب المساء[2]

ومنها :

لئـن حجبـتْ تحـت ردم اللحود ... ومـن قبـل في شرفـات العلاء
فتلك مآثرهـا في التقى ... وبـذل اللهـى ما بهـا من خفاء[3]
جـزاك بأعمـالـك الزاكيـا ... ت خير المجـازين خير الجزاء
ولُقِّيتَ من ضَنْـكِ ذاك الضريح ... نسيم النعيم وطيب الثواء

---

(١) اللدم : اللطم .
(٢) احتبى : اشتمل والتفّ .
(٣) اللهى : العطايا ، ومن أمثالهم : « اللها تفتح اللها » يريدون أنّ العطايا تفتح الفمّ بالثناء على المعطي .

وقوله أيضاً [من الطويل] :

لك الله بالنصر العزيز كفيل ... أجدٌّ مقام أم أجدٌّ رحيلُ
هو الفتح أمّا يومه فمعجّلٌ ... إليك ، وأما صنعه فجزيل
وآيات نصر ما تزال ولم تزل ... بهن عمايات الضلال تزول
سيوفٌ تنير الحق أنّي انتضيتها ... وخيلٌ يجول النصر حيث تجول
ألا في سبيل الله غزوك من غوى ... وضلّ به في الناكثين سبيل
لئن صدئت ألباب قوم بمكرهم ... فسيف الهدى في راحتيك صقيل
فإن يحى فيهم مكر جالوت جدّهم ... فأحجار داودٍ لديك مثول[1]
خفيفٌ على ظهر الجواد إذا عدا ... ولكن على صدر الكميّ ثقيل
وجرداء لم تبخل يداها بغاية ... ولا كرهاً نحو الطعان بخيل[2]
لها من خوافي لقوة الجوّ أربعٌ ... وكشحان من ظبي الفلا وتليل[3]
وبيض تركن الشرك في كل منتأى ... فلولا وما أزري بهن فلول
تمور دماء الكفر في شفراتها ... ويرجع عنها الطرف وهو كليل
وأسمر ظمآن الكعوب كأنما ... بهن إلى شرب الدماء غليل
إذا ما هوى للطعن أيقنت أنه ... لصرف الردى نحو النفوس رسول
وحنّانة الأوتار في كلّ مهجةٍ ... تعاصيك أوتارٌ لها وذحول[4]
إذا نبعها عنها أرنّ فإنما ... صداه نحيبٌ في العدى وعويل
كتائب عز النصر في جنباتها ... وكلّ عزيزٍ يمّمته ذليل

(١) جالوت : أحد الملوك الكفرة قتله طالوت وقد ورد ذكره في القرآن الكريم .

(٢) الجرداء : كناية عن الفرس .

(٣) الخوافي : الريش الصغار التي تلي القوادم في مقدّمة الجناح . ولقوة الجوّ : العقاب السريعة . . والكشحان : يعني عظام الصدر ، والتليل : العنق .

(٤) الذحول : الثأر والحقد والعداوة .

يسير بهـا في البـرّ والبحـر قائدٌ يسيرٌ عليه الخطـب وهـو جليل[1]
جوادٌ له من بهجـة العـزّ غرةٌ ومـن شيم الفضـل المبين حجول
به أمـن الإسـلام شرقـاً ومغرباً وغالـت غوايات الضلالـة غول[2]
حسـامٌ لداء المـكر والغـدر حاسم وظـلٌّ علـى الـدين الحنيف ظليل
إذا انشق ليل الحرب عن صبح وجهه فقـد حان من يوم الضـلال أفول[3]
كريم التأنـي في عقـاب جناته ولكنْ إلـى صوت الصـريخ عجول[4]
وأيقـن باغٍ حتفـه أنّ أمه ـ وقدامـه الليث الهصـور ـ هبول[5]

وله أيضاً [من الكامل] :

اليوم أبهجـتِ المنـى أبهاجها وتوسّطـتْ شمس الضحـى أبراجَها
ما للـوزارة لا تضـيء لنـا وقد أضحـى سراج العـالمين سراجها
شمسٌ تبـدَّتْ في ذوائـب يعربٍ ركبت إلـى الرُّتـب العـلا معراجها
لم تنتقـل قدمـاً لأول منزل للمجـد حتـى استقبلـت منهاجها
أنجبتـهُ ذخـر الخلافـة إن شكتْ ألمـاً تضمَّـن برءهـا وعلاجها
وسللتـه سيفـاً لكلّ ملمّةٍ يفـري بأول ضربـة أوداجها[6]
فنظمـتَ في جيد الـوزارة عقدها وعقـدت في رأس الرياسـة تاجها
والخيل جانحـة إليـه كلما رفـع اللـواء وأوجفـت أسراجها
يا قبلـةً للآمليـن وكعبـةً تدعـو بحـيٍّ علـى النـدى حجاجها
أنـت الـذي فرَّجْـتَ عنّـي كربةً لله قد شدّت علـيَّ رتاجها[7]

(١) ورد عجز البيت غير مستقيم الوزن على هذه الصورة يسير على الخطب وهو جليل » فأصلح .
(٢) غالت : دهت وأهلكت .
(٣) الأفول : الغروب .
(٤) الصريخ : المستغيث .
(٥) هبول : ثاكل .
(٦) الملمّة : الحادثة ، ويفري : يقطع ، وَالأوداج : يعني بها الأعناق حيث تكون الأوداج والعروق .
(٧) الرتاج : الباب ، وأرتج الباب : أقفله وغلقه .

وجلوت عن قلق المنى من ليلةٍ　　طاولت في ظلم الأسى إدلاجها[1]
وسقيتني من جود كفك منعماً　　كأساً وجدت من الحياة مزاجها
فلألبسن الدهر فيك ملابساً　　للحمد أحكم منطقي ديباجها
ما عاقب الليل النهار ورجَّعتْ　　ورق الحمائم بالضحى أهزاجها

وقوله من قصيدة أخرى [من المتقارب] :

دعيتَ فأصغ لداعي الطرب　　وطاب لك الدهر فاشرب وطبْ
فهذا بشير الربيع الجديد　　يبشّرنا أنه قد قرب
بهار يروق بمسك ذكيٍّ　　وصبغٍ بديعٍ وخلقٍ عجب
غصون الزبرجد قد أورقت　　لنا فضّةً نوّرت بالذهب
فمن حقّها أن ترى الشاربين　　وقد نفقت سوقهم بالنخب
وأن تسألوا الله طول البقاء　　لعبد المليك مليك العرب
فلولا محاسنه لم ترق　　ولولا شمائله لم تطب

وقوله [من الطويل] :

ألم تعلمي أن الثّواء هو النوى　　وأن بيوت العاجزين قبور
ولم تزجري طير السرى بحروفها　　فتنبيك إن يمَّنَّ فهو سرور[2]
يخوّفني طول السفار وإنه　　لتقبيل كف العامري سفير
ذريني أردْ ماءَ المفاوزِ آجناً　　إلى حيث ماءُ المكرمات نمير[3]
وأختلسِ الأيام خِلسة فاتكٍ　　إلى حيث لي من عَدْوهن خفير
فإن خطيرات المهالك ضُمَّنٌ　　لراكبها أن الجزاء خطير
ولما تدانت للوداع وقد هفا　　بصبريَ منها أنَّة وزفير

---

(١) الإدلاج : الظلمة .

(٢) زجر الطير: التفاؤل أو التشاؤم بها، ويمّن: سرن يميناً حيث يكون التفاؤل أمّا السير شمالاً فهو للتشاؤم.

(٣) المفاوز : الأرض الكثيرة الهلكة ، والآجن : المتغير والنمير : الصافي .

تناشدني عهد المودة والهوى ... وفي المهد مبغوم النداء صغير[1]

عيي بمرجوع الخطاب ، ولفظه ... بموضع أهواء النفوس خبير

تبوأ ممنوع القلوب ، ومهّدت ... له أذرع محفوفةٌ ونحور

عصيت شفيع النفس فيه وقادني ... رواحٌ لتدآب السرى وبكور

وطار جناح البين بي وهفتْ بها ... جوانح من ذعر الفراق تطير

لئن ودّعت مني غيوراً فإنني ... على عزمتي من شجوها لغيور

وما شاهدتني والضواحك تلتظي ... عليَّ ورقراق السراب يمور[2]

أسلّط حر الهاجرات إذا سطا ... على حر وجهي ، والأصيل هجير

وأستنشق النكباء وهي نوازحٌ ... وأستمطيء الرمضاء وهي تفور[3]

وللموت في عين الجبان تلون ... وللذعر في سمع الجريء صفير

ولو شاهدتني والسُّرى جل عزمتي ... وجرسي لجنان الفلاة سمير

وأعتسف الموماة في غسق الدجا ... وللأُسْد في غيل الغياض زئير[4]

أميرٌ على غول التنائف ما له ... إذا ريع ، إلا المشرفيّ ، وزير[5]

وقد خليتْ طرق المجرة أنها ... على مفرق الليل البهيم قتير

ودارت نجوم القطب حتى كأنها ... كؤوس طلا والى بهن مدير[6]

لقد أيقنت أنّ المنى طوع همتي ... وأنّي بعطف العامريّ جدير

وأنّي بذكراه لهمِّيَ زاجرٌ ... وأني منه للخطوب نذير

تلاقت عليه من تميمٍ ويعربٍ ... شموسٌ تلالا في العلا وبدور

---

(١) المبغوم : الخفي صوته الذي لا يفهم .

(٢) الضواحك : حجارة براقة .

(٣) استمطيء : أي أمتطي وأسير، والرمضاء: الحرّ الشديد .

(٤) الموماة : الصحراء المقفرة ، وغيل الغياض : أي الشجر الكثير الملتف .

(٥) التنائف : جمع تنوفة وهي المفازة والغلاة .

(٦) الطلا : الخمر ، ووالى : دار بها على الشاربين .

من الحميريين الـذين أكُفُّهـمْ سحائـب تهمـى بالنـدى وبحور
همُ صدّقـوا بالوحـي حين أتاهم ومـا النـاس إلاّ عابـدٌ وكفور
مناقب يعيا الـوصف عن كنـه قدرها ويرجـع عنهـا الوهـم وهـو حسير
ألا كلّ مدحٍ عن نداك مقصر وكلّ رجـاءٍ في سواك غرور
ولمـا تراءوا للسـلام ورُفِّعتْ عن الشـمس في أفـق الشـروق ستور
وقـد قام من زرق الأسنـة دونه صفـوف ومـن بيض السيوف سطور
رأوْا طاعـةَ الرحمـن كيف اعتزازُها وآياتِ صنـعِ الله كيف تنير
وكيف استوى بالبـدر والبحـر مجلس وقـام بعـبء الـراسيات سرير
يقولـون والأوجـال تخـرس ألسناً وحـارت عيون منهـم وصدور[1]
لقـد حاط أعـلام الهـدى بك حائطٌ وقـدّر فيك المكرمـات قديـر

ومنها :

أثرني لخطـب الدهـر والدهـر معضلٌ وكِلْني لِليْثِ الغـاب وهـو هصورُ[2]
وقـد تخفض الأسمـاء وهـي سواكنٌ ويعمـل في الفعـل الصـحيح ضمير
وتنبـو الـردينيات والطـول وافرٌ ويبعـد وقـع السهـم وهـو قصير[3]

وقوله من أخرى [من الكامل] :

أوجعـت خيلـي في الهـوى وركابي وقذفـت نبلـي في الصبـا وحرابي
وسللـت في سبـل الغـواية صارماً عضبـاً ترقـرقُ فيه ماء شبابي[4]
ورفعـت للشـوق المبـرّح راية خفّاقـة بهزائـج الأطـراب[5]

---

(١) الأوجال : المخاوف .
(٢) الهصور : الشديد الفتك .
(٣) تنبو : تخطىء ، والردينيات : الرماح .
(٤) العضب : السيف القاطع .
(٥) أراد بهزائج الأطراب : الأناشيد التي تقال عند الطرب ، وكأنما سمّيت بذلك لأنها تكون من وزن بحر الهزج .

ولبســت للّــوّام لأمة خالعٍ ... مسـرودةٍ بصبــابـةٍ وتصابـي[1]
وبــرزت للشــكوى بشــكّة مُعْلمٍ ... نكص المـلام بها علـى الأعقاب[2]
فاســأل كَمِــيَّ الوجـد كيف أثرته ... بغــروب دمــعٍ صائــب التكساب
واســأل جنــود العــذل كيف لقيتها ... في جحفــل البرحــاء والأوصاب[3]
ولقـد كررت علـى المـلام بزفرةٍ ... ذهــل العتــاب بهــا عن الإعتـاب
حتــى تركت العــاذلين لمـا بهم ... شغفــاً بحــبّ التــاركيَّ لمــا بي
من كلّ ممنــوع اللقــاء آغتاله ... صرف النــوى فنــأى به ودنــا بي
حتى افتتحت علـى الأحبـة معقلاً ... وعــر المســالك مقفــل الأبواب
ووقفــت موقف عاشــق حلّــتْ له ... فيــه غنيمــة كاعــب وكعاب
بحدائــقِ الحــدق التي أفنينني ... بأحــدٍّ من سيفـي ومــن نشّابي
فيَ روضــةٍ جاد النعيم نباتها ... فتفتحــت بكواعــبٍ أتــراب
من كلّ مغنــومٍ لقلبــي غانمٍ ... عشقــاً ومسبــيٍّ لعقلـي سابي
في جنــح ليلٍ كالغــراب أطــار لي ... عن ملتقــى الأحبــاب كلّ غـراب
وجــلا لعينــي كلّ بدرٍ طالعٍ ... قَمِــنٍ بهتــك حجــابه وحجابي[4]
جاب الظــلام فلــم يدع من دجنه ... إلا غدائــر شعــره المنجـاب[5]
فظللــت بين صبابــة وظلامة ... مغـري الجفـون بطرفه المغــري بي
فإذا كتبــت بناظــري في قلبه ... أخفــى فخــطّ بناظـريه جوابـي
وإذا سقانــي من عقــار جفونه ... أبقــى علــيَّ فشــجها برضاب
وسلافــة الأعنــاب توقــد نارها ... تهــدي إلــيَّ بيانــع العناب

---

(١) اللأمة : الدرع . والمسرودة : المصنوعة .
(٢) الشكّة : السلاح . ونكص : تراجع وفرّ .
(٣) البرحاء والأوصاب : الآلام والأمراض الموجعة .
(٤) قمِنٍ : جدير . وهنك الحجاب : نزعه .
(٥) الدجن : الظلام .

فســكِرْتُ والأيام تسلــب جدَّتي والدهــر ينســج لي ثياب سلابي[1]
سكريْن من خمــرٍ كأنّ خمارها فقــد الشبــاب وفرقــة الأحباب[2]
لمــدى تناهــى في الغــواية فانتهى فينــا إلــى أجــلٍ له وكتاب

ومنها :

وشــملتنــي بشمــائــلٍ أذكرنني في طيبهــا طوبــى وحســن مآب[3]
ورضــاك ردَّ ليَ الرّضــا في أوجه من جور أيام علــيٍّ غضاب
وهــداك أشــرق لي وليلــي مظلم وسنــاك أبــرق لي وزنــدي كابي[4]
فحللــت منــه خير دار مقامةٍ وثــويت منــه في أعــزّ رحاب
وأسمــت في أزكى البقــاع صوافني وضربــت في أعلــى البقــاع قبابي[5]
وشــويت للأضياف لحــم ركائبي في نار أحلاســي وفــي أقتابي[6]
ولقــد كســوت برغــم دهــرٍ ضامني ما أخلقــتْ عصــراه من أثوابي

وقوله يصف الهلال [من الرجز] :

وَمَحَــقَ الشهــرُ كمــالَ البدرِ فلاحَ في أولــى الصبــاح النّضرِ
كأنه قرطٌ بأُذْنِ الفجرِ

(١) الجدّة : قدرتي وترفي ، أو ثيابي .
(٢) الخمار : وقع الخمر وأثره .
(٣) طوبى : جنة الخلد ، أو يثرب مدينة الرسول .
(٤) الزند الكابي : الذي لا يورى ولا يخرج ناراً .
(٥) أسمت : أحللت . والصوافن : الخيل .
(٦) الحلس : ما يوضع تحت البرذعة ونحوها، والأقتاب : الرّحل



البـــاب العاشـــر

في ذكر شعراء الموصل وغرر أشعارهم

١٠٦ ـ فمنهم السري بن أحمد الكندي المعروف بالرفاء

السري وما أدراك من السري ؟ صاحب سر الشعر . الجامع بين نظم عقود الدر ، والنفث في عقد السحر ، ولله دره ما أعذب بحره ، وأصفى قطره ، وأعجب أمره ! وقد أخرجت من شعره ما يكتب على جبهة الدهر ، ويعلق في كعبة الفكر. فكتبت منه محاسن وملحاً ، وبدائع وطرفاً ، كأنها أطواق الحمام ، وصدور البزاة البيض ، وأجنحة الطواويس ، وسوالف الغزلان ، ونهود العذارى الحسان ، وغمزات الحدق الملاح ، وبدأت بصدر من أخباره ، وبطرف لأشعاره .

بلغني أنه أسلم صبياً في الرفائين بالموصل ، فكان يرفو[1] ويطرز إلى أن قضى باكورة الشباب ، وتكسب بالشعر . ومما يدل على ذلك ما قرأته بخطه ، وذكر ان صديقاً له كتب إليه يسأله عن خبره وهو بالموصل في سوق البزازين يطرز ، فكتب إليه [من السريع] :

يكفيك من جملة أخباري ... يُسري من الحب وإعساري
في سوقةٍ أفضلهم مرتدٍ ... نقصاً ، ففضلي بينهم عاري[2]

---

(١) يرفو : أي يصلح الثوب من شقّ وغيره .

(٢) مرتد : لابس .

وكانــت الإبـرة فيمـا مضى صائنـةً وجهــي وأشعـاري
فأصبــح الــرزق بهـا ضيِّقاً كأنّــه مـن ثقبهــا جـاري

وهذه الأبيات ليست في ديوان شعره الذي في أيدي الناس ، وإنما هي في مجلدة بخط السري استصحبها أبو نصر سهل بن المرزبان من بغداد ، وهي عنده الآن ، وكل خبر عندنا من عنده .

ولما جد السري في خدمة الأدب وانتقل عن تطـريز الثياب ، إلـى تطـريز الكتاب ، فشعر بجودة شعره ، ونابذ الخالديين الموصليين وناصبهما العـداوة ، وادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره ، وجعل يورق وينسخ ديوان شعر أبي الفتح كشاجم ، وهو إذ ذاك ريحـان أهـل الأدب بتلك البـلاد ، والسـري في طريقـه يذهب ، وعلى قالبه يضـرب ، وكان يدس فيمـا يكتبـه من شعـره أحسـن شعـر الخالديين ، ليزيد في حجم ما ينسخه ، وينفق سوقه ، ويغلي سعره ، ويشنـع بذلك على الخالديين ، ويغض منهما ، ويظهر مصداق قوله في سرقتهما ، فمن هذه الجبهة وقعت في بعض النسخ من ديوان كشاجم زيادات ليست في الأصول المشهورة منها ، وقد وجدتها كلها للخالديين بخط أحدهما ، وهو أبو عثمان سعيد ابن هاشم . في مجلدة أتحف بها الوراق المعروف بالطرسوسي ببغداد أبـا نصـر سهل بن المرزبان وأنفذها الى نيسابور في جملة ما حصل عليه من طرائف الكتب باسمه ، ومنها وجدت الضالة المنشودة من شعر الخالدي المذكور وأخيه أبي بكر محمد بن هاشم ، ورأيت فيها أبياتاً كتبها أبو عثمان لنفسه ، وأخرى كتبها لأخيه ، وهي بأعيانها للسري بخطه في المجلدة المذكورة لأبي نصـر ، فمنهـا أبيات في وصف الثلج واستهداء النبيذ [من البسيط] :

يا من أناملــه كالعــارض الساري وفعلــه أبــداً عارٍ من العارِ
أمــا ترى الثلــج قد خاطــت أنامله ثوبــاً يزرّ علـى الـدنيا بـأزرار
نارٌ ولكنهــا ليســت بمبديةٍ نوراً ، ومــاءٌ ولــكن ليس بالجاري

والــراح قد أعوزتنــا في صبيحتنا بيعــاً ولــو وزْن دينــارٍ بدينار
فامنــن بمـا شئــت من راحٍ يكون لنا ناراً فإنّــا بلا راحٍ ولا نار[1]

ومن قوله أيضاً [من الوافر] :

ألــذُّ العيش إتيان الصبيح وعصيـان النصيحــة والنصيحِ
وإصــغــاءٌ إلــى وترٍ وناي ٍ إذا ناحـا علــى زقٍّ جريـح[2]
غــداةَ دجنَّـةٍ وطفــاءَ تبكي إلى ضحـكٍ مـن الزهـر المليح[3]
وقــد حديت قلائصهــا الحيارى بحــادٍ من رواعدهــا فصيح[4]
وبــرقٍ مثــل حاشيتــي رداءٍ جديدٍ مذهــبٍ في يوم ريح

هكذا بخط السري ، والذي بخط الخالدي « حاشيتي لواء » ، ولست أدري أأنسب هذه الحال إلى التوارد أم إلى المصالتة ، وكيف جرى الأمر فبينهم مناسبة عجيبة ، ومماثلة قريبة في تصريف أعنة القوافي وصياغة حلى المعاني .

وأنا أجعل فصلاً لشعر السري في ذكر سرقتهما منه وغارتهما عليه ، ثم أسوق غرر الخالديين مع نبذ من أخبارهما إذا فرغت من قضاء حق السري بإذن الله تعالى ومشيئته .

ولم يزل السري في ضنك من العيش إلى أن خرج إلى حلب واتصل بسيف الدولة ، واستكثر من المدح له ، فطلع سعده بعـد الأفـول ، وبعـد صيتـه بعـد الخمول ، وحسن موقع شعره عند الأمراء من بني حمدان ورؤساء الشام والعراق . ولما توفي سيف الدولة ورد السـري بغـداد ، ومـدح المهلبـي الـوزير وغيره من

---

(١) الراح : الخمر .
(٢) الزق : وعاء الخمر ، الدنّ .
(٣) الوطفاء : الممطرة التي تدلّت ذيولها .
(٤) حديت : سيقت ، والقلائص : النوق .

الصدور ، فارتفق بهم ، وارتزق معهم ، وحسنت حاله ، وسار شعره في الآفاق ونظم حاشيتي الشام والعراق ، وسافر كلامه إلى خراسان وسائر البلدان ، وكنت أحسب أنني استغرقت شعره لجمعي فيه بين لمع أنشدنيها وأنسخنيها أبو بكر الخوارزمي أولاً ، وبين ديوان شعره المجلوب من بغداد ، وهو أول ما رأيته مما أنفذه أبو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمي من بغداد إلى أبي بكر وبين المجلدة بخط السري التي وقعت إلي من جهة أبي نصر وفيها زيادات كثيرة على ما في الديوان . فقرأت في كتاب الوساطة للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني أبياتاً أنشدها للسري في جملة ما أنشده لأكابر الشعراء مما يتضمن الاستعارة الحسنة مع إحكام الصنعة . وعذوبة اللفظ ، وهي : [من الطويل] :

أقول لحنّان العشاء المغرّد ... يهزّ صفيح البارق المتوقّدِ[1]
تبسم عن ريٍّ البلاد صبيبه ... ولم يتبسم إلاّ لإنجاز موعد

ومنها [من الطويل] :

ويا ديرها الشرقيّ لا زال رائحٌ ... يحلّ عقود المزن فيك ومغتدى
عليلة أنفاس الرياح كأنّما ... يعلُّ بماء الورد نرجسها النّدى
يشقّ جيوب الورد في شجراتها ... نسيمٌ متى ينظرْ إلى الماء يبرد

فأعجبت جداً بها وتعجبت منها ، وتأسفت على ما فاتني من أخواتها من هذه القصيدة وغيرها ، ثم قرأت في كتاب تفسير ابن جني لشعر المتنبي بيتاً واحداً أنشده السري من قصيدة ، وذكر أنه أخذه من قول المتنبي [من الطويل] :

سقاك وحيّانا بك الله ، إنما ... على العيس نور والخدود كمائمه[2]

---

(١) صفيح البارق : أي صفحة السيف ويعني هنا صفحة الخدّ أو الفم المفترّ عن بيض الأسنان .
(٢) العيس : الجمال ، والكمائم : أغلفة النّوار .

وهو [من المنسرح] :

حيّا بك الله عاشقيك فقد   أصبحت ريحانة لمن عشقا

فكدت أقضي بأني لم أسمع في معناه أظرف منه ولا ألطف ولا أعذب ولا أخف ، وطلبت القصيدتين فعزتا وأعوزتا ، وعلمت أن الذي حصلت من شعره غيض من فيض ما لم يقع إلي .

* * *

ولما وجدت السريّ أخذ جديد القميص في حسن السرقة وجودة الأخذ من الشعر كسرت هذا الفصل على ذكر سرقاته :

قال السري من قصيدة في سيف الدولة وذكر بعض غزواته [من الوافر] :

طلعتُ على الديار وهم نباتٌ   وأغمدت السيوف وهم حصيد
فما أبقيت إلاّ مخطفاتٍ   حماها الخصر منها والنهود[1]

وكرر هذا المعنى فقال [من الكامل] :

أفنت ظباك الروم حتى إنّها   لم تبق إلاّ ظبيةً أو ريما

وإنما سرقه من قول المتنبي [من الطويل] :

فلم يبق إلا من حماها من الظبا   لمى شفتيها والثديّ النواهد[2]

وقال السري من قصيدة [من الكامل] :

حيّيت من طللٍ أجاب دثوره   يوم العقيق سؤال دمعٍ سائل
يخفي وينزل وهو أعظم حرمةً   من أن يذال براكب أو ناعل

---

(١) المخطفات : المزيلات .

(٢) اللمى : السمرة في الشفة السفلى .

وهو من قول المتنبي [من الطويل] :

نزلنـا علـى الأكوار نمشـي كرامةً لمـن بان عنـه أن نلـمَّ به ركبا[1]

وفي قصيدة السري [من الكامل] :

فالدهـر يمسـح منـه غرَّة سابقٍ لاقـاه أوّل سابقين أوائـل

وهو من قول مروان بن أبي حفصة [من الكامل] :

مسحـت معـدٌ وجـه معـنٍ سابقاً لمّـا جرى وجـرى ذوو الأحساب

وقال السري من قصيدة وذكر الخيال [من الكامل] :

وافـى يحقـق لي الوفـاء ولـم يزل خدن الصبابـة بالوفـاء حقيقا[2]
ومضى وقـد منـع الجفـون خفوقها قلـبٌ لذكرك لا يقـرُّ خفوقا

فالتجنيس أخذه من قول التنوخي [من مجزوء الكامل] :

يفـديـك قلـبٌ خافـقٌ أبـداً وطـرفٌ مـا خفـق

واللفظ من قول ابن المعتز [من الكامل] :

* ما بال قلبك لا يقر خفوقا[3] *

وقال السري من قصيدة [من الكامل] :

نَضَت البراقـع عن محاسـن روضةٍ ريضَـتْ بمحتفـل الحيا أنوارُها[4]

---

(١) الأكوار : جمع كور ، وهو الرّحل الذي يجعل على ظهر الجمل كالسرّج .
(٢) خدن الصبابة : الخدن الصديق ، والصبابة : المحبّة والعشق .
(٣) هذا صدر بيت : وعجزه قوله : « وأراك ترعى النجم والعيوقا » ولابن المعتز في هذا المعنى شعر أرق من هذا البيت ، فمن ذلك قوله :

ومتيّمٍ جرح الفـؤاد فراقه فالدمـع من أجفانـه يتدفّق
بهرتـه ساعـة فرقـةٍ فكأنّما في كلِّ عضـوٍ منـه قلـبٌ يخفق

(٤) نضت : خلعت ، والبراقع : الملاء . والحيا : المطر .

فمـن الثغـور المشرفـات لجينهـا ومـن الخـدود المذْهبـات نضارها
أغصـان بانٍ أغربـت في حملها فغرائـب الـورد الجنـيّ ثمارها

وهو من قول ابن الرومي [من البسيط] :

غصـون بان عليهـا الدهـر فاكهة ومـا الفـواكه ممـا يحمـل البان !

وقال السري [من الكامل] :

تلك المـكارم لا أرى متأخراً أولـى بهـا منـه ولا متقدما
عفـوٌ أظـلَّ ذوي الجرائـم كلَّهم حتى لقـد حَسَـدَ المـطيعُ المجرما

وهو من قول أبي تمام [من الكامل] :

وتـكفّـل الأيتـام عن آبائهم حتى وددنـا أننـا أيتـام

والأصل فيه قول أبي دهبل الجمحي [من المنسرح] :

ما زلـت في العفـو للذنـوب وإطـ ـلاقٍ لعـانٍ بجرمـه غلقِ
حتـى تمنّى البـراء أنّهـمُ عنـدك أضحـوا في القـدِّ والحلق

وقال السري من قصيدة [من الوافر] :

إذا ذكـر العقيق لنـا نثرنا عقيق الدمـع سحّـاً وانهمالا[1]
طلـولٌ كلّمـا حاولن سقياً سقتهـا العين أدمعهـا سجالا
تحـنّ جمالنـا هونـاً إليهـا فأحسبهـا ترى منهـا جمالا
ونسـأل من معالمهـا محيلاً فنطلـب مـن إجابتهـا محالا

وهو من قول ديك الجن [من الكامل] :

قالـوا السـلام عليك يا أطلالُ قلت السـلام على المحيل محالُ

---

(١) السحّ : غزارة المطر عند هطله .

وقال السري من قصيدة يتشوق بها بني فهد [من الطويا] :

تنـاءوْا ولمّـا ينصـرمْ عزهـم ... وحاشـا لذاك الحبـل أن يتصرّما
فشـرّق منهـم سيدٌ ذو حفيظةٍ ... وغـرّب منهم سيِّدٌ فتشأما
كأن نواحـي الجـو تنشـر منهم ... علـى كلّ فجٍّ قاتـمِ اللـون أنجما

وهو من قول الشاعر [من الطويل] :

رمـى القفـر بالفتيان حتّـى كأنهم ... بأقـطـار آفـاق البـلاد نجومُ

وقال من قصيدة [من الوافر] :

تناهـى فاطمـأنَّ إلـى العتاب ... وأحسـن للعـواذل في الخطابِ
وصـار جنيب غصـنٍ غير رطب ... وكان جنيب أغصـانٍ رطاب
خلـت منـه ميادين التصابي ... وعـرّى منـه أفـراس الشباب
وزهّـده خضـابُ الله لمـا ... تولّـى عنـه في زور الخضاب[1]

وإنما أخذ مصراع البيت الثالث من قول زهير [من الطويل] :

* وعزي أفراس الصبا ورواحله[2] *

وذكر خضاب الله في البيت الرابع ، وهو من قول أبي تمام [من الكامل] :

* ورأت خضاب الله وهو خضابي[3] *

---

(١) خضاب الله : يعني الشيب .

(٢) هذا عجز بيت هو مطلع قصيدة لزهير بن أبي سلمى المزني وصدره قوله :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله

(٣) هذا عجز بيت من قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق وصدره قوله :

أو ما رأت برديّ من نسج الصِّبا

وفي قصيدة السري [من الوافر] :

وكنــت كروضــةٍ سُقِيَتْ سحاباً   فأثنَــتْ بالنسيم علــى السّحابِ

وهو من قول المتنبي [من الكامل] :

وذكيٌّ رائحــة الــرياض كلامها   تبغـي الثنـاء علــى الحيا فيفوح[1]

والأصل فيه قول ابن الرومي [من الخفيف] :

شكرت نعمــة الولــيٍّ علــى الوســ   ـمــيٍّ ثم العهــاد بعــد العهاد[2]

فهــي تثنــي علــى السمــاء ثناءً   طيِّب النشــر شائعــاً في البلاد

وقال السري من قصيدة [من الوافر] :

لياليـنــا بأحيــاء الغميم   سقيت ذهــاب مُذْهبَــة الغيومِ

مضــتْ بك رأفــة الأيام فينا   وغفلــة ذلك الزمــن الحليم

فكنّــا منــك في جنــات عيشٍ   وَفَــتْ حسنــاً بجنــات النعيم

رياض محاســن وسنــا شموسٍ   وظــلّ دســاكرٍ وجنى كروم[3]

وأجفــان إذا لحظــت جسوماً   جعلن سقامهــن علــى الجسوم

وإنما أخذ هذا المثال من قول أبي تمام [من الوافر] :

فيا حســن الرســوم ومــا تمشّى   إليهــا الدهــر في صور البعادِ

وإذ طير الحــوادث في رباها   سواكن وهــي غنّــاء المراد

مــذاكي حلبــةٍ وشــروب دجنٍ   وسامــر قينــةٍ وقــدور صاد[4]

---

(١) ذكي : عبق .

(٢) الوسمي : مطر الربيع .

(٣) الدساكر : جمع دسكرة ، وهي القرية أو البناء الضخم الذي يتخذه الملوك للّهو والشراب .

(٤) المذاكي : الخيل الكريمة . والصاد : النحاس .

وأعين ربــربٍ كحلــتْ بسحرٍ وأجســادٌ تضــمَّــخُ بالجساد[1]

وممن أخذ هذا المثال مع ركوب هذه القافية القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني حيث قال من قصيدة [من الوافر] :

وأجفــانٌ تروّي كلّ شيءٍ سوى قلبٍ إلى الأحباب صادي[2]
بــذاك جزيت إذ فارقــت قوماً لبســت لبينِهــم ثوبَــيْ حداد
معــادن حكمــةٍ وغيوث جدبٍ وأنجــم حيرةٍ وصــدور نادي

وقال السري من قصيدة [من المنسرح] :

ترتــع حولــي الــظباء آنسةً نظائــراً في الجمــال أشباها
رقّــت عن الوشــى نعمــة فإذا صافــح منهــا الجســوم وشّاها

وهو من قول المتنبي [من الطويل] :

حِســان التثنّــي ينقش الوشــى مثله إذا مِسْــن في أجسامهــن النواعمِ

وقال من أبيات [من الطويل] :

وأغيدَ مهتــزٍّ علــى صحــن خدِّهِ غلائــل من صبــغ الحياء رقاقُ
أحاطــت عيون العاشــقين بخصره فهــنّ له دون النطــاق نطاق[3]

وهو أيضاً من قول المتنبي [من الوافر] :

وخصــرٍ تثبــت الأحــداق فيه كأنّ عليه من حدقٍ نطاقا

---

(١) الربرب : البقر الوحشي . والجساد : الزعفران .
(٢) الصادي : الظامىء .
(٣) النطاق : الإزار أو مكانه .

وكتب إلى صديق له قد اتهمه بغلام بعثه إليه في حاجة [من الوافر] :

أبا بكر أسأت الظن فيمن سجيَّتُهُ التَّمَنُّع والخلافُ
وخفت عليه في الخلوات منّي ولم تك بيننا حالٌ تخاف
جفوت من الصبا ما ليس يُجفَى وعفت من الهوى ما لا يعاف
فلو أني هممت بقبح فعلٍ لدى الإغفاء أيقظني العفاف

وإنما أخذه من قول أبي الحسن بن طباطبا [من الكامل] :

ماذا يعيب الناس من رجلٍ خلص العفاف من الأنام له
يقظاته ومنامه شرعٌ كلٌ بكلٍ منه مشتبه
إن همَّ في حلم بفاحشة زجرته عفّته فينتبه

وقال السري من أبيات لصديق له أهدى إليه ماء ورد فارسي في قارورة بيضاء مزينة بقراطيس مذهبة [من الطويل] :

بعثت بها عذراء حالية النحر مشهّرة الجلباب حورية النجرِ[1]
مضمَّنة ماءً صفا مثل صفوها فجاءت كذوب التبر في جامد الدر
ينوب بكفي عن أبيه وقد مضى كما نِبْتَ عن آبائك السادة الغُرِّ

وإنما هو عكس قول المتنبي [من الطويل] :

فإن يك سيار بن مكرمٍ انقضى فإنّك ماء الوِرد إن ذهب الوردُ[2]

وقال من قصيدة في سيف الدولة [من البسيط] :

لما تراءى لك الجمع الذي نزحت أقطاره ونأت بعداً جوانبُه
تركتهم بين مصبوغٍ ترائبه من الدماء ومخضوبٍ ذوائبه[3]

---

(١) النجر : الأصل ، وحالية النحر : أي تلبس الحليّ في نحرها .

(٢) ماء الوِرد : ماء النبع حيث يشرع الناس للإستسقاء .

(٣) الترائب : الصدر أو أعلاه ، والذوائب : خصلات الشعر في أول الوجه .

فحائرٍ وشهاب الرمح لاحقه   وهاربٍ وذباب السيف طالبه[1]
يهوي إليه بمثل النجم طاعنه   وينتحيه بمثل البرق ضاربه
يكسوه من دمه ثوباً ويسلبه   ثيابه فهو كاسيه وسالبه

وهو من قول البحتري [من الكامل] :

سلبوا وأشرقت الدماء عليهم   محمّرةً فكأنهم لم يسلبوا

وقال السري من قصيدة في سيف الدولة ، وذكر العدو [من البسيط] :

تروع أحشاءه بالكتب وهولها   خوف الردى ورجاء السلم مستلم
لا يشرب الماء إلا غصّ من حذرٍ   ولا يهوّم إلا راعه الحلم

وهو من قول أشجع السلمي [من الكامل] :

فإذا تنبّه رعته، وإذا غفا   سلّت عليه سيوفك الأحلام

وقال من قصيدة [من الوافر] :

وقفنا نحمد العبرات لمّا   رأينا البين مذموم السجايا[2]
كأنّ خدودهنّ إذا استقلت   شقيق فيه من طلٍّ بقايا

وهو من قول الناشىء الأوسط [من المتقارب] :

كأنّ الدموع على خدها   بقية طلٍّ على جلّنارِ[3]

وقال من قصيدة في مرثية أم أبي تغلب [من الطويل] :

تذال مصونات الدموع إزاءها   ونمشي حفاة حولها الرجل والركب[4]

---

(١) ذباب السيف : حدّه .
(٢) السجايا : الصفات .
(٣) الطلّ : الندى ، والجلنار : نوع من الورود .
(٤) تذال : تجري .

تساوت قلوب الناس في الحزن إذ ثوت   كأنّ قلوب الناس في موتها قلب

ومصراع البيت الأول من قول المتنبي [من الوافر] :

* مشى الأمراء حوليها حفاة[1] *

والبيت الثاني من قول ابن الرومي [من الطويل] :

سلالة نورٍ ليس يدركها اللمس   إذا ما بدا أغضى له البدر والشمسُ
به أضحت الأهواء بجمعها هوىً   كأنّ نفوس الناس في حُبِّه نفس

ولأبي بكر الخالدي في الأخذ منه [من الطويل] :

وبدر دجىً يمشي به غصنٌ رطبُ   دنا نوره لكن تناولُه صعبُ
إذا ما بدا أغرى به كلّ ناظرٍ   كأنّ قلوب الناس في حبّه قلب

وقال السري من قصيدة [من البسيط] :

أيام لي في الهوى العذريِّ مأربةٌ   وليس لي في هوى العذّال من أرب
سقى الغمام رُباها دمعَ مبتسمٍ   وكم سقاها التصابي دمعَ مكتئبِ

وردد هذا المعنى فقال [من الطويل] :

ولما اعتنقنا خلْتُ أنَّ قلوبَنا   تناجي بأفعال الهوى وهي تخفقُ
هي الدار لم يُخْلِ الغمامَ ولا الهوى   معالمَها من عبرةٍ تترقرق

---

(1) هذا صدر بيت من قصيدة له يرثي فيها أمّ سيف الدولة وعجزه قوله :

« فإنّ المرو من زفٍّ الرئال »

والمرو : حجارة بيض براقة بكون فيها النار ، والزفّ : صغار الريش ، والرئال : جمع رئل وهو ولد النعام يقول : مشى الأمراء في جنازتها على الحجارة حفاةً كأنما يمشون على ريش النعام لعظم المصاب وشدّة الحزن .

وهو من قول أبي تمام [من الخفيف] :

دمنٌ طالما التقت أدمع المز ... ن عليها وأدمعُ العشاقِ

وفي قصيدة السري [من الطويل] :

وطوّقت قوماً في الرقاب صنائعاً ... كأنّهم منها الحمام المطوَّقُ

وهو من قول المتنبي [من الوافر] :

أقامت في الرقاب له أيادٍ ... هي الأطواق والناس الحَمامُ

وللسري من قصيدة في سيف الدولة [من الطويل] :

تبسَّم برقُ الغيم فاختال لامعاً ... وحلَّ عقود الغيث فارفضَّ هاملا[1]

فقلت عليٌّ منك أعلى صنائعاً ... إذا ما رجوناه وأرجى مخايلا

وإنما نسج فيه على منوال البحتري فقال [من الكامل] :

قد قلت للغيم الركام ولجّ في ... إبراقه وألحّ في إرعاده

لا تعرضنَّ لجعفرٍ متشبّهاً ... بندى يديه فلست من أنداده

وقال السري من قصيدة [من الكامل] :

قامت تميل للعناق مقوّماً ... كالخوط أبدع في الثمار وأغربا[2]

حملت ذاره الأقحوان مفضَّضاً ... يسقي المدامة والشقيق مذهَّبا

وأبتْ وقد أخذ النقاب جمالها ... حركات غصن البان أن تتنقّبا

---

(١) الغيث : المطر ، وارفضّ : انفرض وتوزع وهاملاً : ممطراً .

(٢) الخوط : الغصن .

وهو من قول أبي تمام [من البسيط] :

أرخت خماراً على الفرعين وانتقبت   للناظـرين بقـدٍّ ليس ينتقب[1]

وقال السري في وصف شعره [من الكامل] :

وغريبـةٍ تجـري عليك رياحها   أرجـاً إذا لفحـت عدوك نارُها[2]
ممـن له غرر الـكلام تفتّحت   أبوابهـا وتـرفّعـت أستارها
تجـري وتطلبـه عصائـب قصَّرتْ   عن شأوهـا فقصارهـا إقصارها[3]
فتعيش بعـد مماتـه أشعاره   وتمـوت قبـل مماتهـا أشعارها

وهو من قول دعبل [من الطويل] :

يمـوت رديء الشعـر من قبـل أهله   وجَيِّده يبقـى وإن مات قائله

وقال من قصيدة [من الرمل] :

صـادق البشـر يرى ماء الندى   يرتقـي في وجهـه أو ينحدرْ
قلـت إذ برّز سبقـاً في العلا   أإلـى المجـد طريقٌ مختصر ؟

وهو من قول البحتري [من البسيط] :

مـا زال يسبـق حتـى قال حاسده   له طريقٌ إلـى العلياء مختصرُ

وفي قصيدة السري [من الرمل] :

قـد تقضّى الصـوم محمـوداً فعدْ   لهـوىً يحمـد أو راحٍ يسرْ

---

(١) الخمار : الستر والملاءة ، والفرعين : يقصد الشعر ، وانتقبت : أي لبست النقاب وهو ما تستتر به المرأة .
(٢) الأرج : العبق الذكي .
(٣) العصائب : الجماعات ، والشأو : المدى .

أنــت والعيد الــذي عاودته غُرّتــا هذا الزمــان المعتكر
لــذّ فيك المــدح حتــى خلته سمــراً لم أشــق فيه بسهر

وهو من قول ابن الرومي [من المنسرح] :

يا مسرعــاً كان لي بلا كدر يا سمــراً كان لي بلا سهر

وقال من قصيدة ذكر فيها جراحاً نالته في بعض أسفاره [من الخفيف] :

نوبٌ لو علــت شمــاريخ رضوى أوشــكت أن تخــرَّ منهــنّ هدّا[1]
عرضتنــي علــى الحســام فأضحى كلّ عضــوٍ منّــي لحــدّيْه غمدا
وكَسَــتْ مفرقــي عمامــةُ ضربٍ أرجــوانيــةُ الــذّوائــب تندى

وهو من قول ابن المعتز [من الطويل] :

ألا ربّ يومٍ قد كســوكم عمائماً من الضرب في الهامات حمر الذوائبِ

وقال السري من قصيدة في المهلبي الوزير [من الكامل] :

وأرى العــدو نقيصــة في عمره وأرى الصــديق زيادة في حالِهِ
بوقائــع للبــأس في أعدائــه ووقائــع للجــود في أمواله
عذلوه في الجـدوى ومـن يثني الحيا أم من يســدّ عليه طرق سجاله[2]

وهو من قول المتنبي [من البسيط] :

ومــا ثنــاك كلام النــاس عن كرمٍ ومـن يسـد طريق العـارض الهطل ؟!

وقال من قصيدة في وصف طير الماء [من الطويل] :

وآمنــة لا الــوحش يذعــر سربها ولا الــطير منهــا داميات المخالب

---

(١) الشماريخ : رؤوس الجبال ، ورضوى : إسم مكان .
(٢) الجدوى : الكرم والعطاء ، والحيا : المطر ، وسجاله : هطوله يريد أنّ المطر يتدفّق ويهطل دون أن يستطيع أحدٌ ردّه .

هي الـروض لم تنش الخمائــل زهره ... ولا اخضلّ عن دمعٍ من المزن ساكب
إذا انبعثــت بين الملاعــب خلتها ... زرابـيَّ كســرى بثّهــا في الملاعب

وهو من قول ابن الرومي [من الطويل] :

زرابيُّ كســرى بثّهــا في صحونه ... ليحضـر وفـداً أو ليجمـع مجمعاً[1]

وفي قصيدة السري [من الطويل] :

وإن آنستْ شخصاً من الناس صرصرتْ ... كما صرصرت في الطِّرس أقلام كاتب[2]

وهو من قول أبي نواس [من الرجز] :

كأنمــا يصفــرن عن ملاعـقٍ ... صرصـرة الأقــلام فـي المهارق[3]

وقال في وصف رقاص [من الوافر] :

إذا اختلجــت مناكبــه لرقصٍ ... نزتْ طير القلـوب إليه نزوا[4]
أفــارس أنــت أحســن من تثنّي ... علــى صنــجٍ وأملــح من تلوّى

وهو من قول الصنوبري [من المتقارب] :

فمــن متلــوٍّ علــى نايـهِ ... ومــن متثــنٍّ علـى صنجهِ

وقال من قصيدة في سيف الدولة [من البسيط] :

بكاهـل الملك سيف الدولــة أطَّأدتْ ... قواعــد الــدين واشتــدَّتْ كواهله[5]

---

(١) الزرابي : ما بسط واتكىء عليه من الطنافس وغيرها .
(٢) صرصرت : صوّتت .
(٣) يصفرن : يصوتن .
(٤) النزو : الميل والطموح إلى الشيء .
(٥) أطأدت : أي اشتدت وقويت وتوطدت .

من الرمـــاح وإن طالـــت مخاصره		كمـــا الـــدروع وإن أوهـــت غلائله

وهو من قول البحتري [من الطويل] :

ملـــوكٌ يعـــدّون الرمـــاح مخاصراً		إذا زعزعوهـــا والـــدروع غلائلا

وقال في وصف السحاب والبرق من قصيدة [من الرجز] :

وعـــارض أكـــلأ فيه بارقاً		كالنـــار شبَّـــت في ذرى طودٍ أشم[1]
كأنّـــه نشـــوان جرَّ ذيله		فكلّمـــا ريع انتضـــى عضبـــاً خذم[2]

وهو من قول ابن المعتز [من الطويل] :

كأن الرَّبـــاب الجـــونَ دون سحابه		خليعٌ من الفتيان يسحـــب مئزرا[3]
إذا أدركتـــه روعـــةٌ من ورائه		تلفَّـــتَ واستـــلَّ الحســـام المذكَّرا

وفي قصيدة السري [من الرجز] :

ورب يومٍ تكتســـي البيض به		لونـــاً فتكســـو لونهـــا سود اللِّمم[4]

وهو من قول المتنبي [من الخفيف] :

واستعـــار الحـــديد لونـــاً وألقى		لونـــه فـــي ذوائـــب الأطفـال

وقال من قصيدة [من الكامل] :

وأنـــا الفـــداء لمرغـــمٍ فيّ العدى		إذ زارنـــي وهنـــاً علـــى عدوائه
قمـــرٌ إذا ما الوشـــي صين أذاله		كيمـــا يصـــون بهـــاءه ببهائه[5]

---

(١) الأشم : المرتفع العالي .
(٢) العضب : السيف والخذم : القاطع .
(٣) الجون : من الأضداد وهو للأسود والأبيض .
(٤) اللمم : جمع لمّة ـ وهو الشعر الذي يتجاور شحمة الأذن .
(٥) أذاله : أهانه ، وأذالت المرأة الثوب : أرسلته وجعلت له ذيلاً .

وهو من قول المتنبي [من الوافر] :

لبسن الوشي لا متجملاتٌ ... ولكن كي يصنَّ به الجمالا

وفي قصيدة السري [من الكامل] :

ضعفت معاقد خصره وعهوده ... فكأنّ عقد الخصر عهد وفائه

واللفظ من قول ابن المعتز [من الرجز] :

* وشادنٍ ضعيف عقد الخصرِ *

وقال السري من قصيدة [من البسيط] :

حَلِيَّةٌ وثناياه وعنبره ... كلٌّ ينمٌّ عليه أو يراقبهُ[1]

فلست أدري إذا ما سار في أفقٍ ... شمائل الأفق أذكى أم جنائبه

سرى من الخيف يخفي البدر منتقباً ... والبدر يأنف أن تخفي مناقبه

وإنما ألم فيه بقول كشاجم [من الكامل] :

بأبي وأمي زائرٌ متقنّع ... لم يخف ضوء البدر تحت قناعه

وقال في وصف القلم من قصيدة في أبي إسحاق الصابي [من الكامل] :

وفتىً إذا هزّ اليراع حسبته ... لمضاء عزمته يهزّ مناصلا

من كلّ ضافي البرد ينطق راكباً ... بلسان حامله ويصمت راجلا[2]

وهو من قول أبي تمام [من الطويل] :

فصيحٌ إذا استنطقته وهو راكبٌ ... وأعجم إن خاطبته وهو راجل

---

(١) ينمّ : يشي به .

(٢) ضافي البرد : الطويل الفضفاض .

وقال السري من قصيدة [من المنسرح] :

الغيث والليث والهلال إذا أقمر : بأساً وبهجةً وندى
ناسٍ من الجود ما يجود به وذاكرٌ منه كلّ ما وعدا

وهو من قول الشاعر [من البسيط] :

رأيت يحيى أدام الله بهجته يأتي من الجود ما لم يأته أحدُ
ينسى الذي كان من معروفه أبداً إلى الرجال ولا ينسى الذي يعد

وقال من قصيدة [من المتقارب] :

بعيدٌ إذا رمت إدراكه وإن كان في الجود سهلاً قريبا
ضرائب أبدعتها في السّماح فلسنا نرى لك فيها ضريبا(1)

وهو من قول البحتري [من المتقارب] :

بلونا ضرائب من قد نرى فما إن رأينا لفتح ضريبا

وقال من قصيدة [من الطويل] :

فتىً شرع المجد المؤثّل : فالعلا مآربه ، والمكرمات شرائعهْ
إذا وعد السّراء أنجز وعده وإن أوعد الضرّاء فالعفو مانعه

وهو من بيت تشتمل عليه قصة حكاها المبرد عن أبي عثمان المازني ، قال :

حدثني محمد بن مسعر ، قال : جمعنا بين أبي عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد في مسجدنا ، فقال له أبو عمرو : ما الذي يبلغني عنك في الوعيد ؟ فقال : إن الله وعد وعداً وأوعد إيعاداً فهو منجز وعده ووعيده ، فقال له أبو عمرو : إنك أعجمي ولا أعني لسانك ، ولكن فهمك ، إن العرب لا تعد ترك الإيعاد ذما ، وتعده مدحاً ، ثم أنشد :

---

(1) الضريب : المثيل والشبيه .

وما يرهب ابن العم ما عشت صولتي ... وما أختشي من صولة المتوعّدِ
وإنّي إذا أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي[1]

فقال له عمرو : أفليس يسمى تارك الإيعاد مخلفاً ؟ قال : بلى ، قال : أفتسمي الله مخلفاً إذا لم يفعل ما أوعد ؟ قال : فقد أبطلت شاهدك .

وقال السري من أبيات [من الخفيف] :

لحظت عزمتي العراق فسلَّتْ ... همّتي للرحيل سيف اعتزامي
فسلامٌ على جنابك والمنـ ... ـهل والظِّلِّ والأيادي الجسام

وهو من قول البحتري [من الخفيف] :

فسلام على جنابك والمنـ ... ـهل فيه وربعك المأنوسِ
حيث فعل الأيام ليس بمذمو ... مٍ ووجه الزمان غير عبوس

وقال في وصف أشعاره [من الخفيف] :

خلعٌ غضّة النسيم غذاها ... صفو ماء العلوم والآداب
فهي كالخرَّد الأوانس يخلط ... ن شماس الصبا بأنس التصابي[2]
رقّة فوق رقة الحضر تبدي ... فطنةً فوق فطنة الأعراب[3]

وهو من قول الطائي [من الكامل] :

لا رقة الحضر اللطيف عدتهمُ ... وتباعدوا عن فطنة الأعراب

---

(١) أوعدته : من الوعيد وهو التهديد ، ووعدته من الوعد : أي العطاء وغيره .
(٢) الشماس : بكسر الشين : الإباء والامتناع .
(٣) الحضر : سكان المدن ، والأعراب : سكان البادية .

وقال السري من قصيدة [من الكامل] :

ألبستني النعمى التي غيرن لي ... ودَّ الصديق فعاد منها حاسدا
فلتلبسنَّ بها الثناء مسيّراً ... ومخلّداً ما دام يذبل خالدا[1]

والبيت الأول من قول البحتري [من الطويل] :

وألبستني النعمى التي غيّرت أخي ... عليَّ فأمسى نازح الودِّ أجنبا

* * *

وقد أخذت بطرف من ذكر سرقاته ، ولا بأس أن أورد بعض ما كرره من معانيه ، فما منها إلا بارع رائع ، وإنما كررها إعجاباً بها واستحساناً لما اخترعه منها .

ذكر ما تكرر من معانيه

قال من أبيات في الاستزارة [من الطويل] :

ألست ترى ركب الغمام يساق ... وأدمعه بين الرياض تراقُ
ورقَّت جلابيب النسيم على الثرى ... ولكنْ جلابيب الغيوم صفاق[2]

وقال في معناه [من الكامل] :

راح الغمام به صفيقاً شربه ... وغدا به ثوب النسيم رقيقا

وقال في قريب منه [من مجزوء الكامل] :

فهواؤه سكب الردا ... ء وغيمه جافي الإزار

---

(١) يذبل : إسم جبل .

(٢) الصفيق : الجلد الذي تحت الجلد الظاهر ، أو الجلد .

وقال من تلك الأبيات [من الطويل] :

وذو أدبٍ جلّتْ صنائع كفِّهِ ... ولكنْ معاني الشعر منه دقاق

وقال في معناه [من الكامل] :

أعليٌّ كم نعمٍ منحت جليلةً ... منحتك معنى في الثناء دقيقاً
يلقى الندى برقيق وجهٍ مسفرٍ ... فإذا التقى الجمعان عاد صفيقاً
رحب المنازل ما أقام فإن سرى ... في جحفلٍ ترك الفضاء مضيقاً

وقال في معناه [من الطويل] :

فطوراً لكم في العيش رحب منازلٍ ... وطوراً لكم بين السيوف زحام

وقال يمدح [من الكامل] :

فلتشكرنَّك دولةٌ جدَّدْتها ... فتجدَّدتْ أعلامها ومنارُها
حَلَّيتَها وحميتَ بيضة ملكها ... فغرار سيفك سورها وسوارها[1]

وقال في معناه [من الوافر] :

تحلّى الدين أو تحمي حماه ... فأنت عليه سورٌ أو سوارُ

وقال [من الكامل] :

نشر الثناء فكان من إعلانه ... وطوى الوداد فكان من أسرارهِ
كالنخل يبدي الطلع من أثماره ... حيناً ويخفي الغضّ من جُمّاره[2]

---

(١) وحميت بيضة ملكها : أي جعلت ملكها منيعاً بصونك له ، وغرار السيف : حدّه .
(٢) الطلع : ما يبدو من ثمرة النخل أوّل طلوعها، والجمّار : شحم النخلة .

وقال في معناه [من البسيط] :

أصبحت أظهر شكراً عن صنائعه ... وأضمر الودّ فيه أيَّ إضمارِ
كيانع النخل يبدي للعيون ضحىً ... طلعاً نضيداً ويخفي غضَّ جمّار

وقال في وصف الشمع [من الرجز] :

أعددت للّيل إذا الليل غسق ... وقيّد الألحاظ من دون الطرقْ
قضبان تبرٍ عرّيتْ عن الورق ... شفاؤها إن مرضت ضرب العنق

وقال في معناه [من الكامل] :

فرّجتها بصحائح إن تعتللْ ... فلهنّ من ضرب الرقاب شفاءُ

وقال في معناه [من مجزوء الكامل] :

وإذا عرتها مرضةٌ ... فشفاؤها ضرب الرقاب

وقال في معناه [من السريع] :

سيّافها يضرب أعناقها ... وهو بذاك الفعل يحييها

وقال [من الرجز] :

قد أغتدي نشوان من خمر الكرى ... أجرّ بُرديَّ على برد الثرى

* والصبح حمل بين أحشاء الدجى *

وقال في مثله [من الكامل] :

* والصبح حملٌ في حشى الظلماء *

وقال في وصف الخمر [من المتقارب] :

ألا غادها مخطئاً أو مصيبا ... وسر نحوها داعياً أو مجيبا

وخــذ لهبــاً حرّه في غدٍ إذا الحر قارن يومــاً لهيبا

وقال في معناه [من البسيط] :

هات التــي هي يوم الحشــر أوزار كالنار في الحســن عقبى شربهـا النار

وقال في معناه [من الخفيف] :

هاتهــا لــم تباشــر النــار واعلم أنهــا فــي المعــاد للشــرب نارُ

وقال من أبيات [من المنسرح] :

أنظــر إلــى الليل كيف تصدعه راية صبــح مبيضَّــةُ العذبِ
كراهــبٍ حن للهــوى طرباً فشــقّ جلبابــه مــن الطرب

وقال في معناه [من السريع] :

والفجــر كالراهــب قد مزّقتْ من طربٍ عنــه الجلابيبُ

وقال يمدح [من الخفيف] :

يخضــب الــكفّ بالمــدام وطوراً يَخْضُبُ السيف من دمٍ مهراقِ[1]

وقال في معناه [من المتقارب] :

وتخضب بالراح أيماننا ونخْضــب بالدم أرماحُنا

وقـال في الغزل ، وهو من غرره [من الوافر] :

بنفســي مــن أجــود له بنفسي ويبخــل بالتحيـة والســلام
وحتفــي كامــنٌ فــي مقلتيه كُمــون المــوت في حدّ الحسام[2]

---

(١) يخضب : من الخضاب ، أي صبغ الشعر واليدين . والمهراق : أي المراق المسفوك .
(٢) الحتف : الموت والهلاك ، وكامن : مستتر وموجود .

وقال ، ونقل معناه إلى الخمر [من الكامل] :

ويريه أعلى الرأي حزم كامن فيه كمون الموت في حدّ القضب[1]

وقال في معناه [من المتقارب] :

أما للمحبين من حاكمٍ فينصفني اليوم من ظالمي
حمامي في طرفه كامنٌ كُمونَ المنيّة في الصارم

وقال في معنى آخر [من البسيط] :

وفتيةٍ زهر الآداب بينهمُ أبهى وأنضر من زهر الرياحين
مشوا إلى الراح مشي الرّخِ وانصرفوا والراح تمشي بهم مشي الفرازين[2]

وقال في معناه [من السريع] :

حتى إذا الشمس بها آذنت خيامها الصفر بقلع الأواخي[3]
راحوا عن الراح وقد أبدلوا مشي الفرازين بمشي الرخاخ[4]

وقال في قلب معناه ووصف الشطرنج [من الكامل] :

يبدي لعينك كلّما عاينته قرنين جالا مقدماً ومخاتلا[5]
فكأن ذا صاحٍ يسير مقوّما وكأن ذا نشوان يخطر مائلا

وقال يصف كانون نار [من المتقارب] :

وذو أربعٍ لا يطيق النهوض ولا يألف السّيْر فيمن سرى

---

(١) القضب : السيوف .
(٢) الّرخ والفرازن : من أحجار الشطرنج .
(٣) الأواخي : من أحجار الشطرنج .
(٤) الراح : الخمر .
(٥) المخاتل : الخداع .

نحملـه سبجاً أسودا فيجعله ذهباً أحمـرا [1]

وقال في معناه [من مجزوء الوافر] :

وأحـدقنا بأزهـر خـا فقـاتُ حولـه العـذبُ
فمـا ينفـكُّ من سبجٍ يعـود كأنّـه ذهـب

وقال يمدح [من الوافر] :

وكم خرق الحجـاب إلـى مقامٍ توارى الشـمس فيه بالحجاب
كأنّ سيوفـه بين العوالي جداول يطّـرِدْنَ خلال غـاب

وقال في معناه [من الطويل] :

كأن سيوف الهنـد بين رماحه جداول في غاب سمـا فتأشّبا [2]

وقال في معناه [من الكامل] :

أُسـدٌ لهـا من بيضهـا وسمرها جـداولٌ مُطّـردات وأجَـمْ

وقال في وصف شعره [من الوافر] :

إليك زففتهـا عـذراء تأوي حجاب القلب لا حجب القبابِ [3]
أذبـت لصوغهـا ذهـب القوافي فأدّتْ رونـق الذهـب المذاب

وقال في معناه [من الوافر] :

وخذهـا كالتهـاب الحلـى تغني عن المصبـاح في الليل التهابا

---

(١) السبج : الخرز .
(٢) تأشّب : اختلط واجتمع .
(٣) زففت : قدّمت وزينـت وحجـاب القلـب : غلافه ، والقبـاب : أي البيوت التـي تكون للسلاطين .

مشعشعــةً كأنّ الطبــع أجرى ... علــى صفحــاتهــا الذهــب المذابــا

* * *

وعلى ذكر الشعر فإني كاسر عليه فصلاً ، لفرط استحساني جودة وصفه له ، وموافقته الموصوف :

قال في وصف شعره من قصيدة [من الوافر] :

ومــا زالــت رياح الشعــر شتى ... فمــن ريّا الهبــوب ومــن سمومِ[1]

تحيّي الصاحــب الطلــق المحيّــا ... وتعلن شتــم ذي الوجــه الشتيم[2]

منحتــك مــن محاسنهــا ربيعاً ... مقيم الزهــر سيّــار النسيم

وقال من أخرى [من الكامل] :

قل للعــدو إليك عن ذي عدة ... ما ثار إلا نال أبعــد ثأره

صلّ القــريض إذا ارتــوت أنيابه ... من سمّــه قطــرت علــى أشعاره[3]

لو أنــه جارى عتيقــيّ طيء ... في الحلبتين تبرقعــا بغباره[4]

وقال من أخرى [من الكامل] :

شغلَتْكَ عن حســن السمــاع مدائحٌ ... حسنــت فمــا تنفــكّ تطــرب سامعا

طلعــت عليك أبــا الفــوارس أنجمٌ ... منهــنّ يخجلن النجــوم طوالعا

زهــرٌ إذا صافحــن سمــع معاند ... خفض الــكلام وغضّ طرفــاً خاشعا

جاءتـك مثــل بدائــع الوشــي الذي ... ما زال في صنعــاء يتعــب صانعا

أو كالــربيع يريك أخضــر ناضراً ... ومــورّداً شرقــاً وأصفــر فاقعاً[5]

---

(١) ريّا الهبوب : أي الرياح المنعشة الباردة والسموم : الرياح الحارة اللافحة .

(٢) الشتيم : الكريه الوجه .

(٣) الصلّ : الحيّة .

(٤) يريد بعتيقي طيء أبا تمام والبحتري .

(٥) الفاقع : الخالص الصافي من الألوان .

وقال من أخرى [من الطويل] :

وكم مدحة غبٍّ النوال تبسمت كما ابتسم النّوّار غبَّ حَياً أروى
وما ضرّ عقداً من ثناءٍ نظمته وفصّلته أن لا يعيش له الأعشى[1]

وقال من أخرى [من البسيط] :

جاءتك كالعقد لا تزري بناظمها حسناً وتزري بما قالوا وما نظموا
والشعر كالروض ذا ظامٍ وذا خضلٌ وكالصوارم ذا نابٍ وذا خذم[2]
أو كالعرانين هذا حظّه خنس مزرٍ عليه وهذا حظه شمم[3]

وقال [من المتقارب] :

وفكر خواطره ألبست علاك من الحمد ثوباً خطيرا
محاسن لو علقت بالقتير لحسّن عند الحسان القتيرا[4]
إذا ما جفت خلع المادحين عليهنّ رقّت فكانت حريرا

وقال [من المنسرح] :

وخلعةٍ من ثناي دبّجها الـ ـفكر ففاقت بحسّها البدعا
وقرّب الحذق لفظها فغدا من قربها مطمعاً وممتنعا

وقال [من البسيط] :

سأبعث الحمد موشياً سبائبه إلى الأمير صريحاً غير مؤتشب[5]
إن المدائح لا تهدى لناقدها ألا وألفاظها أصفى من الذهب

---

(١) الأعشى : ميمون بن قيس أحد شعراء الخمرة المشهورين .
(٢) الظامىء : العطش ، والخضل : المرتوي والنابي : الذي لا يقطع .
(٣) العرنين : الأنف ، والخنس : تأخر الأنف عن الوجه ، والشمم : ارتفاع الأرنبة .
(٤) القتير : الشيب .
(٥) السبائب : جمع سبيبة ، وهي الشقة الرقيقة من القماش ، والصريح : الخالص والمؤتشب : المختلط .

كم رضْت بالفكر فيها روضة أنفاً　　تفتّح الزهرُ عن جنى الأدب
لفظٌ يروح له الريحان مطّرحا　　إذا جعلناه ريحاناً على النجب[1]

وقال [من الطويل] :

أتتك يجول ماء الطبع فيها　　مجال الماء في السيف الصقيل
قوافٍ إن ثنتْ للمرء عِطفاً　　ثنى الأعطاف في برد جميل

وقال [من الطويل] :

شرقت بماء الطبع حتى خلتها　　شرقت لرونقها بتبر ذائب
ويقول سامعها إذا ما أنشدت　　أعقود حمد أم عقود كواكب

وقال [من الكامل] :

والبس غرائب مدحةٍ دبّجتها　　فكأنما دبّجت منها مطرفا[2]
من كلٍّ بيتٍ لو تجسّم لفظه　　لرأيته وشياً عليك مفوّفا[3]

وقال [من الكامل] :

ألفاظه كالدرّ في أصدافه　　لا بل يزيد عليه في لألائهِ
من كلّ رائقة الجمال كأنها　　جاد الشباب لها بريقة مائه

وقال [من الكامل] :

والشعر بحرٌ نلت أنفس درِّهِ　　وتنافس الشعراء في حصبائهِ

(١) النجب : الكرام السادة .
(٢) المطرف : رداء من حرير ذو أعلام .
(٣) التفويف : التزيين .

وقال [من الكامل] :

وغرائـــبٍ مثــل السيوف إضاءةً وجـدت من الفـكر الدقـاق صياقلا[1]
فلــو استعــار الشيب بعض جمالها أضحـى إلـى البيض الحسـان وسائلا
جاءتــك بين رصينــه ودقيقه تهــدي إليك مطارفــاً وغلائلا

* * *

ما أخرج من غرره في الخالديين وغيرهما ممن ادعى شعره

قال يتظلم من الخالديين والتلعفري إلى سلامة بن فهد [من الطويل] :

هل الصبــر مجــدٍ حين أدّرع الصبرا وهــل ناصــر للشعــر يوسعــه نصرا
تَحَيَّفَ شعـري يا ابـن فهــد مصالت عليه فقـد أعدمـت منـه وقـد أثرى[2]
وفــي كلّ يومٍ للغبيين غارةٌ تروّع ألفاظــي المحجّلــة الغرّا[3]
إذا عنّ لي معنــى يضاحــك لفظه كما ضاحك النّوار في روضـه الغدرا
غريب كشطــر البــرق لمــا تبسّمت مخائلــه للفــكر أودعتــه سطرا
فوجــه من الفتيان يمســح وجهه وصـــدر من الأقــوام يسكنــه الصدرا
تناولــه مثــرٍ من الجهــل معدمٌ من الحلم معـذورٌ متـى خلـع العذرا
فبعــد ما قرّبــت منــه غباوة وأوزر ما سهلــت من لفظــه وعرا
فمهــلاً أبــا عثمــان مهــلاً فإنّما يغار علـى الأشعـار من عشـق الشعرا
لأطفأتمــا تلك النجــوم بأسرهــا ودنّستمــا تلك المطــارف والأُزْرا
فويحكمــا هلاّ بشطــرٍ قنعتما وأبقيتمــا لي من محاسنــه شطرا[4]

---

(١) الغرائب : القصائد ، والصياقل : جمع صيقل ، وهو الذي يصنع السيوف ويصقلها .
(٢) تحيّف : اغتصب ، والمصالت : السارق .
(٣) المحجّلة : البيضاء ، والغراء : البيضاء الناصعة .
(٤) الشطر : القسم والنصيب .

وقال من قصيدة مدح بها أبا البركات لطف الله بن ناصر الدولة يتظلم إليه من الخالديين ، وقد ادعيا شعره وشعر غيره ومدحا به المهلبي وغيره [من البسيط] :

يا أكرم النـاس إلا أن يعـدً أباً ... فات الـكرام بآبـاءٍ وآثار
أشـكو إليك حليفَـيْ غارةٍ شهرا ... سيف الشِّقّـاق علـى ديبـاج أفكاري
ذئبيْن لو ظفـرا بالشعـر في حرمٍ ... لمزّقـاه بأنيـابٍ وأظفـار
سلاّ عليه سيوف البغـي مصلتةً ... في جحفـلٍ من صنيع الظلـم جرّار
وأرخصـاه فقـلْ في العطـر ممثهناً ... لديهمـا يشتـري مـن غير عطار
لطائـم المسـك والكافـور فائحةٌ ... منـه ومنتخـب الهنـديِّ والغار[1]
وكل مسفـرة الألفـاظ تحسبها ... صفيحـة بين إشـراق وإسفـار
أرّقـت ماء شبابـي في محاسنها ... حتـى ترقـرق فيهـا ماؤهـا الجاري
كأنّهـا نفس الريحـان يمزجه ... صبـا الأصائـل من أنفـاس نوّار
إن قلّـداك بدرٍّ فهـو من لججي ... أو ختّمـاك بياقـوتٍ فأحجـاري[2]
باعـا عرائس شعـري بالعـراق فلا ... تبعـد سبـاياه من عون وأبكار[3]
مجهولـة القـدر مظلـومٌ عقائلها ... مقسومـةٌ بين جهّـالٍ وأغمار[4]
ما كان ضرهمـا والـدرّ ذو خطرٍ ... لو حلّياه ملـوكاً ذات أخطار
ومـا رأى النـاس سبياً مثـل سبيهما ... بيعـت نفيستـه ظلمـاً بدينار
والله ما مدحـا حياً ولا رثيا ... ميْتـاً ولا افتخـرا إلا بأشعاري
هذا وعنـدي من لفـظ أشعشعه ... سلافـةٌ ذات أضـواءٍ وأنـوار
كريمـةٌ ليس من كرمٍ ولا التثمتْ ... عروسهـا بخمـارٍ عنـد خمّار
تنشـا خلال شغـاف القلـب إن نشأت ... ذات الحبـاب خلال الـطين والقار[5]

---

(١) اللطيمة : وعاء المسك .

(٢) اللجج : القاع من البحر .

(٣) العون : المرأة ، والبكر : العذراء .

(٤) الغمر : الطيش .

(٥) القار : القطران .

لم يبـق لي من قريض كان لي وزرا　　علـى الشدائـد إلا ثقـل أوزاري[1]
أراه قد هتـكت أستـار حرمتهِ　　وسائـر الشعـر مستـور بأستار
كأنـه جنـة راحـت حدائقُها　　من الغبيّيْن في نـارٍ وإعصار[2]
عارٍ من النسـب الوضّـاح منتسبٌ　　في الخالـديين بين العـرّ والعار[3]

وقال من قصيدة في أبي تغلب ذكر فيها أحد الخالديين [من الطويل] :

ولا بد أن أشـكو إليك ظلامة　　وغـارة مغـوار سجيّتـه الغصبُ
يخيل شعـري أنـه قوم صالح　　هلاكاً وأن الخالـدي له سقب[4]
رعـى بين أعطـانٍ له ومسارحٍ　　فلم ترع فيهـنّ العشـار ولا النجب[5]
وكان رياضـاً غضّـةً فتكدّرت　　مواردهـا واصفـرّ في تربهـا العشب
يسـاق إلـى الهجـن المقـارف حليه　　وتسلبـه الغـرّ المحجّلـة القبُّ[6]
غصبـت علـى ديباجـه وعقـوده　　فديباجـه غصـبٌ كمـا رُوِّع السِّرب
وكنـت إذا ما قلـت شعـراً حدت به　　حداة المطـايا أو تغنّـى به الشَّرب

وقال في الخالدي الأصغر وقد ادعى كثيراً من شعره [من السريع] :

لا بد من نفثـة مصدور　　فحـاذروا صـولـة مخـدور
قـد أنسـت العالـم غاراته　　في الشعـر غارات المغاويـر
أثكلنـي غيد قواف غدت　　أبهـى مـن الغيد المعاطير

---

(١) الوزر : الملجأ والمعين .
(٢) الإعصار : ريحٌ شديدة تصحب بنارٍ أحياناً .
(٣) العرّ : العيب ، والشرّ .
(٤) السقب : ولد الناقة .
(٥) العطن : مبيت الإبل ، والعشار : النـوق التـي مضى على حملهـا عشرة أشهـر والنجـب : الجمال الأصيلة .
(٦) الهجن : النوق ، والمقارف : الحمر والقبّ : الفحل ، وسيد القوم .

أطيب ريحاً من نسيم الصبا ... جاءت بريًا الورد من جور[1]
من بعد ما فتحت أنوارها ... فابتسمت مثل الأزاهير
وبات فكري تعباً بينها ... ينقشها نقش الدنانير
يا وارث الأغفال ما حبروا ... من القوافي والمشاهير[2]
أعط « قفا نبك » أماناً فقد ... راحت بقلب منك مذعور

وقال من قصيدة خاطب فيها أبا الخطاب المفضل بن ثابت الضبي وقد سمع أن الخالديين يريدان الرجوع إلى بغداد ، وذلك في أيام المهلبي الوزير [من الكامل] :

بكَرَتْ عليك مغيرة الأعراب ... فاحفظ ثيابك يا أبا الخطابِ
ورد العراق ربيعة بن مُكَدَّمٍ ... وعتيبة بن الحارث بن شهاب
أفعندنا شكٌّ بأنّهما هما ... في الفتك لا في صحة الأنساب
جلبا إليك الشعر من أوطانه ... جلب التِّجار طرائفَ الأجلاب
فبدائع الشعراء فيما جهزا ... مقرونة بغرائب الكتاب
شَنَّا على الآداب أقبح غارةٍ ... جرحَتْ قلوبَ محاسن الآداب
فحذارِ من حركات صِلَّيْ قفرة ... وحذار من حركات ليثَيْ غاب[3]
لا يسلبان أخا الثراء وإنما ... يتناهبان نتائج الألباب[4]
إن عزّ موجود الكلام عليهما ... فأنا الذي وقف الكلام ببابي
أو يهبطا من ذلة فأنا الذي ... ضربت على الشّرف المطل قبابي
كم حاولا أمدي فطال عليهما ... أن يدركا إلاّ مثار ترابي[5]

(١) جور : مدينة فيروز أباد ينسب إليها الورد .
(٢) الأغفال : جمع غفل ، وهو الشاعر المجهول .
(٣) الصل : الأفعى .
(٤) نتائج الألباب : أي ما ينتجه الفكر من أدب وغيره .
(٥) أمدي : مجالي .

عجـزاً ولن تقف العبيد إذا جرت ... يوم الرهـان مواقـف الأرباب
ولقـد حميت الشعـر وهـو لمعشر ... ذمٌّ سوى الأسـمـاء والألقاب
وضربـت عنـه المـدَّعين وإنما ... عن حوزة الآداب كان ضرابي
فغـدت نبيط الخالـدية تدعي ... شعـري وترفـل في حبير ثيابي[1]
قوم إذا قصـدوا الملـوك لمطلبٍ ... نقضـت عمائمهـم علـى الأبواب
من كل كهـلٍ تستـطير سباله ... لونين بين انـامـل البواب[2]
مُغْضٍ علـى ذلّ الحجـابِ يردُّه ... دامـي الجبين تجهّـم الحجاب
ومُفَـوَّهَيْن تعـرّضـا لحرابتي ... فتعرّضـت لهمـا صدورُ حرابي[3]
نظـرا إلـى شعـرٍ يروق فتربًا ... منـه خدود كواعـبٍ أتراب[4]
شربـاه فاعترفـا لـه بعذوبة ... ولَـرُبَّ عذبٍ عاد سوطَ عذاب
في غارة لم تنثلـم فيهـا الظبا ... ضربـا ولـم تنـدُ القنـا بخضاب
تركت غرائـب منطقـي في غربة ... مسـبيّةٍ لا تهتـدي لإيـاب
جرحـي ومـا ضربـتْ بحـدٍّ مهنّد ... أسـرى ومـا حملـت علـى الأقتاب[5]
لفـظ صقلـت متـونـه فكأنه ... في مشرقـات النظـم درُّ سحاب
وكأنمـا أجـريت في صفحاته ... حرّ اللجين وخـالص الزرياب[6]
أغربـت فـي تحبيره فرواته ... في نزهـة منـه وفـي استغراب
وقطعـت فيه شبيبـة لم تشتغل ... عن حسنـه بصبـاً ولا بتصابي
وإذا ترقـرق في الصحيفـة ماؤه ... عبـق النسيم فذاك ماء شبابي
يصغـي اللبيب له فيقسـم لبّه ... بين التعجّـب منـه والإعجاب

---

(١) نبيط : من النبط أخلاط الناس وعوامّهم .
(٢) السبال : الشنب .
(٣) الحرابة : السّلب .
(٤) تربًا : زيّنا ، والكواعب : الفتيات النواهد ، والأتراب : الرفيقات من سنٍّ واحد .
(٥) المهنّد : السيف : والأقتاب : جمع قتب وهو المحمل على ظهر البعير .
(٦) الزرياب : الذهب .

جدٌّ يطير شراره وفكاهة تستعطف الأحباب للأحباب
أعززْ عليَّ بأن أرى أشلاءه تدمي بظفر للعدو وناب
أفنٌ رماه بغارةٍ مأفونةٍ باعت ظباء الروم في الأعراب
إني أحذّرُ من يقول قصيدة غرّاء خِدْنَيْ غارةٍ ونهاب
إني نبذت على السواء إليكما فتأهبا للقادح المنتاب[1]
وإذا نبذت إلى امرىءٍ ميثاقه فليستعدَّ لسطوتي وعقابي

وهي طويلة متناسبة في الحسن والعذوبة .

وقال من قصيدة في أبي إسحاق الصابي ، وقد ورد عليه كتاب الخالديين بأنهما منحدران إلى بغداد في سرعة [من الخفيف] :

قد أظلّتْكَ يا أبا إسحاقَ غارة اللفظ والمعاني الدقاقِ
فاتخذ معقلاً لشعرك تحميه مروق الخوارج المرّاق[2]
قبل رقراقه الحديد تريق السّم في صفو مائه الرّقراق
كان شنّ الغارات في البلد القفر فأضحى على سرير العراق
غارة لم تكن بسمر العوالي حين شنّت ولا السيوف الرّقاق
جال فرسانها عليَّ جلوساً لا أقلتهم ظهور العتاق
فجعت أنفس الملوك أبا الهيجاء حربا بأنفس الأعلاق

يعني أبا الهيجاء حرب بن سعيد أخا أبي فراس الحمداني .

بقوافٍ مثلِ الرياض تمشّتْ بين أنوارِها جيادُ السواقي
بدعٌ كالسيوف أرْهفْنَ حسناً وسقاهنَّ رونقَ الطبع ساقي
مشرقاتٌ تريك لفظاً ومعنىً حمرة الحلْيِ في بياض التراقي[3]

(١) نبذت : أرسلت ، والمنتاب : القاصد .
(٢) المروق : الخروج عن الدين وعدم مراعاة أحكامه .
(٣) التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .

يا لهـا غارةً تفـرق في الحو ... مة بيـن الحمـام والأطـواق
تسـم الفـارس السـميدع بالعا ... ر وبعـض الإقـدام عارٌ باقي[1]
لـو رأيت القـريض يرعـد منها ... بيـن ذاك الإرعـاد والإبراق
وقلـوب الـكلام تخفـق رعبـاً ... تحـت ثني لوائهـا الخفّـاق
وسيـوف الظـلام تفتـك فيهـا ... بعـذارى الـطروس والأوراق
والوجـوه الـرقـاق دامية الأبـ ... شار في معـرك الوجـوه الصفّاق
لتنفسـت رحمـة للخـدود الـ ... ـسمـر منهـن والقـدود الرّشاق
والـريـاض التي ألـحّ عليها ... كاذب الـودق صادق الإحراق[2]
والنجـوم التـي تظـل نجـوم الـ ... أرض حسّـادها علـى الإشـراق
بعدمـا لحّـن في سمـاء المعالي ... طُلَّعـاً وانتشـرن في الآفاق
وتخيّـرت حليهـن فلـم تعـ ... ـد خيـار النحـور والأعنـاق
وقـلعت الشبـاب فيه إلـى أن ... همّ بـرد الشبـاب بالإخـلاق[3]
فهـو مثـل المـدام بين صفاء ... وبهـاء ونفحـة ومـذاق
منطـق يخجـل الـربيع إذا حـ ... ـلّ عليه السحـاب عقـد النطاق
يا هلال الآداب يا ابـن هلال ... صرف الله عنـك صرف المحاق
سـوف أهـدي إليك من خدم الـ ... ـمجـد إمـاءً تعـاف قبـح الإباق[4]
كلّ مطبوعـة علـى اسمـك بادٍ ... وسمُهـا في الجبـاه والآماق

* * *

(١) السّميدع : الشجاع .

(٢) الودق : المطر .

(٣) الإخلاق : يقال ثوب خلق : أي رثٌ بالٍ .

(٤) الإباق : الهروب .

غرر من أهاجيه للشعراء

قال من قصيدة هجا بها أبا العباس النامي ، ويحكي أنه كان جزاراً بالمدينة [من الوافر] :

أرى الجزّار هيّجني وولّى ... فكاشفني وأسرع في انكشافي
ورقّع شعره بعيون شعري ... فشاب الشّهد بالسّم الذعاف[1]
لقد شقيت بمديتك الأضاحي ... كما شقيت بغارتك القوافي
توعر نهجها بك وهو سهل ... وكدّر وردها بك وهو صافي
فتكت بها مثقفة النواحي ... على فكرٍ أشد من الثّقاف
لها أرجُ السوالف حين تجلى ... على الأسماع أو أرج السّلاف
جمعن الحسنيين فمن رياح ... معنبرة وأرواح خفاف
وما عدمت مغيراً منك يرمي ... رقيق طباعها بطباع جافي
معانٍ تستعار من الدياجي ... وألفاظٌ تقدُّ من الأثافي[2]
كأنّك قاطفٌ منها ثماراً ... سبقت إليه إبّان القطاف
وشرّ الشعر ما أدّاه فكرٌ ... تعثّر بين كدٍّ واعتساف[3]
سأشفي الشعر منك بنظم شعرٍ ... تبيت له على مثل الأثافي
وأبعد بالمودة عنك جهدي ... فقفْ لي بالمودة خلف قاف

وقال يعرض بالتلعفري المؤدب [من الطويل] :

ينافسني في الشعر والشعر كاسدٌ ... حسودٌ كبا عن غايتي ومعاندُ
وكلُّ غبيٍّ لو يباشر برده ... لظى النار أضحى حرّها وهو بارد

---

(١) الذعاف : القاتل المميت .

(٢) الأثافي : حجارة توضع عليها القدور « الموقد » .

(٣) الاعتساف : المشقة .

أفيقوا فلن يعطى القريض معلم وهل يتولى الأغبياءَ عطارد
ولا تمنحوا منه الكرام قلائداً فليس من الحصباء تهدى القلائد [1]

وقال من قصيدة في أبي الحسن الشمشاطي [من الكامل] :

قد كانت الدنيا عليك فسيحةً فاليوم أضحت وهي سَمُّ خياطِ [2]
أسخطتني وجناة عيشك حلوةٌ فجنيت مرَّ العيش من إسخاطي
وعلمت إذ كلفت نفسك غايتي أنّ الرياح بعيدة الأشواط
أترومني وعلى السّماك محلّتي شرفاً وبين الفرقدَيْن صراطي
من بعد ما رفع الأكابر مجلسي فجلست بين مؤمّلٍ وسماط
وغدت صوارم منطقي مشهورة بين العراق تهزّ والفسطاط
وقد امتحنت دعاويا لك بينت عن بحر تمويهٍ بعيد الشاطي
فرأيت علمك من خراً وخراطةٍ ووجدت شعرك من فسا وضراط

وقال من أرجوزة في الخالدي [من الرجز] :

بؤساً لعرس الخالدي بوسا أكلَّ يوم تغتدي عروسا
خلته واعتاضت فتى نفيساً وفارقت من نتنه ناووسا
فصادفت ربع هوى مأنوساً وبدّلت من رخمٍ طاوسا [3]
وكيف تهوى وجهه العبوسا وهي ترى الأقمار والشموسا

* * *

هذه ملح مما قاله في ابن العصب الملحي الشاعر

وكان شيخاً يتصابب ، ويتعصب للخالديين على السري ، وكان السري

(١) القلائد : جمع قلادة وهي العقد الذي يوضع في العنق ، والحصباء : الحصى .
(٢) سمّ خياط : أي ضيقه كفتحة الإبرة .
(٣) الرخم : طائرٌ من الجوارح يشبه النسر كثير الريش .

يهجوه جاداً وهازلاً ، وينسبه إلى القيادة ، ويذكر كثيراً مشاهدة أهل الريب في منزله ، ولا يبقى ولا يذر في التولع به ، فمن ملحه فيه قوله من قصيدة [من الطويل] :

ومن عجبٍ أن الغبيين أبرقا مغيرين في أقطار شعري وأرعدا
فقد نقلاه عن بياض مناسبي إلى نسبٍ في الخالدية أسودا
وإن علياً بائع الملح بالنوى تجرّد لي بالسبّ فيمن تجردا
وعندي له لو كان كفواً قوارصي قوارص ينثرن الدلاص المسرّدا[1]
ومغموسةٍ في الشَّرْي والأرْي هذه ليردي بها باغٍ وتلك لترتدي[2]
لك الويل إن أطلعت بيض سيوفها وأطلقتها خزر النواظر شرَّدا[3]
ولست لجدِّ القول أهلاً وإنّما أطير سهام الهزل مثنى وموحدا
نصبتَ لفتيان البطالة قبَّةً ليدخلها الفتيان كهلا وأمردا
وكان طريق القصف وعراً عليهم فسهّلته حتى رأوْه معبَّدا
وكم لذةٍ لا منَّ فيها ولا أذى هديت لها خدن الضلالة فاهتدى
قصدتهمُ وزناً فساويت بينهم ولم تأخذ السهم الحديد ليقصدا
وجئتهمُ قبل ارتداد جفونهم بمائدةٍ تكسي الشرائح والمدى
ومبيضَّةٍ ممّا قراه محمدٌ أبوك لكي تبيض عرضاً وتحمدا
نثرت عليها البقل غضّاً كأنّما نثرت على حرّ اللّجيْن الزبرجدا
ومصبوغةٍ بالزعفران عريضة كأنّ على أعطافها منه مُجسدا
تريك وقد غطّت بياضاً بصفرة مثالاً من الكافور ألبس عسجدا[4]
فحفَّ بها منهم كهولٌ وفتيةٌ كأنّهم عقدٌ يحفّ مقلّدا

(١) الدلاص : الدروع . والمسرّد : المنسوج المصنّع .
(٢) الشري والأري : الشري : الحنضل ، والأري : الشهد .
(٣) خزر النواظر : أي العيون التي فيها ضيق .
(٤) العسجد : الذهب والجوهر .

فلا نظر الداعي إلى الزاد كفّهم ... ولا خجلة المدعو ردّت لهم يدا

وملت بهم من غير فضل عليهمُ ... إلى الورد غضاً والشراب مورَّدا

مناهدة إن فات مثلك طيبها ... تنفس مجروح الحشا أو تنهّدا

معدّاً لهم في كل يوم مجدّدٍ ... من الراح والريحان عيشا مجدَّدا

إذا وصلوا أضحى الخوان مدبّجا ... وإن هجروا أضحى سليباً مجردا[1]

وإن شرعوا في لذّةٍ كنت بيعةً ... وإن طمعوا في مرفق كنت مسجدا

لك القبّة العلياء أوضحْت نهجها ... وأطلعت منها للفتوّة فرقدا

يصادف منها الزور عيشاً مبرّداً ... وباطيةً ملأى وظبياً مغرِّدا[2]

وقد فضلت شمّ القباب لأنّني ... نصبت عليها بالقصائد مطْردا[3]

وقوله فيه [من الطويل] :

طوى ودّه الملحيّ عني فانطوى ... وقد كان لي خلاّفاً فأعرض والتوى

دعاني فغاداني بإنشاد شعره ... ولولا انصرافي عنه متّ من الطوى[4]

وقال أتاك الحلْي قلت ممازحاً ... أتاك النوى يا بائع الملح بالنوى

وناولني مسْودَّةً لو قرنتها ... إلى القار كانا في سوادهما سوا

وقال أرى هذا الشراب لصفوه ... ورقته كالنجم قلت إذا هوى

وفضّل في الشعر امرأً غير فاضلٍ ... فقلت له أمسكْ نطقت عن الهوى

ولو أنني أحمي الثقاف لمثله ... وأعمل فيه الغمز لانصان واستوى[5]

---

(١) الخوان : ما يوضع عليه الطعام وقت الأكل .
(٢) الباطية : الإناء .
(٣) المطرد : من الطرد ، وهو الابعاد .
(٤) الطوى : الجوع .
(٥) الثقاف : بكسر الثاء ، ما تسوّى به الرمّاح .

وقوله فيه [من الوافر] :

سـل الملحـيَّ كيف رأى عقابي ... وكيف وقـد أثـاب رأي ثوابي[١]

سقانـي الهاشمـي فسـلَّ ضغني ... وأغمـد عنه تأنيبـي ونابي

أراه عني ابن سكرة الهاشمي فإنه كان صديق الملحي ، ولهذا قال :

* سقاني الهاشمي فسل ضغني * الخ

وقـال أخـو المـودة والتصافي ... وعـون أخـي الصبابـة والتصابي

وشيخٍ طاب أخلاقـاً فأضحى ... أحـبَّ إلـي الشبـاب من الشباب

لـه قفصٌ إذا اسـتخفيت فيه ... أمنْـت فلـم تنلك يد الطلاب

طـرقنـاه وقنـديـل الثريا ... يحـطُّ وفـارس الظلمـاء كابـي

فرحَّـبَ واستمـال وقـال حطَّتْ ... ركابـكُمُ بأفنيـةٍ رحـاب

وحضّ علـى المناهـدة الندامى ... بألفـاظ مهـذّبـة عـذاب

وقـال تيممـوا الأبـواب منها ... فكلٌّ جاء مـن تلقـاء باب

فهـذا قال قدر من طعام ... وهـذا قال دنٌّ من شراب

وهـذا قال ريحـانٌ ونقلٌ ... وثلـجٌ مثـل رقـراق السراب[٢]

وسمـح القـوم من سمحـت يداه ... بخـدر غريرةٍ بكرٍ كَعاب[٣]

فتـمَّ لهـم بذلك لهـو يوم ... غريب الحسـن عذب مستطاب

إذا العـبء الثقيل توزَّعَتْه ... أكفُّ القـوم خفَّ علـى الرقاب

وقوله فيه [من الرجز] :

أقـررْتَ يا ابـن العصـب العيونا ... ورحْـتَ حبـلاً للخنـا متيناً[٤]

---

(١) أثاب : استيقظ .

(٢) النقل : ما يؤكل مع الشراب من فستقٍ وفواكه وغيرهما .

(٣) سمح القوم : جوادهم وكريمهم .

(٤) ابن العصب : ابن الزنا وابن الجماعة والخنا : الفحش .

علّمت قوماً كيف يقصفونا | فاطَّرحوا الحشمة مسرعينا
ودخلوا القبة آمنينا | فأكلوا يومهُمُ سمينا
ولم يكن سرورهم ممنونا | يا من يرى نزف الدنان دينا
ومن يداري العيش كي يلينا | ما العيش إلا للمناهدينا[1]
مؤونةٌ قضت على عشرينا | ولو تفرَّدنا بها خرينا

وقوله فيه من قصيدة [من البسيط] :

ملنا إلى غرفة الملحيِّ إنَّ بها | ظبياً من الإنس مبذول الخلاخيل
نزوره وبقايا الليل تسترنا | فنهتدي لخليعٍ منه ضِلِّيل
يرضى النديم ويرضى عن مروءته | إذا أتاه بمشروب ومأكول
وإن رآه رقيق الوجه قال أرقْ | كأس الحياء بضمٍّ أو بتقبيل
فزدت إذ زرته قنديل بيعته | فالزيت ينشر أضواء القناديل

وقوله من أخرى [من مجزوء الرمل] :

قدْ وهى سترٌ رقيقُ | ومضى ودٌّ عليلُ
قَصُرَتْ أيامنا البيـ | ـضُ وفي يومك طول
دعوة ينتسب القحـ | ـط إليها والمحول
ليس إلا العطش القا | تل والماء الثقيل
مجلسٌ فيه لأربا | ب الخنا قالٌ وقيل[2]
وضراط مثل ما انشـ | ـقَّ الدبيقيُّ الصقيل[3]
فإذا اختالت خلال الـ | ـشرب عذراء شمول

(١) المناهدين : المناهضين المخاصمين .
(٢) أرباب الخنا : أصحاب الفحش وقال وقيل : كناية عن القول الكثير .
(٣) الدبيقي : المنسوب إلى دبيق ، بلد بمصر .

لعبت أيدٍ لها أقـ ـفيةُ القوم طبول
لست من شكلك والنا س ضروبٌ وشكول[1]
أنت للحاجة حتى يصدر الورد خليل
فاقطع الرسل فقد أز رى بنا منك الرسول

وقوله فيه [من المنسرح] :

شيخ لنا من شيوخ بغداذ أغذَّ في القصف أيَّ إغذاذِ[2]
رقَّ طباعاً ومنطقاً فغدا وراح في المستشفٍّ كاللاذ[3]
تظنّ تحت الأكفّ هامته إذا علتها طنين فولاذ
قوّاد إخوانه فإن ظمئوا سقاهمُ الراح سقيَ نبّاذ[4]
له على الشط غرفةٌ جمعت كلّ خليعٍ نشا ببغداذ
أعد فيها ابنة الشباك لهم ممكورة الجنب في ابنة الداذي[5]
ولذّةٍ من صباح قطربُلٍ وجؤذرا من ملاح كلواذ[6]
يقول للزائر الملمّ به أوَصْلُ هذا ألذُّ أم هذي ؟
وشاعر جوهر الكلام له ملك فمن تارك وأخّاذ
وخير ما فيه أنّه رجلٌ يخدمني الدهر وهو أستاذي
إذا انتشى أقبلت أنامله تنشر ميتاً خلال أفخاذي[7]

وقوله فيه ، وكان دعاه في يوم حار إلى غرفة له حارة على الشط ، فأطعمه هريسة

---

(١) ضروبٌ وشكول : أي أشكالٌ وألوان .
(٢) أغذّ : أسرع وأمعن .
(٣) اللاذ : حرير أحمر صيني .
(٤) قوّاد : أي من يقودهم إلى الضلالة والراح الخمر .
(٥) ابنة الشباك : أي التي تصيدهم وممكورة : مصبوغة ، أو مسقيّة والراذي : شراب الفسّاق .
(٦) كلواذ : قرية أسفل بغداد .
(٧) تنشر : تحيي وتبعث .

وسقاه نبيذ الدبس وماء بئر يعرف بكرخايا[1] [من الطويل] :

أرى الشاعر الملحيَّ راح بنا صبّا ... نباغضه عمداً ويوسعنا حبّا
دعانا ليستوفي الثناء فأظلمتْ ... خلائق يستوفي لصاحبها السّبا
تيمّم كرخايا فجاد قليبها ... عليه وما شرب القليب لنا شربا[2]
وأحضرنا محبوسة طول ليلها ... معذَّبة بالنار مُسْعرة كربا
تخيَّر من رطب الذؤابة لحمها ... ومن يابس الحبِّ النقيِّ لها حبا
وساهرها ليلاً يضيِّق سجنها ... فلما أضاء الصبح أوسعها ضربا
إذا مسحتْها الريح راحت كأنها ... تمسَّح موتي كشّفت عنهم التربا
وداذيّة تنهي الصباح إذا بدا ... وتفسد أنفاس النسيم إذا هبّا[3]
شراب يغضّ الطرف عنه وعمره ... ثلاثة أيامٍ وقد شبَّ لا شبا
يحدّ بأطراف النهار وما افترى ... ولا كان خدناً للجناة ولا تربا[4]
فلما تراءت للجميع إزاءنا ... عجبت لمضروبيْن ما جَنَيَا ذنبا

وقوله فيه [من الخفيف] :

أربعاءٌ حسامه مشهور ... حين يأتي وشره محذورُ
نتوقّاه أول الشهر إن دا ... ر ونخشاه آخراً لا يدور
فاغدُ سراً بنا إلى قفص الملـ ... ـحيِّ فالعيش فيه غضٌّ نضير
نتوارى من الحوادث والدهـ ... ـر خبير بمن توارى بصير
مجلسٌ في فناء دجلة يرتا ... ح إليه الخليع والمستور
طائرٌ في الهواء فالبرق يسري ... دون أعلاه والحمام يطير

---

(١) كرخايا : مسيل يفيض الماء من عمودٍ على نهر عيسى ببغداد .
(٢) القليب : البئر .
(٣) الداذية : شراب الفسّاق .
(٤) الخدن : الصاحب . والترب : الرفيق من سنٍّ واحد .

وإذا الغيم سار أسبل منه ... كللٌ دون خدره وستور
وإذا غارت الكواكب صبحاً ... فهو الكوكب الذي لا يغور
ليس فيه إلا خمار وخمر ... ومماتٌ من نشوة ونشور
وحديث كأنه زَهَرُ المنـ ... ـثور حسناً أو لؤلؤٌ منثور
وجريحٌ من الدنان تسيل الـ ... راح من جرحه وقِدْرٌ تفور
ولك الظبية الغريرة إن شئـ ... ـت وإن عفْتَها فظَبيٌ غرير
فتمتَّعْ بما تشاء نهاراً ... ثم بتْ مُعْرِساً وأنت أمير[1]
كل هذا بدرهمين فإن زد ... ت فأنت المبجَّلُ المحبور[2]

وقوله فيه من قصيدة [من الطويل] :

شققت قذال الخالديِّ بمنطقٍ ... يشقُّ من الأعداء كل قذالِ[3]
وناضلني الملحيُّ عنه فأصبحت ... جوارحه مجروحةٌ بنبال
وقد كان يُخلي بيته لمآربي ... إذا زار إلفٌ أو حبا بوصال
على أنه يكريه يوماً بخمسة ... موجّهة بيض الوجوه ثقال[4]
تحلّت بذكر الله من كلّ جانب ... فهنَّ بذكر الله خير حوالي
يبيح بها الملحي طوراً قذاله ... وطوراً حريمي منزلٍ وعيال
فإن شئت أن تحظى بوصل غزالةٍ ... مهفهفة الكشحيْن أو بغزال[5]
فقدِّمْ له الجدي الرضيع وثنِّهِ ... بعذراءَ من ماء الكروم زلال
ولا تلْقَهُ إلاّ بخير وسيلةٍ ... يلوح على وجهيه خير مقال

---

(١) المعرس : أي صاحب عرس .
(٢) المحبور : المسرور ، والمبجّل : المعظّم .
(٣) القذال : القفا ، مكان الصفع .
(٤) يكريه : يؤجّره .
(٥) الكشح : ما بين الخاصرة والسرّة ووسط الظهر من الجسم .

بباز إذا أرسلته صاد كلّ ما تروم به أو نال كل منال

وقوله فيه من أخرى ووصف دعوة دعاه فيها [من الهزج] :

على ابن العصب الملحيّ يثني اليوم من أثنى
على الجلْد وإن صاف في عظمه وهنا
ضحينا عنده يوماً شديدَ الحرّ فالتحنا
ولم يحو به الأجر ولم نعدم به المنّا
جياعاً نصف الزيتون لو أمكن والجبنا
ونطري السمك البنيّ والجردق والبنّا[1]
وكنا ننثر الدرّ من اللفظ فخلّطنا
فلو طارت بنا ضعفاً صبا لاعبةٍ طرنا
ولو أنا دعونا اللـه في دعوته فزنا
إلى أن كبَّرَ العصرَ وهلّلنا فكبرنا
ونشّ السمك المقلوّ بالقرب فسبّحنا
وقلنا هذه الرحمة جاءت فأظلّتْنا
وظَلْنا إذ رأينا الخبز ندنو قبل نُستدنى
إلى مائدةٍ حُفّتْ بها أرغفةٌ مثنى
عليها البقل لا نلحقه بالخلّ أو يفنى
ومنسوبٌ إلى دجلة ما زال لها خدنا
جرى في مائها قبل يجاري ماؤها السفنا
فأضحى لامتداد العمر أعلى صيدها سنّا
طوى أقرانه الدهر فلم تبقِ له قرنا
فلما اكتحلت عيني به أوسعْته لعنا

(١) نطري : من الإطراء ، وهو المدح ، والجردق : نوعٌ من الخبز .

حللنا عقد الشّوا ء عن جسم له مضنى

ومزّقنا له درعاً يواري أعظماً حجنا[1]

نردُّ اليد بالخيبة عن أقربها مجنى

فما تمَّ لنا الإفطا ر بالقوت ولا صمنا

وطاف الشيخ بالدنِّ إلى أن نزف الدنّا

فأدنى كدر العيش بها لا كان ما أدنى

مدامٌ تجلب الهمَّ ولا تطرده عنّا

فلا النفس بها سرَّتْ ولا القلب لها حنّا

كأنّ شرابه مطبوخٌ على راحته اليمنى

وفاح البخر القاتـ ـل منه فتبخَّرْنا

وقال اغتنموا وصل فتاةٍ برعت حسنا

فجاءت تخجل البدر وغصن البانة اللَّدْنا[2]

وتصطاد قلوب الشَّرْ ب أجفانٌ لها وسنى

فكدنا وأبى الله لنا والشِّيَمُ الحسنى[3]

وقمنا نعطف الأزر على العفَّة إذ قمنا

وقلنا يا لحاك الله نزني بعد ما شبنا !

فأبدى الأنس للقوم وأخفى الحقد والضّغنا

هو الشنُّ وما وافـ ـق منّا طبقٌ شنا[4]

---

(١) الحجن : المعوجة ، واحدها حجناء .

(٢) اللدن : الطري الناعم .

(٣) خبر كاد محذوف ، والتقدير : فكدنا نفعل ، وله نظائر في العربية منها قول العرب : من تأنّى نال أو كاد .

والشيم : الصفات والمزايا .

(٤) الشنّ : الوعاء البالي .

وقوله فيه [من مجزوء الرمل] :

لك يا ابن العصب الملحيّ عرضٌ مستباحُ
وقفاً فيه لأيدي الشرب جِدٌّ ومزاح
هو للصفع قريحٌ وهو للرحب قراح
وقريضٌ مثلما تنطق باللغو الفقاح[1]
لست أدري أسلاح لك منه أم سلاح

* * *

غرر من الغزل والنسيب وما يتغنى به من شعر السري

وما أراني أروي أحسن ولا أشرف ولا أعذب ولا ألطف من قوله [من البسيط] :

قسمت قلبيَ بين الهمِّ والكمد ومقلتي بين فيض الدمع والسَّهدِ
ورحت في الحسن أشكالاً مقسَّمةً بين الهلال وبين الغصن والعقَد
أريتني مطراً ينهلُّ ساكنه من الجفون وبرقاً لاح من برد
ووجنة لا يروّى ماؤها ظمئي بخلا وقد لذعت نيرانها كبدي
فكيف أبقى على ماء الشئون وما أبقى الغرام على صبري ولا جلَدي[2]

ومما يأخذ بمجامع القلوب قوله [من الوافر] :

بلاني الحب منك بما بلاني فشأني أن تفيض غروب شاني[3]
أبيت الليل مرتفقاً أناجي بصدق الوجه كاذبة الأماني
فتشهد لي على الأرق الثريا ويعلم ما أجنّ الفرقدان
إذا دنتِ الخيام به فأهلا بذاك الخيم والخيم الدواني
فبين سجوفها أقمار تمٍّ وبين عمادها أغصانُ بان

(١) الفقاح : جمع فقحة وهي فتحة المؤخّرة .
(٢) الشؤن : مجاري الدمع .
(٣) الغروب : الدلو ، وهو يريد هنا محبس الدمع في العين .

ومُذْهبــةِ الخــدود بجلّنار مفضّضــةِ الثغـور بأقحــوان
سقانــا الله من ريّاك ريا وحيّانــا بأوجهـك الحســان
ستصرف طاعتي عمّــن نهاني دمــوعٌ فيك تلحــي من لحاني
ولــم أجهــل نصيحتــه ولكن جنــون الحــبّ أحلى في جناني
فيا ولــع العــواذل خلِّ عنّي ويا كفٍّ الغــرام خذي عناني[1]

وقال من قصيدة [من البسيط] :

ومن وراء سجوف الرقم شمس ضحى تجـول في جنـح ليلٍ مظلــمٍ داجي[2]
مقــدودةٌ خرطــت أيدي الشبــاب لها حقّـين دون مجــال العقــد من عاج[3]

عهدي بأبي بكر الخوارزمي يحن على هذا الوصف .

وقال من أخرى [من الخفيف] :

لطمــت خدَّهــا بحمــرٍ لطاف نال منهــا عذاب بيض عذابِ
فتشــكّى العنّــاب نوْر الأقاحي واشتــكى الــورد ناضر العنّاب

وقال [من مجزوء الكامل] :

قامــت وخــوط البانــة الـ ـميّاس فــي أثوابهـا
ويهزُّهــا سكــران سكـــــــر شرابهـا وشبابهــا
تســعى بصهبــاويْن مـن ألحــاظهــا وشــرابهــا
فــكأنّ كأس مدامهـا لّمـا ارتـدت بحبابهـا[4]
تــوريد وجنتهـا إذا ما لاح تحـت نقابها

---

(١) العنان : الزمام .
(٢) السجوف : الستائر .
(٣) الحقّ : وعاء الطيب .
(٤) الحباب : ما يعلو الخمر من فقاع .

وقال [من الكامل] :

لبستْ مصندلة الثياب فمن رأى صنماً تسربل قبلها أثوابا
وحكتْ من الظبي الغرير ثلاثةً جيداً وطرفاً فاتراً وإهابا[1]

وقال من قصيدة طويلة [من الطويل] :

إذا برزت كان العفاف حجابها وإن سفرت كان الحياء نقابها
حمتنا الليالي بعد ساكنة الحمى مشارب يهوى كلّ ظامٍ شرابها
ألاحظها لحظ الطَّريد محله وأذكرها ذكر الشيوخ شبابها

* * *

تذكر أيام الصبا ومواطن الهوى

ما أحسن وأظرف قوله من قصيدة [من الكامل] :

أسلاسل البرق الذي لحظ الثرى وهناً فوشَّح روضه بسلاسلِ
أذكرتْنا النشوات في ظل الصِّبا والعيش في سنة الزمان الغافل[2]
أيام أستر صبوتي من كاشحٍ عمداً وأسرق لذّتي من عاذل

وقوله من أخرى [من الوافر] :

تثنّى البرق يذكْرني الثنايا على أثناء دجلة والشعابا
وأياماً عهدت بها التصابي وأوطاناً صحبت بها الشبابا

وقوله من أخرى [من الكامل] :

ما كان ذاك العيش إلاّ سكرةً رحلت لذاذتها وحلَّ خمارها

ومن أخرى [من الطويل] :

وكم ليلةٍ شمَّرتْ للراح رائحاً وبتُّ لغزلان الصَّريم مغازلا[3]

---

(١) الإهاب : الجلد .
(٢) السنة : النعاس والغفوة .
(٣) الصريم : القطعة من الرمل .

وحلَّيْتُ كأسي والسماء بحليها فما عطّلــت حتــى بدا الأفــق عاطلا

وقوله من قصيدة يتشوق بها الموصل ونواحيها وهو بحلب [من الكامل] :

أمحــلّ صبوتنــا دعــاء مشوق يرتــاح منــك إلى الهــوى الموموقِ
هل أطرقــنَّ العمــر بــين عصابة سلــكوا إلى اللّــذات كلّ طريق
أم هل أرى القصر المنيف معمّماً برداء غيمٍ كالــرداء رقيق
وقــلا ليَ الــدير التــي لولا النوى لم أرْمهــا بقلــى ولا بعقوق[١]
محمّــرة الجــدران ينفــح طيبها فكأنهــا مبنيــة بخــلوق
ومحــل خاشعــة القلــوب تغردوا بالــذكر بــين فروقــه وفروقي
أغشــاه بيــن منافــقٍ متجملٍ ومناضــلٍ عن كفــره زنديق
وأغــنّ تحســب جيده إبريقه ما دام يسفــح عبــرة الإبريق
يتنازعــون على الــرحيق غرائباً يحسبــن زاهــره كؤوس رحيق
صدرت عن الأفــكار وهــي كأنها رقــراق صادرةً عن الراووق[٢]
دهــرٌ ترفّــق بي فواقــاً صرفه وسطــا عليَّ فكان غــير رفيق[٣]
فمتــى أزور قبــاب مشرقــة الذرى فأورد بــين النسر والعيوق
وأرى الصوامــع في غوارب أُكْمها مثــل الهــوادج في غوارب نوق[٤]

مــا نظـرت إلى الصوامـع بقـرية بوزن من نيسابـور إلا تذكرت هذا البيت واستأنفت التعجب من حسن هذا التشبيه وبراعته وفصاحته .

حمــراً تلــوح خلالهــا بيض كما فصِّلْــتَ بالكافــور سمــط عقيق[٥]

---

(١) قلا : أبغض . والقلى : الكره .

(٢) الراووق : المصفاة ، والكأس .

(٣) الفواق : يقال فوّق السهم أي أراشه أي أن أحداثه كالسهام .

(٤) أكمها : جمع أكمة نهي التلّة العالية .

(٥) السمط : العقد .

كلفٌ تذكّر قبل ناهية النهى ظلّين ظلّ هوى وظلّ حديق [1]
فتفرّقت عبراته في خدّه إذ لا مجير له من التفريق

* * *

حسن الخروج والتخلص

فمنه قوله من قصيدة في الوزير المهلبي [من الكامل] :

عصر مزجت شمائلي بشموله وظلاله ممزوجةً بشماله [2]
حتى حسبت الورد من أشجاره يجني أو الريحان من آصاله
وكأنني لما ارتديت ظلاله جار الوزير المرتدي بظلاله

وقال من أخرى [من الكامل] :

أكْني عن البلد البعيد بغيره وأردُّ عنه عنان قلبٍ مائلِ
وأود لو فعل الحيا بسهوله وحزونه فعل الأمير بآمل

ومن أخرى [من الكامل] :

وركائب يخرجن من غلس الدجى مثل السهام مرقْن منه مروقا
والفجر مصقول الرداء كأنّه جلباب خودٍ أشْربتْه خلوقا [3]
أغمامةٌ بالشام شمْنَ بروقها أم شمن من شيم الأمير بروقا [4]

ومن أخرى [من المتقارب] :

وبكر إذا جَنَبَتْها الجنوب حسبْت العشار تؤمُّ العشارا [5]
ترى البرق يبسم سرّاً بها إذا انتحب الرعد فيها جهارا

---

(1) كلف : عاشق .
(2) الشمائل : الصفات الكريمة والشمول : الخمر .
(3) الخود : الفتاة الناعمة ، وأشربته خلوقا : أي دبجته بالطيب .
(4) شمن : ترقبن .
(5) العشار : النوق .

إذا ما تنمَّر وسميُّها تَعَصْفَرَ بارقُها فاستطارا[1]
يعارضها في الهواء النسيم فينثر في الأرض درّاً صغارا
فطوراً يشقّ جيوب الحيا وطوراً يسحُّ الدموع الغزارا
كأن الأمير أعار الرّبا شمائله فاشتملن المعارا

* * *

ملح من المدح

قال من قصيدة [من الكامل] :

ظلم التليد وليس من أعدائه وحبا الحسود وليس من أحبابه
فالغيث يخجل أن يلمّ بأرضه والليث يفرق أن يطيف بغابه

ومن أخرى [من البسيط] :

أقول للمبتغي إدراك سؤدده خفِّضْ عليك أليس النجم مطلوبا
إن تطلب السّلم تسلم من صوارمه أو تؤثر الحرب ترجعْ عنه محروبا[2]
كم من جبينٍ أزار السيف صفحته لعاد طرساً بحدٍّ السيف مكتوبا
وكم له في الوغى من طعنةٍ نظمتْ عداه أو نثرت رمحاً أنابيبا

ومن أخرى [من الكامل] :

كالغيث يحيي إن همى والسيل يرْ دي إن طما والدهر يصمي إن رمى
شتّى الخلال يروح إمّا سالباً نعم العدى قسراً وإما منْعما
مثل الشهاب أصاب فجّاً معشباً بحريقه وأضاء فجاً مظلما
أو كالغمام الجوْن إن بعث الحيا أحيا وإن بعث الصواعق ضرّما[3]

---

(١) تعصفر : لمع ، والعصفر : صبغ أصفر يستخرج من النبات .
(٢) المحروب : المحزون .
(٣) ضرّما : ألهب وأشعل .

أو كالحسام إذا تبسّم متنه عبس الرّدى في حدّه فتجهّما
كلف بدرّ الحمد يبرم سلكه حتى ترى عقداً عليه منظّما
ويلمُّ من شعث العلا بشمائل أحلى من اللّعس الممنّع واللّمى[1]

ومن أخرى [من الكامل] :

خلقٌ سهول المكرمات سهوله وتوعّر الأيام من أوعارهِ
إن لاح فهو الصبح في أنواره أو فاح فهو الروض في نواره

ومن أخرى [من الوافر] :

لقد شرفَتْ بسؤددك القوافي وفاز بمجدك الشرف التليدُ
فيوم الحرب تطربك المذاكي ويوم السلم يطربك النشيد[2]

ومن أخرى [من المتقارب] :

ومقتبل السنّ سن الندى فأعطى الفتوة حق الفتاءِ
بكفٍّ ترقرق ماء الحياة ووجهٍ يرقرق ماء الحياء

ومن أخرى [من الكامل] :

أما السماح فقد تبسم نوره بعد الذبول وعاد نور ذبالهِ[3]
أطلقْت من أغلاله وشفيت من أعلاله وفتحت من أقفاله

ومن أخرى [من الكامل] :

نسب أضاء عموده في رفعة كالصبح فيه ترفُّعٌ وضياءُ

---

(١) يلمّ : يجمع ، والشعث : التفرّق واللعس واللمى : السمرة في الشفاه .
(٢) المذاكي : جياد الخيل .
(٣) الذبال : الفتيل في السراج .

وشمائـل شهـد العـداة بفضلها والفضـل ما شهـدت به الأعداء

ومن أخرى [من البسيط] :

يريك من رقـة الألفـاظ منطقه درّ العقـود غدت محلولـة العقدِ
جعلتـه جُنّـةً من كلّ نائبةٍ ورحـت من جوده في جنـة الخلد[1]

* * *

المدح بالبأس
ووصف الجيش والسلاح والحرب

قال من قصيدة [من البسيط] :

ناديك من مطـر الإحسـان ممطور ومـرتجيك بغمـر الجـود مغمورُ
والبيض ظلٌّ عليك الدهـر منتشرٌ والنقـع جيب عليك الدهـر مزرور[2]
والشـرك قد هتـكت أستـار بيضته بحـدِّ سيفـك والإسـلام منشور
كم وقعـةٍ لك شبَّـتْ في الضـلال بها نارٌ فأشـرق منهـا في الهـدى نور
ونهضـةٍ خرَّ فسطـاط الكفـور لها خوفـاً وأذعـن بالفسطـاط كافور[3]

ومن أخرى [من البسيط] :

لله سيفٌ تمنّـى السيف شيمته ودولـةٌ حَسَدَتْهـا فخرَهـا الدولُ
وعاشـقٌ خيلاء الخيل مبتذلٌ نفسـاً تصـان المعالـي حين تبتذل
أشـمّ تبـدي الحصـون الشـمّ طاعته خوفـاً ويسلـم من فيهـا ويرتحل
تشوقـه ورمـاح الخـط مشرعةٌ نجل الجـراح بهـا لا الأعين النجل[4]

(١) الجنّة : الدرع والستر .
(٢) النقع : الغبار ، ومزرور : مقفل .
(٣) الفسطاط : القبّة تضرب للسلطان .
(٤) الخط : بلدٌ مشهورة بالرماح . والنجل : الواسعة .

كأنــه وهجير الــروع يلفحـه … نشــوان مد عليه ظلّــه الأسل[1]
فالصافنــات حشــاياه وإن قلقت … والسابغــات وإن أوْهَــتْ له حلل[2]
لمــا تمزّقــتِ الأغمــاد عن شغلٍ … تمزقــت عن سنــا أقمارهــا الكلل
أكرم بسيفــك فيهــا صائــلاً غزلاً … يفري الشـؤون وتثني غربَه المقل[3]

ومن أخرى [من الكامل] :

ولــربَّ يومٍ لا تزال جياده … تطـأ الــوشيج مخضبّــاً ومحطّما[4]
معقــودةٌ غرر الجياد بنقعه … وحجولهـا ممـا تخـوض من الدِّما[5]
يلقــاك من وضــح الحــديد موضِّحاً … طوراً ومـن رَهَـج السنابـك أدهما[6]
أقدمــت تفتــرس الفــوارس جرأةً … فيه وقــد هاب الــردى أن يقْدما
والنــدب من لقــي الأسنــة سافراً … وثنــى الأعنــة بالعجــاج ملثّما

ومن أخرى [من الوافر] :

وأغلــب عامــه في السلــم يومٌ … ولــكن يومــه في الحــرب عامُ
يُهجِّــرُ والرمــاح عليه ظلٌّ … ويسفــر والعجــاج له لثـام

ومن أخرى [من الكامل] :

جيشٌ إذا لاقــى العــدو صدوره … لــم يلــق للأعجــاز منــه لحوقا
حجبــت له شمس النهــار وأشرقت … شمس الحــديد بجــانبيه شروقا

---

(١) الأسل : الرماح .
(٢) الصافنات : كرام الخيل ، والسابغات : الدروع .
(٣) يفري : يقطع ، والشئون : مجاري الدمع وغربة المقل : أي دمعها الذي لا ينقطع .
(٤) الوشيج : شجر نصنع من أغصانه الرماح .
(٥) غرر الجياد : البياض الذي في وجوههن .
(٦) الرهج : الغبار . والسنابك : الأطراف . والأدهم : الأسود .

ومن أخرى [من الكامل] :

كم معـركٍ عرك القنـا أبطاله ... فسقاهـمُ في النَّقـع سمّـاً ناقعا
هبَّـتْ رياحـك في ذراه سمائما ... وغـدت سمـاؤك تستهـلُ فجائعا
فتـركْتَ من حرّ الحـديد مصائفاً ... فيه ومـن فيض الدمـاء مرابعا

ومن أخرى [من الرمل] :

والضحـى أدهـم بالنقـع فإن ... ضحـكت فيه الظبـا كان أغرّ
مـوقفٌ لو لم يكن ناراً إذن ... لم تكن رزقٌ عواليه شرر
ينظـم الطعـن كلـى أعدائه ... وعقـود الهـام فيـه تنتثر

* * *

العتـاب

قال من قصيدة [من المتقارب] :

إلـى كم أحبِّـرُ فيك المديح ... ويلقـى سواي لديك الحبورا
لهمَّـتْ عرائسـه أن تصدَّ ... وهمـت كواكبـه أن تغورا
أيسلمنـي بعـد أن رحـت لي ... علـى نُوب الدهـر جاراً مجيرا
وأسفـر حظِّـيَ لما رآ ... ك بينـي وبين الليالـي سفيرا
سأهـدي إليك نسيم العتاب ... وأضمـر من حرِّ عتْـبٍ سعيرا

وقال في معناه [من الوافر] :

أبـا الهيجـاء أصبحـت القوافي ... تخـبُّ إليك حجّـاً واعتمارا[1]
عتابـاً كالنسيم جرى لعتبٍ ... يضـرِّمُ في الحشـى منـي استعارا

---

(١) أبا الهيجاء : يعني سيف الدولة الحمداني .

وقال يعاتب صديقاً أفشى له سراً [من الطويل] :

رأيتك تبري للصديق نوافذاً عدوك من أمثالها الدهر آمنُ
وتكْشف أسرار الأخلاّء مازحاً ويا ربَّ مزحٍ راح وهو ضغائن
سأحفظ ما بيني وبينك صائناً عهودك إن الحرَّ للعهد صائن
وألقاك بالبشر الجميل مداهناً فلي منك خِلٌّ ما عرفت مداهن
أنمّ بما استودعْته من زجاجةٍ ترى الشيء فيها ظاهراً وهو باطن[1]

وقال في مثل ذلك [من الوافر] :

ثَنَتْني عنك فاستشعرت هجراً خلال فيك لست لها براضِ
وأنك كلما استودعت سرّاً أنمُّ من النسيم على الرياض

وقال في مثل ذلك [من البسيط] :

لسانك السيف لا يخفى له أثرٌ وأنت كالصِّلِّ لا تبقي ولا تذرُ
سرّي لديك كأسرار الزجاجة لا يخفى على العين منها الصفو والكدر
فاحذر من الشعر كسراً لا انجبار له فللزجاجة كسرٌ ليس ينجبر

وقال في مثل ذلك [من البسيط] :

أروم منك ثماراً لست أجنيها وأرتجي الحال قد حلَّتْ أواخيها
أستودع الله خِلاًّ منك أوسعه ودّاً ويوسعني غشّاً وتمويها
كأن سِرِّيَ في أحشائه لهبُ فما تطيق له طيّاً حواشيها
قد كان صدرك للأسرار جندلةً ضنينةً بالذي تخفي نواحيها
فصار من بعد ما استودعت جوهرةً رقيقةً تستشفُّ العين ما فيها

وقال من قصيدة [من الكامل] :

لا تأنفنَّ من العتاب وقرصه فالمسك يُسحق كي يزيد فضائلا

---

(١) أنمّ : أدلُّ .

ما أحـــرق العـــود الـــذي أشممته   خطـأً ولا غُمَّ البنفســـج باطلا[1]

* * *

هذا مما أخرج له في الربيع وآثاره وأنواره وأزهاره

فمنه قوله من قصيدة [من البسيط] :

أمـــا ترى الجـــوَّ يجلـــي في مُمَسَّكَةٍ   والأرض تختـــال في أبرادهـــا القشبِ
إذا ألـــحَّ حســـام البـــرق مؤتلقاً   في الومض جدَّ خطيب الرعد في الخطب[2]
والـريح وسنـــى خلال الـــروض وانيةٌ   فمـــا يراع لهـــا مستيقـــظ الترب[3]

وقال من أخرى [منَ الرمل] :

شاقنـــي مستشـــرف الـــدير وقد   راح صوب المـــزن فيه وبكرْ
أهـــواءٌ رقَّ فـــي أرجائـه   أم هوى راق فمـــا فيه كدر
أم خدودٌ سفـــرت عن وردها   أم ربيع عن جنـــى الـــورد سفر[4]
مجلسٌ ينصـــرف الشـــرب وما   طُوِيَتْ من بُسْطـــه تلك الحُبُر
وكأنَّ الشـــمس فيـه نثرت   ورقـــاً ما بين أوراق الشجر
بين غُدْرٍ تقـــع الـــطير بها   فتـــراهـــن رياضـــاً فـــي غُدُر
ونسيمٍ وكره الـــروض فـــإن   طار في الصبـــح ارتدينـــاه عطر

---

(١) غمّ : أخفي ، أو من الغمّ : الحزن .
(٢) الومض : البريق .
(٣) وسنى : ناعسة ذابلة .
(٤) سفرت : كشفت وأبدت .
(٥) الحبر : جمع حبرة ، وهو الثوب الموشى .

وثـرىً يشـهـد بالـطيب لـه ... عبـقٌ خالف أطـراف الأزر
وغيومٍ نشـرت أعلامها ... فلهـا ظـلٌّ علينا منتشـر

ومن أخرى [من الكامل] :

وحدائـقٍ يسْـبيك وشـيُ برودها ... حتـى تشبِّهها سبـائـب عبقرِ[1]
يجـري النَّسيم خلالهـا وكأنما ... غمسـت فضـول ردائـه في العنبر
باتـت قلـوب المحـل تخفـق بينها ... بخفـوق رايات السحـاب الممطر
من كل نائـي الحجـرتين مُوَلَّعٍ ... بالبـرق دانـي الـظلتيْن مشهَّـر
تحـدي بألسنـة الرعـود عشاره ... فيسير بيـن مغـرِّدٍ ومزمجر[2]
طارت عقيقـة برقـه فكأنما ... صدعـت مُمَسَّـكَ غيمـه بمعصفر[3]

وقال في روض وغدير فيه طير الماء من أرجوزة [من الرجز] :

وضاحك الـروض محلَّى المنزل ... سبْطِ هبوبِ الـريح جعـدِ المنهلِ
موشَّـح بالنَّـور أو مكلل ... مفروجـة حلتـه عـن جدول
أقبـلَ قد غصَّ بمـدٍّ مقبل ... والـطير ينقضُّ عليه من عل

* تساقط الوشي على المصندل *[4]

وقال في الورد [من السريع] :

لـو رحّبـت كأسٌ بذي زورةٍ ... لرحَّبـت بالـورد إذ زارها
جـاء فخلنـاه خدوداً بدت ... مُضْرمـةً من خجـلٍ نارها
وعطّـر الـدنيا فطابـه به ... لا عدمـت دنياه عطّارها

---

(1) السبائب : الطرق . عبقر : موضع زعم العرب أنه موطن للجن .
(2) تحدي : تسوق .
(3) العقيقة : واحدة العقيق ، وهو الخرز الأحمر .
(4) المصندل : من الصندل وهو شجر هندي أبيض الزهر طيب الرائحة .

وقال في وصف الروض وقوس قزح [من مجزوء الرجز] :

إن عنَّ لهـوٌ أو سنحْ فاغـدُ إلـى الـراح ورحْ
رضيت أن أحظـى بعزّ الـكأس والحـظ منح
وصاحـبٍ يقـدح لي نار الســرور بالقـدح
فـي روضـةٍ قد لبست من لؤلـؤ الطـلّ سبح[1]
يألفنـي حمامهـا مغتبقـاً ومصطبـح[2]
أوقظـه بالعـزف أو يوقـظني إذا صـدح
والجوّ في ممسّكٍ طـرازه قوس قزح
يبـكي بلا حـزنٍ كما يضحـك مـن غير فرح

وقال [من المتقارب] :

هفـا طربـاً في أوان الطرب فأنخـب أقـداحـه كالنخبْ
وغنّـى ارتياحـاً إلـى عارضٍ يغني وعَبـرته تنسكـب[3]
غيومٌ تمسّـك أفـق السماء وبـرقٌ يُكتِّبُـهُ بالذهـب
وخضـراء ينثـر فيهـا الندى فريد ندىً ما له من ثقب
فأنوارهـا مثـل نظـم الحلى وأنهارهـا مثـل بيضِ القضُب[4]
حللـت بهـا مع ندامـى سلوا عن الجِـدِّ واشتهـروا باللعب
وأغنتهـمُ عن بديع السماع بدائـع ما ضمِّنتـه الكتـب
وأحسـن شيءٍ ربيع الحيا أضيف إليه ربيـع الأدب

---

(١) السبح : العقد .
(٢) الاغتباق : الشرب مساء والصبوح : الشرب صباحاً .
(٣) العبرة : الدمعة . وتنسكب : تذرف .
(٤) القضب : السيوف .

وقال في وصف البرد [من الكامل] :

يومٌ خلعتُ به عذاري فعريتُ من حلل الوقارِ
وضحكتُ فيه إلى الصبا والشيب يضحك في عذاري
متلوّنٌ يبدي لنا طرفاً بأطراف النهار
فهواؤه سكب الردا ء وغيمه جافى الإزار
يبكي فيجمد دمعه والبرق يكحله بنار

* * *

الشراب وما يتصل به

قال يصف باقي زجاجة الكأس من أعلاها إذا كانت ناقصة من الشراب [من الطويل] :

أعاذل إنّ النائباتِ بمرصدٍ وإن سرور المرء غير مخلَّدِ
إذا ما مضى يوم من العيش صالح فصِلْهُ بيومٍ صالح العيش من غد
وحالية من حسنها وجمالها وإن برزت عطل الشّوى والمقلد[1]
تعاطيك كأساً غير ملأى كأنما فواقعها أحداق درعٍ مزرَّد[2]
كأنّ أعاليها بياض سوالفٍ يلوح على توريد جيب مورّد

وقال في مثل ذلك [من الطويل] :

وصفراء من ماء الكروم شربتها على وجه صفراء الغلائل غضّةِ
تبدَّتْ وفضل الكأس يلمع فوقها كأترجةٍ زِينَتْ بإكليل فضة[3]

---

(١) العطل : عدم التزيُّن بالحلي والشوى من الإنسان : أطرافه والمقلد : موضع القلادة .
(٢) الفواقع : حباب الخمر .
(٣) الأترجة : من الأترج ، وهو شجر وثمر من جنس الليمون تسمّيه العامة « الكباد » .

وقال في مثل ذلك [من المتقارب] :

دعانا إلى اللهو داعي السرور فبتنا نبوح بما في الصدورِ
وطافت علينا بشمس الدّنا ن في غسق الليل شمس الخدور
كأنّ الكؤوس وقد كلّلتْ بفضلاتهن أكاليل نور
جيوبٌ من الوشي مزرورة يلوح عليها بياض النحور[1]

وقال [من المنسرح] :

وفتيةٍ دارت السّعود لهم فدار للراح بينهم فلكُ
بتنا وضوء الكؤوس يهتِك بالـ إشراق ستر الدجى فينتهك
ترى الثريا والبدر في قرنٍ كما يحيا بنرجسٍ ملك[2]

وقال وقد شرب ليلة في زورق [من الطويل] :

ومعتدلٍ يسعى إليَّ بكأسه وقد كاد ضوء الصبح بالليل يفتكُ
وقد حجب الغيم السماء كأنّما يزرّ عليها منه ثوب ممسّك
ظللنا نبث الوجد والكأس دائرٌ ونهتك أستار الهوى فتهتك[3]
ومجلسنا في الماء يهوي ويرتقي وإبريقنا في الكأس يبكي ويضحك

وقال من قصيدة [من المتقارب] :

وساق يقابل إبريقه كما قابل الظبي ظبياً ربيبا
يطوف علينا بشمسيّةٍ نروع بها الشمس حتّى تغيبا

وقال من أخرى [من المتقارب] :

وملآن من عبرات الكروم كأنّ على فمه عصفرا

---

(١) الوشي : التفويف والتطريز ، ومزرورة : مغلقة .
(٢) القرن : القيد والعقد .
(٣) البث : النجوى .

إذا قربتــه أكفُّ السّقاة من الــكأس قهقــهَ واستعبرا
تروّحــه عذبـات الفدام بريّا النسيم إذا ما جـرى[1]
وريم إذا رام حث الكؤو س قطًّــب للتيه واستكبرا
وجـرّد من طرفــه خنجراً ومــن نون طرّتــه خنجرا[2]
تــرى ورد وجنتــه أحمرا وريحــان شاربـه أخضـرا

وقال [من مجزوء الرجز] :

اشــربْ فقـد شرَّدَ ضو ءُ الصـبـح عنّــا الظلما
وانبسـط النـور علـى وجـه الثـرى فابتسما
كأنّمـا أطلـع ما ء المــزن فيـه أنجمــا
وصـــوَّبَ الإبــريق في الــ ـكأس مداماً عندمـا[3]
كأنّـه إذ مَجَّهــا مقهقــهُ يبــكــي دمـا

وقال يذكر ليلة سكر فيها بقطربل ويصف الشمع [من المتقارب] :

كستــك الشبيبــة ريعانهـا وأهـدت لك الـراح ريحانَها
فـدم للنـديم علــى عهده وغــاد المــدام وندمانهـا
فقـد خلـع الأفـق ثوب الدجى كمــا نضــت البيـض أجفانها
وســاقٍ يواجهني وجهه فتجعلـه العيـن بستانهـا
يتــوِّج بالــكأس كفّ النديم إذا نظــم المـــاء تيجانهـا
فطــوراً يوشّــح ياقوتها وطــوراً يرصّــع عقيانها[4]
رميت بأفراسهــا حلبـة من اللهــو ترهــج ميدانها

---

(١) الفدام : المصفاة توضع على الابريق .
(٢) الطرّة : خصلة الشعر في أعلى الجبين .
(٣) العندم : نبات يصبغ به .
(٤) العقيان : الذهب الخالص .

وديرا شغفـت بغزلانه فكدت أقبّـل صلبانها
فلمـا دجـى الليل فرّجته بروحٍ تحيّف جثمانها[1]
بشمـعٍ أعير قدود الرماح وسـرجٍ ذراهـا وألوانها
غصـونٌ من التبـر قد أزهرت لهيبـاً يزيّـن أفنانهـا
فيا حسـن أرواحهـا في الدجى وقـد أكلـت فيه أبدانها
سـكرت بقطربّـل ليلةً لهـوت فغازلـت غزلانهـا[2]
وأيّ ليالـي الهـوى أحسنت إلـيّ فأنـكرْت إحسانها

وقال [من البسيط] :

قم فانتصف من صروف الدهر والنُّوَب واجمع بكأسك شمـل اللهـو والطربِ
أمـا ترى الصبـح قد قامـت عساكره في الشـرق ينشـر أعلامـاً من الذهب
والجـو يختـال في حجـبٍ مُمسكَةٍ كأنّمـا البـرق فيهـا قلـب ذي رُعُب
وجانبتـك صروف الدهـر فانصرفت وقابلتـك سعـود العيش عن كثب
فاخلـع عذارك واشـرب قهـوةً مزجتْ بقهـوة الفَلِجِ المعشـوق والشنب[3]
فالعيش في ظلّ أيام الصبـا فإذا ودّعْت طيب الشبـاب الغضّ لم يطب
جريت في حلبـة الأهـواء مجتهداً وكيف أقصـر والأيام في طلبي
توّج بكأسـك قبـل الحادثـات يدي فالـكأس تاج يد المثْـري من الأدب

وقال [من البسيط] :

خذوا من العيش فالأيام فانيةٌ والدهـر منصـرفٌ والعيش منقرضُ
في حامل الكأس من بدر الدجى خلفٌ وفي المدامة من شمس الضحى عوض

---

(١) تحيّف : تظلم ، والجثمان : الجسد .
(٢) قطربّل : إسم بلد .
(٣) الفلج : الذي تباعد ما بين أسنانه يقصد « الرضاب من الفمّ » . والشنب : البارد .

كأنّ نجـم الثـريا كفّ ذي كرمٍ مبسوطـةٌ بالعطـايا ليس تنقبض
دارت علينـا كؤوس الـراح مترعةً وللدجـى عارضٌ في الجـوّ معترض
حتـى رأيت نجـوم الليل غائرة كأنّهـنّ عيونٌ حَشْوُهـا مرض

وقال يصف ظل كرم [من الطويل] :

أدرهـا ففقـد اللـوم إحـدى الغنائم ولا تخش إثمـاً لسـت فيهـا بآثمِ
ولا عيش إلا في اعتصـامٍ بقهوةٍ يروح الفتى منها خضيب المعاصم[1]
ولا ظلَّ إلاّ ظلّ كرمٍ معرّشٍ يغنّيك في قطـريْهِ ورق الحمائم
سماء غصونٍ تحجب الشمس أن ترى على الأرض إلاّ مثـل نثـر الدراهم

وقال [من البسيط] :

اليـوم يعـذب وردٌ فيـه تكدير ويسـتفيد مـن الهجـران مهجـورُ
حثّ الـكؤوس فذا يوم به قصرٌ ومـا به عن تمـام الحسـن تقصير
صحـوٌ وغيمٌ يروق العين حسنهما فالصحـو فيروزجٌ والغيم سمّور[2]

وقال [من الطويل] :

وبـكرٍ شربناهـا علـى الـورد بكرةً فكانت لنـا ورداً إلـى ضحـوة الغدِ[3]
إذا قام مبيَضٌ اللبـاس يديرها توهَّمْتـه يسـعى بكمٍّ مـورد

* * *

(١) القهوة : الخمر .
(٢) السمّور : حيوان يضع جلده فراءً .
(٣) الضحوة : ارتفاع الشمس أو النهار .

استهداء الشراب

كتب إلى أبي الحسن الشمشاطي [من المتقارب] :

أبا حسنٍ إنّ وجه الربيع جميلٌ يزان بحسن العقارِ[1]
فإن الربيع نهار السرو ر والراح شمس لذاك النهار
وإنك مشرقها إن أردتَ وإن لم ترد غربتْ في استتار
فأجرِ إليَّ بحارَ العقارِ فمن فيض كفّيْك فيض البحار
وقد عبَّأ الهم لي جيشه وليس له غير جيش الخمار

وكتب في يوم فصده إلى أبي إسحاق الصابي [من مجزوء الوافر] :

أبا إسحق يا جبلي ألوذ به ومعتصمي[2]
ويا سيفي أصول به ويا حِلِّي ويا حرمي
أرقْت دمي وأعوزني سليل الكرْم والكرَم
وبين يديّ مخجلةٌ سواد القار والظلم[3]
ترى اللهوات تحجبها إذا وقَعَتْ حيال فمي
ولست أسيغها إلا كلون الورد والعنم
فشيئاً من دم العنقو د أجعله مكان دمي

وكتب إلى أبي الهيجاء الحمداني [من الطويل] :

تجنّبني حسن المدام وطيبها فقد ظمئتْ نفسي وطال شحوبُها
وعندي ظروفٌ لو تظرّف دهرها لما بات مُغْرىً بالكآبة كوبها
وشعثٍ دنانٍ خاوياتٍ كأنها صدور رجال فارقتها قلوبها

---

(١) العقار : الخمرة .
(٢) ألوذ : أحتمي .
(٣) القار : القطران .

فسقياك لا سقيا السحاب فإنما بيَ العلَّةُ الكبرى وأنت طبيبها

وكتب إلى صديق له [من البسيط] :

أبا الحسين دعتْ نفسي أمانيها إلى يدٍ منك مشكورٌ أياديها
تصرَّم الصوم عنّا بعد ما ظمئت له النفوس وفقد الراح يُظْميها[1]
فجدْ بعذراءَ مثل الشمس تعذرها إن أظهرتْ صلفاً للحسن أوتيها[2]
واعلمْ بأنّ ظروف الراح إن كبرتْ عند الهدية أبدتْ ظرف مهديها

وكتب إلى صديق له في وقت كثير الثلج شديد البرد من أبيات [من الطويل] :

طرقْتُكَ ممتاحاً وليس لطارقٍ يرومك من وقع الضريب طريق[3]
جنوبٌ تحثّ المزن حثاً وشَمْأَلٌ تعبسّ منه الوجه وهو طليق[4]
وضوء حريقٍ ألبس الأرض ثوبه يخاف على الإقدام منه حريق
تثير الصبا في الجوّ منه عجاجةً كما انتشر الكافور وهو سحيق
وما انفلَّ حد القرِّ إلاّ بقهوةٍ ترقرقُ في كاساتها فتروق
إذا لبست أثوابها فعقيقةٌ وإن نشرَتْ أنفاسها فخلوق[5]
تدور علينا كأسها في غلائلٍ رقاقٍ تردُّ العيش وهو رقيق
فألبس منها جبّةً حين أنتشي وأخلعها بالكره حين أفيق
وإني خليقٌ من نداك بمثلها وأنت بما أمّلْتُ منك خليق

* * *

(١) تصرّم : مضى وانقضى .
(٢) الصدف : التكبّر والعجب .
(٣) الممتاح : الطالب ، والضريب : الجليد .
(٤) الجنوب : الريح الجنوبية ، وتحث : تسوق وتسرع .
(٥) الخلوق : الطيب أو نوعٌ منه .

هذا ما أخرج له في الاستزارة ووصف آلاتها

قال يدعو صديقاً له ، ويصف غرفة له بالموصل مشرفة على الربض الأسفل والنهر ، ويصف ما عنده من قدر وكانون ونار وشراب [من المتقارب] :

لنـا غرفـةٌ حسنـت منظراً ... وطابـت لسـاكنها مخبـرا
تـرى العين من تحتهـا روضةً ... ومـن فوقهـا عارضـاً ممطرا
وينسـاب قُدَّامهـا جدولٌ ... كمـا ذُعـر الأيْمُ أو نُفِّرا[1]
وراح كأن نسيم الصّبا ... يحمـل مـن نشرهـا العنبرا
وعنـدِيَ علْـقٌ قليل المكاس ... وندمـان صدق قليل المرا[2]
ودهمـاءَ تهـدر هدر الفنيق ... إذا ما امتطـت لهبـاً مسعرا[3]
تجيش بأوصـال وحشيَّـةٍ ... رعـتْ زهـرات الربـا أشهرا
كأن علـى النـار زنجيةً ... تفـرِّجُ ثوبـا لهـا أصفـرا
وذو أربـع لا يطيق النهوض ... ولا يألف السّير فيمـن سرى
نحمّله سبجاً أسـودا ... فيجعلـه ذهبـاً أحمـرا
وقـد بكّر العبـد من عندنا ... يزفُّ لك الطـرف والممطرا
فشمِّـرْ إلـى روضـةٍ ترتضي ... فإن أخـا الجِـدِّ من شَمَّرا

وقوله [من المنسرح] :

لـم ألـق ريحانـةً ولا راحا ... إلاّ تُنثْنـي إليـك مرتاحـا
وعندنـا ظبيـةٌ مهفهفةٌ ... ترأم ريمـاً يحـنُّ صداحا[4]

---

(١) الأيم : الحيَّة الذكر ، ونفّر : أي ذعر فغادر مكانه هرباً .
(٢) المكاس : المماكسة ، والمراء : المجادلة وقد قصره مضطراً .
(٣) الفنيق : الفحل المكرم .
(٤) ترأم : تحنُّ وتعطف .

تفســد قلبــي إن أصلحتــه ولا أرى لمــا أفسدتــه إصلاحا
وفتيةٍ إن تذاكروا ذكروا من الـكلام المليـح أرواحـا
وقـد أضــاءت نجــوم مجلسنا حتــى اكتســى غرَّةً وأوضاحا
إن جمـــدت راحنـــا غدتْ ذهباً أو ذاب تفّاحنـــا غدا راحا
عصابـــةٌ إن شهـــدت مجلسهم كنـــت شهابـــاً له ومصباحا
أغلـــق باب الســـرور دونهم فكنْ لبـــاب الســـرور مفتاحا

وقال يصف كانون نار ويدعو صديقاً [من المنسرح] :

يوم رذاذٍ ممسّــك الحجب يضحــك فيه الســـرور عن كثبِ
ومجلـسٍ أســبلـت ستائرُهُ علــى شمـــوس البهــاء والحسب
وقـــد جرتْ خيل راحنـــا خبباً في جريهـــا أو همّمْـــن بالخبب[١]
والتهبـــت نارنـــا فمنظرهـــا يغنيك عن كلّ منظـــرٍ عجب
إذا ارتمـــت بالشـــرار واطَّردتْ علـــى ذراهـــا مطـــارد اللهب
رأيت ياقوتـــةً مشبّكةً تطير عنهـــا قراضـــة الذهب[٢]
فصر إلى المجلس الـــذي ابتسمت فيه رياض الجمـــال والأدب

وقال [من الكامل] :

نفســي فداؤك كيف تصبــر طائعاً عن فتيةٍ مثــل البـــدور صباحِ
حنّـــتْ نفوسهـــمُ إليك فأعلنوا نفســـاً بغـــلٍّ مســـالك الأرواح
وغـــدوْا لراحهـــمِ وذكرك بينهم أذكى وأطيب من نسيم الراح
فإذا جرت خببـــاً علـــى أيديهمِ جعلـــوه ريحانـــاً علـى الأقداح

---

(١) الخبب : نوع من العدو .
(٢) القراضة : النثار .

وقال [من الطويل] :

لنـا روضـةٌ في الـدار صيغ لزهرها ... قلائـد من حمـل النـدى وشنوفُ[1]
يطـوف بنـا منهـا إذا ما تبسَّمتْ ... نسيم كعقـل الخالـديِّ ضعيف
ونَدمـان صدقٍ نشـرهُ ونظامه ... ربيعٌ إذا قارضْتـهُ وخريف
وقـد رقَّ ثوب الغيم حتّـى كأنما ... تنشـرَ دون الأفـق منـه شفوف
فزر مجلسـاً قد شرّف الله أهله ... وفضّلهـم إنّ الأديب شريف
ولا تعْـدُ أفعـال الظـريف ، فإنّه ... زمـان رقيق الحلبتيـن ظريف[2]

وقال [من الوافر] :

هـواءٌ كالهـوى حسنـاً وظرفاً ... وخيشٌ ليس يتـرك أن يجفّا[3]
وفتيانٌ كرامٌ باكروه ... ونجـمٌ صباحهـم يبـدو ويخفى
فـإن بادرْتهـمْ جعلـوك بـدراً ... وإن خالفتهـم جعلـوك خلفا

* * *

أوصـاف شتـى

قال في وصف الهلال [من الوافر] :

ألا عدلـي ببـاطيةٍ وكاسٍ ... ورعْ همِّـي بإبـريق وطاسِ[4]
وذاكرْنـي بشعـر أبـي فراسٍ ... علـى روضٍ كشعـر أبـي نواس
وغيمٍ مرهفـات البـرق فيه ... عوارٍ ، والـرياض به كواسي
وقـد سلَّـتْ جيوش الفطـر فيه ... علـى شهـر الصيام سيوفَ باس

---

(١) الشنوف : حليٌّ تعلّق في الآذان .
(٢) الحلبتين : الغداة والعشّي .
(٣) الخيش : نسيج من أردأ الكتّان غليظ الخيوط .
(٤) الباطية : آنية الخمر .

ولاح لنا الهلال كشطر طوقٍ   على لبّات زرقاء اللباس[1]

وقال [من المنسرح] :

جاءك شهر السرور شوال   وغال شهرَ الصيام مغتالُ
أما رأيت الهلال يرمقه   قومٌ لهم إن رأوه إهلال
كأنه قيد فضة حرج   فضّ عن الصائمين فاختالوا

قال في وصف الريحان [من الكامل] :

وبساط ريحان كماء زبرجدٍ   عبثتْ بصفحته الجنوبُ فأرعدا
يشتاقه الشَّرب الكرام فكلّما   مرض النسيم سعوا إليه عُوَّدا[2]

وقال في وصف طبل العزف [من الكامل] :

ومقيّد الطرفين يطرب عند تضييق القيودِ
ولقد يلطّم خدّه في حال ترفيه الخدود
وكأنّما زأراته يحسبن زأرات الأسود
أنظر إليه مع المدا م ترى بروقاً معْ رعود

وقال في وصف البراغيث [من الرجز] :

وليلةٍ من نقمات الدهر   قطّعتها نزر الكرى والصبرِ
مكلّم الظهر جريح الصدر   مقسّما بين أعادٍ خزْر[3]
كُمْتٍ إذا عاينتها وشقر   كأنّها آثارها في الأرز[4]

---

(١) اللبّات : الصدور ، أو موضع القلادة منها .
(٢) عودّاً : زائرين .
(٣) مكلّم الظهر : جريحه . والخزر : الضيق في العين .
(٤) الكُمت : الخيل التي لونها يميل إلى الأحمر أو الأسود .

وصف المروحة [من الطويل] :

ومبثوثـةٍ في كلّ شرقٍ ومغربٍ   لهـا أمّهـات بالعـراق قواطنُ
يحـرّك أنفـاس الـرياح حراكها   كأنّ نسيم الـريح فيهـن كامن

وصف منثور [من الكامل] :

ومجـرّدٍ كالسيف أسلـم نفسه   لمجـردٍ يكسـوه ما لا ينسجُ
ثـوبٌ تمزّقـه الأنامـل رقةً   ويصيبـه المـاء القـراح فيبهج
فكأنـه لمـا استـوى في خصره   نصفـان ذا عاجٌ وذا فيروزج

وصف الديك [من الكامل] :

كشـف الصبـاح قناعـه فتألّقا   وسطـا علـى الليل البهيم فأطرقا
وعـلا فلاح علـى الجـدار موشّحا   بالوشْـيِ تُوِّج بالعقيق وطُوِّقا
مرخٌ فضـول التـاج في لبّاته   ومشمّـرٌ وشياً عليـه منمّقا[1]

وصف كلاب الصيد [من الطويل] :

غدوت بهـا مجنونـةً في اغتدائها   تُلاقي الوحـوشُ الحين عنـد لقائها[2]
لهـن شياتٌ كالزوامـج أصبحتْ   مُولَّعـةً ظلمـاؤهـا بضيائهـا[3]
وأيدٍ إذا سلّـت صوالـج فضةٍ   علـى الـوحش يومـاً ذهَّبَـتْ بدمائها[4]

وفي مثله [من الطويل] :

إذا ما دعونـا لاحقـاً ومعانقا   وقيدَ لدينـا واثـبٌ ومخالسُ

---

(١) مرخ : مدّهنٌ بالطيب ، والمرخ : النبات الذي طالت عيدانه وطاب ورقه .
(٢) الحين : الهلاك والموت .
(٣) الشيات : جمع شية وهو اللون ، والزوامج : ربما كانت جمع زمّج ، وهو طائرٌ دون العقاب يصاد به ، في قمّته حمرة غالبة .
(٤) الصوالج : الفضّة الصافية .

فذلك يومٌ جانب السعد سربه وقوبل بالنحس الظباء الكوانس[1]
كأن جلود الوحش بين كلابها وقد دميت أجيادها والمعاطس[2]
مصندلة القمصان شقّتْ جيوبها ورقرق فيهن العبير العرائس

وقال في وصف قدر [من مخلع البسيط] :

سوداء لم تنتسب لحام ولم ترم ساحة الكرامِ[3]
كأنما تحتها ثلاقٌ مقترناتٌ من الحمام
يلعب في جسمها لهيبٌ لعب سنا البرق في الظلام
لها كلامٌ إذا تناهت غير فصيح من الكلام
وهْي وإن لم تذق طعاماً مملوءة الجسم من طعام
لم يخل من رفدها نديمي يوم خمارٍ ولا مدام
ولى إذا الضيف عاد أخرى مصرّعٌ حولها سوامي[4]
عظيمة إن غلت أذابت بغليها لابس العظام
كأنما الجن ركّبتها على ثلاثٍ من الأكام
لها دخان تضل فيه عجاجة الجحفل اللّهام[5]
كأنّما النار ألبستها معصفراتٍ من الضّرام
ولم يزل مالنا مباحاً من غير ذلٍّ ولا اهتضام[6]
نأخذ للقوت منه سهماً وللندى سائر السهام

---

(١) الكوانس : الداخلات في أكنستهن .
(٢) المعاطس : الأنوف .
(٣) حام : أبو السود .
(٤) السوام : الماشية .
(٥) اللهام : الكثير العدد .
(٦) اهتضام : انتقاص .

وصف حمل مشوى [من الرجز] :

أنعتــه معصــفر البرديـن	أبيض صافـي حمـرة الجنبيْنِ
خلّف شهــرين على الخلفيْن	ثم رعــى بعدهمــا شهرين[1]
فجســمـه شبــران في شبريْن	يا حسنــه وهــو صريع الحيْن[2]
بيــن ذراعيـن مفصّليـن	كسـارق حُدَّ مـن اليدين
وطـرفٍ يستــوقف الطرفيـن	كمثـل مرآة مـن اللّجيـن
مُـذْهبـة المقبـض والوجهيـن	تعــرفـه مرهفـة الحدَّيْن
بـكفٍّ طاه عطـر الكفين	شق حشــاه عن شقيقتين
أختين في القـدِّ شبيهتين	كمــا قرنـت بين كمأتين

* أو كُرَتَيْ مسك لطيفتين *

وقال يصف جام فالوذج ويعبث بأبي بكر الخالدي ، ويشير إلى أنه يميل إلى البرطيل[3] [من الطويل] :

إذا شئــت أن تجتــاح حقــاً بباطلٍ	وتغــرق خصمــاً كان غير غريقِ
فسائــل أبــا بكرٍ تجــدْ منــه سالكاً	إلــى ظلمــات الظلــم كل طريق
ولاطفْــه بالشَّهــد المخلــق وجهه	وإن كان بالألطــاف غير حقيق
بأحمــرَ مبيضٍّ الزجــاج كأنـه	رداء عروس مُشْــرب بخلوق
له في الحشــا برد الوصــال وطيبه	وإن كان يلقــاه بلــون حريق
كأنّ بياض اللــوز في جنباته	كواكب لاحــت في سمــاء عقيق

---

(١) الخلفين : يقال شاة ذات خلفين : أي ولدت ستة ذكراً وستة أنثى .
(٢) الحين : الموت .
(٣) البرطيل : الرشوة .

وصف الفقاع [من المنسرح] :

لست بنافٍ خمار مخمور إلاّ بصافي الشراب مقرور[1]
يطير عن رأسه الفقاع إذا نفست عنه خناق مزرور[2]
رامٍ بسهمٍ كأنّه خصرٌ وطيب نشرٍ نسيم كافور
يميل أعلاه وهو منتصبٌ كأنّه صولجان بلّور

وصف طبيب بارع [من السريع] :

بَرَّزَ إبراهيم في علمه فراح يدعى وارث العلمِ
أوضح نهج الطب في معشرٍ ما زال فيهم دارس الرسم
كأنّه من لطف أفكاره يجول بين الدَّمِ واللّحم
إن غضبتْ روحٌ على جسمها أصلح بين الروح والجسم

وفي مثل ذلك [من الكامل] :

هل للعليل سوى ابن قُرَّةَ شافي بعد الآله وهل له من كافي
أحيا لنا رسم الفلاسفة الذي أودى وأوضح رسم طِبٍّ عافي
فكأنه عيسى ابن مريم ناطقا يَهَبُ الحياة بأيسر الأوصاف
مثلتْ له قارورتي فرأى بها ما اكتنّ بين جوانحي وشغافي[3]
يبدو له الداء الخفيُّ كما بدا للعين رضراض الغدير الصافي[4]

وصف مزين حاذق [من المتقارب] :

هل الحذق إلا لعبد الكريم حوى فضله حادثاً عن قديمِ
إذا لمع البرق في كفّه أفاض على الرأس ماء النعيم

---

(١) المقرور : البارد .
(٢) الفقاع : حباب الخمر ، ونفست : كشحت وكشطت .
(٣) اكتنّ : استتر ، والشغاف : حجاب القلب .
(٤) الرضراض : الحصى الدفاق في مجاري الماء .

جهـول الحسـام ولكنّـه يروح ويغـدو بكفَّـيْ حليم
لـه راحـةٌ سيرهـا راحةٌ تمـرّ علـى الـرأس مرّ النسيم
نعمنـا بخدمتـه مذ نشا فنحـن به في نعيمٍ مقيم

* * *

١٠٧ ـ أبو بكر محمد ، وأبو عثمان سعيد ، ابنا هاشم الخالديان

إن هذان لساحران ، يغربان بما يجلبان ، ويبدعان فيما يصنعان ، وكان ما يجمعهما من أخوة الأدب ، مثل ما ينظمهما من أخوة النسب . فهما في الموافقة والمساعدة ؛ يحييان بروح واحدة . ويشتركان في قرض الشعر وينفـردان ، ولا يكادان في الحضر والسفر يفترقان . وكانا في التسـاوي والتشابـك . والتشـاكل والتشارك ، كما قال أبو تمام [من المتقارب] :

رضيعـيْ لبـانٍ شريكيّ عنانٍ عتيقـيْ رهـانٍ حليفـيْ صفاءِ

بل كما قال البحتري [من الكامل] :

كالفرقـدين إذا تأمّـل ناظرٌ لم يعـل موضـع فرقـدٍ عن فرقدِ

بل كما قال أبو إسحاق الصابي فيهما [من الطويل] :

أرى الشاعـرين الخالـديّن سيَّرا قصائـد يفنـي الدهـر وهـي تُخَلَّدُ
جواهـر من أبـكار لفـظ وعونه يقصّـر عنهـا راجـز ومقصّد
تنـازع قومٌ فيهمـا وتناقضوا ومـرّ جدالٌ بينهـم يتردّد
فطائفـةٌ قالـت سعيدٌ مقدّمٌ وطائفـةٌ قالـت لهـم بل محمد
وصاروا إلى حكمي فأصلحت بينهمْ ومـا قلـت إلاّ بالتـي هي أرشد
هما في اجتمـاع الفضـل زوجٌ مؤلّفٌ ومعناهمـا من حيث يثبـت مفرد
كذا فرقـدا الظلمـاء لمّـا تشاكلا علا أشـكلا هل ذاك أم ذاك أمجد[1]

---

(١) تشاكلا : تشابها .

فزوجهمـــا ما مثلــه في اتفاقه وفردهمـــا بين الــكواكب أوحد
فقامـوا علـى صلــح وقــال جميعهمْ رضينـا وسـاوى فرقـد الأرض فرقد[1]

وما أعدل هذه الحكومة من أبي إسحاق ! فما منهما إلا محسن ينظـم في سلك الإبداع ما فاق وراق . ويكاثر بمحاسنه وبدائعه الأفراد من شعـراء الشـام والعراق . وقد ذكرت ما شجر بينهما وبين السري في شأن المصالتة والمسارقة ، وما أقدم عليه السري من دس أحسن أشعارهما في شعر كشاجم ، وكان أفاضل الشام والعراق إذ ذاك فرقتين : إحداهما ـ وهي في شق الرجحان ـ تتعصب عليه لهما . لفضل ما رزقاه من قلوب الملوك والأكابر . والأخرى تتعصب له عليهما ، وقد بدأت بملح شعر أبي بكر لأنه أكبر الأخوين :

* * *

هذه نبذ مما اتفق له فيه التوارد مع السري أو التسارق

قال أبو بكر [من مجزوء الرمل] :

قــام مثــل الغصــن الميّـــــــاد فــي غضّ الشبابِ[2]
يمــزج الخمــر لنــا بالــــــــصّفْـو من ماء الشـراب
فــكأنّ الــكـأس لمـا ضحكـت تحت الحبـاب[3]
وجنّــةٌ حمـراء لاحـت لك مـن تحــت النّقاب

وقال السري [من الكامل] :

وكـأن كـأس مدامهـا لمــا ارتـدتْ بحبابهـا

(١) الفرقد : النجم .
(٢) الميّاد : المتمايل والمتثني . وغضّ الشباب : الفتوة والنشاط .
(٣) الحباب : ما يعلو الخمرة أثناء صبّها في الكأس من فقاع .

تـوريـد وجنتهـا إذا مـا لاح تحـت نقابها

وقال أبو بكر[من الطويل] :

ألا فاسقنـي والليل قد غاب نوره لغيبـة بدرٍ في الغمـام غريقِ
وقـد فضـح الظلمـاء برقٌ كأنّه فؤاد مشـوقٍ مولـعٍ بخفوقِ

وإنما سرقه من قول ابن المعتز[من الطويل] :

أمنـك سرى يا سرّ طيفٌ كأنّه فـؤادٌ مشـوقٌ مولـعٌ بخفـوقِ

رجع :

مدامـاً كأن الـكف من طيب نشْرها وصفرتهـا قـد خلّقـتْ بخلوقِ[1]
نعاينهـا نوراً جلاه تجسد ونشربهـا ناراً بغير حريق
كأنّ حبـاب الـكأس في جنباتها كواكب درٍّ في سمـاء عقيق

وقد مر مثله للسري في وصف الفالوذج .

وقال أبو بكر[من المنسرح] :

مطـرب الصبـح هيّج الطربا لمـا قضـى الليل نحبـه انتحبا
مغـرّدٌ تابـع الصبـاح فما ندري رضـا كان ذاك أم غضبا
مـا تنـكر الـطير أنـه ملكٌ لهـا فبالتـاج راح معتصيا[2]
طـوى الظـلام البنـود منصرفاً حين رأى الفجـر ينشـر العذبا[3]
والليل من فتـكة الصبـاح به كراهـبٍ شقّ جيبَـه طَرَبا

---

(١) النشر : العبق الطيب ، والخلوق : الطيب .
(٢) معتصباً : متوّجاً رأسه به .
(٣) العذبا : أي خيوطه الأولى ، وعذبة الشيء طرفه .

وللسري في مثله [من المنسرح] :

كراهـــبٍ حنّ للهـــوى طرباً   فشــقّ جلبابــه مــن الطرب

قال أبو بكر[من المنسرح] :

فبــاكر الخمــرة التــي تركت   بنــان كفّ المدبــر مختضبا
كأنّمــا صبّ في الزجاجــة من   لطفٍ ومــن رقــةٍ نسيمَ صبا
وليس نار الهمــوم خامدةً   إلاّ بنــور الــكؤوس ملتهبا[1]
يظــلّ زقّ المــدام ممتهناً   سحبــاً وذيل المجــون منسحبا[2]

ومنها في وصف كانون نار :

ومقعــدٍ لا حراك ينهضه   وهــو علــى أربــعٍ قد انتصبا
مصــفرٌ محــرِقٌ تنفســه   تخالــه العين عاشقــاً وصبا[3]
إذا نظمنــا في جيده سبحاً   صيره بعــد ساعــة ذهبا[4]

ومثله للسري [من المتقارب] :

وذو أربــعٍ لا يطيق النهوض   ولا يألف السير فيمــن سرى
نحملــه سبجــاً أسوداً   فيجعلــه ذهبــاً أحمــرا

رجع :

فمــا خبــت نارنــا ولا وقفت   خيول لهــوٍ جرت بنــا خببا[5]
وساحــر الطــرف لا نقــاب له   إذ كان بالجلنــار منتقبا

---

(١) خامدة : منطفئة .

(٢) زقّ المدام : شربها .

(٣) الوصيب : المرض .

(٤) السبج : الخرز الأسود .

(٥) الخبب : ضرب من العدو .

تقطف من ثغره ووجنته أنامل الطرف زهرةً عجبا
شقائقاً مذهباً يرى خجلاً وأقحواناً مفضّضاً شنبا[1]

ومثله للسري [من الطويل] :

سَفَرْنَ فلاح الأقحوانُ مفضَّضاً على القربِ منا والشقيق مذهّبا

رجع :

حتى إذا ما انتشا ونشوته قد سهلت منه كل ما صعبا
غلبت صحبي عليه منفردا به وهل فاز غير من غلبا ؟
أرشف ريقاً عذب اللمى خصرا كأن فيه الضَّريب والضربا[2]

* * *

ما أخرج من شعره الذي ينسب في بعض النسخ إلى كشاجم [غير] ما تقدم ذكره من ذلك

قال [من المنسرح] :

قامَرَ بالنفس في هوى قمر ونال وصل البدور بالبدرِ
وافتضَّ أبكار لهوه طرباً إلى عشايا المدام والبكر[3]
مسرَّةٌ كيلها بلا حشفٍ ولذَّةٌ صفوها بلا كدر[4]
قد ضربت خيمة الغمام لنا ورشّ خيش النسيم بالمطر
وعندنا عاتقان حمراء كالشمس وأخرى صفراء كالقمر

---

(١) الشنب : الأبيض ، وهو صفاء الأسنان وابيضاضها .
(٢) الضريب : العسل الأبيض .
(٣) العشايا : جمع عشية ، والبكر : جمع بكرة .
(٤) الحشف : أردأ التمر ، أو الفاسد منه ، أو هي الانقباض .

مدامـــةٌ كان من تقادمها عاصرهـــا آدمٌ أبـو البشرِ
وبنـــت خدرٍ تريك صورتها بدر الدجـــى في ردائهـــا العطر
حنَّتْ علـــى عودهـــا وقـــد تركت مدامَنـــا جمـــرةً بـــلا شرر
يسعـى علينا بهـــا الوصـــائف قـــــلّـدن مجونـــاً قلائـــد الزهر[1]
يا تاركاً طيب يومــه لغد تبيع عين الســـرور بالأثر!
إن وتـــرت قلبـــك الهمـــوم فما مثـــل انتصـــارٍ بالنـــاي والوتر[2]

وقوله [من الخفيف] :

رق ثوب الدجـــى وطـــاب الهواء وتـــدلـت للمغـرب الجـوزاءُ
والصبـــاح المنير قد نشـــرت منــــــه علـــى الأرض ريطـــةٌ بيضاءُ[3]
فاسقنيها حتى ترى الشمس في الغر ب عليهـــا غلالـة صفـراء
قهـــوةٌ بابليةٌ كدم الشّا دن بكراً لكنهـــا شمطـــاء[4]
قـــد كستهـــا الدهـــور أردية الرقـــــــة حتـى جفـــا لديهـــا الهـواء
فهـي في خدّ كأسهـــا صفـــرة التبـــــــر وفـــي الخـــدّ وردةٌ حمراء
عجبـاً ما رأيت من أعجـــب الأشـــــــياء تقـــديرُ من له الأشياء
سبـــجٌ يســـتحيل منـــه عقيقٌ وظـــلامٌ ينســـلّ منه ضياء

وقوله ، وهو مما ينسب أيضاً إلى المهلبي الوزير [من الطويل] :

خليلي إنّـــي للثـــريا لحاسد وإنّـــي على ريب الزمـــان لواجد
أيبقـى جميعـاً شملهـا وهـــي سبعةٌ وأفقـــد من أحببتـــه وهـــو واحد

وقوله من قصيدة في مرثية الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما [من المنسرح] :

إذا تفـــكّرت في مصابهـم أتعـــب زنـــد الهمـــوم قادحهُ

---

(١) الوصائف : ساقيات الخمر ، والقلائد : العقود .
(٢) وترت : أثقلت ، والوتر : الظلم في العداوة والانتقام .
(٣) الريطة : الملاءة .
(٤) الشمطاء : التي خالط بياض شعرها سواده .

بعضهم قرّبت مصارعه وبعضهم بعدت مطارحه
أظلم في كربلاء يومهمُ ثم تجلّى وهم ذبائحه
لا برح الغيث كلّ شارقة تهمي غواديه أو روائحه
على ثرى حلّه ابن بنت رسو ل الله مجروحةً جوارحه
ذلّ حماه وقلّ ناصره ونال أقصى مناه كاشحه[1]
عفّرتم بالثرى جبين فتىً جبريل بعد النبي ماسحه !
يظل ما بينكم دم ابن رسو ل الله وابن السّفاح سافحه ![2]
سيّان عند الأنام كلهم خاذله منكم وذابحه

وقوله [من البسيط] :

محاسن الدير تسبيحي ومسباحي وخمره في الدّجى صبحي ومصباحي[3]
أقمت فيه إلى أن صار هيكله بيتي ومفتاحه للحسن مفتاحي
منادماً في قلاليه رهابنةً راحت خلائقهم أصفى من الراح[4]
قد عدّلوا ثقل أديانٍ ومعرفةٍ فيهم بخفّة أبدانٍ وأرواح
ووشحوا غرر الآداب فلسفة وحكمة بعلومٍ ذات إيضاح
في طب بقراطَ لحن الموصليٍّ وفي نحو المبرِّد أشعار الطِّرِمَّاح
ومنشدٌ حين يبديه المزاج لنا ألمعُ برقٍ سرى أم ضوء مصباح
وكم حننت إلى حاناته وغدا شوقي يكاثر أصواتاً بأقداح
حتى تخمّر خمّاري بمعرفتي وحَيَّرتْ مُلَحي في السُّكر ملاّحي
يا دير مرانَ لا تعدم ضحىً ودجىً سجال غيثٍ ملثٍّ الودقِ سحّاح[5]

---

(١) الكاشح : المبغض .
(٢) ابن السفاح : ابن الزنى .
(٣) مسباحي : أي السبحة التي يحملها المرء للتسبيح أو للتسلية .
(٤) قلاليه : جمع قُلّة وهي أعلى الرأس والجبل والراح الخمرة .
(٥) ملثّ الودق : خفيف المطر عند التصبّب وشحاح : كثير الصبّ .

إن تفــن كأســك أكياسي فإنّ بها يفــلّ جيش همومــي جيش أفراحي
وإن أقــم سوق أطرابــي فلا عجبٌ هذا بذاك إذا ما قام نوّاحي

وقوله [من البسيط] :

يا نفس موتــي فقــد جدَّ الأسى موتي ما كنــت أول صبٍّ غــيرِ مبخوتِ[1]
بكى إليَّ غداة البــين حــين رأى دمعــي يفيض وحــالي حال مبهوت
فدمعتــي ذوب ياقــوت على ذهب ودمعــه ذوب درٍّ فوق ياقوت

وقوله [من البسيط] :

أنبــاك شاهــد أمــري عن مغيَّبةٍ وجــدٌ جدُّ الهــوى بي في تلعُّبِهِ
يا نازحــاً نزحــتْ دمعــي قطيعته هب لي من الدمـع ما أبـكي عليك به

وقوله من قصيدة [من البسيط] :

لا تطنبــنَّ بكاء النــوء والطّنب ولا تحيِّي كثيب الحــي من كثبِ[2]
ولا تجــد بغمامٍ للغميم ولا تسمح لسرب المها بالـواكف السَّربِ[3]
ربـعٌ تعفَّــى فأعفــى من جوىً وأسًى قلبــي وكان إلى اللّــذات منقلبي
سيّان بان خليطٌ أو أقــام به فإنّمــا عامــر البيداء كالخربِ
أبهــى وأجمــل من وصف الجمال ومن إدمــان ذكر هوىً يهــوى على قتب[4]
مدّ البنــان إلى كأسٍ على سكرٍ ورفــع صوت بتطــريب على طرب
حمــراء حــين جلتهــا الــكأس نقَّطها مزاجهــا بدنــانيرٍ من الحبب
كانــت لهــا أرجــل الأعــلاج واترةً بالدّوس فانتصفت من أرؤس العرب[5]

---

(١) مبخوت : محظوظ .
(٢) تطنب : تكثر ، والنوء : المطر ، والنجم إذا مال للغروب . الكثيب : التل من الرمال .
(٣) الغميم : لبن يسخّن حتى يغلظ ، والغميم هنا الغليظ . والواكف : السائل والدامع .
(٤) القتب : الرّحل .
(٥) الأعلاج : الكفّار ، واترة : ظالمة ومنتقمة .

يسقكيها من بني الكفار بدر دجىً ألحاظه للمعاصي أوكد السبب
يومي إليك بأطرافٍ مطرَّفةٍ بها خضابان للعنّاب والعنب

* * *

هذا ما أخرج من سائر ملحه وغرره

قال من قصيدة مطلعها [من البسيط] :

ما زاره الطيف بعد البين معتمدا إلاّ ليدني له الشوق الذي بعدا

ومنها :

كأنما من ثناياها وريقتها أيدي الغمام سرقْن البرد والبَرَدا

وقال وهو في نهاية الحسن [من الكامل] :

لو أشرقت لك شمس ذاك الهودج لأَرَتْكَ سالِفتي غزالٍ أدعجِ[1]

ومنها :

أرعى النجوم كأنّما في أفقها زهر الأقاحي في رياضِ بنفسج
والمشتري وسط السماء تخاله وسناه مثل الزئبق المترجرج
مسمار تبرٍ أصفر ركّبتهُ في فصٍّ خاتمِ فضةٍ فيروزج
وتمايل الجوزاء يحكي في الدجى ميلان شارب قهوةٍ لم تمزج
وتنقّبتْ بخفيف غيمٍ أبيضٍ هي فيه بين تخفُّرٍ وتبرُّج
كتنفّس الحسناء في المرآة إذ كملت محاسنها ولم تتزوج

وهذا تشبيه لم يسبق إليه ، وقال [من الخفيف] :

وسحاب يجرُّ في الأرض ذيلي مطرف زرّه على الأرض زرّاً[2]
برقه لمحةٌ ولكن له رعدٌ بطيءٌ يكسو المسامع وقرا[3]

---

(١) الأدعج : واسع العين وأحورها .
(٢) المطرف : الوشاح المفوّف وهو من الحرير .
(٣) الوقر : الصمم .

كخليٍّ منافقٍ للذي يهواه يبكي جهراً ويضحك سرّا

وقال [من الوافر] :

ألست ترى الظلام وقد تولى وعنقود الثريا قد تدلى
فدونك قهوةً لم يبق منها تقادم عهدها إلاّ الأقلاّ
بزلنا دنّها والليل داجٍ فصيّرت الدجى شمساً وظلاّ[1]

وقال [من الخفيف] :

يا معيري بالصدّ ثوب السقام أنت همّي في يقظتي ومنامي
أنت أمنيّتي فإن رمت غمضاً سلمتك المنى إلى الأحلام

وقال [من الكامل] :

حورٌ شغلْنَ قلوبَنا بفراغٍ لرسائلٍ قَصُرَتْ عن الإبلاغِ
ومنعْنَ ورد خدودهنَّ فلم نطق قطفاً له لعقارب الأصداغ[2]

وقال [من الكامل] :

روحي الفداء لظاعنين رحيلهم أنكى وأفسد في القلوب وعاثا
فليقض عدّته السرور فإنّني طلّقتُ بعدهمُ السرورَ ثلاثا

أخذه من قول أبي تمام وزاد فيه ذكر العدة ، وهو قوله [من الكامل] :

بلدٌ خلعت اللهو خلعيَ خاتمي فيه وطلّقت السرور ثلاثا

وقال [من المنسرح] :

في كنف الله ظاعنٌ ظعنا أودع قلبي وداعه حزنا[3]
لا أبصرتْ مقلتي محاسنه إن كنت أبصرت بعده حسنا

---

(١) بزلنا دنّه : شققناه ليسيل الخمر منه .
(٢) لم نطق : لم نتحمّل .
(٣) الظاعن : الراحل .

وقال [من البسيط] :

أهــلا بشــمس مدامٍ من يدي قمرٍ تكامــل الحســن فيه فهــو تيّاهُ[1]
كأنّ خمرتــه إذ قام يمزجها من خده اعتصرتْ أو من ثناياه
إذا سقتــك من الممــزوج راحته كأســاً سقتــك كؤوس الصّرف عيناه
في وجهــه كل ريحــان تراح له منــا قلــوب وأبصــار وتهواه
النــرجس الغضّ عينــاه ، وطرّته بنفســجٌ، وجنــيّ الــورد خدّاه

وقال [من الخفيف] :

قلــت لما بدا الهــلال لعينٍ منعتْهــا من الــكرى عيناكا
يا هلال السماء لولا هلال الـ أرض ما بتُّ ساهــراً أرعاكا

وقال [من الطويل] :

وبــدر دجــى يمشي به غصــنٌ رطب دنــا نوره لكنَّ تناولــه صعبُ
إذا ما بدا أغــرى به كلّ ناظرٍ كأنّ قلــوب النــاس في حبّــه قلب

وقال [من البسيط] :

لا تحسبــوا أنّنــي باغٍ بكم بدلاً ولو تمكّنت من صبــري ومــن جلدي[2]
قلبــي رقيبٌ على قلبــي لكم أبداً والعــين عــينٌ عليه آخــر الأبدِ

وقال [من البسيط] :

فديت من زرعــت في القلــب لحظته صبابــةً وســقى بالدمــع ما زرعا
لو أن قلبــي وفــاه محبتــه أحبّــه بقلــوب العــالمين معــا

وقال [من المنسرح] :

كأنّمــا أنجــم الثــريا لمن يرمقهــا والــظلام منطبــقُ

---

(١) تيّاه : كثير العجب .
(٢) باغٍ : طالب .

مــال بخيـل يظــلّ يجمعه من كلّ وجــهٍ وليس يفترق

وقال [من الخفيف] :

يا خليليّ من عذيري من الدنـــــيا ومــن جورهــا عليّ وصبري
عجبــاً أنني أنــافس في عمــــــران أيامهــا وتخْــرب عمري !

وقال [من المتقارب] :

هــو الفجــر قابلنــا بابتسام لتصرف عنــا عبــوس الظلامِ
ولاح فحــلّ كأس الشمو ل صرفــاً وحــرّم كأس المنام
ظللنــا على شمّ ورد الخدود ومســك النحــور ونقــل اللثام
نعــين الصبــاح على كشفه قنــاع الظــلام بضــوء المدام

وقال [من السريع] :

إن خانــك الدهــر فكن عائذاً بالبيـض والــظلمات والعيسِ
ولا تكن عبــد المنــى فالمنى رؤوس أمــوال المفاليــس

وقال [من الكامل] :

حــورٌ جعلن وقــد رحلن وداعنا بمدامــعٍ نطقــتْ وهــنّ سكوتُ
فعيونهــا سبــجٌ ونثــر دموعها درٌّ وحمــرة خدهــا ياقوت

وقال [من الكامل] :

ما عذرنــا في حبسنــا الأكوابا سقــط النــدى وصفــا الهــواء وطابا
ودعا بـ « حي على الصبــوح » مغرّداً ديك الصبــاح فهيّج الأطرابــا
وكأنمــا الصبــح المنير وقــد بدا بازٌ أطــار من الظــلام غرابا
فأدم لذاذة عيشنــا بمدامــةٍ زادت علــى هرم الزمــان شبابا
سفــرت فغــار حبابهــا من لحظنا فعــلا محاسنهــا وصــار نقابا

وقال من قصيدة [من الكامل] :

فلأشكرنّ لدير قنّا ليلةً أشرقت ظلمتها ببدرٍ مشرقِ
بتنا نُوَفِّي اللهو فيها حقّه بالراح والوتر الفصيح المنطق
والجو يسحب من عليل هوائه ثوبًاً يرشّ بطلِّهِ المترقرق
حتى رأينا الليل قوّس ظهره هرماً وأثّر فيه شيب المفرق
وكأنّ ضوء الفجر في باقي الدجى سيفٌ حلاه من اللجين المحرق[1]
يا طيبها من ليلةٍ لو لم تكن قصرت فريع تجمّعٍ بتفرّق[2]

وقال ، وهو من إحسانه المشهور [من مجزوء الرمل] :

يا شبيه البدر حسناً وضياءً ومثالا
وشبيه الغصن ليناً وقواماً واعتدالا
أنت مثل الورد لوناً ونسيماً وملالا
زارنا حتى إذا ما سرّنا بالقرب زالا

وقال [من الخفيف] :

ربّ ليلٍ فضحته بضياء الـ راح حتى تركته كالنهارِ
ذي سماءٌ كخرّمٍ ونجومٍ مشرقاتٍ كنرجسٍ وبهارِ[3]
وهلالٌ يلوح في ساعد الغر ب كدملوج فضّةٍ أو سوارِ[4]
بتُّ أجلو فيه شموس وجوهٍ حملت في الدجا شموس عقار

---

(١) اللجين : الفضّة .
(٢) ريع : أخيف .
(٣) الخرّم : نبات بنفسجي اللون .
(٤) الدملج : نوعٌ من الحلي تلبسه المرأة في ساعدها .

وقال ـ وقد أمر الأمير بجمع المتكلمين ليتناظروا بحضرته في يوم دجن ـ [من مجزوء الخفيف] :

هو يومٌ كما ترا ه مليح الشمائلِ
هاج نوح الحمام فيـ ـه غناء البلابل
ولركب السحاب في الـ ـجو حق كباطل
مثلما فاه في المهنّـ ـد بعض الصياقل
جليت شمسه لرقـ ـته في غلائل
وعمود الزمان معـ ـتدل غير مائل
حين ساوى حر الهوا جر برد الأصائل
وغدا الروض في قلا ئده والخلاخل
فمن العجز أن ترى فيه طوع العواذل
يا لهذا أبي الهذيـ ـل وتوصيل واصل
وملاحاة عاقلٍ ومقاساة جاهل[1]
وخصومٍ يكابرو ن وضوح الدلائل
انفِ كيد الجدال عنـ ـك بصيد الأجادل[2]
كلّ صلب العظام والـ ـلحم رطب المفاصل
وهو أهدى من الردى في طريق المقاتل
كم غدونا به لطيـ ـر التلاع السوابل[3]
فانبرى أخرس الجنا ح صخوب الجلاجل[4]

(١) الملاحاة : اللوم .
(٢) الأجادل : جمع أجدل وهو الصقر .
(٣) التلاع : الأعالي . والسوابل : من الطرق : المسلوكة .
(٤) الجلاجل : الدويّ والصّويت .

وتعامى عن الشوى واهتدى للشواكل[1]
بسكاكينه التي ثبتت في الأنامل
عقفت ثم أرهفت فهي مثل المناجل[2]
صاعد خلف صاعد نازل خلف نازل
فتردى رداء لهو إلى الليل شامل
ثم انثنى جذلان بين القنا والقنابل[3]
نحو ربعٍ من المكا رم والمجد آهل[4]
فترى الأنس في عبيدك عذب المناهل
من عقول قد بلبلتهنّ صفراء بابلٍ
فإذا الليل كفّ كلّ رقيبٍ وعاذل
صرّت الفرش تحت قو مٍ صرير المحامل[5]

وقال [من الطويل] :

وأغيد روته المدامة فانثنى كما ينثني من ريه الغصن الغضُّ
دعوت إليها وهو في دعوة الكرى وقد أخذت في خلع أسودها الأرض[6]
فقام وفي أعطافه فضل سكرة وفي عينه من ورد وجنته بعض

وقال [من الكامل] :

ومدامةٍ صفراء في قارورةٍ زرقاء تحملها يدٌ بيضاءُ

---

(١) الشوى : أطراف الجسم من اليدين والرجلين . والشواكل : الخواصر .
(٢) عقف السكين : لواها . وأرهفها : سنّها فصارت ماضية .
(٣) القنابل : الجماعة من الناس أو الخيل .
(٤) آهل : عامر .
(٥) صرّت : صوّتت .
(٦) أسود الأرض : يعني الليل .

فالــراح شمسٌ والحبــاب كواكبٌ والــكفُّ قطــبٌ والإنــاء سماء

وقال [من المجتث] :

راحٌ كضـوء الشهـاب سـلافـة الأعـنـابِ
والمـزج مـاء غديـر صـافٍ كماء الشبـاب
لـو لم يكن ماء مزنٍ لكـان لمـع سـراب
كأنّـه جسـم درٍ عليـه درعُ حبـاب
يجـري خلال حصىً أبـيـض كقـطـر السحـاب
كأنّـه الـريـق يجري علـى الثنـايـا العـذاب

وقال في مخدة [من الكامل] :

بأبـي التـي كتمـت محاسنها خوف العيون وليس تنكتمُ
لبسـت سواداً كي تعـاب به والبـدر ليس يشينـه الظّلم

وقال من قصيدة في المهلبي الوزير استهلاها [من المتقارب] :

مهـاةً توهّمهـا أم غزالا وشمسـاً تشـبّهها أم هلالا
منعمـةٌ أطلقـت لحظهـا فكان لعقـل المعنّـى عقالا[1]
وشـمسٌ ترجّـل في مجلسٍ لندمانهـا وتغنّـى ارتجـالا
ولا تعـرف اللحـن ألحانها إذا ما الخفـاف تبعـن الثّقالا
شـدت رمـلا في مديح الوزير فظلنا من السكر نحكي الرمالا[2]
وهـل ثمـلٌ مفـكرٌ بعـد أن تكون له راحتـاه ثمالا ؟[3]

---

(١) المعنى : المتألّم ، والعقال : الأسر .
(٢) الرمل : ضرب من أوزان الشعر . والشدو : الغناء .
(٣) الثمل : السكران ، والثمال : الغياث النافع .

ومنها في التهنئة بعيد الفطر :

هنيئـاً مريئـاً بأجـرٍ أقام ... وصـومٍ ترحّـل عنـك ارتحالا
وفطـرٍ تواصـل إقبالـه ... لأن له بالسعـود اتصـالا
رأى العيد فعلك عيداً له ... وإن كان زاد عليه جمالا
وكَبَّـرَ حين رآك الهلالُ ... كفعلك حين رأيت الهلالا
رأى منـك ما منـه أبصرته ... هلالاً أضـاء ووجهـاً تلالا
تـولاك فيه إلّـه السماء ... بعـزٍّ تعالـى ويمـنٍ توالى[1]
ولقّيت سعـداً إذا العيد عاد ... ولقّيت رشـدا إذا الحـوْل حالا[2]
وإنْ رمضـان أطـاح الكؤوس ... فشـوّال يأذن في أن تشالا
فواصـل بيمـنٍ كؤوس الشمول ... يمينـاً مقبّلـةً أو شمـالا
ولا زلـت عن رتـبٍ نلتها ... ومـن ذا رأى جبـلاً قطُّ زالا ؟

وقال من قصيدة فيه أيضاً [من الكامل] :

أيدت ملك معـزّ دولـة هاشم ... فزمـانـه عرسٌ من الأعراسِ
وتيقّـن الشعـراء أن رجاءهم ... في مأمـنٍ بك من وقـوع الباس
ما صحّ علـم الـكيمياء لغيرهم ... فيمـن عرفنـا من جميع الناس
تعطيهـم الأمـوال في بدرٍ إذا ... حملـوا الـكلام إليك في قرطاس

وقد ألم في هذا المعنى بقول بكر بن النطاح لأبي دلف [من الكامل] :

يـا طالبـاً للـكيمياء ونفعه ... مدح ابـن عيسـى الـكيمياء الأعظمُ
لو لم يكن في الأرض إلاّ درهمٌ ... ومدحتـه لأتـاك ذاك الدرهم

---

(١) اليمن : الخير ، وتوالى : تتابع .
(٢) الحول : العام ، وحالا : أي انتهى .

ولكنه لطفه وزاد فيه ، وقال [من الكامل] :

وأخٍ جفـا ظلمـاً، ومـلّ، وطالما ... فقنـا الأنـام مودةً ونداما
فسلـوت عنـه وقلـت ليس بمنكر ... للدهـر أن جعـل الـكرام لئاما
فالخمـر وهـي الـراح ربّتمـا غدت ... خلاً وكانـت قبـل ذاك مداما

وقال في معناه أيضاً [من الطويل] :

وكم من عدوٍ صار بعـد عداوةٍ ... صديقاً مجلاً في المجـالس مُعْظَما
ولا غرو فالعنقـود في عود كرمه ... يرى عنبـاً من بعـد ما كان حصرما

وقال في استهداء نبيذ ، وقد عزم على أخذ دواء [من البسيط] :

يا سيداً بالعـلا والمجـد منفردا ... وواحـدِ الأرض لا مسـتثنياً أحدا
لهـاك أوجـدت الآمـال ما فقدت ... وقرّبـت لمنـى الـراجين ما بعدا[1]
هذا زمـان علاجٍ يتّقـي ضرر ال ... أخـلاط فيه لأن الفصـل قد وفدا
فلسـت تبصـر إلا شاربـاً قدحاً ... مرّاً وإلاّ نزيف الجسـم مفتصدا[2]
وقـد عصيت الهـوى مذ أمس محتمياً ... لمـا عزمـت علـى إصـلاح ما فسدا
وروقـوا لي رطـلاً لسـت أذكره ... إلاّ عدمـت لديه الصّبـر والجلدا[3]
منـاكرٌ لطباعـي غير أنّ له ... عقبـى تمـازج محموداتهـا الجسدا
وليس لي قهـوةٌ أطفـى بجمرتها ... عن مهجتـي شره المـاء الـذي برِدا
فامنن بدستيجـة المشـروب يومـك ذا ... فقد عزمت علـى شرب الـدواء غدا[4]

---

(١) لهاك : عطاياك .
(٢) المفتصد : من الفصاد وهو إخراج الدم من الجسد بآلة حادة .
(٣) الجلد : الصبر .
(٤) الدشيجة : آنية صغيرة .

وقال في العتاب [من الكامل] :

وأخ رخصتُ عليه حتّى ملّني ... والشيء مملولٌ إذا ما يرخصُ
يا ليتهُ إذ باع ودّي باعه ... فيمن يزيد عليه لا من ينقص
ما في زمانك ما يعزّ وجوده ... إن رمته إلاّ صديقٌ مخلص

وقال [من الكامل] :

يا من جفا في القرب ثم نأى ... فشكا الهوى بالكتب والرّسلِ
مهلاً فإنّك في فعالك ذي ... مثل الذي قد قيل في المثل
« ترك الزيارة وهي ممكنةٌ ... وأتاك من مصرٍ على جمل ! »

وقال في وصف سيف [من الكامل] :

متوقّدٌ ، مترقرقٌ ، عجباً له ... نارٌ وماءٌ كيف يجتمعانِ ؟
وكأنّما أبواه صرفا دهرنا ... أو كان يرضع درّة الحدثان
تجري مضاربه دماً يوم الوغى ... فكأنّما حدّاه مفتصدان

وقال في هجاء شاعر [من المنسرح] :

لما تبدّى الكوفيُّ ينشدنا ... قلنا له : طعنةً وطاعونا
تجمع يا أحمق العبّاد لنا ... شعرك في برده وكانونا ؟

وقال في مثل ذلك [من البسيط] :

لو أن في فمه جمراً وأنشدنا ... شعراً لما ضرّه من برد إنشاده

* * *

ما أخرج من شعر أبي عثمان
سعيد بن هاشم الخالدي

وهو منسوب في بعض النسخ إلى كشاجم للسبب الذي تقدم ذكره ، وما وقع

لأبي عثمان فيه التوارد مع السري أو التسارق .

قال أبو عثمان [من المنسرح] :

ادنُ من الدنّ بي فداك أبي ... واشرب وسقّ الكبيرَ وانتخبِ
أما ترى الطّل كيف يلمع في ... عيون نورٍ تدعو إلى الطرب ؟[1]
في كلّ عينٍ للطلّ لؤلؤة ... كدمعةٍ في جفون منتحب
والصبح قد جرّدت صوارمه ... والليل قد همّ منه بالهرب
والجوّ في حلّةٍ ممسكةٍ ... قد كتبتها البروق بالذهب

وللسري في مثله [من المنسرح] :

غيومٌ تمسّك أفق السماء ... وبرق يكتّبها بالذهبِ[2]
فهاتها كالعروس محمرة ال ... خدين في معجزٍ من الحبب
كادت تكون الهواء في أرج الـ ... ـعنبر لو لم تكن من العنب
من كفّ راضٍ عن الصدود وقد ... غضبت في حبّه على الغضب
فلو ترى الكأس حين يمزجها ... رأيت شيئاً من أعجب العجب
نارٌ حواها الزجاج يلهبها الـ ... ـماء ودرٌّ يدور في اللهب

وقال من قصيدة [من المنسرح] :

وليس للقرّ غير صافيةٍ ... تدفع ما ليس يدفع الدّلقُ[3]
درياق أفعى الشتاء وهو إذا ... سلّ علينا سيوفه درق[4]

(١) النور : الزهر .
(٢) هكذا ، والبيت الأول لا يوافق بقية الأبيات في الوزن .
(٣) القرّ : البرد . والدلق : الفرو المستخرج من حيوانٍ كالهر .
(٤) الدّرياق : الترياق ، دواء السمّ ، وسلّ : شهر ، والدرق : الترس .

وقال يدعو صديقاً له في يوم شك [من الكامل] :

هـو يومُ شكٍّ يا علـيّ وشـرّه مذ كان يحذرْ
والجـوّ حلّتـه ممسّـكةٌ ومطـرفـه معنبرْ[1]
والمـاء عوديّ القميـص وطيلسان الأرض أخضرْ[2]
ولنـا فضيلاتٌ تكـون ليومنـا قوتـاً مقدَّرْ
ومدامـةٌ صفـراء أدرك عمـرهـا كسـرى وقيصر
وحديثنـا ما قد علمـت وشعرنـا ما أنـت أبصر
فانشـط لنـا لنحـثَّ من كاسـاتنـا ما كـان أكبر
أوْ لا فإنـك جاهل إن قلـت إنـك سوف تعـذر

وقال ، وهو مما ينسب إلى الوزير المهلبي [من المتقارب] :

فديتـك ما شبـت من كبرةٍ وهـذي سنـيَّ وهـذا الحساب
ولـكن هجـرْت فحـلَّ المشيب ولـو قد وصلْـت لعـاد الشباب

وقال [من مجزوء الوافر] :

بليـت بأحسـن الثقليـن إقبـالاً ومنصرفا[3]
فمثـل الخشْـفِ ملتفتـاً ومثـل الغصـن منعطفـا[4]
يسـوِّفنـي بنـائلـه وقـد أهـدى لـيَ الأسفا[5]
وآخـذ وصـلـه عِـدةً ويأخـذ مهجتـي سلفـا

---

(١) ممسَّك : من المسك ، ومعنبر : من العنبر .
(٢) عوديّ القميص : كناية عن جريانه الذي ينقطع .
(٣) الثقلين : الإنس والجن .
(٤) الخشف : ولد الغزال .
(٥) يسوّفني : يماطلني ، والنائل : العطاء .

وقال ، وهو مما ينسب أيضاً إلى المهلبي الوزير [من الوافر] :

دموعي فيك أنواءٌ غزارٌ ... وقلبي ما يقرُّ له قرارُ
وكل فتىً علاه ثوب سقمٍ ... فذاك الثوب منّي مستعار

وقال [من الخفيف] :

وقفتني ما بين همٍّ وبوس ... وثنت بعد ضحكةٍ بعبوسِ
ورأتني مشطت عاجاً بعاجٍ ... وهي الآبِنوسُ بالآبنوس

وللسري في معناه [من الوافر] :

رأت شيباً يضاحكها فصدَّتْ ... وكان جزاؤه منها العبوسا
وقالت إذ رأت للمشط فيه ... سواداً لا يشاكله نفيسا
تلَقَّ العاج منك بمشط عاج ... ودعْ للآبنوس الآبنوسا

وأنشدني أبو سعيد بن دوست للصاحب في مثل ذلك [من الخفيف] :

هات مشطاً إلى وليِّكَ عاجاً ... فهو أدنى إلى مشيب الرءوس
وإذا ما مشطت عاجاً بعاجٍ ... فامشط الآبنوس بالآبنوس

* * *

ما أخرج من سائر غرر أبي عثمان وملحه

فمنها قوله [من المتقارب] :

كأنّ الرعود خلال البرو ... ق والريح يكثر تحريضها
زنوجٌ إذا خَفَقَتْ بينها ... دبادبها جرّدت بيضها[1]

---

(١) الدبادب : الصياح والضجّة ، والبيض : السيوف .

وقوله [من الكامل] :

صدّت مجانبةً نوارُ ونأى بجانبها ازورارُ
ورأت ثيابي قد غدتْ وكأنّها دِمَنٌ قفار[1]
يا هذه إن رحت في خلقٍ فما في ذاك عار
هذي المدام هي الحيا ة قميصها خزفٌ وقار

وقوله [من الخفيف] :

شعر عبد السلام فيه رديءٌ ومحالٌ وساقطٌ وبديعُ
فهو مثل الزمان فيه مصيفٌ وخريفٌ وشتوةٌ وربيع

وقوله [من البسيط] :

أما ترى الغيم يا من قلبه قاسي كأنه أنا مقياساً بمقياسِ
قطرٌ كدمعي وبرقٌ مثل نار جوىً في القلب منّي وريحٌ مثل أنفاسي

وقوله [من مجزوء الرمل] :

يا نديمي أطلق الفجر فما للكأس حبسُ
قهوةٌ تعطيكها قبل طلوع الشمس شمس
وهي كالمرِّيخ لكنْ هي سعدٌ وهو نحس

وقوله [من الخفيف] :

يا قضيباً يميس تحت هلال وهلالاً يرنو بعينيْ غزالِ
منك يا شمسنا تعلّمت الشمس دنوَّ السنا وبعدَ المنال[2]

---

(١) الدمن : الأطلال والرسوم .
(٢) السنا : الضياء .

سرقه من قول ابن الرومي [من مجزوء الرمل] :

يا شبيه البـدر في الـ ـحسـن وفـي بعـد المنال

وقوله في جارية سوداء يقال شغف [من المنسرح] :

إذا تغنّت بعودها شغفٌ جاء سرورٌ يفوق كلَّ منى
واحدة الحذق لا نظير لها كالمسك لوناً وبهجةً وغنا

وقوله فيها [من الخفيف] :

تركتنا بطيبها إذ تغنّت شغفٌ بين أنَّةٍ ونحيبِ[1]
طِبَّةٌ بالغناء فهي لأسقا م الندامى لطافة كالطبيب[2]
ألفتها القلوب لما رأتها صاغها الله من سواد القلوب

وإنما سرقه من قول ابن الرومي [من المنسرح] :

أكسبها الحبّ أنّها صبغت صبغة حبّ القلوب والحدق

ونقص أبو عثمان من المعنى إذ ترك ذكر الحدق .

وقال [من البسيط] :

يا راقداً عارياً من ثوب أسقامي هبَّ الرقاد لعين جفنُها دامي
لا خلّص الله قلبي من يديْ رشأٍ رؤيا رجائي له أضغاث أحلام

وقوله [من البسيط] :

يا حسننا نحن في لهوٍ وليلتنا بزهر أنجمها ترمي العفاريتُ
وقد تضايق في السّكر العناق بنا كما تضايق في النّظم اليواقيت[3]

---

(١) الشغف : الحب والهوى .

(٢) طبّةٌ : مداوية .

(٣) النظم : من نظم العقد أي سلك حباته في سلكٍ واحد .

وقوله [من الكامل] :

متبرّمٌ بعتابه مستعذبٌ لعذابهِ
هجر العميد تعمّداً فغدا وراح لما به
وكساه ثوب مشيبه في عنفوان شبابه
فتراه يؤْذن في أوا ن مجيئه بذهابه

وقوله [من الخفيف] :

هتف الصبح بالدّجى فاسقنيها قهوةً تترك الحليم سقيها
لست تدري لرقةٍ وصفاءٍ هي في كأسها أم الكأس فيها

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

ظالمٌ لي وليته الدهر يبقى ويظلمْ
وصله جنّةٌ ولكن جفاه جهنم[1]
ورضاه وسخطه الدهر عرسٌ ومأتمُ

وقوله [من الخفيف] :

إنّ شهر الصيام إذ جاء في فصل ربيعٍ أودى بحسنٍ وطيبِ
فكأنّ الورد المضعّف في الصو م حبيبٌ يمشي بجنبِ رقيب

وقوله [من مجزوء الرجز] :

وليلةٍ ليلاء في اللون كلون المفرقِ
كأنّما نجومها في مغربٍ ومشرق
دراهمٌ منثورةٌ على بساط أزرق

---

(١) الوصل : اللقاء والقرب ، والجفاء : البعد .

وقوله في معنى متداول [من الطويل] :

بنفسـي حبيبٌ بان صبـري لبينه ... وأودَعَنـي الأحـزانَ ساعـة ودّعا
وأنحلنـي بالهجـر حتـى لـو أنني ... قذىً بين جفنـيْ أرمـدٍ ما توجّعا

وقوله من قصيدة [من المتقارب] :

صغيرٌ صرفـت إليه الهوى ... وهـل خاتـمٌ في سوى خنصرِ
فإن شئـت فاعـذر ولا تلْحُني ... وإن شئـت فالـحُ ولا تعذر

وقوله [من السريع] :

همّتـه خمـرٌ وماخـور ... وهمّـه عـود وطنبـورُ[1]
وليس دنياه ولا دينه ... إلا مهـىً مثـل الدمـى حور
ذيل الصبـا في الغـيِّ مجرور ... والعمـر باللّـذات معمـور
وليلـة الهيكل كم أنفدتْ ... فيهـا دنـانٌ ودنانيـر
أقبلْن كالـروض تغشّـاه من ... درٍّ ويـاقـوتٍ أزاهيـر
علـى خصـورٍ أرهفـت دقةً ... ففـي الزنـانيـر زنابير
فمـا درينـا أوُجُـوه الدّمى ... أحسَـنُ أم تلك التصاويـر[2]
وعندنـا صفـراء من قامرت ... بالسّـكر منّـا فهـو مقمور[3]
سـلاف أعنـاب فعنقودها ... من قبـل أن يعصـر معصور
زاد علـى المصبـاح إشراقها ... فهـو ظلامٌ وهـي النور
حتـى إذا ما انحـلّ جيب الدجى ... فينـا وجيب الصبـح مزرور
جـرّت هنـاةً ليَ أجْملتها ... فهـل لهـا عنـدك تفسيـر ؟[4]

---

(١) الماخور : مكان الشرب والمجون .
(٢) الدمى : يعني الفتيات القيان .
(٣) مقمور : مغلوب .
(٤) الهناة : الداهية .

وقوله من أبيات [من السريع] :

ريقته خمرٌ ، وأنفاسه مسكٌ ، وذاك الثغر كافورُ
أخرجه رضوان من داره مخافةً تفتتن الحور[1]
يلومه الناس على تيهه والبدر إن تاه فمعذور

وقوله [من مجزوء الرجز] :

مكحّلٌ بالدعج منقّبٌ بالغَنَجِ
معصفرُ التفّاح في خدٍّ مليحِ الضّرج[2]
خمّشه الشعر وما ذاك لطول الحجج[3]
وإنّما عارضه شنّفه بالسبج[4]

وقوله [من البسيط] :

يا حسن دير سعيد إذ حللت به والأرض والروض في وشْيٍ وديباجِ
فما ترى غصناً إلا وزهرته تجلوه في جبّة منها ودوّاج[5]
وللحمائم ألحانٌ تذكّرنا أحبابنا بين أرمال وأهزاج
وللنسيم على الغدران رفرفةٌ يزورها فتلقّاه بأمواج
والخمر تجلى على خطّابها فترى عرائس الكرم قد زفّت لأزواج
وكلُّنا من أكاليل البهار على رءوسنا كأنو شروان في التاج
ونحن في فلكِ اللهو المحيط بنا كأنّنا في سماءٍ ذاتِ أبراج
ولست أنسى ندامى وسط هيكله حتى الصباح غزالاً طرْفُه ساجي

---

(١) رضوان : خازن الجنان .
(٢) الضرّج : ما يعلو الخدّ من حمرة .
(٣) خمّشه : ترك به آثاراً من المداعبة .
(٤) شنّفه : زيّنه وحلاّه ، والسبج : الخرز الأسود .
(٥) الدوّاج : اللّحاف الذي يلبس .
(٦) الساجي : الساكن والهادىء .

أهــز عطفيَّ قضيب البـان معتنقاً منــه وألثــم عينــي لعبــة العاج
وقولتــي والتفاتــي عنــد منصرفي والشــوق يزعــج قلبــي أيّ إزعاج
يا دير يا ليت داري في فنائــك أو يا ليت أنّــك لي في درب درّاج[1]

وقوله [من الكامل] :

قمــرٌ بدير الموصــل الأعلى أنــا عبــده وهــواه لي مولى
لثــم الصــليب فقلــت من حسدٍ قبــل الحبيب فمــي بهــا أولى
جــدْ لي بإحداهــنّ كي يحيا بها قلبــي فحبّتــه علــى المقلى[2]
فاحمــرّ من خجــلٍ وكم قطفت عينــي شقائــق وجنــةٍ خجلى
وثكلــت صبــري عنــد فرقته فعرفــت كيف تحــرّق الثكلى

وقوله من قصيدة في المهلبي الـوزير وقـد عزم علـى الرجـوع إلـى وطنـه [مـن البسيط] :

إنّــا لنرحــل والأهــواء أجمعها لديك مستوطنــاتٌ ليس ترتحلُ
لهنّ من خلقك الروض الأريض ومن نداك يغمرهــنّ العــارض الهطل[3]
لكنّ كلّ فقيرٍ يسـتفيد غنىً دعــاه شوقٌ إلــى أوطانــه عجل
وكلّ غازٍ إذا جلّــت غنيمته فإنّ آثــر شيءٍ عنــده القفل[4]

وقوله [من الطويل] :

وكنـت أرى في النــوم هجـرك ساعةً فأجفــو لذيذ النــوم حولاً تطيّرا
وتأمرنــي بالصبــر والقلــب كلّما تقاضيتــه صبــراً تقــاضيت معْسرا

---

(١) درّاج : إسم مكان ، أو درب عام أدرج إليه كلّ يوم .
(٢) جذد لي : تكرّم عليّ .
(٣) الأريض : المكان الكثير العشب .
(٤) القفل : الرجوع إلى دياره .

فلما رأيت الغدر من شأنك اغتدى غدير التصافي بيننا متكدِّرا
فوالله ما أهواك إلاّ تكلّفاً ولا أشتكي الهجران إلا تخمّرا

وقوله في إنسان قصير ضئيل تزوج طويلة ضخمة [من الكامل] :

يا من أحلّ به الرزيه وأعاد نعمته بليَّهْ
حظّي الردى بك إذ غدت لك بنت عمارٍ حظيّه[1]
قل لي وكيف تنيكها مع دلٍّ قامتك القميّه ؟[2]
أنت البعوضة قلةً وكأنها جمل الضحيّه
نبئتها قالت وقد بصرت بأيرك كالشظيه !
من ليس تشبعه الهريـ ـسة كيف تشبعه القليه ؟
فلوِ اطَّلَعْتَ عليهما عند ارتكابهما البليه
لذكرت في شخصيهما الـ ـعنقاء قد خطفتْ صبيه !

وقوله [من الخفيف] :

قل لمن يشتهي المديح ولكن دون معروفه مطالٌ وليُّ[3]
سوف أهجوك بعد مدحٍ وتحريـ ـكٍ وعتبٍ ، وآخر الداء كيُّ

وقوله [من المنسرح] :

بغداد قد صار خيرها شرّا صيرها الله مثل سامرّا
اطلبْ وفتّش واحرصْ فلست ترى في أهلها حرَّةً ولا حرّا

وقوله من قصيدة [من البسيط] :

نيل المطالب بالهنديّة البتر لا بالأماني والتأميل للقدرِ[4]

---

(١) الحظيّة : الزوجة والعاشقة .
(٢) القميّة : أقمى الرجل إذا سمُن بعد هزال والقامية : الذليلة .
(٣) المطال : التسويف .
(٤) البُتر : القاطعة .

فإن عفـا طللٌ أو باد ساكنه ... فلا تقف فيه بين البـثِّ والفِكَر
في شمِّك المسكَ شغلٌ عن مذاقته ... وفي سنا الشمس ما يُغني عن القمر
لو لم أكن مشبْهاً للناس في خلقي ... لقلت إنِّيَ من جيلٍ سوى البشر
أو لم يكن ماء علمي قاهراً فِكَري ... لأحرقتني في نيرانها فكري
تزيدني قسوة الأيام طيب ثناً ... كأنني المسك بين الفهر والحجر[1]
ألفتُ من حادثات الدهر أكبرها ... فما أعوج على أطفالها الأُخَر[2]
لا شيء أعجب عندي في تباينه ... إذا تأمّلته من هذه الصور
أرى ثياباً وفي أثنائها بقرٌ ... بلا قرونٍ ، وذا عيبٌ على البقر !
قالت رقدت فقلت الهمّ أرقدني ... والهمّ يمنع أحياناً من السهر
كم قد وقعت وقوع الطير في شركٍ ... فضعضعتْ مِنِّي منه قوى المرر
أصفو وأكدر أحياناً لمختبري ... وليس مستحسناً صفوٌ بلا كدر
إني لأَسْيَرُ في الآفاق من مثلٍ ... فردٍ وأملأُ للآفاق من قمر
إذا تشككت فيما أنت مبصره ... فلا تقل إنّني في الناس ذو بصر
وكيف يفرح إنسان بمقلته ... إذا نضاها فلم تصدقْه في النظر !
لقد فرحت بما عاينت من عدمٍ ... خوف القبيحين من كبرٍ ومن بطر[3]
وربّما ابتهج الأعمى بحالته ... لأنه قد نجا من طيرة العور
ولست أبكي لشيبٍ قد منيت بهِ ... يبكي على الشيب من يأسي على العمر
كن من صديقك لا من غيره حذراً ... إن كان ينجيك منه شدة الحذر
ما أطمئن إلى خلقٍ فأخبرَهْ ... إلاّ تكشّفَ لي عن لؤم مختبر
وقد نظرت إلى الدنيا بمقلتها ... فاستصغرتها جفوني غاية الصغر

(١) الفهر : حجرٌ رقيق تسحق به الأدوية .
(٢) أعوج : أميل وأتطلع .
(٣) البطر : التكبّر من أثر النعمة .

وما شكرت زماني وهو يصعدني | فكيف أشكره في حالِ منحدر
لا عار يلحقني إني بلا نشبٍ | وأي عارٍ على عينٍ بلا حور[1]
فإن بلغت الذي أهوى فعن قدرٍ | وإن حرمت الذي أهوى فعن عذر

* * *

١٠٨ ـ أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان المعروف بالخباز البلدي

هو من بلدة يقال لها « بلد » من بلاد الجزيرة التي فيها الموصل ، وأبو بكر من حسناتها .

ومن عجيب شأنه أنه كان أمياً ، وشعره كله ملح وتحف ، وغرر وطرف ولا تخلو مقطوعة له من معنى حسن أو مثل سائر ، وهو القائل [من السريع] :

بالغت في شتمي وفي ذمّي | وما خشيت الشاعر الأميّ
جرّبت في نفسك سمّاً فما | أحمدت تجريبك للسمّ

وكان حافظاً للقرآن مقتبساً منه في شعره ، كقوله [من الطويل] :

ألا إنّ إخواني الذين عهدتهم | أفاعي رمالٍ لا تقصّر في لسعي
ظننت بهم خيراً فلما بلوتهم | نزلت بوادٍ منهم غيرِ ذي زرع

وقوله [من الطويل] :

كأنّ يميني حين حاولت بسطها | لتوديع إلفي والهوى يذرف الدمعا
وقائلةٍ هل تملك الصبر بعدهم | فقلت لها لا والذي أخرج المرعى
يمين ابن عمرانٍ وقد حاول العصا | وقد جُعلتْ تلك العصا حيَّةً تسعى

---

(١) النشب : المال وغيره من النعم .

وقوله [من الخفيف] :

أتــرى الجيرة الــذين تداعوْا   بكرةً للــرحيل قبــل الزوالِ
علمــوا أنّنــي مقيمٌ وقلبي   راحــلٌ فيهــمُ أمــام الجمال
مثل صاع العـزيز في أرحـل القو   م ولا يعلمــون ما في الرحال[1]

وقوله [من الكامل] :

ســار الحبيب وخلَّفَ القلبا   يُبــدي العــزاء ويُضْمــر الكربا
قــد قلَـت إذ سار الســفين بهم   والشــوق ينهــب مهجتــي نهبا
لــو أن لي عزاً أصــول به   لأخــذت كلّ سفينــةٍ غصبا

وكان يتشيع ، ويتمثل في شعره بما يدل على مذهبه ، كقوله [من الكامل] :

وحمـــائــمٍ نبّــهننــي   والليـل داجي المشرقيـن
شــبّهتهــنّ وقـد بكيـ   ـن ومـا ذرفـن دمــوع عين
بنســاء آل محمــدٍ   لمـا بكين علـى الحسين

وكقوله [من الوافر] :

جحــدتَ ولاءَ مولانــا عليٍّ   وقدَّمْــتَ الدعــيَّ علــى الوصيٍّ
متــى ما قلــت إنّ السيف أمضى   من اللحظــات في قلــب الشجيٍّ
لقــد فعلــت جفونــك في البرايا   كفعــل يزيد في آل النبيٍّ

وكقوله [من مجزوء الرمل] :

أنــا إن رمــت سلوّاً   عنـك يـا قرَّة عيني
كنـت في الإثــم كمــن شا   رك فــي قتــل الحسيـنِ

---

(١) صاع العزيز : وهو الصاع الذي وضعه يوسف في رحل إخوته عندما جاءوا يكتالون القمح .

لـك صولاتٌ علـى قلـــــــبـي بقـدٍّ كالرُّدَيْنـي[1]
مثــل صولاتِ علـيٍّ يـوم بــدرٍ وحنيـن

وكقوله [من الخفيف] :

أنــا في قبضــة الغــرام رهين بين سيفين أرهفــاً ورُدَيْني
فــكأن الهــوى فتــىً علويٌّ ظنَّ أنــي وليت قتــل الحسين
وكأنّــي يزيد بيـن يديه فهــو يختــار أوجــع القتلتين

وكقوله [من البسيط] :

انظــر إلــيَّ بعين الصفــح عن زللي لا تتركنّــيَ من ذنبــي علــى وجل[2]
موتــي وهجــرك مقرونــان في قرنٍ فكيف أهجــر من في هجــره أجلي
وليس لي أمــلٌ إلا وصالكم فكيف أقطــع من في وصلــه أملي
هذا فؤادِيَ لم يملــكْه غيرُكُمُ إلا الوصــيُّ أمير المــؤمنين علي

وكقوله [من الوافر] :

تظــن بأننــي أهــوى حبيبا سواك علــى القطيعــة والبعادِ
جحــدت إذن موالاتــي عليّاً وقلــت بأنّنــي مولـى زيـاد

* * *

ما أخرج من سائر ملحه

فمنها قوله [من الوافر] :

إذا استثقلــت أو أبغضــت خلقاً وســرُّكَ بعــده حتـى التنادي[3]

---

(١) الرديني : الرمح .
(٢) الزلل : الخطأ ، والوجل : الخوف .
(٣) التنادي : القيامة .

فشـرّده بقـرض دريهمـاتٍ فإنّ القـرض داعيـة البعادِ

وقوله [من الوافر] :

أقـول لليلـة فيهـا أتاني حبيبٌ في مصارمتـي لجوجُ[1]
أيا ليلـي الـذي ما كنـت تفنى قصـرْتَ وكنـت قِدْمـا ما تروج !
أيأجـوجٌ إذا نحـن التقينا وأيام التهاجـر أنـت عوج[2]

وقوله [من الطويل] :

ذرى شجـر للـطير فيه تشاجرٌ كأنّ صنـوف النـور فيه جواهرُ
كأنّ نسيم الـروض في جنباته لخالـخ فيمـا بيننـا وزرائر[3]
كأنّ القمـارى والبلابـل حولها قيانٌ وأوراق الغصـون ستائر[4]
شربنـا علـى ذاك الترنّـم قهوةً كأنّ علـى حافاتهـا الـدرّ دائر

وقوله ، وهو مما يتغنى به [من البسيط] :

وروضـةٍ بات طلّ الغيث ينسجها حتـى إذا نجمـتْ أضحـى يدبّجها[5]
يبـكي عليهـا بكاء الصـّبّ فارقه إلْفٌ فيضحكهـا طـرِباً ويبهجها
إذا تنفّس فيهـا ريح نرجسها ناغـى جَنِـيٌّ خزاماهـا بنفسجها
أقـول فيهـا لساقينـا وفـي يده كأسٌ كشعلـة نارٍ إذ يؤجّجها
لا تمزجنْهـا بغير الـريق منـك وإن تبخـل بذاك فدمعـي سوف يمزجها

---

(١) المصارمة : المقاطعة والهجر ، واللجوج : الملحّ .
(٢) يأجوج: ورد ذكره في القرآن الكريم ، وعوج :من ولد آدم يقال إنّه لفرط طوله كان يمشي في البحر ويشوي السمكة في أشعّة الشمس .
(٣) لخلخ : من اللخلخة ، وهو طيبٌ معروف .
(٤) القماري : من الطيور المغرّدة .
(٥) نجمت : طلعت .

أقــل ما بي من حبيِّكَ أنّ يدي   إذا دنــتْ من فؤادي كاد ينضجها

وقوله [من مجزوء الرمل] :

ومــدام كســت الكـأ   س مــن النّــور وشاحـا
ظهــرت في جنــح ليلٍ   فكـأنَّ الفجـرَ لاحـا
لــم يكن وقــت صباحٍ   فحسـبنـــاه صبـــاحـــا

وقوله [من مجزوء الرمل] :

قلــت والليل له الويـ   ـلُ مقيمٌ غيرُ ساري
أعظــم الخالــقُ أجـرَ الـ   ـخلـق فـي شمس النهار
فلقــد ماتــت كمـا مـا   ت عزائــي واصطبـاري

وقوله [من الخفيف] :

أنـــا أخفــي من أن يحسَّ بجسمي   أحــد حيث كنــت لولا الأنينُ
فكأنــي الهــلال في ليلــة الشـــــــك نحــولاً فمــا تراني العيون

وقوله [من الخفيف] :

صدَّنــي عـن حلاوة التشييع   اجتنابــي مــرارةَ التوديعِ
لــم يقــم أنس ذا بوحشــة هذا   فرأيت الصــواب تركَ الجميع

وقوله [من السريع] :

يا ذا الــذي أصبــح لا والدٌ   له علــى الأرض ولا والدهْ
قــد مات من قبلهمــا آدمٌ   فأيُّ نفسٍ بعــده خالده
إن جئــت أرضــاً أهلهــا كلهم   عورٌ فغمِّضْ عينَــكَ الواحده

وقوله [من السريع] :

نكبــت في شعــري وثغــري وما   نفسِــيَ في صبـري بمنكوبهْ

إذا دنتْ بيضاء مكروهة ... مني نأت بيضاء محبوبه

وقوله [من مجزوء الكامل] :

قالوا تكهّل من هويـ ... ـت فقلت رسمٌ قد دثرْ
عاينت من طلاّبه ... زمراً مواصلةً زمر
وكذاك أصحاب الحديـ ... ـث نفاقهم عند الكبر

وقوله [من المتقارب] :

بكيت بدمع يفوق السحابَ ... إلى أن جرى الماء حولي وساحا
ولو لم أكن رجلاً سابحاً ... غرقت وألزمت نفسي الجناحا

وقوله [من البسيط] :

ليل المحبين مطويٌّ جوانبُهُ ... مشمّر الذيل منسوب إلى القصرِ
ما ذاك إلاّ لأنّ الصبح نمَّ بنا ... فأطلع الشمس من غيظٍ على القمر(١)

وقوله [من مجزوء الوافر] :

بدائع خدّه ورد ... صوالج صدغه سبجُ
إذا اتّصلت محاسنه ... نقطّع بينها المهج

وقوله ، وهو مما يستغفر منه [من البسيط] :

يا قاسم الرزق لم خانتنِيَ القسمُ ... ما أنت متّهم قل لي من أتّهمُ ؟
إن كان نجميَ نحساً أنت خالقه ... فأنت في الحالتين الخصم والحكم !

وقوله في أمرد التحى [من السريع] :

انظر إلى ميت ولكنه ... خلو من الأكفان والغاسلِ

(١) نمّ : وشى ودلّ .

قد كتب الدهر على خده ... بالشعر هذا آخر الباطل

وقوله [من الطويل] :

أهزّك لا أني عرفتك ناسياً ... لوعدٍ ولا أني أردت تقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سلِّهِ ... إلى الهزّ محتاجاً وإن كان ماضيا[1]

أحسن ، وأبلغ منه في معناه قول محمد بن أبي زرعة الدمشقي [من الخفيف] :

لا ملومٌ مستقصرٌ أنت في البـ ... ـرِّ ولكن مستعطفٌ مستزادُ
قد يهزّ الهنديّ وهو حسامٌ ... ويحثّ الجواد وهو جواد

* * *

١٠٩ ـ عبيد الله بن أحمد البلدي النحوي

لم أسمع ذكره وشعره إلا من أبي الحسن المصيصي الشاعر ، وكان قد عاشره واستكثر منه ، فحكى لي أنه كان أعور ، فاعتلت عينه الصحيحة ، حتى أشرف على العمى فقال وأستغفر الله من كتبه [من مخلع البسيط] :

إن قلت جوراً فلا تلمني ... بأن رَبَّ الورى المسيحُ
أراك تعمى وذاك يبري ... فهو إذاً عندي الصحيح

قال : وأنشدني عبيد الله لنفسه [من مخلع البسيط] :

للحسن في وجهه شهود ... تشهد أنّا له عبيدُ
كأنّما خدّه وصالٌ ... وصدغه فوقه صدود
يا من جفاني بغير جرمٍ ... أَقْصِرْ فقد نلت ما تريد[2]

---

(١) الهزّ : التحريك ، وماضياً : قاطعاً .
(٢) أقصر : كفّ وامتنع .

إن كان قد رقّ ثوب صبري عنـك فثـوب الهـوى جديد

وقال : أنشدني لنفسه أيضاً [من مجزوء الكامل] :

يا ذا الـذي في خدّه جيشـان من زنـجٍ وروم
هـذا يغير علـى القلو ب وذا يغير علـى الجسوم
إنـي وقفـت من الهوى في موقفٍ صعـبٍ عظيم
كوقـوف عارضـك الـذي قد حار في ماء النعيم

قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من مجزوء الكامل] :

هـات المدامـة يا شقيقي نشـربْ علـى روض الشقيقِ
كأس العقيـق نديرهـا ما بين أكنـاف العقيق[1]

آخر القسم الأول من كتاب يتيمة الدهر حسب تقسيم المـؤلف رحمـه الله تعالى ويتلوه القسم الثاني، وهو في « أخبار دولة آل بويه » .

---

(١) الأكناف : الجوانب .



القسم الثاني

من يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر

وهو في أخبار دولة آل بويه

بسم الله الرحمن الرحيم

أبدأ ـ بعد حمد الله تعالى ، والصلاة على محمد المصطفى وآله ـ بباب مقصور على ملوك آل بويه الذين شعروا ورويت أشعارهم ، لما تقدم ذكره من الانتساب إلى قائلها ، لا لكثرة طائلها ، والله الموفق للصواب .

البـــاب الأول

في ذكرهم ، وما أخرج من ملحهم وأشعارهم

١١٠ ـ عضد الدولة أبو شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة

كان ـ على ما مكن له في الأرض ، وجعل إليه من أزمة البسط والقبض . وخص به من رفعة الشان ، وأوتي من سعة السلطان ـ يتفرغ للأدب ، ويتشاغل بالكتب ، ويؤثر مجالسة الأدباء ، على منادمة الأمراء ، ويقول شعراً كثيراً يخرج منه ما هو من شرط هذا الكتاب من الملح والنكت ، وما أدري كم فصل بارع ، ووصف رائع ، قرأته للصاحب في وصف عضد الدولة .

فمن ذلك : وأما قصيدة مولانا فقد جاءت ومعها عزة الملك ، وعليها رواء الصدق ، وفيها سيما العلم ، وعندها لسان المجد ، ولها صيال الحق .

ومنه : لا غرو إذا فاض بحر العلم ، على لسان الشعر ، أن ينتج ما لا عين وقعت على مثله ، ولا أذن سمعت بشبهه .

ومنه : لو استحق شعر أن يعبد لعذوبة مناهله ، وجلالة قائله ، لكانت قصيدته هي . إلا أني اتخذتها عند امتناع ذلك قبلة ، أوجه إليها صلوات التعظيم ، وأقف عليها طواف الإجلال والتكريم .

ومنه : شعر قد حبس خدمته على فكره ، ووقف كيف شاء على أمره ، فهو يكتب في غرة الدهر ، ويشدخ جبهتي الشمس والبدر .

ثم من أراد أن ينظر في أخبار عضد الدولة ويقف على محاسن آثاره ، فليتأمل الكتاب التاجي ، من تأليف أبي إسحاق الصابي ، لتجتمع له مع الإحاطة بها بلاغة من قد تسهل له حزونها ، ولا ينته متونها ، وأطاعته عيونها .

حدثني أبو بكر الخوارزمي ، قال : كان ينادم عضد الدولة بعض الأدباء الظرفاء ، ويحاضر بالأوصاف والتشبيهات ، ولا يحضر شيء من الطعام والشراب وآلاتهما وغيرها ، إلا وأنشد فيه لنفسه أو لغيره شعراً حسناً ، فبينا هو ذات يوم معه على المائدة ينشد كعادته إذ قدمت بهطة[1] فنظر عضد الدولة كالآمر إياه بأن يصفها ، فأرتج عليه ، وغلبه سكوت معه خجل ، فارتجل عضد الدولة وقال [من السريع] :

بهطة تعجز عن وصفها ... يا مدعي الأوصاف بالزورِ[2]
كأنّها في الجام مجلوّةٌ ... لآلىءُ في ماء كافور[3]

وأنشدني محمد بن عمر الزاهر قال : أنشدني أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، قال : أنشدني عضد الدولة لنفسه في أبي تغلب ، عند اعتذاره إلـه من معاودة بختيار عليه، والتماسه كتاب الأمان منه [من الكامل] :

أأفاق حين وطئت ضيق خناقه ... يبغي الأمان وكان يبغي صارما
فلأركبنّ عزيمةً عضديّةً ... تاجيّةً تدع الأنوفَ رواغما[4]

---

(١) البهطة : الأرز يطبخ باللبن والسمن .
(٢) الزور : الكذب .
(٣) الجام : إناءٌ من فضّة .
(٤) رواغماً : أي ممتثلة ومذعنة .

ومما ينسب إليه ، وأنا أشك فيه ، أبيات يتداولها القوالون وهي [من الوافر] :

طربـت إلـى الصبـوح مع الصباح وشـرب الـراح والغـرر الملاحِ
وكـان الثلـج كالكافـور نثراً ونـارٌ عنـد نارنْـجٍ وراح
فمشـمـومٌ ومسـروبٌ ونـارٌ وصبـحٌ والصبـوح مع الصباحِ[1]
لهيبٌ في لهيبٍ في لهيبٍ صبـاحٌ في صبـاحٍ في صباح

وأنشدني أبو سعيد نصر بن يعقوب أبياتاً لعضد الدولة ، اخترت منها قوله في الخيري [من البسيط] :

يا طيب رائحـةٍ من نفحـة الخيري إذا تمـزّق جلباب الدياجيرِ[2]
كأنّمـا رشّ بالمـاورد أو عبقت فيه دواخـن ندٍّ عنـد تبخير
كأنّ أوراقـه في القـدِّ أجنحةٌ صفـرٌ وحمـر وبيضٌ من دنانير

واخترت من قصيدته التي فيها البيت الذي لم يفلح بعده أبداً قوله [من الرمل] :

ليس شرب الـكأس إلاّ في المطر وغنـاء من جوارٍ في السحرْ
غانيات سالبات للنهى ناغمـات فـي تضـاعيف الوتر
مبْـرزات الـكأس من مطلعها ساقيات الـراح من فاق البشر
عضـد الدولـة وابـن ركنهـا ملك الأمـلاك غلاّب القدر
سهّـل الله لـه بغيته في ملـوك الأرض ما دار القمر
وأراه الخير في أولاده ليسـاس الملك منـه بالغرر[3]

فيحكي أنه لما احتضر لم ينطق لسانه إلا بتلاوة قوله تعالى ﴿ ما أغنى عني ماليه ، هلك عني سلطانيه﴾[4] .

* * *

(١) المشموم : المسك . والمسروب : الخمر المتسرّب من الدن .
(٢) الخيري : نوع من الورد الذكيّ الرائحة ، والدياجير : الظلمات .
(٣) ليساس : ليقاد . والغرر : الأفعال البيضاء .
(٤) الآيتان ٢٨ و ٢٩ من سورة الحاقة .

١١١ ـ عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة

لم أسمع له شعراً حتى ورد نيسابور هرون بن أحمد الصيمري ، ورأيته متصلاً بالأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي ، فعرض على كتابه المترجم بحديقة الحدق ، وفيه أنشدني بعض أخوالي قال : أنشدني القاضي أبو بكر بن قريعة ، قال : أنشدني عز الدولة لنفسه [من المتقارب] :

فيا حبذا روضتنا نرجسٍ   تحيّي الندامى بريحانها
شربنا عليها كأحداقنا   عقاراً بكأسٍ كأجفانها
ومسنا من السكر ما بيننا   نجرّر ريطاً كقضبانها[1]

وبهذا الإسناد له [من الكامل] :

اشرب على قطر السماء القاطر   في صحن دجلة واعص زجر الزاجرِ
مشمولةً أبدى المزاج بكأسها   درّاً نثيراً بين نظم جواهر
من كفّ أغيدَ يستبيك إذا مشى   بدلال معشوقٍ ونخوة شاطر[2]
والماء ما بين الغصون مصفِّقٌ   مثل القيان رقصْن حول الزامر

وأنشدني أبو سعيد[3] قال : أنشدني أبو جعفر الطبري طبيب آل بويه ، قال : أنشدني بختيار لنفسه [من الوافر] :

وفاؤك لازمٌ مكنون سرّي   وحبّك غايتي والشوق زادي
وخالك في عذارك في الليالي   سوادٌ في سوادٍ في سوادِ

* * *

(١) ماس : تمايل دلاً ، والريط : الملاء .
(٢) يستبيك : يسلبّ لبّك ، ويستأسرك .
(٣) في إحدى نسخ ١ « سعد » محرّفاً .

١١٢ ـ تاج الدولة أبو الحسين[١] أحمد بن عضد الدولة

هو آدب آل بويه وأشعرهم وأكرمهم ، وكان يلي الأهواز ، فأدركته حرفة الأدب ، وتصرفت به أحوال أدت الى النكبة والحبس من جهة أخيه أبي الفوارس ، فلست أدري ما فعل به الدهر الآن .

أنشدني أبو سعيد بن دوست ، قال : أنشدني أبو الحسن محمد بن المظفر العلوي النيسابوري ، قال : أنشدني أبو العباس الملحي القوال بسوق الأهواز ، قال : أنشدني تاج الدولة أبو الحسين بن عضد الدولة لنفسه [من الطويل] :

سلامٌ على طيفٍ ألمَّ فسلَّما ... وأبدى شعاع الشمس لما تكلّما[٢]

بدا فيدا من وجهه البدر طالعاً ... لدى الروض يستعلي قضيباً منعّما

وقد أرسلت أيدي العذارى بخدّه ... عذاراً من الكافور والمسك أسحما[٣]

وأحسب هاروتاً أطاف بطرفه ... فعلّمه من سحره فتعلّما[٤]

ألمّ بنا في دامس الليل فانجلى ... فلما انثنى عنّا وودّع أظلما

وأنشدني بديع الزمان له هذين البيتين [من الطويل] :

هبِ الدهر أرضاني وأعتب صرفه ... وأعقب بالحسنى من الحبس والأسرِ

فمن لي بأيام الشباب التي مضت ... ومن لي بما أنفقت في الحبس من عمري؟

ووجدت مجموعاً من شعر تاج الدولة أبي الحسين بخط أبي الحسن علي بن أحمد بن عبدان ، فاخترت منه قوله رحمه الله تعالى في أرجوزة [من مجزوء الرجز] :

ألا شفيت علّتي ... من العداة بالتي

---

(١) وفيها « أبو الحسن » .

(٢) ألمّ : حلّ وزار .

(٣) الأسحم : الأسود .

(٤) هاروت : ملك كان ببابل ورد ذكره في القرآن الكريم .

وصارمٍ مهنَّدٍ ماضٍ رقيق الشفرةِ
وليلةٍ أحييتها منوطةٍ بليلة
كأنما نجمُ الثريّا في الدجى ومقلتي
جوهرتا عقدٍ على نحر فتاةٍ طفلة
أفكر في بني أبي وفعل بعض إخوتي
تظنّ أنّي أحمل الضيم فأين همتي
تقنعٍ بالأهواز لي وواسط والبصرة
لست بتاج الدولة سليل تاج الملة
إن لم تزر بغداد بي عمّا قليل كبّتي[1]
وعسكرٍ عرمرمٍ يملك كلّ بلدة
حشو الجبال والفلا مواكبٌ من غلمتي[2]
نصرتهم منّي ومن ربٍّ السماء نصرتي

وقوله من قصيدة [من الرجز] :

أنا ابن تاج الملة المنصور تا ج الدولة الموجود ذو المناقبِ
أسماؤنا في وجه كلّ درهمٍ وفوق كلّ منبرٍ لخاطب

وقوله من قصيدة [من الوافر] :

أنا التاج المرصّع في جبين الـ ممالك سالك سبل الصلاحِ
كتائبنا يلوح النصر فيها برايات تطرّق بالنجاح
تكاد ممالك الآفاق شرقاً تسير إليَّ من كل النواحي
ألا لله عرضٌ لي مصونٌ مقام المجد بالماء المباح

---

(١) الكبّة : الحملة والدفعة في الحرب .
(٢) غلمتي : جنودي ، والمعنى أنّ جنوده يملأون الجبال والفلوات .

وقوله من طردية [الرجز] :

صرنــا مـع الصبــاح بالفهود ... مردفــةً فوق متــون القودِ
قــد وطئــت توطئة المهود ... بالقــطـف والجــلال واللبود[1]
فهــي كقــومٍ فوقهــا قعود ... قد ألبســتْ وشياً علــى الجلود
يخالهــا الناظــر كالأسـود ... تبــكي لشبــلٍ ضائــعٍ فقيـد
بأدمــعٍ علــى الخــدود سـود ... فقابلــت مرادهــا في البيـد
وقطّعــت حبــائل المسود ... تفـوت لحــظ الناظــر الحديد[2]
ركضــاً إلــى اقتنــاص كلّ رود ... فكم بهــا من هالكٍ شهيد[3]
منْعفــر الخــدّ علــى الصعيد ... بنحسهــا نظــلٌ في السعـود
جدنــا بهــا ، والجــود بالموجود ... فكثــرتْ ولائـم الجنــود

* وشبّت النيران بالوقود *

واخترت منه قوله في الغزل سامحه الله تعالى وعفا عنه [من الهزج] :

سقــانــي سَحَــراً خمرهْ ... وقــد لاحــت لي النّثرهْ[4]
غــزالٌ فاتــن الطّرف ... مليـح الــوجـه والطُّرّه
أنــا ملكٌ وقــد ملكـ ... ـت قلبي صاحب الوفـره[5]
وقــد زرفــن صدغيْــه ... علـى أبهــى من الزهره
فمــن أسـود في أبيـ ... ـض في أحمــر في صفره
إذا حاول أن يجهـ ... ـل أو تبــدو له نفـره
أعـان الشيـخ إبليــسٌ ... عليـه فأتــى مكـره

---

(١) القطف : جمع قطيفة ، وهي دثار مخمّل .
(٢) المسود : جمع مسد : وهو جبلٌ من ليف مضفور . والناظر الحديد : أي القويّ .
(٣) الرود : الفتاة الحسناء .
(٤) النثرة : كوكبان متقاربان بهما بياض .
(٥) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس .

وله في النكبة[1] [من البسيط] :

حتى متى نكبات الدهر تقصدني لا أستريح من الأحزان والفكرِ
إذا أقول مضى ما كنت أحذره من الزمان رماني الدهر بالغير[2]
فحسبي الله في كلّ الأمور فقد بُدِّلت بعد صفاء العيش بالكدر

* * *

١١٣ ـ أبو العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة رحمهم الله تعالى !

أنشدت له أبياتاً ، تدل على فضل مستكثر من مثله ، ولم يحضرني إلا هذه [من مجزوء الرمل] :

أدر الكأس علينا أيُّها الساقي لنطربْ
من شمولٍ مثل شمسٍ في فم النّدمان تغرب
فحكت حين تجلّت قمراً يلثم كوكب[3]
ورد خديه جنىً لكن الناطور عقرب
فإذا ما لدغت فالريق درياق مجرّب

(١) هذه القطعة ليست في «ب» .
(٢) الغير : النوائب والصروف .
(٣) حكت : شابهت .

البـــاب الثانـــي

١١٤ - في ذكر المهلبي الوزير وملح أخباره ، ونصوص فصوله وأشعاره

هو أبو محمد الحسن بن محمد ، من ولد قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، كان من ارتفاع القدر ، واتساع الصـدر ، ونبـل الهمـة ، وفيض الـكف ، وكرم الشيمة : على ما هو مذكور مشهور ، وأيامه معروفة في وزارتـه لمعـز الدولـة ، وتدبيره أمور العراق ، وانبساط يده في الأموال ، مع كونه غاية في الأدب والمحبة لأهله ، وكان يترسل ترسلاً مليحاً ، ويقول الشعر قولاً لطيفـاً ، يضـرب بحسنـه المثل ، ولا يستحلي معه العسل ، يغذي الروح ، ويجلب الروح ، كما قال بعض أهل العصر [من الخفيف] :

بأبـــي من إذا أراد سراري ... عبـــرت لي أنفاســـه عن عبيرِ
وسبانـــي ثغـــرٌ كدرٍ نظيمٍ ... تحتـــه منطـــق كدرٍ نثير
ولـــه طلعـــة كنيل الأماني ... أو كشعـــر المهلّبـــي الوزير

حدثني أبو بكر الخوارزمي وأبو نصر بن سهل بن المرزبان وأبـو الحسـن المصيصي ، فدخل حديث بعضهم في بعض فزاد ونقص ، قالوا : كانت حالـة المهلبي الوزير قبل الاتصال بالسلطان حال ضعف وقلة ، وكان يقاسي منها قذى

عينه ، وشجى صدره، فبينما هو ذات يوم في بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الجراب والمحراب ، إلا أنه من أهل الآداب ، إذ لقي في سفره نصباً ، واشتهى اللحم ، فلم يقدر على ثمنه ، فقال ارتجالا [من الوافر] :

ألا موتٌ يباع فأشتريه ... فهذا العيش ما لا خير فيهِ
ألا موتٌ لذيذ الطعم يأتي ... يخلّصني من العيش الكريه
إذا أبصرت قبراً من بعيد ... وددت لو آنني ممّا يليه
ألا رحم المهيمن نفس حرٍّ ... تصدّق بالوفاة على أخيهِ

فاشترى له رفيقه بدرهم واحد لحماً ، فأسكن به قرمه[1] وتحفظ الأبيات وتفارقا ، وضرب الدهر ضرباته ، حتى ترقت حالة المهلبي إلى أعظم درجة من الوزارة فقال [من مجزوء الكامل] :

رقّ الزمان لفاقتي ... ورثى لطول تحرُّقي
وأنالني ما أرتجي ... وأجار مما أتّقي
فلأصْفَحَنْ عمّا أتا ... ه من الذنوب السُّبَّقِ
حتى جنايته بما ... فعل المشيب بمفرقي

وحصل الرفيق تحت كلكل من كلاكل الدهر ، ثقل عليه بركه[2] وهاضه عركه[3] فقصد حضرته ، وتوصل إلى إيصال رقعة تتضمن أبياتاً منها [من الوافر] :

ألا قل للوزير فدته نفسي ... مقال مذكّر ما قد نسيهِ :
أتذكر إذ تقول لضنك عيشٍ ... ألا موتٌ يباع فأشتريه ؟

فلما نظر فيها تذكره ، وهزته أريحية الكرم، للحنين إليه ، ورعاية حق

---

(١) القَرَم : شدة الشهوة إلى اللحم .
(٢) البرك : البروك وهو النزول .
(٣) عركه : عفاه دلكاً وحكّاً وحمُل عليه .

الصحبة فيه ، والجري على حكم من قال [من البسيط] :

إنّ الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا   من كان يألفهم في المنزل الخشن[1]

وأمر له في عاجل الحال بسبعمائة درهم ، ووقع في رقعته ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء﴾ ثم دعا به وخلع عليه وقلده عملاً يرتفق به ، ويرتزق منه .

ونظير البيتين قول بعضهم [من البسيط] :

قل للوزير أدام الله دولته   أَذْكَرْتَنا أدْمنا ، والخبز خشكارُ[2]

إذ ليس في الباب بوّابٌ لدولتكم   ولا حمارٌ ولا في الشطِّ طيَّار

وحكى أبو إسحاق الصابي في الكتاب التاجي قال : كان لمعز الدولة أبي الحسين غلام تركي يدعى تكين الجامدار أمرد، وضيء الوجه ، منهمك في الشرب لا يعرف الصحو ، ولا يفارق اللعب واللهو ، ولفرط ميل معز الدولة إليه وشدة إعجابه به ، جعله رئيس سرية جردها لحرب بعض بني حمدان ، وكان المهلبي يستظرفه ويستحسن صورته ، ويرى أنه من عدد الهوى ، لا من عدد الوغى ، فمن قوله فيه [من مجزوء الكامل] :

ظبيٌ يرق الماء في   وجناته ويرق عودهُ

ويكاد من شبه العذا   رى فيه أن تبدو نهوده

ناطوا بمعقد خصره   سيفاً ومنطقة تؤوده[3]

جعلوه قائد عسكرٍ   ضاع الرعيل ومن يقوده ![4]

---

(١) أسهلوا : أي أصابتهم النعمة .

(٢) الأدم : الطعام . والخشكار : صفة للخبز « فارسية » .

(٣) تؤوده : تثقله وتتعبه .

(٤) الرعيل : هنا الجيش .

فما كان بأسرع من أن كانت الدائرة على هذا القائد ، وخرج الأمر على ما أشار به المهلبي .

ومما يستحسن في هذا المعنى قول ابن المعتز في وصف خادم [من الطويل] :

عجبت لتأمير الرجال مقرطقاً ... ينوء بخصرٍ في القباء هضيم[1]

يذكّر عزاب الجيوش إذا بدا ... بخدّ كعابٍ أو بمقلة ريم[2]

وذكر الصابي أن أبا عيينة المهلبي ، الذي استفرغ نسيبه في صاحبته دنيا من عمومة الوزير ، وكان المهلبي يحفظ أكثر أشعاره ، ويتأسف على ما فاته من زمانه فمن قوله [من الكامل] :

إنّي وصلت مفاخري بأبٍ ... حاز الفخار وطاول العليا

وأجاب داعيه وخلّفني ... وحديثه فكأنما يحيا

وتلوْتُ عمّي في تغزّله ... وشربت ريّا من هوى ريا[3]

فكأنّني هو في صبابته ... وكأنّه في حسنها دنيا

وقوله لما تقلد الوزارة [من الطويل] :

لقد ظفرت والحمد لله منيتي ... بما كنت أهوى في الجهارةوالنجوى[4]

وشارفت مجرى الشمس فيما ملكته ... من الأرض واستقررت في الرتبة العليا

وعاينت من شعر العييني حلّةً ... تعاون فيها الطبع والمهجهة الحرا

---

(١) المقرطق : اللابس لنوعٍ من الثياب يقال له « القرطق » .
(٢) العازب : من لا زوج له .
(٣) تلوت : خلفته وتبعته .
(٤) النجوى : الأسرار .

فحرّكنـي عرق الوشيجـة والهوى لعمّي وأطّتْ بي إلى الرّحـم القربى[1]
فيا حسرتـى أن فات وقتـي وقته ويا حسـرةً تمضـي وتتبعهـا أخرى
ويا فوز نفسـي لو بلغـت زمانه وبغيتـه دنيا وفـي يدِيَ الدنيا
فمكنتـه من أهـل دنيا وأرضها ففـاز بمـا يهـوى وفـوق الـذي يهوى

ما أخرج من كتاب الروزنامجة للصاحب إلى ابن العميد مما يتعلق بملح أخبار المهلبي

فصل : وردت أدام الله عز مولانا العراق ، فكان أول ما اتفق لي استدعاء مولاي الأستاذ أبي محمد أيده الله ، وجمعه بين ندمائه من أهل الفضل وبيني . وكان الذي كلمني منهم شيخ ظريف خفيف الروح أديب ، متقعر في كلامه لطيف يعرف بالقاضي ابن فريعة فإنه جاراني في مسائل خفتها تمنع من ذكرها وافتضاضها إلا أني استظرفت قوله في حشو كلامه هذا الـذي أوردته الصافـة عن الصافـة ، والكافة عن الكافة ، والحافة عن الحافة ، وله نوادر غريبة وملح عجيبة .

ومنها أن كهلاً تطايب بحضرة الأستاذ أبي محمد أيده الله سأله عن حد القفا مريداً تخجيله ، فقال : هو ما اشتمل عليه جربانـك ، ومازحـك فيه إخوانـك، وباسطك فيه غلمانك ، وأدبك عليه سلطانك ، فهذه حدود أربعة .

فانصرفت وقد ورد الخبر بمضي أبي الفضل صاحب البريد رضي الله عنه ورحمه وأنسأ أجل مولانا ومد فيه ، فساعدت القوم على الجلوس للتعزية عنه لما كان من الحال يعرف بيني وبينه [من الكامل] :

صلـةٌ غدَتْ في النـاس وهـي قطيعةٌ عجبـاً وبـرٌّ راح وهـو جفـاءُ

فما تمكنت أن جاءني رسول الأستاذ أبي محمد أيده الله يستدعيني فعرفته

---

(١) الوشيجة : القرابة والصلة . وأطّت : شدّت وحملت .

عذري وحسبته يعفيني ، فعاودني بمن استحضرني فدخلت عليه وقد قعد للشرب فأكرهني عليه، ثم قال : أتعرف أحسن صنيعاً مني بك ، وقد نقلتك عن واحرباه الى واطرباه ، وسمعت عنده خادمه المسمى سلافاً ، وهو يضرب بالطنبور ويجيد ويغني ويحسن ، وفيه يقول وقد شربنا عنده سلافاً [من الخفيف] :

قد سمعنا وقد شربنا سُلافاً وجمعنا بلطفهِ أوصافا

وشاهدت من حسن مجلسه وخفة روح أدبه وإنشاده للصنوبري وطبقته ما طاب به الوقت ، وهشت له النفس ، وشاكل رقة ذلك الهوى ، وعذوبة ذلك اللمى .

وكان فيما أنشدني لنفسه وقد عمله في بعض غلمانه [من الكامل] :

خطٌّ مقوّمةٌ ومفرق طُرَّةٍ فكأنّ سنَّةَ وجهه محرابُ[1]
ورّيت في كشف الذي ألقى به فتعطّل النمّام والمغتاب[2]

فانصرفت عنه وجعلت ألقاه في دار الإمارة . وهو على جملة من البر والتكرمة ، حتى عرفت خروجه إلى بستان بالياسرية لم ير أحسن منه ولا أطيب من يومه فيه لا أني حضرته ، ولكني حدثت بما أرى له فكتبت إليه شعراً م[من الكامل] :

قل للوزير أبي محمدٍ الذي من دون محتده السُّهى والفرقدُ[3]
من إن سما هبط الزمان وريبه أو قام فالدهر المغالب يقعد
سقّيتني مشمولةً ذهبيةً كالنار في نور الزجاجة توقد
لما تخوّن صرف دهرٍ عارضٍ صبري وقلبي مستهامٌ مكْمد

(١) الطرّة : الشعر الذي يعلو الجبين

(٢) ورّيت : من التورية وهي القول الذي يحتمل معنيان قريب وبعيد أو ظاهر وخفي .

(٣) المحتد : الأصل والنسب .

وفطمتني من بعدها عنها فقد أصبحت ذا حزنٍ يقيم ويقعد[1]
من أين لي مهما أردت الشرب عنـ ـدك يا أخا العلياء صبر يوجد

فاستطاب هذا الشعر وأعجب به ، واستدعاني من غده ، فحضرت وأبناء المنجم في مجلسه وقد أعدا قصيدتين في مدحه ، فمنعهما من النشيد لأحضره ، فأنشدا وجودا ، وتمام هذه القصة في ذكر بني المنجم .

* * *

فصل من كتاب الروزنامجة أيضاً

قد حضرنا حجرة تعرف بحجرة الريحان ، فيها حوض مستدير ينصب اليه الماء من دجلة بالدواليب ، وقد مدت الستارة وفيها حسن العكبراوية فغنت [من الوافر] :

سلام أيها الملكُ اليماني لقد غَلَبَ البعادُ على التداني

فطرب الأستاذ أبو محمد أيده الله تعالى بغنائها ، واستعادها الصوت مراراً وأتبعته أبياتاً وهي [من الكامل] :

تطوي المنازل عن حبيبك دائماً وتظل تبكيه بدمعٍ ساجمِ
هلا أقمت ولو على جمر الغضا قلّبت أو حدّ الحسام الصارم[2]

وتبعتها جارية ابن مقلة، ولا غناء أطيب وأطرب وأحسن من غنائها فغنت بيتين للأستاذ وهما [من مجزوء الكامل] :

يا من له رتبٌ ممـ ـكّنةٌ القواعد في الفؤادِ

---

(١) فطمتني : من الفطام ، وهو منع الطفل عن الرضاع .
(٢) الغضا : شجرٌ حطبه شديد التوهّج .

أيحلّ أخذ الماء من متلهّب الأحشاء صادي[1]

ففتنت الجميع ، ثم انبسطنا في الشرب - واشتغل في الشدو ، وارتفع الأمر عن الضبط ، والأصوات عن الحفظ ، واتفقت في أثناء ذلك مذاكرات ، ومناشدات ومجاوبات ، وافترقنا .

* * *

فصل منه أيضاً

وعلى ذكر عكبرا حضرنا مع الأستاذ أبي محمد أيده الله تعالى بها فاستدعى دنا للوقت ، وخماراً من الدير ، وريحاناً من الحانة ، واقترح غناء من الماخور ، وأخذنا في فن من الانخلاع عجيب ، بطريق من الاسترسال رحيب . ورسم أن يقول من حضر شيئاً في اليوم ، فاستنظروا وركبت فرسي ، فاتفقت أبيات لم تكن عندي مستحقة لأن تكتب أو تسمع ، لكن رضاء القوم جمل لدي صورتها ، ولولا حذري من توبيخ مولانا لطويتها وهي [من الطويل] :

تركت لسافي الريح بانة عرعرا ... وزرّت لصافي الراح حانة عكبرا[2]

وقلت لعلجٍ يعبد الخمر زُفَّها ... مشعشعةً قد شاهدَتْ عصر قيصرا[3]

فناوَلَنيها لو تفرّق نورها ... على الدهر نال الليلَ منها تحيّرا

وأوسعني آساً ووردا ونرجساً ... وأحضرني نايا وطبلاً ومزهرا

هنالك أعطيت البطالة حقّها ... وألقيت هتك الستر مجداً ومفخرا

كأنّي الصبا جرياً إلى حومة الصبا ... أناغي صبياً من جلندا مزنّرا[4]

فعانقته والراح قد عقرتْ بنا ... فكرَّرْت تقبيلاً وقد أقبل الكرى

---

(١) الصادي : الظامىء .

(٢) الريح السافية : أي التي تهب فتسفّ الرمال .

(٣) العلج : الكافر .

(٤) الصبّا : الريح الباردة . والجلندا : الفاجر والعاجز ، أو هي إسم بلدة .

وصدَّ عن المعنى النعاس وصادني ... إلى أن تصدّى الصبح يلمع مسْفرا
وهبّت شمالٌ نظَّمتْ شمل بغيتي ... فطارت بها عني الشمول تطيّرا
فكان الذي لولا الحياء أذعته ... ولا خير في عيش الفتى إنْ تسترا

* * *

فصل أيضاً منه : وحضرت الأستاذ أبا محمد أيده الله تعالى في منظرة له على دجلة تنفتح منها أبواب إلى بساتين ، فعمل بيتين صنعا في الوقت وغنى بهما ، وهما [من المجتث] :

لئن عرفت جريراً ... أو اعتمدتْ قطيعا
فلا ظفرت بعاصٍ ... ولا أطعْت المطيعا

والبيت الأول يحتاج إلى تفسير ، فالمراد بالجرير جريرة وبالقطيع قطيعة وأنفذ الأستاذ أبو محمد أيده الله ليلة وقد مضى الثلث منها فاستدعاني ، وقاد دابة نوبته كي لا أتأخر انتظاراً لدابتي ، فمضيت وألفيته قد انتهى من بستانه الكبير إلى مصبها من دجلة على ميادين ريحان نضرة ، فاستحسن الموضع وقعد فيه يشرب مع خدمه : أبي الكأس ؛ وسلاف، وأبي المدام ، وشراب ، وخندريس وشمول ، وراح . وأمر فنصبت نحو مائة شمعة في أصول تلك الميادين صغيرة وقعدت فغنى سلاف [من الرمل] :

يا شقيق النفس من حكمٍ ... نمتَ عن ليلي ولم أنمِ

فقال الأستاذ : بل غن [من الرمل] :

يا شقيق النفس من خدمي ... لم ينم ليلي ولم أنمِ
غنني من شعر ذي حكمٍ ... يا شقيق النفس من حكم

ولم نزل نشرب الراح إلى أن باح الصبح بسره ، وقام كل منا يتعثر في سكره .

* * *

ما أخرج من شعره في وصف كتب ابن العميد

فمن ذلك قوله [من الكامل] :

ورد الكتاب مبشّراً ... قلبي بأضعاف السرورِ
ففضضته فوجدته ... ليلاً على صفحات نور[1]
مثل السوالف والخدو ... د البيضِ زينتْ بالشعور
بنظام لفظٍ كالثغو ... ر وكالعقود على النحور
أنزلته في القلب منـ ... ـزلة القلوب من الصدور

وقوله [من الخفيف] :

طلع الفجر من كتابك عندي ... فمتى للقاء يبدو الصباحُ
ذاك إن تمّ لي فقد عذب العيـ ... ـش ونيل المنى وريش الجناح

وقوله [من الكامل] :

وصل الكتاب طليعة الوصل ... بغرائبِ الإفضال والفضلِ
فشكرته شكر الفقير إذا ... أغناه ربّ المجد بالبذل
وحفظته حفظ الأسير وقد ... ورد الأمان له من القتل

وقوله [من الكامل] :

ورد الكتاب فديته من وارد ... فله قلبي من حياتي موردُ
فرأيت درّاً عقده منتظمٌ ... في كلِّ فصلٍ منه فصلٌ مفرد

* * *

---

(١) فضضت الكتاب : فتحته .

ما أخرج من فصوله المردفة بأبيات الشعر

فصل : رأيته فصيح الإشارة ، لطيف العبارة [من الطويل] :

إذا اختصـر المعنـى فشربـة حائمٍ وإن رام إسهابـاً أتـى الفيض بالمدِّ[1]

فصل : قد نظرته فرأيته جسماً معتدلاً ، وفهماً مشتعلاً [من المتقارب] :

ونفسـاً تفيض كفيض الغمام وظرفـاً يناسـب صفـو المدامِ

فصل : قد عمهم بنعمه ، وغمرهم بشيمه [من الكامل] :

وغزاهـم بسوابـغ من فضله جعلـت جماجمهـم بطائـنَ نعلهِ[2]

فصل : كأن قلبه عين ، وكأن جسمه سمع [من الكامل] :

وكأنّ فطنتـه شهـابٌ ثاقبٌ وكأن نقـد الحـدس منـه يقينُ

فصل : قد لاقت مناهجه ، وراقت مباهجه [من الطويل] :

وقصّر يوم الصيف عنـدي وليلـة الـ ـشتـاء سرورٌ منـه رفـرف طائره

فصل : قد اغتيل كمينه ، واجتيح عرينه [من المتقارب] :

ودارت عليه رحـى وقعةٍ تظـلّ الحجـارة فيهـا طحينا

فصل : قد أدبته بزجرك ، وهذبته بهجرك [من الطويل] :

وإن لمسـت منـه بعـاد معاده وعصـر جفـاه الشـرب أن يتعهّدا

فصل : قد ضيعه الجملة ، ومنعه المهلة [من المتقارب] :

وأصـلاه حرّ جحيم الحديـ ـد تحـت دخـانٍ من القسطل[3]

---

(١) الحائم : الطالب المتعطّش ، المحلّق والإسهاب : الإطالة .

(٢) السوابغ : النعم والعطايا . والسابغة : الدرع .

(٣) أصلاه : أذاقه الحرّ ، وأصلى النار : أوقدها . والقسطل : الغبار الساطع في الحرب .

فصل : مضطرب اللسان ، منتقض البيان [من الطويل] :

قليل مجال الرأي فيما ينوبه   نزولٌ على حكم النوى والتودّع

فصل : من تعرض للمصاعب ، فليتثبت للمصائب [من الطويل] :

ومن خاف أن الهمّ يملك نفسه   فأولى به ترك العلا والجسائم[1]

فصل : وصلة متينة، وقاعدة مكينة [من الطويل] :

وأرحام ودٍّ دونها الرحم التي   تدانت وجلت أن يطول بها الظنّ

فصل : إنه جريح سيفك ، وطريح حيفك [من الطويل] :

ومن إن تلافاه رضاك أعاشه   ومن موته إن دام سخطك حائن

فصل : قد كثرت فتوقه ، واتسعت خروقه [من الطويل] :

وفات مداواة التلافي فساده   وأعيت دلالات الخبير بكاهله

فصل : قد خبا قبسه ، وكبا فرسه [من الكامل] :

وصبا ذووه إلى جناب عدوه   وتقطّعت أقرانه وعلائقه

فصل : ربما وفي ضنين ، وهفا أمين [من الطويل] :

فللرجل الوافي جميل جزائه   وللناصح الهافي جميل التجاوز[2]

فصل : قد حل بربع مأنوس ، وملك محروس [من المتقارب] :

يدبّره ملكٌ ماهرٌ   بهضم القويّ وجبر الضعيفِ

---

(١) الجسائم : عظيم الأمور .

(٢) الهافي : المخطىء ، والتجاوز : العفو والصفح .

فصل : لئن فخر بعز لم يحضره ، وبيت لم يعمره [من المتقارب] :

فــإنّ عصيـر الثمــار الثجيـر وإنّ نفـيّ الحــديد الخبـث(١)

فصل : قتل الإنسان ظلم ، وقتل قاتله حكم [من السريع] :

والسيف يبــدي الجــور في حالة ويبــذل الإنصــاف في أخرى

فصل : استقر بساحة خضرة ، واستبد بعيشة نضرة [من الكامل] :

وغــدا ابــن دأية عندهــم كمهاً وابتــزَّ سوق صياحــه خرس(٢)

فصل : عادل المكيال ، وازن المثقال [من الطويل] :

يجير علــى سلطانــه حكم دينه ويبعــد في حق البعيد أقاربه

فصل : فاتهم بشدة تجهمهم وسرعة تهجمهم [من الكامل] :

تـركوا المـكيدة والـكمين لجهرهم والنبــل والأرمـاح للأسيـافِ

فصل : قد علقت منه بحبل منهوك ، وستر مهتوك [من الطويل] :

وقلــبٍ شديدٍ لا يلين لخلّةٍ ولا يتلافــاه الرّقــى والتلطُّفُ(٣)

فصل : أوحشت عني إبعاداً لك ، وانعطافاً عنك [من البسيط] :

وهـل يباعـد عذب المـاء ذو غصصٍ أو ينثنــي عن لذيذ الــزاد منهوم(٤)

* * *

(١) الثجير : الثفل ، والنفيّ : الرديء .
(٢) ابن دأية : الغراب ، والكمه : الأعمى .
(٣) الخلّة : الصداقة ، أو المرأة الخليلة .
(٤) المنهوم : الجائع .

ما أخرج من فصوله المجردة من أبيات الشعر
وانخرط بعضه في سلك كتابي المترجم بسحر البلاغة

القلب لا يملك بالمخاتلة ، ولا يدرك بالمجادلة ، له أنعام كثيرة الشهود ، وأفضال غزيرة المدود . لم يعلم في أي حتف تورط ، وأي شر تأبط ، محامد أقر بها الراضي والغضبان ، وأوضحها الدليل والبرهان . كيس البيع رابح الشراء ، حسن الأخذ والعطاء . يؤذي صدره ويمنعه من النفث ، ويجرح خاطره ويعوقه عن العبث . لما أجاب أطاب . وتفسح في رحاب الصواب . قد ألنت عريكة الدهر له ، وكففت غرب الزمان عنه . يفور غيظاً ، ويتميّز حقداً ، ويتلظى غضباً ، ويزيد حنقاً . قد قام بيني وبين وصلك حاجز من فعلك ، قد ابتذلت جديد وده ، واستحللت حرام صده . من حنث في أيمانه ، وأخل بأمانته ، فإنما ينكث على نفسه ، حلف يمين بر شهد بها تصديقي ، واستيقنتها نفسي . قد ترامت به البلدان والأسفار ، ونبت عنه الأوطان والأوطار ، وضاقت به الأعطان والأقطار . تركت قلبه طافحاً بوجده ، ودمعه سافحاً على خده [لو سالمه الأسد رام ظلمه ، أو خاشنه الضر طلب سلمه][1] قد أمرته أن يجعل رأيك سراجه ، ورسمك منهاجه ، قد شربت وشلا من وده ، ولبست سملاً من عهده . لأكشفنه لكل ليل بارد ، ونهار واقد . اكفف عن لحم يكسبك بشما وفعل يعقبك ندما . مستثقل من كراه ، ثمل من عناه [طرقني ثناء ما تتلقى شفتاي بذكره ، ولا يثبت بالي لخطره][2] لست غفلا عن الدهر فتنكر نوائبه ، ولا مطيقاً له فتدفع مصائبه . قد تناسخت الأيام قواه ، وشذبت الحوادث هواه . تبدى وجه المطابق والموافق ، وتخفي نظر المسارق والمنافق ، لو أن البرق فطنته ، والريح جنبته ، والسد سوره ، لتغشاه حسبي ،

---

(١) ما بين الحاصرتين ليس في «ب» .
(٢) ما بين الحاصرتين ليس في « ب » .

واستخرجه طلبي ، ولما خذلته أنصاره ، وقطعته أرحامه ، وقعدت عنه أشياعه ، أوليته من حمايتي عضداً . ومن عنايتي مدداً ، وجدته أمد يداً من باعه ، وأبسط قعوداً من قيامه ، مكن موضع رجلك قبل مشيك . وتأمل عاقبة فعلك قبل سعيك . عصارة لؤم في قرارة خبث ، غصن مهصور بالموت ، معصور بالتراب ، قد خفف همه بالشكوى ، وحل حزنه بالبكاء كما حذيت النعل بالنعل ، وقد الشراك على المثل ، يعدل عن النص إلى الخرص ، وعن الحس إلى الهجس . في حكمه صارم فصل ، وفي يده خاتم عدل ، سديد المذاهب ، سعيد المناقب ، نجيح المطالب . دلاه في خطر ، وأسلمه إلى غرر . لا زلت في إقامة ممهدة الحشايا . وحركة وطيئة المطايا . دفعه إلى شفير ، وأطلعه على حقير . استدعى حضوري خالياً ، واستدنى مجلسي مكرماً ، واستوفى مقالي مصغياً ، وأعطاني معروفه مسمحاً ، ونزل على مسألتي مسهلاً ، وقضى حاجتي مجملاً ، وصرفني بالنجاح عجلا . طيب المغرس ، زاكي المنبت ، نضير المنشأ ، رفيع الفرع ، لذيذ الثمر . متقلب بين استقبال شباب ، واستقلال حال . وشرخ قصف ، وفتاء ظرف . وجدت فيه مصطنعاً ، وبه مستمتعاً ، قد وفر همه على مطعم يجوده . ومرقد يمهده . أنا أتذمم من استئصال مثلك ، وأهب جرمك لفضلك . من ضاف الأسد قراه أظفاره ، ومن حرك الدهر أراه اقتداره ، وجدت فيه مع علو سنه ، وأخذ الأيام من جسمه بقية حسنة . ومتعة حلوة ، التصرف أسنى وأعلى ، والتسيم أعفى وأصفى ، ومهما اخترت من الأمرين أمراً فعنايتي تحرسك فيه ، ونظري يمكنك منه ، لو لم يكن في تهجين الرأي المفرد ، وتبيين عجز التدبير الأوحد ، إلا أن الاستلقاح ـ وهو أصل كل شيء ـ لا يكون إلا بين اثنين وأكثر الطيبات أقسام تجمع وأوصاف تؤلف .

* * *

ما أخرج من شعره في جاريته تجني

من ذلك قوله [من المنسرح] :

مرّت فلم تثن طرفها تيها ... يحسدها الغصن في تثنّيها[1]

تلك تجنّي التي جننت بها ... أعاذني الله من تجنّيها

وقوله [من الخفيف] :

ربّ ليلٍ لبست فيه التصابي ... وخلعت العذار والعذل عنّي

في محلٍّ يحلّه لذّة العيـ ... ـش ويجني سروره من تجنّي

وقوله [من الخفيف] :

لي صديقٌ في ودّه لي صدوق ... وبرعي الحقوق منّي حقيقُ

يا تجنّي كتمت ثم بدا لي ... أنت ذاك الصديق لي والرفيق

كلّما سرت من فراقك ميلاً ... مال من مهجتي إليك فريق

فحياتي مصروفةٌ في طريقٍ ... للمنايا عليَّ فيها طروق

وقوله [من الخفيف] :

منيّةٌ سابقت ورود البشير ... وموافٍ أوفى على التقديرِ

يا عروساً زفّت إليَّ فأهديـ ... ـت إليها رقى مكان المهور

بالتملّي وبالرجا والسرور ... يا حياتي والمنزل المعمور

قد لعمري وفيت لي وسأجزيـ ... ـك وفاءً بالشرط بعد النذور

وقوله [من الطويل] :

لقد واظبت نفسي على الحبّ في الهوى ... بإنسانةٍ ترعى الهوى وتواظبُ

---

(١) تثنيها : دلالها وتمايلها .

صفـــا ليَ العيش والشيب شاملٌ ... كمـا كان يصفـو والشبـــاب مصاحب

* * *

ما أخرج من شعره في الغزل وغيره

فمن ذلك قوله [من الوافر] :

أرانـــي الله وجهــك كلّ يومٍ ... صبــاحـاً للتيمُّــن والســرورِ
وأمتــع ناظـري بصحيفتيـه ... لأقــرا الحســن من تلك السطور

وقوله [من مجزوء الرمل] :

يا منــى نفســي ويا حسـ ... ـبــيَ من حســنٍ وطيبِ
سابقــي بالــوصـل موتـي ... أو مشيبــي ومغيبـي
فهـو للفتيـان في الدنـ ... ـيا بمــرصــادٍ قريـب

وله في غلام اسمه غريب [من الوافر] :

رعــى الرحمــن قومــاً ملَّكوني ... رشـــا قصـــرٍ بلغْــت به المرادا
وسمَّـــوْه مع القربـــى غريباً ... كنـــور العين سمَّـــوْه سوادا

وقوله [من الخفيف] :

رب ليل قطعـــت فيـه خماري ... بغـزال كأنّـه مخمـورُ
ومصـــادٍ سرحْـــت فيه ونصرٍ ... بازيازي مظفَّـــرٌ منصـور[1]
بصقـــورٍ مثــل النجــوم إذا انقضّــــــت ... وعصفٍ كأنّهــن صقور[2]

---

(١) بازيازي : نوعٌ من الطيور .
(٢) انقضّت : هوت على فريستها والعصف .

وقوله [من الكامل] :

الـــورد بيـن مضمّــخٍ ومضرّج ... والزهــر بين مكلّلٍ ومتوّجِ
والثلـج يهبـط كالنثـار فقـم بنا ... نلتـذُّ بابنــة كرمــة لم تمزج
طلــع النهــار ولاح نور شقائقٍ ... وبدت سطور الــورد تلــوَ بنفسج[1]
فكأنّ يومــك في غلالــة فضةٍ ... والنبــت من ذهــبٍ علــى فيروزج

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يــومٌ كــأنّ سمــاءه ... شبــه الحصــان الأبــرشِ
وكــأنّ زهرة روضــه ... فرشــت بأحســن مفــرش
فســمــاؤه دكـن الخـزو ... ز وأرضــه خضــر الوشـي[2]

كأنه أخذه من قول ابن الرومي [من الخفيف] :

يومنــا للنــديم يوم سرورٍ ... والتــذاذٍ ونعمــةٍ وابتهــاجِ
ذو سمـــاء كأدكن الخـــزّ قد غيـ ... ـمــت وأرض كأخضــر الديباج

وقوله [من الخفيف] :

يا هلالاً يبــدو فيزداد شوقي ... وهــزاراً يرنــو فيزداد عشقي
زعــم النـــاس أن رقّــك ملكي ... كذب النـــاس أنــت مالك رِقي

وقوله [من الطويل] :

ألا يا منـى نفســي وإن كنــت حتفها ... ومعناي في سرّي ومغـزاي في جهري
تصارمــتِ الأجفــان منــذ صرمتني ... فمــا تلتقــي إلاّ علــى عبــرةٍ تجري

(١) البهار : الضوء والصباح .
(٢) الداكن : المائل الى السواد والخزوز : من الخزّ ، قماشٌ من الحرير .

وقوله [من السريع] :

يا شادناً جدّد حبّي له | من بعد حبٍّ سالف ساجي[1]
بلحيةٍ قد أوصلت جمّةً | مثل اتصال الطوق بالتاجِ[2]

وله في غلام ناقه من علته [من مجزوء الكامل] :

نهض العليل فقلت حيـ | ـن بدا كغصنٍ مائلِ
طلع الهلال لليلةٍ | بضياءِ بدرٍ كاملِ

وقوله [من الخفيف] :

قال لي من أحب والبين قد بدّ | د دمعي مواصلاً للشهيق :
ما الذي في الطريق تصنع بعدي ؟ | قلت : أبكي عليك طول الطريق

وقوله [من مخلع البسيط] :

لولا تسلّيَّ بارتكاضي | في البعد والقرب والتلاقي[3]
ودفعيَ الهمّ بالأماني | فارقت روحي مع الفراق

وقوله [من السريع] :

ينأى فأشتطّ وأنوي له | تنقّص الداني على النائي[4]
حتى إذا أبصرته ذبت في | يديه ذوب الملح في الماءِ

وقوله [من المنسرح] :

ولي حبيبٌ ألوذ فيه بأو | صافٍ وفحواه فوق ما أصفُ

(١) السالف : الماضي ، والساجي : الساكن .
(٢) الجمّة : الشعر الذي يعلو الرأس .
(٣) الارتكاض : السفر من مكان إلى مكان .
(٤) ينأى : يتباعد ، واشتط : ابتعد .

كالبدر يعلو والشمس تشرق والـ ـغزال يعطو والغصن ينعطف[1]

وقوله [من مجزوء الكامل] :

إن كنت أزمعت الرحيـ ـل فإن عزمي في الرحيلِ
أو كنت قاطنة أقمـ ـت وإن منعت لذيذ سُوْلي
كالنجم يصحب في المسير ولا يزول لدى النزول

أخذه من قول أبي تمام [من الكامل] :

كالنجم إن سافرت كان مواكباً وإذا حططت الرحل كان جليسا

وقوله [من الكامل] :

عزمي وعزم عصابةٍ ركّاضةٍ موصولة الإلجام بالإسراجِ
كالنبل عامدةً إلى أهدافها والطير قاصدةً إلى الأبراج

وقوله [من الطويل] :

وذي حسدٍ ولو حلّ بي ما يريده لأصبح مفجوعاً بفيض بناني
ولم أعطه جهلاً ولكن سحائبي تعمّ ذوي الإخلاص والشنّآن[2]

وقوله لأبي إسحاق الصابي [من البسيط] :

برّد مصيفك وافرشه بميثرةٍ فإنّني لمقام الخلّ أرتحلُ[3]
الذّاكريّ وإن أضحي ويعجبني أن تستريح وأن تكتنّك الظُّلل[4]

---

(١) يعطو : أي يتطاول بفيه الى الشجر ويمدّ عنقه ليأكل منه .
(٢) الشنآن : البغض .
(٣) الميثرة : شيء كالمخدّة يجعل على السّرج .
(٤) تكتنّك : تسترك .

وقوله [من الطويل] :

أُوَفِّي كلا وقْتَيَّ قسطَ تألُّه وقسط هوىً لا يستمرُّ لمحْرمِ
ولذّة وجدي من لذاذة مطربي أسرّ إلى نفسي وأعذب في فمي

وقوله [من الكامل] :

يا عارفاً بالداء مطّـرح السؤال عن الدواءِ
العلم عندي كالغذا ء فهل تعيش بلا غذاء ؟

وقوله [من الرمل] :

لو توسطت إذاً لم تترك وكففت القلب عن بعض الأربْ
كان أرجى لك في العقبى من ان تملأ الدلو إلى عقد الكرب[1]

وقوله [من المتقارب] :

هبِ البعث لم يأتنا نذره وجماحة النار لم تضرمِ
أليس بكافٍ لذي فكرةٍ حياء المسيء من المنعم ؟!

وقوله [من الكامل] :

يا من يسرّ بلذّة الدنيا ويظنّها خلقت لما يهوى
لا تكذبنّ فإنّها خلقت لينال زاهدها بها الأخرى

وقوله [من الطويل] :

بعثتُ إلى ربّ البرايا رسالةً توسل لي منها دعاء مناصحُ
فجاء جوابي بالإجابة وانجلت بها كربٌ ضاقت بهنّ الجوانح

* * *

(١) عجز هذا البيت من قول المهبلي :

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة من بيت العرب
من يساجلني يساجل ماجداً يملأ الدلو إلى عقد الكرب



الباب الثالث

١١٥ - في ذكر أبي إسحاق الصابي ، ومحاسن كلامه

هو إبراهيم بن هلال بن هرون الصابي الحراني .

أوحد العراق في البلاغة ، ومن به تثنى الخناصر في الكتابة ، وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية ، من البارعة والصناعة ، وكان قد خنق التسعين في خدمة الخلفاء ، وخلافة الوزراء ، وتقلد الأعمال الجلائل ، مع ديوان الرسائل ، وحلب الدهر أشطره ، وذاق حلوه ومره . ولابس خيره ، ومارس شره ، ورئس ورأس ، وخدم وخدم ، ومدحه شعراء العراق في جملة الرؤساء وسار ذكره في الآفاق ، ودوّن له من الكلام البهي النقي ما تتناثر درره ، وتتكاثر غرره . وفيه يقول بعض أهل العصر [من الكامل] :

أصبحت مشتاقاً حليف صبابةٍ ... برسائل الصابي أبي إسحاقِ

صوب البلاغة والحلاوة والحجى ... ذوب البراعة سلوة العشاق[1]

طوراً كما رقّ النسيم وتارةً ... يحكي لنا الأطواق في الأعناق

لا يبلغ البلغاء شأو مبرِّزٍ ... كتبت بدائعه على الأحداق

---

(١) الصوب : المطر ، والحجى : العقل والرأي .

ويقول بعض أهل العصر فيه أيضاً [من الكامل] :

يا بؤس من يمنى بدمع ساجم يهمي على حجب الفؤاد الواجم[1]
لولا تعلله بكأس مدامة ورسائل الصابي وشعر كشاجم[2]

ويحكى أن الخلفاء والملوك والوزراء أرادوه كثيراً على الإسلام ، وأداروه بكل حيلة ، وتمنية جليلة ، حتى إن عز الدولة بختيار عرض عليه الوزارة إن أسلم ، فلم يهده الله تعالى للإسلام ، كما هداه لمحاسن الكلام ، وكان يعاشر المسلمين أحسن عشرة ، ويخدم الأكابر أرفع خدمة ، ويساعدهم على صيام شهر رمضان ، ويحفظ القرآن حفظاً يدور على طرف لسانه ، وسن قلمه ، وبرهان ذلك ما أوردته في كتاب الاقتباس من فصوله التي أحسن فيها كل الإحسان ، وحلاها بآي من القرآن .

سمعت أبا منصور سعيد بن أحمد البريدي ببخارى يقول : إن أبا إسحاق الصابي ، كان من نساك أهل دينه والمتشددين في ديانته ، وفي محاماته على مذهبه وتصونه عما يدعو إليه الهوى يقول [من الوافر] :

حمتني لذّتي رتب المعالي وصنّي بالمروءة والوقارِ
ودينٌ ضاق فيه مجال فتكي لخوف عقوبةٍ وحذار نار
فوا شوقاً إلى خلع العذار وفعلي ما أريد بلا اعتذار
ويا لهفي على حلّ الإزار صريعاً بين سكرٍ أو خمار[3]

وحدثني أبو نصر سهل بن المرزبان ، قال : بلغني أن الصابي حضر يوماً مائدة المهلبي ، فامتنع عن الأكل ، لباقلاء كانت عليها ، لأنه محرم على الصابئة

---

(١) يمنى : يصاب ، والواجم : الحزين المطرق .
(٢) كشاجم : أحد الشعراء المشهورين عاش في بلاط سيف الدولة .
(٣) الخمار : أثر الخمرة في الرأس .

كيفما كان من السمك ولحم الخنزير ولحم الجمل وفراخ الحمام والجراد ، فقال له المهلبي : لا تبرد وكل معنا من هذه الباقلاء ، فقال : أيها الوزير لا أريد أن أعصي الله في مأكول ، فاستحسن ذلك منه .

وكان أبو إسحاق في أيام شبابه واقتباله أحسن حالاً ، وأرخى بالاً منه في أيام استكماله وزمن اكتهاله ، وأورى زنداً وأسعد جداً منه حين مسه الكبر ، وأخذ منه الهرم ، وفي ذلك يقول [من الكامل] :

عجباً لحظّي إذ أراه مصالحي ... عصر الشباب ، وفي المشيب مغاضبي
أمن الغواني كان ، حتى ملّني ... شيخاً وكان على صبايَ مصاحبي ؟
أمع التضعضع ملّني متجنّباً ... ومع الترعرع كان غير مجانبي
يا ليت صبوته إليَّ تأخرتْ ... حتى تكون ذخيرةً لعواقبي[1]

من قصيدة في فنها فريدة كتب بها إلى الصاحب ، يشكو فيها بثه وحزنه ويستمطر سحابه ، بعد أن كان يخاطبه بالكاف ولا يرفعه عن رتبة الأكفاء .

وكان المهلبي لا يرى إلا به الدنيا ، ويحن إلى براعته وتقدم قدمه . ويصطنعه لنفسه ، ويستدعيه في أوقات أنسه . فلما توفي المهلبي وأبو إسحاق يلي ديوان الرسائل والخلافة مع ديوان الوزارة ، اعتقل في جملة عمال المهلبي ، فمن قوله في ذلك الاعتقال من قصيدة [من الكامل] :

يا أيها الرؤساء ، دعوة خادمٍ ... أوفت رسائله على التعديدِ
أيجوز في حكم المروءة عندكم ... حبسي وطول تهدّدي ووعيدي ؟
قلّدت ديوان الرسائل فانظروا : ... أعدلْتُ في لفظي عن التسديد ؟
أعليَّ رفع حسام ما أنشأته ... فأقيم فيه أدلتي وشهودي ؟

---

(١) الصبوة : طيش الشباب . والعواقب : خواتم الأمور .

أنسيتـم كتبـاً شحنـت فصولها بفصـول درٍّ عنـدكـم منضود ؟
ورسائـلا نفـذت إلـى أطرافكم عبـد الحميد بهـنّ غير حميد
يهتـزّ سامعهـنّ من طربٍ كما هزَّ النـديمَ سمـاعُ ضرب العود
أنـا بين إخـوانٍ لنـا قد أوثقوا بسلاسـلٍ وجـوامـعٍ وقيـود
ومـوكّلين بنـا نذلُّ لعزِّهـم فكأننـا لهـمُ عبيد عبيد
والله ما سمـع الأنـام ولا رأوا نقـداً توكل قبلهـم بأسود
من كلّ حرٍّ ماجـدٍ صنديد في كلّ وغـدٍ عاجـزٍ رعديد(١)
قصـرت خطـاه خلاخـلٌ من قيده فتـراه فيهـا كالفتـاة الرّود(٢)
يمشـي الهـوينا ذلّـةً لا عـزةً مشـي النـزيف الخـائف المزءود(٣)
فتفضّلـوا وتعطّفـوا وهبـوا لنا عفـواً قديم حفائـظٍ وحقود(٤)
وتعلّمـوا أن الـولاية عندكـم عاريّة ليسـت بذات خلـود(٥)

وسأجعل لأخوات هذه الأبيات مما قاله في هذا الاعتقال وغيره فصـلاً في جملة الفصول ، من غرر شعره .

ولما خلى عنه وأعيد إلى عمله لم يزل يطير ويقع وينخفض ويرتفع إلى أن دفع في أيام عضد الدولة إلى النكبة العظمى والطامة الكبرى . إذ كانت في صدره حزازة كبيرة ، من إنشاءات له عن الخليفة الطائع في شأن عز الدولة بختيار نقمها منه ، واحتقدها عليه .

حدثني أبو منصور سعيد بن أحمد البريدي وأبو طاهر محمد بن عبد الصمد

(١) الرعديد : الجبان .
(٢) الخلاخل : ما تضعه النساء في أرجلهنّ مفرده خلخال ، والفتاة الرود : أي الحسناء .
(٣) المزءود : الخائف .
(٤) الحفيظة : ما يكنه المرء في نفسه من حقد وبغض .
(٥) الغاريّة : الدِّين والأمانة .

الكاتب ، قالا : كان من أقوى أسباب تغير عضد الدولة لأبي إسحاق بعد ميله إليه وضنه به فصل له من كتاب أنشأه عن الخليفة في شأن بختيار ، وهو :

وقد جدد له أمير المؤمنين مع هذه المساعي السوابق . والمعالي السوامق التي تلزم كل دان وقاص ، وعام وخاص . أن يعرف له حق ما كرم به منها ويتزحزح عن رتبة المماثلة فيها ، فإنه أنكر عليه هذه اللفظة أشد إنكار ؟ ولم يشك في التعريض به ، وأسرها في نفسه إلى أن ملك بغداد ، وسائر بلاد العراق ، وأمر أبا إسحاق بتأليف كتاب في أخبار الدولة الديلمية ، يشتمل على ذكر قديمه وحديثه ، وشرح سيره وحروبه وفتوحه ، فامتثل أمره وافتتح كتابه المترجم بالتاجي الذي تقدم ذكره ، فاشتغل في منزله به ، وأخذ يتأنق في تصنيفه وترصيفه ، وينفق من روحه على تقريظه وتشنيفهِ ، فرفع إلى عضد الدولة أن صديقاً للصابي دخل عليه يوماً فرآه في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبديل والتبييض ، فسأله عما يعمله من ذلك فقال : أباطيل أنمقها ، وأكاذيب ألفقها ، فانضاف تأثير هذه الكلمة في قلب عضد الدولة إلى ما كان في قلبه من أبي إسحاق . وحرك من ضغنه الساكن ، وأثار من سخطه الكامن ، فأمر بأن يلقي تحت أرجل الفيلة . فأكب نصر بن هرون ومطهر بن عبد الله وعبد العزيز بن يوسف على الأرض يقلبونها بين يديه ، ويستشفعون إليه في أمره ، ويتلطفون في استيهاب دمه ، إلى أن أمر باستحيائه مع القبض عليه وعلى أشيائه واستئصال أمواله ، فبقي في ذلك الاعتقال بضع سنين إلى أن تخلص في آخر أيام عضد الدولة ، وقد رزحت حاله وتهتك ستره . وكان الصاحب يحبه أشد حب ويتعصب له ويتعهده على بعد الدار بالمنح ، وأبو إسحاق يخدم حضرته بالمدح .

وقرأت له فصلاً من كتاب في ذكر صلة وصلت منه إليه استظرفته جداً ، وهو :

ورد ـ أطال الله تعالى بقاء سيدنا ومولانا ـ أبو العباس أحمد بن الحسين وأبو

محمد جعفر بن شعيب حاجين ، فعرجا إلى ملمين ، وعاجا على مسلمين ، فحين عرفتهما ، وقبل أن أرد السلام عليهما ، مددت اليد إليهما ، كما مدها حسان بن ثابت إلى رسول جبلة بن الأيهم ثقة مني بصلته ، وتشوقاً إلى تكرمته واعتياداً لإحسانه ، وإلفاً لموارد إنعامه ، وتيقناً أن خطوري بباله ، مقرون بالنصيب من ماله ، وأن ذكراه لي مشفوعة بجدواه ، وقمت عند ذلك قائماً ، وقبلت الأرض ساجداً ، وكررت الدعاء والثناء مجتهداً ، وسألت الله تعالى أن يطيل له البقاء ، كطول يده بالعطاء ، ويمد له في العمر ، كامتداد ظله على الحر . وأن يحرس هذا البدد ، القليل العدد ، من مشيخة الكتاب ، ومنتحلي الآداب ، ما كنّفهم به من ذراه ، وأفاء عليهم من نداه ، وأسامهم فيه من مراتعه ، وأعذبه لهم من شرائعه ، التي هم محلئون إلا عنها ، ومحرومون إلا منها .

وله رسائل وقصائد كثيرة إليه ، وقد أودعت هذا الكتاب شرطة منها .

وبلغني أن الصاحب كان يتمنى انحيازه إلى جنبته ، وقدومه إلى حضرته ، ويضمن له الرغائب على ذلك إما تشوقاً أو تفوقاً ، وكان أبو إسحاق يحتمل ثقل الخلة ، وسوء أثر العطلة ، ولا يتواضع للاتصال بجملة الصاحب بعد كونه من نظرائه وتحليه بالرياسة في أيامه .

وأخبرني ثقات منهم أبو القاسم علي بن محمد الكرخي ، وكان شديد الاختصاص بالصاحب ، أنه كثيراً ما كان يقول : كتاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة : الأستاذ ابن العميد ، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، وأبو إسحاق الصابي ، ولو شئت لذكرت الرابع ، يعني نفسه ، وأما الترجيح بين هذين الصدرين ـ أعني الصاحب والصابي ـ في الكتابة فقد خاض فيه الخائضون . وأخب فيه المخبون ومن أشفي ما سمعته في ذلك أن الصاحب كان يكتب كما يريد وأبو إسحاق كان يكتب كما يؤمر ، وبين الحالين بون بعيد . وكيف جرى الأمر فهما هما وقد وقف فلك البلاغة بعدهما .

وأنا كاتب أنموذجاً من فصوص فصول الصابي وفرائد قلائده ، ومقف على أثره بما فصلته من غرر أشعاره المشتملة على بدائع معانيه بمشيئة الله تعالى وإذنه .

فصل له من كتاب إلى عضد الدولة
في التهنئة بتحويل سنة

أسأل الله تعالى مبتهلاً لديه ، ماداً يدي إليه ، أن يحيل على مولانا هذه السنة وما يتلوها من أخواتها بالصالحات الباقيات ، وبالزائدات الغامرات ، ليكون كل دهر يستقبله وأمد يستأنفه موفياً على المتقدم له ، قاصراً عن المتأخر ، ويوفيه من العمر أطوله وأبعده ، ومن العيش أعذبه وأرغده ، عزيزاً منصوراً محمياً موفوراً باسطاً يده ، فلا يقبضها إلا على نواصي أعداء وحساد ، سامياً طرفه ، فلا يغضه إلا على لذة غمض ورقاد . مستريحة ركابه فلا يعملها إلا لاستضافة عز وملك فائزة قداحه فلا بجيلها إلا لحيازة مال وملك ، حتى ينال أقصى ما تتوجه إليه أمنيته جامحاً ، وتسمو له همته طامحاً .

فصل من كتاب عن بختيار
إلى مؤيد الدولة

لما قبض على أبي الفتح بن العميد ذي الكفايتين ، في الشفاعة له

وهذا غلام أفسدته سجية ركن الدولة الشريفة في شدة الاحتمال ، والصبر على الإدلال ، واجتمع له إلى ذلك التقلب في نعمة حازها حيازة وارث لها ، لم يكدح في تأثيلها ، ولا مسه النصب في تثميرها ، ولا اهتدى إلى طريق استيفائها ، ولا تحزن من طرق دواعي انتقالها ، ومن ألزم اللوازم في حكم الرعاية أن نحفظه من سكر نعمة نحن سقيناه بكأسها ، وأن نعذره عند هفوة قد شاركناه في إيجاد أسبابها . وأن تكون نفسه محروسة والبقية من حاله يعد أخذ فضلها المفسد له متروكة ، وأن يتحدث الناس بأن سيدي الأمير أصاب غرض الحزم بالقبض عليه ، ثم طبق مفصل الكرم في التجاوز عنه .

فصل عنه إلى أبي تغلب ، في الشفاعة لأخ له

وقد يكون لعمري من ذوي الأرحام الشابكة ، والقرابات الدانية ، من يتمادى في العقوق ، ويذهب عن حفظ الحقوق ، ولا يسع ترك تألفه حتى يرجع ، واستصلاحه حتى ينزع ، فإن تجشم الإعراض عنه لرياضة تقصد ، أو عاقبة نفع تحمد ، لم يبلغ به إلى قطع المعيشة ، ومنع المادة ، لأن قباحة ذلك بمن يستعمله أكثر من مضرته بمن يعمل معه ، وقد قيل إن الملوك تؤدب بالهجران ، ولا تعاقب بالحرمان ، هذا في الاتباع والأصحاب ، فكيف في الأقران والأتراب ؟

فصل عن نفسه إلى عبد العزيز بن يوسف

كتب الأتباع محتاجة عند الملوك إلى قائد يطرق ويمهد لها . وسائق يشيع ويحدو بها ، وناصح يعضدها في متضمناتها ، ويشفع لها في ملتمساتها ، ويعتمد بعرضها في أوقات الفراغ والنشاط . وأحيان الخلوة والانبساط .

فصل عن بختيار إلى أبي تغلب ، في ذكر فرس أهداه إليه

أما الفرس الذي سألت إيثارك به ، فقد تقدمنا بقوده إليك ، والله تعالى يبارك لك فيه ، ويجعل الخير معقد ناصيته ، والإقبال غرة وجهه . وإدراك المطالب تحجيل قوائمه ، ونيل الأماني طلق شده ، وفتح الفتوح غاية شأوه . وسلامة العواقب مثنى عنانه .

فصل عن نفسه إلى صدق له منجم يسأله الحكم عن تحويل سنته

ما أحوج من حالي حاله إلى تفضل منك عائد بعد باد ، وتال بعد ماض ، وبالحكم على السنة المستقبلة التي تصل زايرجتها درج هذا الكتاب ، مستقصياً له

ومدققاً فيه ومتوفراً عليه ، ومتوصلاً الى استنباء دفينه واستثارة كمينه ، والافصاح بكلياته وجزئياته ، غير مغرق في تفخيم ما يلوح من السعادة سهلها الله تعالى . كيلا أتوقع منها أكثر من حدها ، ولا مقتصراً في الإنـذار بالمنحسـة صرفهـا الله تعالى ، لئلا أكون كالغافل الذاهل عنها . فإن ثمرة هذه الصناعة هي تقدمة المعرفة بما يكون ، والاستعداد له بما يمكن . ولا أقول إن ذلك يؤدي الى دفع مقـدور نازل ، ولا معارضة محتوم حاصل ، ولكني أقول : ربما كان من سعادة السعيد أن يعلم هذا الأمر فيتصدى لحيازة ما يجب ، ويتوقى حلول ما يكره ، وربما كان من منحسة المنحوس أن يجهله فيكون كالمسلـوب بصـره وسمعـه ، الـذي لا يرى فيتحفظ ، ولا يسمع فيتيقظ . وكلا الأمرين لسابق قضاء الله تعالى موافق ، ولمتقدم علمه مطابق . وإنما ذكرت ذلك استظهاراً لنفسي إن تعداك كتابي إلى غيرك ، ممن لا يهتدي للجمع بين الأمرين ، والتعلق منهما بالعـروتين ، فيظـن أن المراعـي لأحدهما مخل بالآخر ، وعندي أن الفاصل بينهما لا يخلـو من أن يكون ناقص الحظوظ في أدبه ، أو ناقص اليقين في دينه . وأنت ولي ما تفضل به في ذلك معتمد تقديمه ، وترك تأخيره ، إذ للنفس راحة في تيسير المنتظرات ، وعليها كلفة في أن تتمادى بها الأوقات ، على أن ظني بك الإيثار لما أثرت ، والتحرز مما حاذرت .

فصل من رسالة عن صديق له في الخطبة

ولو لم يكن للخاطب إلى المخطوب إليه سبـب غير ابتدائـه إياه بالثقـة ، والتماس المشابكة ، ورضاه به شريكاً مفوضاً في الولد واللحمة والحال والنعمة لكفاه وأجزأه ، وأغناه عن كل ما سواه ، حتى إنه لو خطب إلى زاهد لوجب عليه أن يرغب أو إلى معتاص للزمه أن ينقاد ، لأنَ هذا المطلب إذا صدر عن الأحرار إلى الأحرار استهجن الرد عنه ، والمِقابلة له بضده ، فكيف وقد انتظمت بيننا دواعي الإجابة ، وارتفعت عن المدافعة ؟ وبالله جهد المقسم أن والدي أيدهما الله تعالى يسومانني التأهل منذ سنين كثيرة ، فأحمل نفسي على التقاعس عمـا آثـره مع ما

افترض على من طاعتهما اشتطاطاً مني في شرائط أحببت أن تجتمع لي في الخبيئة التي أواصلها ، وقلما تتكامل إلا فيمن طهر الله أصله ، وجمل أمره وأظهر فضله .
وقد دعاني بالدعاء إلى ذلك كثير من الرؤساء الأكابر وذوي الأخطار والأفاضل .
بفارس والبصرة وبغداد ، فامتنعت من أجل شذوذ بعض شرائطي عليهم ، حتى إذا أوجدنيها الله في جهتك الجليلة ، وجمعها لي في منازلك المصونة ، بعثتني البواعث وحفزتني الحوافز إلى أن يتألف بيننا الشمل ، ويتصل بنا الحبل ، فكتبت إليك هذه الرقعة خاطباً إليك كريمتك فلانة ، على أن أكون لها كالجفن الواقي لمقلته ، والصدر الحاوي لمهجته ، ولك كالولد المطيع لأبيه ، ولأخيها كالأخ المعاضد لأخيه ، فإن رأيت يا سيدي أن تتأمل ما كتبت به من هذه الجملة ، وتسمع من موصلها ما تجمله عني من تفصيلها ، وتتوخى بإجابتي إلى ما سألت تحقيق ظني ، وتصديق أملي ، فعلت إن شاء الله .

فصل من عهد للخليفة إلى قاض

وأمره أن يجلس للخصوم ، وقد نال من المطعم والمشرب طرفاً يقف به عند أول حد من الكفاية ، ولا يبلغ منه إلى آخر النهاية ، وأن يعرض نفسه على أسباب الحاجة كلها ، وعوارض البشرية بأسرها ، لئلا يلم به من ذلك ملم ويطيف به طائف ، فيحيلانه عن رشده ، ويحولان بينه وبين سداده .

فصل في ذكر تقليد المطيع ابنه الطائع ما كان إليه من الخلافة

ولما صار في السن العليا ، والعلة العظمى ، بحيث يحرج أن تقيم معه على إمامة قد كل عن تحمل كلها ، وضعف عن النهوض بعبئها وحملها ، خلع ذلك السربال على أمير المؤمنين الطائع لله ، خلع الناض إليه ، والمسلم عليه .

فصل عن بختيار إلى عضد الدولة في التأليف

وإن من أعظم محن[1] هذا البيت ، أن تزول منابت فروعه عن منابت أصوله، وأن تؤتى مراسي أوتاده من ذوائب عروشه[2] . وأن تدب بينهم عقارب المشاحنة ، وتسري إليهم أراقم المناقشة . وتنبثّ الدواهي فيهم من ذاتهم ، وقد كانت محسومة من أضدادهم وعداتهم .

فصل إلى صديق له ، في الشكوى والاستماحة

ولما صارت صروف الدهر تنوء على بعد التطريف ، وتجحف بي بعد التحييف . وصادف ما يجدد علي في هذا الوقت منها أشلاء مني منهوكة ، وأعظماً مبرية ، وحشاشة مشفية ، وبقية مودية . جعلت اختبار الجهات ، واغتنام الجنبات ، لأنحو منها ما لا يعاب سائله إذا سأل ، ولا يخيب آمله إذا أمل . وكان سيدي أولها إذا عددت ، وأولاها إذا اعتمدت . وكتبت كتابي هذا بيد يكاد وجهي يتظلم منها إذا تخطه ، إشفاقاً على مائه مما يريقه ، لولا الثقة انه يحقن مياه الوجوه ويحميها ، ويجمها[3] ولا يقذيها .

فصل في مثله

ولما أناخت النكبة من حالي على طلل قفر ، وبلقع صفر ، وعون المغارم أثقل وطأة من أبكارها ، وأبغ تأثيراً في ثلمها وإضرارها . فقد اضطرني الى تجشم ما كنت أجمه من نداه ، والتعرض لما كنت أدخره من جدواه . وإنما تخرج الكرائم وتبذل النفائس من تزايد الضغطة ، وتضايق الخطة .

---

(١) المحن : المصائب .

(٢) الذوائب : خصل الشعر في أعلى الجبين .

(٣) ويجمّها : يحفظها ويجمعها،والقذى: ما يسقط في العين من وسخ وغيره .

فصل في ذكر الأقدار

لله تعالى أقدار ترد في أوقاتها ، وقضايا تجري إلى غاياتها ، لا يرد شيء منها عن شأوه ومداه ، ولا يصد دون مبلغه ومنحاه ، فهي كالسهام التي لا تثبت في الأغراض ، ولا ترجع بالاعتراض . والناس فيها بين غبطة يجب الشكر عليها ، ورزية يوثق بالعوض عنها .

فصل في ذكر الشكر والكفر

للنعم شروط من الشكر لا تريم ما وجد ، ولا تقيم ما قعد . وكثيراً ما تسكر الواردين حياضها ، وتغشى عيون المقتبسين إيماضها ، فيذهلون عن الامتراء لدرتها ، ويعمهون عن الاستمتاع بنضرتها . ويكونون كمن أطار طائرها لما وقع ، ونفر وحشيها لما أنس ، فلا يلبثون أن يتعروا من جلبابها ، وينسلخوا من إهابها ، ويتعوضوا منها الحسرة والغليل ، والأسف الطويل .

فصل عن بختيار إلى سبكتكين الغزني

ليت شعري بأي قدم تواقفنا ورایاتنا خافقة على رأسك ومماليكنا عن يمينك وشمالك ، وخيلنا موسومة بأسمائنا تحتك ، وثيابنا المنسوجة في طرزنا على جسدك ، وسلاحنا المشحوذ لأعدائنا في يدك .

فصل له إليه أيضاً

لم يدر في خلده أن مثل إحسانه إليك يكفر ، ومثل متجره فيك يخسر وقد جذب بضبعك من مطارح الأرقاء العبيد ، إلى مراتب الأحرار الصيد .

فصل إليه أيضاً

تناولتك الألسن العاذلة ، وتناقلت حديثك الأندية الحافلة ، وقلدت نفسك عاراً لا يرحضه الاعتذار ، ولا يعفيه الليل والنهار .

فصل في ذكره

هو أرق ديناً وأمانة ، وأخفض قدراً ومكانة ، وأتم ذلاً ومهانة ، وأظهر عجزاً وزمانة[1] ، من أن تستقل به قدم مطاولتنا[2] ، أو تطمئن له ضلوع على منابذتنا[3] . وهو في نشوزه[4] عنا وطلبنا إياه كالضالة المنشودة ، وفيما نرجوه من الظفر به كالظلامة المردودة .

فصل في مثله أيضاً

ولما بعد صيته بعد الخمول ، وطلع سعده بعد الأفول ، وجمعت عنده الأموال ، ووطئت عقبه الرجال ، وتضرمت بحسده جوانح الأكفاء ، وتقطعت لمنافسته أنفاس النظراء ، نزت به بطنته ، فأدركته شقوته . ونزغ به شيطانه ، وامتدت في الغي أشطانه .

فصل عن بختيار في ذكر عضد الدولة ، وما جرى بينهما

والله عالم أني مع ما عودنيه الله من الإظهار ، وأوجدنيه من الاستظهار ، ومنحنيه من شرف المكان ، وظل السلطان وكثرة الأعوان ، لأجزع في مناضلة عضد الدولة من أن أصيب الغرض منه ، كما أجزع من أن يصيب الغرض مني ، وأكره أن أظفر به كما أكره أن يظفر بي ، وأشفق من أن أطرف عيني بيدي ، وأعض لحمي بنابي .

---

(١) الزمانة : المرض .
(٢) المطاولة : من التطاول على مقامنا .
(٣) المنابذة : مفاخرتنا ومباهاتنا .
(٤) النشوز : النفور .

فصل في ذكره أيضاً

إن انتشار النظام إذا بدا والعياذ بالله تعالى لم يقف عند الحد الذي يقدر فلان أن يقف عنده ، ولم يخصص الجانب الذي يظن أنه يلحقه وحده ، بل يدب دبيب النار في الهشيم ، ويسري كما يسري النغل[1] في الأديم ، وكثيراً ما تعدى الصحاح مبارك الجرب ، ويتخطى الأذى إلى المرتقى الصعب .

فصل في ذكره أيضاً

قد لحقني من مولانا ما يلحق الرجل تذوي يمينه ، وهو بين أن يقطعها ليسلم له ما بعدها . ويا لها من خطة ما أصعبها وأشقها ، وورطة ما أحرجها وأضيقها . وبين أن يغضي عليها فيرمي إلى ما هو أعظم من قطعها ، وأمض من فقدها .

فصل في ذكر القواد

عادوا إلى الحضرة عود الأنياب إلى أفواهها ، والأظفار إلى براثنها . والنصال إلى أجفانها ، والسهام إلى كنائنها .

فصل عن الخليفة في رعاية حقوق الآباء في الأبناء واصطناع أولاد الأولياء

وأمير المؤمنين يذهب على آثار الأئمة المهديين ، والولاة المجتهدين ، في إقرار ودائعهم عند المترشحين لحفظها ، والمضطلعين بحملها . من أولاد أوليائهم وذرية نصائحهم ، إذ كان لا بد للأسلاف أن تمضي ، وللأخلاف أن تنمو ، كالشجر الذي يغرس لدنا فيصير عظيماً ، والنبات الذي ينجم رطباً فيعود دهشما ، فالمصيب من تخير الغرس من حيث استنجب الشجر ، واستحلى

(١) النغل : الفساد في الدباغ والأديم : الجلد .

الثمر ، وتعهد بالعرف من طاب عنه الخبر ، وحسن منه الأثر .

فصل من رسالة في وصف المتصيد والصيد

وخيلنا كالأمواج المتدفقة ، والأطواد المؤثقة . متشوقة عاطية . مستبقة جارية . تشتاق الصيد وهي لا تطعمه ، وتحن إليه كأنه قضيم تقضمه ، وعلى أيدينا جوارح مولَّلة المخالب والمناسر ، مدربة النصال والخناجر ، طامحة الألحاظ والمناظر . بعيدة المرامي والمطارح ، زكية القلوب والنفوس ، قليلة القطوب والعبوس ، سابقة الأذناب ، كريمة الأنساب . صلبة الأعواد . قوية الأوصال، تزيد إذا طمعت شرهاً وقرماً[1] . وتتضاعف إذا شبعت كلباً ونهماً فبينا نحن سائرون . وفي الطلب ممعنون ، إذ وردنا ماء زرقا جمامه[2] ، طامية أرجاؤه يبوح بأسراره صفاؤه ، ويلوح فيَ قراره حصباؤه ، وأفانين الطير به محدقة ، وغرائبه عليه واقعة . متغايرة الألوان والصفات ، مختلفة اللغات والأصوات . فمن صريح خلص وتهذب نوعه ، ومن مشوب تهجن عرقه ، فلما أوفينا عليها أرسلنا الجوارح إليها ، كأنها رسل المنايا ، أو سهام القضايا ، فلم نسمع إلا مسمّياً ولم نر إلا مذكّياً[3] ، وعدنا لشأننا دفعات ، وأطلقناها مرات .

فصل منها

ثم عدلنا عن مطارح الخيام ، إلى مسارح الآرام[4] ، نستقري ملاعبها ، ونؤم مجامعها ، حتى أفضينا إلى أسراب لاهية بأطلائها ، راتعة في أكلائها ، ومعنا فهود أخطف من البروق ، وألقف من الليوث ، وأمكر من الثعالب وأدب من

---

(١) الشّره : حب الطعام . والقرم : القضم للحشيش واللحم وغيرها .

(٢) الجمام : الممتلىء والمجتمع .

(٣) مسّمياً : يقول بسم الله الرحمن الرحيم . ومذكّياً : أي مكبِّراً على الذبح .

(٤) الآرام : الغزلان .

العقارب ، وأنزل من الجنادب ، خمص الخصور قب البطون[1] ، رقش المتون ، حمر الآماق ، خزر الأحداق ، هرت الأشداق[2] ، عراض الجباه ، غلب الرقاب ، كاشرة عن أنياب كالحراب .

فصل منها

وكم من قبَّرٍ أطلقنا عليه بازياً فعرج إلى السماء عروجاً ، ولجج في أثره تلجيجاً ، فكأن ذلك يعتصم منه بالخالق ، وكان هذا يستطعمه من خالق . حتى غابا عن النظار ، واحتجبا عن الأبصار ، وصارا كالغيب المرجم ، والظن المتوهم ، ثم خطفه ووقع به وهما كهيئة الطائر الواحد ، فأعجبنا أمرهما ، وأطربنا منظرهما .

فصل من رسالة في وصف الرمي عن قسي البندق

مآرب الناس منزلة بحسب قربها من هزل أو جد ، ومرتبة على قدر استحقاقها من ذم أو حمد . وإذا وقع التأمل عليها والتدبر لها ، وجد أولاها بأن تعده الخاصة نزهة وملعباً ، والعامة حرفة ومكتسباً ، الصيد الذي فاتحته طلاب لذة ونظر ، وخاتمته حصول مغنم وظفر . وقد اشتركت الملوك والسوقا في استجماله ، واتفقت الشرائع المختلفة على استحلاله ، ونطقت الكتب المنزلة بالرخصة فيه ، وبعثت المروءات على مزاولته وتعاطيه . وهو رائض الأبدان ، وجامع شمل الإخوان ، وداع الى اتصال العشرة منهم والصحبة ، وموجب لاستحكام الألفة بينهم والمحبة .

---

(١) قبّ البطون : ضامروها .

(٢) هرت الأشداق : أي فاتكة .

فصل إلى بعض الوزراء
في إهداء دواة ومرفع

قد خدمت مجلس سيدنا حرسه الله تعالى وآنسه بدواة تداوي مرض عفاته ، وتدوي قلوب عداته ، على مرفع يؤذن بدوام رفعته ، وارتفاع النوائب عن ساحته .

فصل من كتاب له إلى الصاحب

كتبت أطال الله بقاء الصاحب هذا الكتاب، وأنا أود أن سواد عيني مداده، وبياضها طرسه ، شوقاً إلا لألاء غرته ، وقرماً إلى تقبيل أنامله ، وظمأ إلى ارتشاف بساطه .

فصل من هذا الكتاب

وما عسيت أن أبلغ في شكر سيدنا وحمده ، على ما أهلني له من بره ورفده ، وجهدي يقصر عن عفوه ، وإسهابي يعجز عن وصفه . وهل أنا في ذلك لو فعلته إلا كمن جارى الحصان بالأتان ، وواحه الغزالة بالذبالة ، وقارع الحسام بالعصا ، وبارى الدر بالحصى .

* * *

ما أخرج من شعره في الغزل

فمن ذلك قوله [من الطويل] :

تورّد دمعي إذ جرى ومدامتي ... فمن مثل ما في الكأس عينيَ تسكبُ
فوالله ما أدري أبالخمر أسبلتْ ... جفونيَ أمْ من عبرتي كنت أشرب

وقوله في معناه [من الكامل] :

جرت الجفون دماً وكأسي في يدي ... شوقاً إلى من لجّ في هجراني
فتخالف الفعلان شارب قهوةٍ ... يبكي دماً وتشاكل اللونان

فكأنّ ما في الجفن من كأسي جرى وكأن ما في الكأس من أجفاني

وقوله [من الخفيف] :

لست أشكو هواك يا من هواه كلّ يومٍ يروعني منه خطبُ
مُرُّ ما مرَّ بي مِن أجلك حلوٌ وعذابي في مثل حبّك عذب

وقوله [من الخفيف] :

أيها اللائم المضيِّق صدري لا تلمني فكثرة اللوم تغري
قد أقام القوّام حجة عشقي وأبان العذار في الحب عذري

وقوله [من الكامل] :

حذّرت قلبي أن يعود إلى الهوى لما تبدّل بالنزاع نزوعا
فأجابِني لا تخش مني بعد ما أفلتُّ من شرك الغرام وقوعا
حتى إذا داعٍ دعاه إلى الهوى أصغى إليه سامعاً ومطيعا
كذبالةٍ أخمدتها فكما دنا منها الضِّرام تعلّقتْه سريعا[1]

وقوله [من الوافر] :

مرضت من الهوى حتى إذا ما بدا ما بي لإخواني الحضورِ
تكنّفني ذوو الإشفاق منهم ولاذوا بالدعاء وبالنذور
وقالوا للطبيب أشر فإنّا نعدُّك للمهمٍّ من الأمور
فقال شفاؤه الرّمّان ممّا تضمنه حشاه من السّعير
فقلت لهم أصاب بغير عمدٍ ولكنْ ذاك رمان الصدور

---

(١) الذبالة : الفتيلة .

وقوله [من الطويل] :

إلى الله أشكو ما لقيت من الهوى ... بجارية أمسى بها القلب يلهجُ
إذا امتزجتْ أنفاسنا بالتزامنا ... توهّمْتُ أنّ الروح بالروح تمزج
كأنّي وقد قبّلتها بعد هجعةٍ ... ووجدِيَ ما بين الجوانح يلعج[1]
أضفت إلى النفس التي بين أضلعي ... بأنفاسها نفساً إلى الصدر تولج
فإن قيل لي اختْر أيّما شئت منهما ... فإنّي إلى النفس الجديدة أحوج

وقوله [من الكامل] :

أحشمتها بالعتب عند لقائها ... فتلثّمت من شدة استحيائها
واستكملت صفة البدور بطلعةٍ ... وبحلّة صبغت بلون سمائها
فبهتّ أنظر من لجين جبينها ... متخفّراً في لازورد ردائها

وقوله [من المجتث] :

هيفاء تحكي قضيباً ... قد جمّشته الرياح[2]
تفترُّ عن سمط درٍّ ... عليه مسكٌ وراح
جرّدتها واعتنقنا ... كلٌّ لكلٍّ وشاح
باتت وكلُّ مصونٍ ... لي من حماها مباح
في ليلةٍ لم يعبها ... في الدهر إلاّ الصباح

وقوله [من المنسرح] :

هيفاء كالغصن في رشاقته ... لفّاء كالدِّعص في كثافته[3]
تبخترت والعثان يكنفها ... فكانت البدر وسط هالته[4]

---

(١) الهجعة : الرقاد ، ويلعج : يضطرم .
(٢) جمّشته : داعبته .
(٣) لفّاء : مكتنزة ، والدعص : الكثيب من الرمل .
(٤) العثان : الطيب والبخور ، أو الدخان ويكنفها : يحيط بها المتصاعد من النار .

وقوله [من الطويل] :

أقــول وقــد جرّدْتهــا من ثيابها ... وعانقتهــا كالبــدر في ليلــة التمٍّ
لئــن آلمــت صدري لشــدّة ضمها ... لقد جبرت قلبي وإن أوهنتْ عظمي[1]

وقوله [من البسيط] :

إن نحن قسناك بالغصن الـرطيب فقد ... خفنــا عليك إذاً ظلمــا وعدوانا
الغصــن أحســن ما نلقــاه مكتسياً ... وأنــت أحســن ما نلقــاك عريانا

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يا من بدت عريانـة ... فرأيـت كل الحســن منها
كانــت ثيابـك عـورةً ... فسـترت بالتجــريـد عنهـا

وقوله [من السريع] :

يا قمــراً كالخشف في نظرته ... وكالقضيب اللــدن في خطرته[2]
خلتــك صيداً صار في قبضتي ... فصــرت من صيدِيَ في قبضته
فــديْتُ من لاحظنــي طرفها ... من خيفــة النــاس بتسليمته
لمــا رأت بدر الدجــا تائهاً ... وغاظهــا ذلك مـن شيمته
أزاحــت البرقــع عن وجهها ... فردّت البــدر إلـى قيمته

وقوله [من المنسرح] :

ما أنس لا أنس ليلــة الأحد ... والبــدر ضيفــي وأمــره بيدي
قبّلــت منــه فمــاً مجاجته ... تجمــع بين المــدام والشّهد
كأن مجــرى سواكه بَرَدٌ ... وريقــه ذوب ذلك البرد[3]

---

(١) جبرت قلبي : واسته .
(٢) خطرته : مشيته ، واللدن الطري والخشف : ولد الغزال .
(٣) السواك : عودٌ طيب الرائحة تخلّل به الأسنان .

وقوله [من مجزوء الرمل] :

طيب عيشـي في عناقك ووفـاتي فـي فراقكْ
أنـت لي بدرٌ فلا عشـت إلـى يوم محاقك[1]
فاسقنـي الصـهباء صرفاً أو بمـزجٍ مـن رياقك
لا أريد المـاء إلاّ عنـد غسلـي من عناقك

وقوله [من الكامل] :

كلّ الـورى من مسلـمٍ ومعاهد للـدين منـه فيك أعـدل شاهدِ[2]
فإذا رآك المسلمـون تيقّنوا حور الجنـان لدى النعيم الخالد
وإذا رأى منـك النصـارى ظبيةً تعطـو ببـدرٍ فوق غصـن مائدِ
أثنـوا علـى تثليثهـم واستشهدوا بك إذ جمعـت ثلاثـة في واحد
وإذا اليهـود رأوا جبينـك لامعاً قالـوا لدافـع دينهـم والجاحـد
هذا سنـا الرحمـن حين أبانه لكليمـه موسـى النبـيِّ العابد
وتـرى المجـوس ضياء وجهـك فوقه مسـودّ فرعٍ كالظـلام الراكد[3]
فتقـوم بين ظلام ذاك ونـور ذا حجـجٌ أعدّوهـا لكلّ معاند
أصبحـت شمسهـمُ فكم لك فيهمُ من راكعٍ عنـد الظـلام وساجد
والصابئـون يرون أنّـك مفردٌ في الحسـن إقـراراً لفـردٍ ماجد
كالزّهـرة الزهـراء أنـت لديهمُ مسعـودةٌ بالمشـتري وعطارد
فعلـى يديك جميعهـم مستبصرٌ في الـدين من غاوى السـبيل وراشد
أصلحتهـم وفتنْتنـي وتركْتني من بينهـم أسعـى بديـنٍ فاسد

* * *

(١) المحاق : عدم ظهور القمر ، مغيبه .
(٢) المعاهد : أهل الذمّة .
(٣) الفرع : الشعر الأسود .

ما أخرج من شعره في الخمر وما يضاف إليه

فمن ذلك قوله [من مجزوء الرمل] :

كوكب الإصباح لاحا طالعاً والديك صاحا
فاسقنيها قهوة تأ سو من الهمِّ جراحا
ذات نشْر كنسيم الـ روض غبَّ القطر فاحا
يا غلامي ما أرى فيـ ها ولا فيك جناحا
حـرم المـاء وأبعد ه وإن كان مباحا
أقراحٌ أنا حتى أشرب الماء القراحا

وقوله في نبيذ تمر كدر يدور به ساق يشبهه بالعروس التي تجلى ، وتبرز أمامها سوداء قبيحة ، لتكون كالعوذة لها ، وتكون محاسن العروس أظهر بإزاء مقابحها [من الوافر] :

بنفسي مقبلا يهدي فنونا إلى الشَّرْب الكرام بحسن قدِّهْ
وفي يده من التمرِيِّ كأسٌ كسوداء العروس أمام خدّه[1]

وقوله [من المنسرح] :

صفراء كالتبر جامها يقق شعاعها كالذبال يأتلقُ[2]
كأنّ في كفّ من أتاك بها ضحى نهارٍ في وسطه شفق

وقوله من قصيدة شبه له فيها مجلس الأنس بالمعركة [من المتقارب] :

ألاقي هموميَ في جحفلٍ لها من مقاميَ فيه قرارُ

---

(١) التمريّ : شراب التمر .

(٢) اليقق : الأبيض .

دبادبــة من طوال القيا ن والنــاي بوق له مستعار[1]
ومجلسنــا حومــةٌ أرهجت لزحف الندامــى إليهــا بدار
كأنّ فكاهاتهــم إذ علت غماغــم للحــرب فيهــا شعار[2]
كأن الـكؤوس بأيدي السقاة سيوفٌ لهــا بالدمــاء احمرار
كأنّ منــاديل أكتافهم حمائلهــا إذ عليهــم تدار
كأنّ رجــوم تحاياهمُ سهــامٌ علــى الجيش منهــا نثار
كأنّ المجامــر خيلٌ جرتْ وقــد ثار للنــدّ منهــا غبار[3]
كأنّ الســكارى رجــال الوغى وقــد عقرتْهــم هنــاك العقار[4]
وقــد جدلتْهــمْ جروحٌ بهم وجــرح المدامــة فيهــا جبار
كأنْ تسكابُهــا في الزّجاج حريقٌ له من حبــابٍ شرار
فيا لك من مأقــطٍ لي به بلاءٌ وقــولٌ إليه يشار[5]
ولمــا برزت إلــى الهــمّ فيه ولــى بالســرور عليه اقتدار
جــرى الضــرب مختلفــاً بيننا فمــات وعشــت وقــد نيل ثار

وقوله من قصيدة [من الخفيف] :

رب عذراء راوحتنــي من الرا ح بعــذراء تطــرد الهــمَّ طردا
خنــدريسٌ إذا المــزاج علاها نظّمــت بالحبــاب للــكأس عقدا[6]
تتــرك البــال ناعمــاً وأخــا الشجــــــو خلياً وطائــر اللهــو سغدا
عبقتني بكأسهــا ذات دلٍّ دلّ قلبــي إلــى الهــوى فتعدّى

---

(١) دبادبة : كثيرو الصيّاح والضجيج .
(٢) الغماغم : أصوات . والشعار : العلامة أو العبارة التي يتعارف بها القوم في الحرب .
(٣) المجامر : أوعية النار التي يوضع فيها الطيب لتفوح رائحته عند الاحتراق .
(٤) العقار : الخمرة .
(٥) المأقط : موضع القتال ، أو المضيق في الحرب .
(٦) الخندريس : الخمر .

وكتب إلى صديق له يستدعيه ويصف ما عنده من رءوس الحملان والشراب والفستق للنقل والمطرب الممتع ، فقال [من مخلع البسيط] :

طباخنا صانعٌ رءوسا   يسقط في طيبها الخلافُ
مبيضةٌ كاللجين لوناً   شهيةٌ كلّها نظاف
وأخذها في الرقاق يحكي   صريع حمّى له لحاف[1]
من بين عجل إلى خروف   تزهى بتنضيدها الصِّحاف
مختلفات القدود لكنْ   لها بأسنانها ائتلاف
وكلّها راضعٌ صغيرٌ   له على ضرعها اعتكاف[2]
قد أسمنتهنّ أمّهاتٌ   من طول إرضاعها عجاف[3]
نسقي على ذاك روح دنٍّ   أرقُّ أسمائها السّلاف
عروس دنٍّ صفت وطابت   لوناً وطعماً فما تعاف
كأن إبريقها لدينا   ناكس رأسٍ به رعاف[4]
والنقل من فستق جنيٍ   رطبٌ حديثٌ به القطاف
لي فيه تشبيه فيلسوف   ألفاظه عذبةٌ خفاف
زمرّد زانه حريرٌ   في حُقّ عاجٍ له غلاف[5]
ومسمعٌ مطربٌ مليحٌ   يحرم عن مثله العفاف
يظلمني صاحياً ولكن   في سكره ما به انتصاف
فصر إلينا غداً بليلٍ   أفديك من كلّ ما يخاف

(١) الرقاق : الخبز .
(٢) الضرع : الثدي في الحيوان اللبون واعتكاف : إقامة .
(٣) عجاف : هزيلة .
(٤) الناكس : المحني ، والرعاف : النزيف .
(٥) الحقّ : وعاء الطيب .

فأنـت أصـل السـرور عندي وكلٌ ما بعـده مضـاف

* * *

ما أخرج من شعره في الأوصاف والتشبيهات

من ذلك قوله في الورد [من الوافر] :

وزائـرةٍ لنـا في كلٍّ حولٍ لهـا حظّـان من حسـنٍ وطيبِ
تنـال النفس حين تشـمّ منها منـال العين من وجـه الحبيب
كأنّ زمانهـا نعتـاض فيه إذا طلعـت شبابـاً من مشيب

وقال من قصيدة [من البسيط] :

أمـا ترى الـورد قد حيّاك زائره بنفحـةٍ فرّجـت عن كلّ مصدورِ[1]
كأن أنفاسـه أنفـاس غانيةٍ معشوقـةٍ خالطـت أنفـاس مخمور
تفتّحـتْ وجنـاتٌ في جوانبه كأنّمـا انتزعـت من أوجـه الحور

وقال في النرجس [من الخفيف] :

ربَّ يومٍ نقعْـتُ فيه غليلي وهمومـي بين الضّلـوع كُمونُ[2]
بـوجوه مملـوءة بعيـونٍ وعيونٍ تخشـى عليهـا العيون
تلك من نرجسٍ نضيرٍ وهذي من غوانٍ وجـدي بهـنّ جنون

وقال في وصف شمامة كافور [من مجزوء الرجز] :

كـافـورةٌ جعـلْتها لأسـود العيـن غـرضْ
حتّـى وددت أنّـهـا من أبيـض العين عـوض

---

(١) المصدور : مريض الصدر .
(٢) نقعت غليلي : برّدت ظمئي وكمون : كامنة ومستترة .

وقال فيها [من الطويل] :

وشمّامةٍ كالبدر عند اعتراضه وكالكوكب الدّريّ عند انقضاضه
يودّ سواد العين من شغفٍ بها لو اعتاضها مستبدلاً من بياضه

وقال في النافجة [من مجزوء الكامل] :

وشميمةٍ من نسل بطنٍ لم تكن من ظهر فحلِ[1]
أهدت إليك جنينها من غير تطريقٍ بحمل
بل باقتناص حبائلٍ بثّتْ لها وبرشق نبل
فغدت بضاعة تاجرٍ لا تشترى إلاّ ببذل
فيها لنفسٍ قوتُها لكن بشمٍّ لا بأكل
حلّت محلاً لا ترى إلاّ لذي الخطر الأجلّ

وقال في عتيدة الطيب[2] [من الكامل] :

وعتيدةٍ للطيب إن تستدْعِها تبعثْ إليك أمامها ببشيرها
يلقاك قبل عيانها أرجٌ لها فكأنّه مستأذنٌ لحضورها
نفحاتها لم تدر من كافورها تأتيك أم من مسكها وعبيرها
مزجت ببعضٍ بعضها فتوحّدت عن أن تقاس بشكلها ونظيرها
لا عيب فيها غير أن نسيمها مثل اللسان يشيع سرّ ضميرها

وقال في مدخنة [من الطويل] :

ومكروبة الأحشاء يعلو زفيرها وتعصف ريح الطيب بين فروجها[3]
إذا روّحت عن نفسها بخروجها فللنفس مني راحةٌ في ولوجها[4]

---

(١) المشيمة : وعاء الجنين في بطن أمّه .
(٢) العتيدة : الحقّة يكون فيها الطيب .
(٣) الفروج : الفتحات .
(٤) الولوج : الدخول .

وقال فيها [من الطويل] :

وَمحــرورةُ الأحشــاء تحســب أنهّا ... متيّمــةٌ تشــكو من الحــبّ تبريحا[1]
تناجيك نجـوى يسمـع الأنف وحيها ... وتجهلـه الأذن السميعـة إذ يوحى
إذا استودعـت سرّاً من الـطيب مجملاً ... أشاعتـه تفصيلاً وأفشتـه مشروحا
وإن حاولـت إخفــاءه في ضميرها ... أبــى عرفهــا إلا اعترافــاً وتصريحا[2]
يحــرّق فيهــا العــود عوداً وبدأةً ... فتأخــذه جسماً وتبعثـه روحا

وقال فيها [من مجزوء الرجز] :

ومجلـــسٍ سمــاؤه ... مــن النجـوم عائمَهْ
فــي جوّه سحابــةٌ ... لهـا الأنـوف شائمـه[3]
تنتــابــه مدخنــةٌ ... لحــاصريــه خادمــه
داخلهــا مجمــرة ... مثــل القــطــاة الجاثمــه
كأنهــا طــارمــةٌ ... فيهـا فتــاةٌ نائمـه[4]
تهــدي لنـا روائحـا ... مـن الجنـان قادمـه
لنـا عليهـا خِلَعٌ ... مــن الــذّبـول دائمـه
لــكــنّهــا عاريــةٌ ... تخـرج منهـا راغمــه

وقال عن لسان مدخنة محلاة وأمر بنقشها فيها [من مخلع البسيط] :

جمعــت من حليتــي وعرفي ... ما بــين حســنٍ وبــين طيبِ
أدخــل في الــذيل من محبٍّ ... طوراً وفي الـكمِّ من حبيب
فــكم تردّدت بــين هذا ... وذا برغــمٍ من الرقيب

---

(١) التبريح : الألم واللوعة .
(٢) العرف : الرائحة .
(٣) شائمة : متطلّعة .
(٤) الطارمة : بيتٌ من خشب كالقبّة .

وقال في الغالية [من مخلع البسيط] :

غـاليــة تنتمــي لحــام قـد استعـارت لبـاس قارِ[1]
في قدحٍ ينتمـي لسامٍ من سنـة البـدر مستعار
جامـعٌ ما بـين ذا وهذا قد أولـج الليل في النهار

وقال فيها [من السريع] :

غــاليةٌ صـرح عطّارهـا في عجنهـا عن خالص النيَّهْ
تُعْـزى إلى تِبِّـتَ من مسكها وهــي من العنبـر شحريّه
منشــورة الـطيب على أنها في قدح البلّـور مطويه
كأنهـا فيه وقـد حازها روميّةٌ حبلـى بزنجيّـه

وقال في غلام له أسود شهر برشد [من الكامل] :

أبصرت في رشـدٍ وقـد أحببته رشـدي ، ولـم أحفـل بمـن قد ينكرُ
يا لائمـي أعَلى السـواد تلومني من لونـه وبـه عليك المفخر
دعْ لي السـواد وخـذ بياضـك إنّني أدري بمـا آتـي ومـا أتخيَّر
مثـوي البصـيرة في الفـؤاد سواده والعيـن بالمسـودِّ منهـا تبصـر
والـدين أنـت مناظـرٌ فيه بذا وكذاك في الـدنيا بهـذي تنظر
بسـواد ذينـك تسـتضيء ولـو هما آبـــيضـا تغشّـاك الظـلام الأكدر
فغـدا بياضـك وهـو ليلٌ دامس وغـدا سوادي وهـو فجـر أنور

وقال فيه [من الكامل] :

قد قال رشـد وهـو أسـود للذي ببياضـه اسـتعلى علـو مباينِ
ما فخـر خدِّك بالبياض وهـل ترى أن قد أفـدْتَ به مزيد محاسن

---

(1) الغالية : أخلاطٌ من الطيب وحام : أبو السود « الإنسان الأسود » وسام : أبو البيض « الإنسان الأبيض » .

ولــو آن منّــي فيه خالاً زانه ولــو آن منــه فيَّ خالاً شاقني[1]

وقال فيه يخاطبه [من الخفيف] :

لك وجــه كأن يمنــاك خطتـــــــه بلفـظ تمـلُّــه آمالــي
فيه معنــى من البــدور ولكن نفضــت صبغهــا عليــه الليالي
لم يشنْــك الســـواد بل زدت حسناً إنمّــا يلبســن الســـواد الموالي[2]
فبمالــي أفــديك إن لم تكن لي وبروحــي أفــديك إن كنــت مالي

وقال في الشمعة [من البسيط] :

وليلــةٍ من محــاق الشهــر مدجنةٍ لا النجم يهدي السُّرى فيهـا ولا القمرُ
كلّفْــتُ نفسي بهــا الإدلاجَ ممتطياً عزمـاً هو الصـارم الصَّمصامــة الذَّكَر
إلى حَبيبٍ له في القلــب منزلةٌ ما حلّهــا قبلــه سمــعٌ ولا بصر
ولا دليلٌ سوى هيفــاء مُخْطفةٍ تهـدي الــركاب وجنــح الليل معتكر
غصــنٌ من الذهــب الإبـريز أثمــر في أعــلاه ياقوتــةٌ صفــراء . تستعر
تأتيك ليلاً كما يأتــي المريب فإن لاح الصبــاح طواهــا دونـك الحذر

وقال في وصف القبجة وأرسلها إلى أبي الفرج الببغاء[3] [من الرجز] :

أنعــت طارونيّــة الثيـاب لابســة خـزاً على الإهاب[4]
تصبّغــتْ تصبّــغ التصابي وأبــرزت وجهــاً بلا نقاب
ريّان مــن محاســن الشباب مكحولــة العينــين كالكعـاب[5]
مغموســة الحــاجب بالخضاب منقــارهـا أحمـر كالعنّـاب
كأنمّــا تسقــى دم الرقاب محـذورةٌ محميّـة الجنــاب

---

(١) الخال : قرصٌ صغير يظهر في الوجه ، وشاقني : أتعبني .
(٢) يشنك : يعبك .
(٣) القبجة : تقع على الذكر والأنثى من الحجل .
(٤) الطارونيّة : المنسوبة إلى الطاروني وهو ضربٌ من الخزّ .
(٥) الكعاب : الجارية الناهدة .

لهــا على الأرجــل والأعقاب	حمْـلات ليث من ليوث غاب
أقفاصهــا كمحبس الحجاب	مدوّرات الشـكـل كالقبــاب
تسمعنــا منهــا وراء الباب	تمتمــةً بالقــاف في الخطاب
كأنمــا تقــرأ من كتاب	مكروزةٌ زادت على الحساب[1]
قهقهـة الإبــريـق بالشــراب	ملآن منكبّــاً علـى الأكواب
أهــلاً بصيّادٍ لهــا جـلاّب	جاء بهـا كريمـة النّصاب
ربيبــةَ الجبــال والهضــاب	كريمــةَ الأعـراق والأنســاب
لــم تدر ما بادية الأعراب	غريبــةٌ صارت من الأحباب
دونــك يا ذا المفخــر اللباب	أرجــوزةً من صنعــة الكتاب
بــاكورةً من ثمـر الألباب	وتحفــةً مـن تحـف الآداب
هــدية الأتــراب للأتــراب	قل ما ترى فيهــا ولا تحُابى[2]
هــل خلصــتْ من هجنة وعاب	وسلمــتْ من عيبـة العيّاب
أم خلْتهــا أشـبـه بالصواب	فهــات ما عنـدك من جواب

وقال في الخطاطيف [من الطويل] :

وهنــديّةِ الأوطــان زنجيّة الخلق	مســودّةِ الأثــواب محمرّةِ الحدْقِ
كأن بهــا حزنــاً وقــد لبســت له	حداداً وأذْرت من مدامعهــا العلق[3]
إذا صرصرت صرَّتْ بآخــر صوتها	كما صرَّ ملـوى العـود بالوتـرِ الحرق[4]
تصيف لدينــا ثم تشتــو بأرضها	ففــي كل عامٍ نلتقــي ثم نفرِق

وقال في البق والبراغيث والبيت الأخير أملح ما سمعت في معناه [من البسيط] :

وليلــةٍ لم أذق من حرّهــا وسناً	كأن من جوهــا النــيران تشتعلُ

---

(١) مكروزة : مخفيّة .
(٢) تحابي : تعدو الحقّ في قولك .
(٣) العلق : الدم .
(٤) صرصرت : صوّتت . والوتر الحرق : الوتر الذي يخرج صوتاً حزينا .

أحـاط بي عسـكرٌ للبـقّ ذو لجبٍ ما فيه إلاّ شجـاع فاتـكٌ بطلُ[1]
من كلّ سائلـةِ الخرطـوم طاعنةٍ لا تحجب السّجف مسراها ولا الكلل[2]
طافـوا علينـا وحـرّ الصيف يطبخنا حتـى إذا طبخـتْ أجسامنـا أكلوا

* * *

ما أخرج مما قاله في البصرة

وكان خرج إليهـا في صباه ليستـوفي مالاً على ضامنهـا ، من ذلك قولـه [مـن الخفيف] :

ليس يغنيك في الطهـارة بالبصـ ـرة إن حانـت الصـلاة اجتهادُ
إن تطهّـرْت فالمياه سـلاح أو تيمَّمْـت فالصـعيـد سمـاد

وقال فيها [من الخفيف] :

لهف نفسي على المقـام ببغدا د وشربـي من ماء كوز بثلجِ
نحـن بالبصرة الدميمـة نسقي شرّ سقيا من مائهـا الأترجِّي
أصفـر منـكر ثقيلٌ غليظٌ خاثـرٌ مثـل حقنـة القولنج[3]
كيف نرضى بشربـه وبخيرٍ منـه في كنف أرضنـا نستنجي[4]

وقال في قصر روح بها [من الكامل] :

أحبـبْ إليّ بقصر روح منزلا شهـدت بنيّتـه بفضـل البانـي
سـور علا وتمنعـت شرفاته وكأن إحـداهـن هضْـب أبان

---

(١) اللجب : الكثرة .
(٢) السجف : الستائر . والكلل : التعب .
(٣) الخاثر : المتجمّد . والقولنج : مرض يصيب البطن مؤلم يصعب معه خروج الثفل .
(٤) نستنجي : نطلب النجاة .

وكأنما يشكو إلى زوّاره ... بين الخليط وفرقة الجيران[1]
وكأنّما يبدو لهم من نفسه ... إطراق محزون الحشى حرّان

وقال عند رحيله عنها [من الطويل] :

توليت عن أرض البصيرة راحلاً ... وأفئدة الفتيان حشو حقائبِ
منازل تقري ضيفها كلّ ليلةٍ ... بأمثال غزلان الصَّريم الربائب[2]
أقمت بها سوق الصبا والندى معاً ... لعاشقةٍ حرّى وحيران لاعب
فما تظهر الأشواق إلاّ صنائعي ... ولا تستر الجدران إلاّ حبائبي

* * *

ما أخرج من شعره في والدته وأولاده

قال [من الخفيف]:

أُسْرَةَ المرء والداه وفيما ... بين حضنْيهما الحياة تطيبُ
فإذا ما طواهما الموت عنه ... فهو في الناس أجنبيٌّ غريب

وقال ، وقد عتب على بعض ولده [من البسيط]:

أرضى عَلَى آبني إذا ما عقني حذراً ... عليه أن يغضب الرحمن من غضبي
ولست أدري بم استحققت من ولدي ... إقذاء عيني وقد أقررت عين أبي ؟
وله من رقعة يلتمس فيها من بعض ... الرؤساء إجراء الرزق لبعض ولده

[من الطويل]:

وما أنا إلا دوحةٌ قد غرستها ... وسُقِّيتُها حتى تراخى بها المدى
فلما آقشعرَّ الجلد منها وصوَّحتْ ... أتتك بأغصان لها تطلب الندى[3]

---

(١) الخليط : المخالط والمقيم معاً في مكان واحد .
(٢) الصريم : القطعة العظيمة من الرمل والربائب : الحاضنة .
(٣) صوّحت : جفّت ويبست والندى : الكرم ، أو الطلّ .

وكتب إلي بعض الرؤساء قصيدة في إنفاذه ابنه إليه ليستخدمه ، فمنها [من الطويل] :

بعثت إليكَ آبني وبالله إنه ... لأحلى من النفس المقيمة في جنبي
وهل أنا إلا نسخة هي أصله ... وهل هو إلا كالمحرِّر في الكتْبِ
وفي النسخة السوداء ما أنت عارف ... من المحور الإصلاح والحلك والضرب

أخذ المعنى من قول ابن الرومي [من البسيط] :

فقال لا تلحينا في تفاوتنا ... فإنّنا كتبٌ آباؤنا نسخ

رجع :

وهذا الذي يرضك مرأىً ومخبراً ... ويمضي مضاء السهم والصّارم العضْبِ
وشتّان بين العود أيبس وانحنى ... وبين النبات الغضّ والغصن الرطب
فدونك فاقبله وثق منه بالذي ... يراد من العبد المناصح للربّ
وجرّده من غمدِ التقبُّض باسطاً ... وجرِّبه فالتجريب عن رشده ينبي[1]

وقال وقد رأى ولدا لولده مترعرعاً ناشئاً [من المنسرح] :

أبو علي محسنٌ كبدي ... وقد نشأ من فتاه لي خلبُ[2]
كأن هذا وذاك إذ نسبا ... منّي سوادُ يضمّه قلب
لا زلت ألقي الخطوب دونهما ... حتّى كأنّي عليهما حجب

وقال يرثي أبا سعيد سناناً ابنه [من الخفيف] :

أسعداني بالدمعة الحمراء ... جل ما حلّ بي عن البيضاء
يؤلم القلب كلّ فقدٍ ولا مثـ ... ـل افتقاد الآباء للأبناء

---

(١) ينبي : يخبر .
(٢) الخلب : استمالة القلب .

هـدَّ ركنـيٍ مثـوى سنـان وقـد كا ن يهـدّ الأركان من أعدائي
عكســت فيك دعوتــي إذ أفديـــــــــك برغمـي فصـرت أنـت فدائي
إنمــا كنـت فلــذة من فؤادي خطفتهــا المنــون من أحشائي
كنــت منّـي وكنـت منـك اتفاقاً والتئامــا مثـل العصـا واللِّحاء[1]
كنــت في اليتـم فيّ أجمـل منّي فيك للشـكل في أوان فنائي
ولئـن كان في أخيك وأولا دكمـا ما يغضّ من برحائي[2]
فلعمــوي لربمــا هيجـوا الشو ق فزادوا في لوعتـي وبكائي

ألم فيه بقول ابن الرومي ، ولم يحسن بعض إحسانه [من الطويل] :

وإنّي - وإن متعت بابني بعده - لذاكره ما حنَّتِ النِّيب في نجدِ[3]
وأولادنـا مثـل الجـوارح أيما فقدناه كان الفاجـع البيِّنَ الفقد
لـكلٍّ مكانٌ لا يسـدّ اختلاله مكان أخيه من جَزوعٍ ومن جَلْدِ
هل العين بعد السمع تكفي مكانه أم السمع بعد العين يهدي كما تهدي

وكتب إليه ولده أبو علي المحسن يسليه في إحدى نكباته [من البسيط] :

لا تأس للمـال إن غالتْـه غائلةٌ ففي حياتك من فقـد اللّهـي عوضُ[4]
إذ أنـت جوهرنـا الأعلـى ومـا جمعت يداك من تالـدٍ أو طارفٍ عرض[5]

فأجابه بهذه الأبيات [من البسيط] :

يا درّةٌ أنـا من دون الـردى صدف لهـا أقيهـا المنـايا حين تعترضْ

---

(١) اللحاء : القشرة .
(٢) البرحاء : الألم .
(٣) النّيب : النّوق الهرمة .
(٤) اللّهى : العطايا والأموال .
(٥) التالد : المال القديم الموروث والطارف : المال الحديث المكتسب .

قد قلــت للدهــر قولاً كان مصدره عن نية لم يشـبْ إخلاصَهــا مرض[1]

دع المحســن يحيا فهــو جوهرةٌ جواهــر الأرض طراً عندهــا عرض[2]

فالنفس لي عوضٌ عمــا اصيب به وإن أصبـت بنفســي فهــو لي عوض

اتـركه لي وأخــاه ثم خذ سَلَبي ومهجتــي فهمــا مغــزاي والغرض

***

ما أخرج من شعره في الفخر

قال [من السريع]:

أيســر جودي أنّنــي كلّما أسرفـت في الســكر ولا أدري

ندمت في صحوي على كل ما أبقيت من مالِــي في سكري

وقال في صباه [من المتقارب]:

لقـد علمـت خيل هذي الخيام ونسوانهــا القاصــرات الغواني

بأنــي شفــاء صدور الجميع وأكرم من ضَمَّــه الخافقانِ

أســرّ القرينــة ليل العناق وأفتــك بالقــرن يوم الطِّعان[3]

فبطن الحصــان وظهـر الحصان علـي بمــا قلتــه يشهدان

وقال من قصيدة [من الطويل]:

وقــد علــم السلطان أني لسانه وكاتبــه الكافــي الســديد الموفَّقُ

أوازره فيمــا عرى وأمدّه برأيٍ يريه الشمس والليل أغسق[4]

يجدد بي نهج الهـدى وهـو دارس ويفتـح بي باب النهـى وهـو مغلق

---

(١) لم يشب : لم يمازج أو يخالط .

(٢) عرض : لا قيمة لها بوجوده .

(٣) القرينة : الزوجة ، وهو يعني أنّه تام الفحولة . والقرن : البطل الذي ينازله .

(٤) أوازره : أساعده ، وعرى : ألمّ وحدث .

فيمنـــايَ يمنـــاه ولفظِــيَ لفظُهُ ... وعينـي له عينٌ بهـــا الدهـــرُ يرمق

ولـي فِقَـرٌ تضحـي الملـوك فقيرة ... إليهـــا لدى أحداثهـا حين تطرق

أردّ بهـا رأس الجمــوح فينثني ... وأجعلهـا سوط الحـــرون فيعنق[1]

فـإن حاولـتْ لطفـاً فمــاء مروّق ... وإن حاولــتْ عنفــاً فنــار تألّق

يسلـم لي قسٌ وسحبــان وائلٍ ... ويرضى جريرٌ مذهبـي والفرزدق[2]

فيغضي لنثري خاطب وهـو مِصْقعٌ ... ويعنو لنظمي شاعـرٌ وهـو مُفْلِق[3]

معـال لو الأعشـى رآهــن لم يقلْ ... «وبات على النار الندى والمخلق»

وله من قصيدة قالها في الحبس [من الطويل] :

يعيّرنــي بالحبس من لو يحلّه ... حلولي لطالت واشمخرّتْ مراكبهُ[4]

وربّ طليقٍ أطلــق الــذلّ رقّه ... ومعتقــل عانٍ وقــد عزّ جانبه[5]

وإنـي لقـرن الدهـــر يومـاً تنوبني ... سطــاه ويومــاً تنجلـــي بي نوائبه

ومـن مد نحـو النجـم كيمـــا يناله ... يداً كَيَدي لاقتْـه أيدٍ تجاذبه

ولا بدّ للساعــي إلـى نيل غاية ... من المجــد من ساع تدبّ عقاربه

وإنـــي وإن أودتْ بمـــالي نكبة ... نظيريَ فيهـــا كل قرم أناسبه

فما كنـت كالقسطـار يثـري بكيسه ... ويملق إن أنحى على الكيس سالبه[6]

ولـكن كليث الغـــاب إن رام ثروةً ... حوتْهـــا له انيابــه ومخالبه

يبيت خميصـــاً طاويا ثم يغتدى ... مباحـــاً له من كل طعـــم أطايبه[7]

---

(١) الجموح : الشارد ، والحرون : المعاندة،فيعنق: يمشي ، وعنقه : ضربه .

(٢) أسماء لخطباء وشعراء مشهورين .

(٣) يغضي : يطرق ، ومصقع : مبرّز ، ومفلّق : محلق ومبدع .

(٤) اشمخرّت : اشتدّت وارتفعت .

(٥) العاني : الأسير .

(٦) القسطار : منتقد الدراهم ، والعارف بتَمييز الجيد والرديء منها ويملق : يفتقر .

(٧) الخميص الطاوي : الجائع .

كذلك مثلـي نفسـه رأس ماله ... بهـا يدرك الربـح الـذي هو طالبه
وللمـال آفـات يهنـأ ربه ... بهـا إن تخطّتـه إليه مصائبه
ومـن يكن السلطـان فيه خصيمه ... فلا عار في الغضب الذي هو غاصبه
وما ضرّني إن غاض ما ملكت يدي ... وفي فضل جاهي أن تفيض مذاهبه
إذا كان مالـي من طريفٍ وتالدٍ ... قتيل يدي فضلـي فمفنيه جالبه
ولـي بين أقلامـي ولُبّـي ومنطقي ... غنىً قلّما يشكو الخصاصة صَاحبه[1]

***

ما أخرج من شعره في المدح

قال في المهلبي الوزير [من الكامل]:

قـل للـوزير أبـي محمـد الذي ... قد أعجـزت كلّ الـورى أوصافه
لك في المحافل منطق يشفي الجوى ... ويسـوغ في أذن الأديب سلافه
فـكأنّ لفظـك لؤلـؤ متنخّلٌ ... وكأنمـا آذاننـا أصدافه

وقال فيه من قصيدة [من الطويل]:

وكم من يدٍ بيضـاءَ حازت جمالها ... يدٌ لك لا تَسْـوَدُّ إلا من النِّقْسِ[2]
إذا رقشـت بيض الصحـائف خلتها ... تطـرّز بالظلمـاء أردية الشمس[3]

وله من قصيد فيه [من الخفيف]:

وتعلّقـت بالـرئيس الـذي صر ... ت رئيسـاً مذ عدّني في العبيدِ
والـوزير الـذي غدا وزراء الـ ... ملك ركنـا لعـزّه الموطود

---

(١) الخصاصة : الفقر .
(٢) النقس : الحبر .
(٣) رقشت : زيّنت وكتبت .

أريحـــيٌّ مهلبـــيٌّ سعيد الـ ـجَدِّ صافي الجـدوى كريم الجدود
وإذا استنطـق الأنامــل جادت ببيـانٍ كالجوهــر المنضود
فــي سطــورٍ كأنّمــا نشــرت يمـ ـناه منهــا عصائبــاً من برود[1]
فِقَــرٌ لم يزل فقيراً إليها كلّ مبــدي بلاغــةٍ ومعيد
يغتــدي البــارع المفيد لديها لاحقــاً بالمقصــد المستفيد
ببيانٍ شافٍ ولفــظٍ مصيبٍ واختصــارٍ كافٍ ومعنــىً سديد

وكتب إليه وهو بدجلة البصرة متوجهاً إلى عمان [من الطويل]:

لقد كنفت منـك السعـود موفّقاً مصــادره محمــودةٌ والمواردُ
كأنّيَ بالبحـر الـذي خيف هوله وقـد خاف حتّـى ماؤه فيه جامد
يرى منك بحراً زاخراً فوق متنه فيصبح جاري موجهِ وهو راكد
كأنّ عصـا موسـى بكفّـك فوقه وقد خرَّ إعظاماً لها وهـو ساجد
ستعنو لما تبغـي ظهـور صفائه وتبلغ ما تهوى وجدّك صاعد[2]
فلا تخش من صرف النوائب نبوةً فنصـرك محتـومٌ عليه شواهد[3]
إذا عادة الله التـي أنــت عارف تذكّرْتها هانـت عليك الشدائد

وقال في فاصد من غير علة [من الطويل]:

تنبّــع جود لا دم من يمينه فأضحى لكي يعطي الأطباء فاصدا
وليس به أن يفصـد العــرق حاجةً ولكنــه ينحــو المحامــد قاصدا
يسبّــب أسبــاب النــدى لعفاتهِ ويرقبهــا مستفْرصــاً ومراصدا[4]

---

(١) العصائب : الألوان .
(٢) الجدّ : الحظ .
(٣) النبوة : الجفوة .
(٤) العفاة : الطالبين الجدوى ومستفرصاً : أي متحيّناً الفرص .

وقوله في معناه [من الكامل]:

لهجـت يمينـك بالنـدى فبنانها أبـدا يفيض علـى العفـاة عطاءَ
حتى فصدت ومـا بجسمـك حاجةٌ كمـا تسبـب للـطبيب حباءَ
ولقـد أرقـت دمـاً زكياً من يدٍ حقنـت بتـدبير الأمـور دماءَ
تجري العلافـي عرقـة جرْيَ النَّدى في عوده فهـو اللبـاب صفاء
لـو يقـدر الأحـرار حين أرقته جعلـوا له حب القلـوب وعاء
فانعـمْ وعشْ في صحـةٍ وسلامةٍ تحيي الولـيَّ وتكبـتُ الأعداء

وكتب إلى عضد الدولة عند مقدمه من الزيارة بالكوفة قصيدة منها [من الكامل]:

أهـلاً بأشـرف أوبـة وأجلِّها[1] لأجـلِّ ذِي قدمٍ يلاذ بنعلِها
فرشـتْ لك التـرب التـي باشرتها بشفاهِهـا من كهلهـا أو طفلها
لـم تخـطُ فيهـا خطـوةً إلاّ وقد وضعـت لرجلك قبلـة من قبلها
وإذا تذلّلـت الرقـاب تقرُّباً منهـا إليك فعزُّهـا في ذُلِّها

وله من قصيدة [من الكامل]:

لا تحسب الملك الـذي أوتيته يفضي وإن طال الزمـان إلـى مدى
كالـدَّوْح في أفـق السمـاء فروعه وعروقـه متولّجـاتٌ في النَّدى
فـي كلِّ عامٍ تستجـدّ شبيبةٌ فيعـود ماء العـود فيه كمـا بدا
حتّـى كأنّـك دائـرٌ في حلقةٍ فلـكيّةٍ في منتهاهـا المبتدا

وكتب إلى الوزير أبي عبد الله بن سعدان [من الطويل]:

ثنائـيَ لو طوّلتـه لك قاصر وطـولك لو قصَّرتـه لي باهرُ
فكيف نهوضي حين لا أبلغ المدى بجهدي وعفو الجود لي منك غامر

---

(١) الأوبة : العودة .

وما زلت من قبل الوزارة جابري فكن رائشي إذ أنت ناهٍ وآمر[1]
أمنت بك المحذور إذ كنت شافعاً فبلّغني المأمول إذ أنت قادر
لعمري لقد نلت المنى بك كلّها وطرفي إلى نيل المنى بك ناظر[2]

كأنه عكس قول محمد بن أبي يزيد المهلبي [من الطويل] :

بلغت الذي قد كنت آمله بكم وإن كنت لم أبلغ لكم ما أؤمِّلُ

وكتب إلى الصاحب [من مجزوء الكامل] :

لما وضعت صحيفتي في بطن كفّ رسولها
قبّلتها لتمسّها يمناك عند وصولها
وتودّ عيني أنّها قرنت ببعض فصولها
حتى ترى من وجهلك الـ ـميمون غاية سولها

وله من قصيدة [من الخفيف] :

نعم الله كالوحوش وماتأ لف إلا الأخاير النسّاكا[3]
نفرتها آثار قوم وصيَّرْ تَ لها البِرَّ والتُّقى أشراكا

وله في عبد العزيز بن يوسف [من الطويل] :

أبو قاسمِ العزيز بن يوسف عليه من العياء عينٌ تراقبُه
روى ورعى لما روى قول قائلٍ وشبْع الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبه

وقال لبعض الوزراء [من البسيط] :

أنت الوزير الذي الدنيا تناط به وأهلها تبعٌ من دونه خَوَلُ[4]

---

(١) الجابر : المعين ، ورائشي : أي جاعلاً لي الريش الذي أستطيع به الحياة ، يعني : المال .
(٢) أحسبه : « وطرفي إلى نيل المنى لك ناظر » .
(٣) الأخاير : أي الأخيار الفضلاء .
(٤) تناظر به : توكل به ، والخول : العبيد .

تظلّ بالعز ملء الأرض أجمعها   كأنك النَّصلُ والدنيا لك الحلل

* * *

ما أخرج من شعره في التهاني والتهادي

كتب إلى عضد الدولة قصيدة يهنيه بالفطر . منها [من الخفيف] :

لم أطوِّلْ في دعوتي لمليك   طوّل الله في السّلامة عمرَهُ
بل تلطَّفْت باختصار محيط   بالمعاني لمن تأملَ أمرَه
فهي مثل الحروف من عددِ الهنـ   ـد قليل قد انطوَتْ فيه كثره
جمع الله كلِّ دعوة داع   مستجاب دعاؤه فيك صبره
وأعاد العيد الذي زاره العا   م بأمرٍ يحوزه مسرّه
وأراه الآمال فيه ولقا   ه سعادته ووفّاه أجره

وله من قصيدة يهنيه بالفطر. منها [من البسيط] :

يا ماجداً يده بالجود مفطرةٌ   وفوه من كلّ هجرٍ صائم أبدا
اسعد بصومك إذ قضّيْت واجبه   نسكاً ووفّيته من شهره العددا
واسحب بذا العيد أذيالاً مجددةً   واستقبل العيش في إفطاره رغدا
وانعم بيومك من ماضٍ قررت به   عيناً ومنتظرٍ يفضي إليك غدا
وفزّ بعمرك ممدوداً وملكك مو   طوداً ونل منهما الحدَّ الذي بعدا
حتى ترى كرة الأرض البسيطة في   يمناك مملوءةً أرجاؤها رشدا
وحولك الفَلَك الدوّار متّبعاً   أوطار نفسك لا يألوك مجتهدا[1]

وله في الوزير المهلبي قصيدة عيدية [من الطويل] :

أسيِّدنا هُنِّئْت نعماك بالفطر   ووُقِّيتَ ما تخشاه من نُوَبِ الدهرِ[2]

---

(١) يألوك : لا يقصّر عنك .
(٢) نوب الدهر : مصائبه .

مضــى الصـــوم قد وفَّيْتــه حقّ نسكه ووفّـــاك مكتـــوب المثوبـــة والأجر
كلفـــت بذكر الله فيه فلا تزلْ من الله فيمـــا ترتجيه علـــى ذكر
هجـــرت هجـــود الليل فيه تهجداً وصبـــرا علـــى طول القـــراءة للفجر
فلـــو نطقـــت أيامنـــا باعتقادها لناجتـــك لفظـــاً بالدّعـــاء وبالشكر
وللفطـــر رســـمٌ للســـرور وسنّةٌ ومثلك من أحيا لنـــا سنّـــة الفطر(١)
ولابّـــد فيه من سمـــاعٍ وقهوةٍ نقضّـــي بهـــا الأوطـــار من لذّة السكر
نواصـــل قصفـــاً بين يومٍ وليلةٍ دراكاً فنستوفي الذي فات في الشهر(٢)
فمـــرْ بالـــذي نبغـــي وكن عنـــد ظننا فلا زلـــت فينـــا نافـــذ النّهـــي والأمر
وعـــاد إليك العيد حتـــى تملّه بأقصـــر يوم طاب في أطيب العمر

أخذه من قول ابن الرومي [من مجزوء الرمل] :

وليطـــل عمـــرك مسرو راً بأيامٍ قصار

وله في بعض الوزراء [من الطويل] :

يصـــوم الـــوزير الدهـــرُ عن كلّ منكرٍ وليس لهـــذا الصـــوم عيد ولا فطرُ
ويفطر بالمعـــروف والجـــود والندى وليس لهـــذا الفطـــر صومٌ ولا حظر(٣)
فأكرم به من صائـــمٍ مفطـــرٍ معا توافى لديه الأجـــر والحمـــد والشكر

وله [من البسيط] :

إذا دعـــا النـــاس في ذا العيد بعضهمُ لبعضهـــم وتمـــادى القـــول واتّسعا
فصيّر الله ما من فضلـــه سألوا فيه لسيدنـــا الأستـــاذ مجتمعا
حتـــى يكون دعائـــي قد احـــاط له بكلّ ذلك مرفوعـــاً ومستمعا

---

(١) السنّة : العادة .
(٢) داركاً : لحاقاً .
(٣) الحظر : المنع .

وله في المطهر بن عبد الله [من الكامل] :

عيد إليك بما تحبّ يعود | بطوالعٍ أوقاتهنّ سعودُ
متباركاتٌ كلّ طالع ساعةٍ | يوفي على ما قبله ويزيد
يأتيك من ثمر المنى بغرائبٍ | معدومها لك حاصلٌ موجود
قضّيت شهر الصوم بالنّسك الذي | هو منك معروف له معهود
أكثرت فيه من تهجد خاشع | ما يطمئنّ بمقلتيه هجود
فاشرب وسَقٍّ عصابةً قد مسّها | عطشٌ وجهدٌ في الصيام جهيد[1]
أرويتها جوداً فروّ مشاشها | راحاً فمنك الجود والناجود[2]
وتملَّ عيشك في سرور دائمٍ | سرباله أبداً عليك جديد

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يا سيداً أضحى الزّما | نِ بأسره منه ربيعا
أيام دهرك لم تزل | للناس اعياداً جميعا
حتى لأوشك بينها | عند الحقيقة أن يضيعا
فاسلم لنا ما أشرقَتْ | شمسٌ على أفقٍ طلوعا
واسعد بعيدٍ ما يزا | ل إليك معتقداً رجوعا

وله من قصيدة في عضد الدولة [من الكامل] :

إسلَمْ ودُم للرتبة العلياء | وتملّ ملكك في أمدٍّ بقاءِ
واستقبلِ العيد الجديد بغبطةٍ | ومسرّةٍ وزيادةٍ ونماء
وكفاك من نحر الأضاحي فيه ما | نحرت يمينك من طلا الأعداء[3]

---

(١) الجهيد : المضني .
(٢) المشاش : النفس . والناجود : الخمر .
(٣) طلا الأعداء : دماءهم .

بهـم تعفَّـرُ كالبهائـم جعجعتْ أشلاؤهـا في حومـة الهيجاء[1]
حرَّمْـتَ مأكلهـا علينـا واغتدت حلاً لوحش القفـر والبيداء
هـذي مناسـكك التـي قضيَّتْها بالسَّيف او بالصَّعـدة السمراء[2]
ووراء ذلك للعفـاة منائحٌ هطلت هطول الديمة الوطفاء[3]
ومواهـبٌ ومناقـبٌ ومفاخرٌ ومآثـرٌ أوفـت علـى الإحصاء

وقوله من أخرى [من الخفيف]:

صلِّ ياذا العـلا لرَبِّـك وانحرْ كلَّ ضدٍّ وشانـىء لك أبترْ[4]
أنـت أعلـى من [أن] تكون أضاحيـــــك قرومـاً من الجمـال تعفَّر
بل قرومـاً من الملوك ذوي السؤ دد تيجانهـا أمامك تنثر
كلّمـا خرّ ساجـداً لك رأسٌ منهـمُ قال سيفـك الله أكبر

وكتب الى الشريف الموسوي في الأضحى [من الهزج]:

مـرجّيك وصابيك بذا الأضحـى يهنّيكا
ويدعـو لك والله مجيبٌ ما دعا فيكا
وقـد أوجـز إذ قال مقـالاً وهـو يكفيكا
أرانـي الله أعداء ك في حالِ أضاحيكا

وكتب إلى صمصام الدولة يهنئه بالأضحى [من مخلع البسيط]:

يا سنّـةَ البـدر في الدياجي وغـرَّةَ الشـمسِ في الصباحِ
صمصـام حربٍ وغيث سلمٍ ناهيك في البـأس والسماح

---

(١) جعجعت : صوّتت والهيجاء : الحرب .
(٢) الصعدة : القناة المستوية التي لا تحتاج إلى تقويم .
(٣) الوطفاء : الممطرة التي أرخت أذيالها .
(٤) الشانيء : المبغض . والأبتر : الأقطع الذي لا ولد له .

اسعـد بفطـرٍ مضـى وأضحى   وافـاك باليمـن والنجاح
وانحـر أعـادي بنـي بويهِ   بالسّيف في جملـة الأضاحي
فالـكلُّ منهـم ذوو قرون   يصلـح للذبـح والنِّطاح

وكتب في يوم مهرجان مع اصطرلاب أهداه إلى عضد الدولة [من البسيط]:

أهـدي إليك بنـو الآمـال واحتفلوا   في مهرجـانٍ جديدٍ أنـت مبليهِ
لكنَّ عبـدك إبـراهيم حين رأى   علـوَّ قدرك عن شيءٍ يدانيه
لم يرضَ بالأرض مهـداةً إليك فقد   أهـدي لك الفَلَكَ الأعلـى بمـا فيه

وكتب إليه مع زيج أهداه [من البسيط]:

أهـديت محتفـلاً زيجـاً جداوله   مثـل المـكاييل يستوفـي بهـا العمرُ[1]
فقس به الفلك الـدوار واجركما   يجـري بلا أجـل يخشى وينتظر

وكتب إليه في يوم نيروز مع رسالة هندسية من استخراجه [من الطويل]:

أيا ملك الأرض الـذي ليس بينه   وبين مليك العـرض مثـلٌ يقارنُهُ
رأيت ذوي الآمـال أهـدوا لك الذي   تروق العيون الناظـرات محاسنه
وحـولك خزّان يحوزونـه وما   له منـك إلا لحـظ طرف يعاينه
ولكنّنـي أهـديت علمـاً مهذباً   يروق العقـول الباحثـات بواطنه
وخير هدايانـا الـذي إن قبلته   فليس سوى تامـور قلبـك خازنه[2]

وكتب إليه من الحبس ، وقد أهدى إليه درهمين خسـروانيين وكتـاب المسـالك والممالك في دفترين [من مجزوء الكامل]:

(١) زيجاً : جدولاً يدلّ على حركة الكواكب ومنه يستخرج التقويم .
(٢) التامور : وعاء القلب والنفس .

أهــدي إليك بحســب حا لي في الخصاصــة درهميْنِ[1]
وبحســب قدرك دفتريـــــن همــا جميع الخافقين
فــإذا فتحتهمــا رأيـــــت بيان ذاك بلحــظ عين

وكتب إليه من الحبس مهرجانية مع درهم خسرواني وجزء من كتاب [من الطويل]:

تصبَّــحْ بعــزٍّ واعتــلاء جدود وأبشــرْ بخير واطِّــراد سعودِ
وقــل مرحبــاً بالمهرجــان وحَيِّه بطلعــة بسَّــام أغــرٌ مجيد
له زورةٌ في العــام ما زال يومها كفيلاً بحظَّــيْ سيدٍ ومسود
فيحظــى بفخــرٍ من علاك مجددٍ وتحظــى بعمــرٍ في مداه جديد
تراه إذا ما جاء طامــح مقلةٍ إليك وإن ولَّى فثانــىَ جيد[2]
أتتــك الهــدايا فيه بين موفَّرٍ علــى قدر المُهْــدَى وبين زهيد
فبــان علــى يمنــاك حين مددْتها تكلّف فياض اليدين مفيد
تقــاعس عن بسط القبــول ولــم تكن لهــا عادةٌ إلا ببسطــة جود
ولــكن إذا أهــدى لك الله نعمةً مددت لهــا كفَّيْك مدَّ رشيد
وقــد نزلــت منــه إليك هديةً بجرجــانَ ما محصولهــا ببعيد
ومــا بيننــا إلاّ المسافــة فانتظرْ ورود بشيرٍ فوق ظهــر بريد
ولمــا رأيت الله يهــدي وخلقه تجاســرْت واستفرغْــت جهــد جهيد
فكان احتفالــي في الهــدية درهماً يطير من الأنفــاس يوم ركود
وجــزءاً لطيفــاً ذرعــه ذرع محبسي وتقييده بالشــكل مثــل قيودي[3]

---

(١) الخصاصة : الفقر والحاجة .
(٢) ثنى جيده : لوى عنقه .
(٣) ذرعه : مقداره .

ألاطِفُ مولانــا وكالمــاء طبعه تسلســل من عذب النِّطـاق برود[1]
زلالاً علــى المستعــطفين وجلمداً علــى كلّ عرِّيضٍ ألــدَّ مريد[2]

وكتب إليه في يوم نيروز [من الطويل]:

تهــنَّ بهــذا اليوم واحــظ بخيره وكن أبـداً بالعـود منــه علــى وعدِ[3]
أرى النـاس يهــدون الهــدايا نفيسةً إليك ولـم يتـرك ليَ الدهــر ما أهدي
سوى سكَرٍ يحلــو لك العيش مثله وآسٍ أخـي عمــر كعمــرك ممتدّ
وبينهمــا من ضرب قومــك درهمٌ وأبيات شعـرٍ من ثنائـي ومــن حمدي
فإن كنت ترضــى مابـه انبسطـتْ يدي وتقبلــه منّــي فهــذا الــذي عندي

وكتب إليه [من الطويل]:

تعــذر دينــاري علــيَّ ودرهمي فلاطفْــت مولانــا ببيتين من شعري
وكم بيت شعــرٍ زاد بالشــكر قدره علــى بيت مالٍ من لجيْنٍ ومــن تبرِ

وكتب إلى صمصام الدولة [من السريع]:

دامــت لمولانــا سعادته موصولــةً دائمــةً تترى[4]
ونــال ما أمّــل من ربه في هذه الــدار وفــي الأخرى
وزاده النيروز في ملكه عزّاً وفــي دولتــه نصرا
لمــا رأيت النــاس لم يتركوا فيمــا ادعــوا نظمــاً ولا نثرا
أعملــت فكري في دعــاء له يجمــع ما جاءوا به طُرّا
فقلــت بيتــاً واحــداً كافياً لم يعــدُ في مقداره سطرا

---

(١) النطاف : جمع نطفة ، وهي الماء الصافي والبرود : البارد .
(٢) الزلال : الصافي . والعرِّيض : الكثير المعارضة والعناد ، والألد : الشديد العداوة ، والمريد : الكثير التمرّد .
(٣) العود : العطاء وغيره .
(٤) تترى : متتابعة بعضها بعد بعض .

لا زالــت الــدنيا له منزلا يأويه والدهــر له عمرا

وكتب إليه مع اصطرلاب أهداه [من الوافر] :

يعزُّ علــي أن أهــدي نحاساً إلــى مَنْ فيضُ راحتــه نضارُ[1]
ولــكنَّ الزمــان اجتــاح حالي وأنــت عليه لي إذ جارَ جار

تب إلى بعضهم مع فنجان صفر [من البسيط] :

نهـدي النحــاس إلــى مولــى أنامله تهـدى النضـار إلــى العــافين منتهبا
وكان يلزمنــا لولا التعــذّر أن يكون إهداؤنــا من عين ما وهبا
لكن بعــديَ عن جدواه أصفرني من كل خيرٍ فصـار الصفـر لي نشبا[2]
وســوف أظفــر من أخــلاط نائله بالــكيمياء فيضحــي صفرنــا ذهبا[3]
فليبســط الآن عذراً لســت أسأله في قابــل إن أنــل من خدمــةٍ سببا
فقــد جرى المــاء في عودي بدولته وكان من قبلــه مستيبســاً حطبا
وأقبلــت نحويَ الآمــال آتيةً من بعدما أزمعتْ من ساحتي هربا[4]

وكتب في يوم نيروز وقد أهدى بطيخة كافور [من الكامل] :

أسعــدِ وزير الملك بالنيروز ما سجعــت مطوّقــة علــى أعوادها
وافــى فأنجــز وعــد عام أول بميامــن ستــكرّ من ميعادها
تهــدي إليك به هدايا كلها من راحتيك حقيقــة استمدادها
فتمــدّ كفّــاً نحوهــا نشــأت على إرفــاد أيدي النــاس لا استرفادها[5]

---

(١) النضار : الذهب .

(٢) أصفرني : أخلاني ، والصفر : النحاس والنشب : كل ما يملك الانسان .

(٣) أظفر : أفوز ، وأخلاط نائله : مختلف عطاياه .

(٤) أزمعت : صممت وقرّرت وعزمت .

(٥) الإرفاد : الاعطاء ، والاسترفاد : الإستعطاء .

عاداتهـا إعطـاء ما قد أعطيَتْ أكرِمْ بعادتهـا وبالمعتادها
ولقـد طلبـت فلـم أجـد شيئـاً سوى كافـورةٍ لم آلُ في إعدادها[1]
وبـديع أبياتٍ إذا هي أنشدتْ نفقـت بضاعتهـا علـى نقّادها
فالصبـح من تلك ابيضاض أديمها والليل من هذي اعتـكار مدادها
ولـو انـي مكِّنـت من عينـي التي هي بعض حقّـك يا معيد رقادها
لسكبـت كافـوري بشحـمِ بياضها وكتبـت أبياتـي بذوْب سوادها

وكتب إلى المطهر بن عبد الله يهنئه باليوم الأجود [من السريع] :

نل المنـى في يومـكِ الأجود مستنجحـاً بالطالـع الأسعد
وارْقَ كمرقـى زحـلٍ صاعداً إلـى المعالـي أشـرف المصعد
وفضْ كفيض المشتـري بالنّدى إذا اعتلـى في برجـه الأبعد
وزدْ علـى المـريخ سطـواً بمن عاداك من ذي نخـوةٍ أصيد[2]
واطلـع كمـا تطلـع شمس الضحى كاسفـةً للحنـدس الأسود[3]
وخـذْ من الزهـرة أفعالها في عيشـك المقتبـل الأرغد
وضـاهِ بالأقـلام في جريها عطـارد الكاتـب ذا السؤدد
وبـاه بالمنظـر بدر الدجى وأفضلـه في بهجتـه وازدد
واسلـم علـى الدهـر ولا تخش من مكروهـه الرائـح والمعتدي
ذا مهجـةٍ آمنـةٍ للـلادي ما أمّنتـه مهجـة الفرقد

وكتب إلى بعض الرؤساء يهنئه بخلعة سلطانية [من الكامل] :

قرمٌ علتـه ملابس العلياء فعـلا علـى النظـراء والأكفاءِ

---

(١) لم آل : لم أقصّر .
(٢) الأصيد : السيد والملك .
(٣) الحندس : الظلام الشديد السواد .

أهـدت إلـيَّ سرورهـا مثـل الذي أهـدي مساءتهـا الـى الأعداء
ومـن العجائـب أنّـي هنأتْه وأنـا المهنـأ فيه بالنعماء
لا زال يفتـرع المراتـب صاعداً حتـى يجـوز محلّـة الجوزاء[1]

وكتب إلى الوزير أبي نصر سابور بن أردشير يهنئه بالخروج من الاستتار [من الخفيف]:

صحّ أنّ الـوزير بدرٌ منير إذ توارى كمـا توارى البدورُ
غاب لا غاب ثم عاد كمـا كا ن علـى الأفـق طالعـاً يستنير
لا تسلنـي عن الـوزير فقـد نبـئْـتُ بالـوصف أنّـه سابور[2]
لا خلا منـه صدر دسـتٍ إذا ما قرَّ فيه تقـرُّ منـه الصدور[3]

وكتب إليه وقد أعيد إلى الوزارة بعد أن صرف عنها [من الكامل]:

قد كنـت طلقـت الـوزارة بعدما زلَّـت بهـا قدم وسـاء صنيعُها
فغـدت لغيرك تسـتحيل ضرورة كيمـا يحـلّ إلـى ذراك رجوعها
فالآن آلـت ثم آلـت حلفةً أن لا يبيت سواك وهـو ضجيعها[4]

* * *

ما أخرج من شعره في الهجاء

قال [من المجتث]:

يا جامعـاً لخلالٍ قبيحـةٍ ليس تحصى

يفترع : يمتلك .
(٢) سابور : ملك ، معرّب شاه بور .
(٣) الدست : البيت .
(٤) آلت حلفةً : أقسمت قسما وضجيعها : راقدٌ معها .

نقصْـت من كل فضلٍ فقـد تكاملـت نقصا
لـو أن للجهـل شخصاً لكنـت للجهـل شخصا

وقال [من الخفيف]:

أيهـا النابـح الـذي يتصدّى بقبيحٍ يقـولـه لجـوابي
لا تؤمّـل أنّـي أقـول لكَ اخسأْ لسـت اسخـو بهـا لكلّ الكلاب

وقال [من السريع]:

ياذا الـذي صام عن الطعم ليتـك قد صمـت عن الظلمِ
هل ينفـع الصـوم امرأً ظالماً أحشـاؤه ملأى من الإثم

وقال [من الهزج]:

أبـو الفضـل إذا يحصـل فيمـا بينـا فضلُ
ومـا نؤثـر أن يدخـل في شطرنْجنـا بغل

وقال في إنسان ساقط لبس عمامة سرية [من الكامل]:

يا من تعمّـم فوق رأس فارغٍ بعمـامـةٍ مـرويّـةٍ بيضـاءِ
حسنـت وقُبِّـح كلّ شيءٍ تحتها فكأنهـا نـورٌ عـلـى ظلماء
لمـا بدا فيهـا أطلْـتُ تعجبي من شرّ شيءٍ في أجـلّ إناء
لو أننـي مكّنـت ممّـا أشتهي وأرى من الشهـوات والآراء
لجعلـت موضعهـا الثـرى وجعلتها في رأس حرٍّ من ذوي العلياء

وقال [من الطويل]:

ألا قل لأهـل الدولـة النذلـة التي ثوى داؤهـا فينـا وأعيا دواؤها
لقـد كبـت الـدنيا علـى أمّ وجهها فنحـن لهـا أرضٌ وأنتـم سماؤها
فلا تفرحـوا بالحـظّ منهـا فإنهُ قليلٌ علـى هذا المحـال بقاؤها

وقال [من المجتث] :

ورَاكبٍ فوق طرفٍ ... كأنّه فوق طرفي[1]
لــه قذالٌ عريض ... يجـلُّ عن كل وصفِ[2]
يذوب شوقـاً إليه ... نعلـي وخفِّـي وكفِّي

وقال [من مخلع البسيط] :

قـرنُ ابـن هارون قد تمادى ... علـوه فالغيـور غـيرُهْ
فكاشفتـه البظـراء جهراً ... بفسقهـا حـين قلّ خيره[3]
خلـت به للنـكاح يوماً ... فقـام حِرُّهـا ونـام أيره[4]

وقال [من الكامل] :

يبـدي اللـواط مغالطـاً وعجانه ... أبـداً لأعـراد الـورى مستهدفُ[5]
فكأنـه ثعبـان موسـى إذ غدا ... لحبـالهـم وعصيِّهـم يتلقّـف

وقال [من الرجز المشطور] :

يا رب علـجٍ أعلج ... مثـل البعير أهوجِ[6]
ذي فيشـة عظيمة ... إن ذخلـت لم تخرج[7]
رأيتـه مطّلعـاً ... من خلف باب مرتج
وتحتـه دنيّـةٌ ... تذهـب طوراً وتجي

---

(١) الطرف : الحصان الجيد .
(٢) القذال : القفا ، موضع الصفع .
(٣) البظراء : الطويلة البظر .
(٤) الحرّ : بضع المرأة .
(٥) العجان : الإست . الأعراد : جمع عرد ، ويعني به القضيب عند الإنسان .
(٦) العلج : الكافر .
(٧) الفيشة : رأس الذكر .

فقلــت : فاضــي أيدجٍ ؟ فقــال: قاضــي أيدج

وقال في رئيس أمرد [من الطويل]:

وأرعــنَ من سكر الحداثــة ما صحا دفعنـا إلــى تعظيمــه وهــو ما التحى
له هّمــةٌ لكنّهــا في حتاره فمـا يطلــب العلياء إلاّ لينكحا[1]
فلــو أن ما قاســى من الأير دبــره يقــاسيه من سير المعلــم أفلحا

وقال في إنسان شريف الأصل وضيع النفس [من مجزوء الكامل]:

قــل للشــريف المنتمي للغـرّ مـن سرواتِهِ
آبــائــه وجـدوده والـزهـر مـن أمـاته
وهــو الــوضيع بنفسه وعيــوبـه وهنـاتــه
والظاهــر الســوءات في أخـلافـه وصفــاتـه
لا تجرِينً مـن الفخا ر إلــى مـدى لم تـاته
شــاد الألــى لكَ منصباً قُوِّضْــتَ مـن شرفاته[2]
وأبــوك متصــلٌ بـه فعققتــهــم ببتــاتــه[3]
إنّ الشــريف النفس ليـ ـست تلك من فعلاته
والعــود ليس بأصله لكنــه بنبــاتـه
والمــاء يفســد إن خلطْ ـتَ أجاجــه بفراتـه[4]
وأحــق مـن نكَّسْته بالصفــع مـن درجـاته
مــن مجــده من غيره وســفـالـه مـن ذاته

(١) الحتار : يعني الإست ، وهو الإطار المحيط بالغربال أو المنخل أو نحوهما .
(٢) قوّضت : هدمت وخربت .
(٣) بتَّه : قطعه .
(٤) الأجاج : المالح ، والفرات : العذب .

وقال في هجاء أبخر [من البسيط] :

إنـي بليت بقرنانٍ يسارِرني ... سيّان عنـدي مجشّاه ومفْساهُ[1]
القبـر نكهتـه ، والسـمّ ريقته ... والمـوت عشرتـه ، والبخـر نجواه[2]

وفي المعنى [من مجزوء الرمل] :

فـي أبـي الفضـل من النقـص ضروب وصنوفُ
رجـلٌ في وعـده خِلْـفٌ ، وفـي فيه خلوف
قـإذا قاوضـك القو ل فقـد فاض كنيف[3]

وقال [من مجزوء الخفيف] :

لـم تر العين أبخراً ... كابـن نصـرٍ ولا ترى
مدخـل الخبـز منـه أخـبـث من مخـرج الخرى

وقال [من الكامل] :

قد أبصـرت عينـي العجائـب كلّها ... ما أبصـرت مثـل ابـنِ نصـرٍ أبخر
ما شم نكهتـه أمـرؤٌ متعطّرٌ ... إلا استحـال مخاطـه منهـا خرى

وقال [من الكامل] :

نطـق ابـن نصـرٍ فاستطـارت جيفةً ... في الخـافقين لنتـنِ فيه الفاسدِ
فكأنّ أهـل الأرض كلُّهُـمُ فسوا ... متـواطئين علـى اتفـاق واحد

وقوله [من الخفيف] :

يا ابـن نصـرٍ تِهْ كيف ما شئْتَ بالبَخْـرة إذ بلَّغَتْـكَ حالاً شريفَهْ

---

(١) القرنان : الدّيوث المشارك في قرينته لزوجته ، المجش : ما يتجشأ منه ، وهو فمه .
(٢) البخر : الرائحة الكريهة من الفم .
(٣) الكنيف : المرحاض .

لك في الناس مثلُ معجزةِ الخضـــــرِ ، وإن كنْتُ منه بئس الخليفة
لا يشمّون حين تجتاز طيباً   ويشمون حين تجتاز جيفة

وقال [من مجزوء الرجز] :

ما مرَّ بي في عُمُري   مثلُ سرارِ القنطرى
مكّنته من أذني   فبال فيها وخرى

وقال من قصيدة لأبي الفضل الشيرازي يوصيه بغلمانه ويعلمه بحالهم ويحذره من شخص عرض به [من مجزوء الرمل] :

نبَّ هذا التيس نبّا   وعلى الغلمان هبّا[1]
كلّما نادى غزالاً   منهم للنيك لبّى
ما رأينا قبل هذا   رشأ طاوع كلبا
ليس فيهم صغيرٍ   وكبيرٍ يتأبّى
وغَدَتْ دار أبي الفضـ   ـل لهذا التيس زربا
وهو يزداد على ذا   ك به ضناً وعجبا
يا أبا الفضل استمع نصـ   ـح امرىء يصْفيك حبّا
سرْحُ غلمانك للسرّ   حان قد أصبح نهبا[2]

* * *

ما أخرج من شعره في الشعر

قال [من الوافر] :

أحبُّ الشعر يبتدع ابتداعاً   وأكره منه مبتذَلًا مشاعا

---

(١) نبّ : صاح .
(٢) السّرح : الأنعام التي تسرح للمرعى والسرحان : الذئب .

ولـي رأيٌ غيورٌ في المعاني فمـا آتـي بهـا إلاّ افتراعا
وقِدْماً كانـت الأبـكار أحظى من العـون التـي انتهبـت شعاعا[1]

وقال [من الخفيف]:

رب شعـرٍ أطالـه طول معنا ه وإن قلّ لفظـه حين يروي
وطـويل فيه الـكلام كثير فاذا ما استعدتْه كان لغوا[2]
عرض البحـر وهـو ماءُ أجاجٌ وقليل المياه تلقـاه حـلوا

وقال [من الطويل]:

لقـد شان شأن الشعـر قومٌ كلامهم إذا نظمـوا شعـراً من الثلـج أبردُ
فيا ربّ إن لم تهدهـم لصوابه فأضْلِلْهـمُ عن وزن ما لم يجوّدوا

وقال من قصيدة في الصاحب [من الخفيف]:

لو تراخيت عن مديحـك لاستجـــررت من كلّ نعمـةٍ لك هجوا
فتأمّـل وانظـر إليه إذا ما طبـق الخـافقين حضـراً وبدوا[3]
كيف تحـدو به عفاتـك حدواً ثم تشـدو به قيانـك شدوا

* * *

ما أخرج من شعره في العتاب

قال من قصيدة [من الوافر]:

وأيامٍ تعـدّ علـيّ عـدّا وحظّـي من رغائبهـا يفوتُ
يظـنّ النـاس لي فيهـا ثراءً وحسبـي من ظنـون النـاس قوت

(١) العون : المرأة صارت وخادمة مساعدة .
(٢) اللغو : الكلام الذي لا طائل وراءه .
(٣) الحضر : سكان المدن ، والبدو : سكان الصحارى .

كأنّــي من تخاصمهــم مكينٌ وحالــي من خصاصتهــا تموت
ولــم آل اجتهــاداً واحتفالاً ولــكنْ أعيتِ الحيلَ البخوت
إذا رام الــكريم شكاةَ بثٍّ فغايتُــهُ التحمُّــلَ والسكوت

وقال من قصيدة في عبد العزيز بن يوسف [من الطويل]:

كفانــي علاءً حين أفخــر أنّني أضـاف إلــى عبــد العــزيز وأنسبُ
حنته علــيَّ الحــانيات فصــرت في كفالتــه كالابــن وهــو له أب
فهــا أنــا كالأولاد والفــرع أشمطٌ وهــا هو كالآبــاء والفــرع غيهب[(١)]

ومنها :

عممتم جميع النـاس حسنـاً لمحسنٍ وعفــواً لذي جرمٍ فغيثــوا واخصبوا
فمــا بال إبــراهيم إذ ليس قبله ولِــيٌّ عراقــيٌّ غداً وهــو مجدب
مجلّيهــم في حلبــةٍ أرسلوا وسكِّيتهــم في رتبــةٍ حين رتّبوا
ومــالك يا عينــي البصيرة غمضت جفونــك عنــي حين أبــكي وأندب
وكيف استطبــت العيش في ظلّ نعمةٍ غلامــك عنهــا بالعــراء يعذّب
أتضــرب صفحاً وادع الجـأش ساكناً وجنبــي علــى رمضائــه يتضرّب[(٢)]
متــى لم يكن ترياق جاهــك ضامناً نجاتي إذا دبّت إلــى الحـال عقرب[(٣)]
ومالي إذا لم أســق ريّاً من الحيا ولـم ترو مني غلــة الــروح أخصب
ولكنــه التقــويم إن كان طعمه أمــرّ فعقبــاه الحميدة تعذب
ومــن ذا الــذي أهّلتمــوه لنكبةٍ تقوّمــه إلاّ العــذيق المرجّب[(٤)]

---

(١) الأشمط : الذي خالط بياض شعره سواده . والغيهب : الأسود المظلم .
(٢) الرمضاء : شدّة الحرّ ، ويتضرّب : يتقلّب .
(٣) الترياق : دواء السمّ .
(٤) العذيق : اللبق الماهر والمرجّب : المعظم .

إذا منصلٌ بالغتمُ في صقالِهِ فما هو إلا المشرفيّ المجرّب
ولم تشحذوا حدّيه حيفاً وإنمّا تريدون أن تسطوا به وهو مُقْضَب[1]
تجرّعت هذا الشرْيَ كالأرْيِ عالماً بأنْ سوف يحلو لي جنى فيه طيّب
ويا سوء حالي لو جريت لديكمُ بمجرى الذي لا يصطفى فيهذّب
فصبراً على بؤسي قليلٌ بقاؤها لنعمى لنا فيها مراد ومرحب
لئن غمّني التأنيب فيكم وساءني لقد سرّني أن كنت ممن يؤنّب
وعِلميَ باستحكام حقي لديكمُ يحقق ظنّي أنّ جرمِي سيوهب
وإنك للحرّ الذي ليَ عنده وديعة ودٍّ خيرها مترقّب

وقال [من الطويل]:

صديقٌ لكم يشكو إليكم جفاكمُ وفي قلبه داء من الشوق قاتل
تناسيتموه وهو للعهد ذاكرٌ وللغيب مأمونٌ وللحبل واصل
يقول لكم والوجد بين ضلوعه مقيمٌ وقد جمَّتْ عليه البلابل[2]
أكابرَنا عطفاً علينا فإننا بنا ظمأٌ بَرْحٌ وأنتم مناهل[3]

وقال [من الخفيف]:

ومن الظلم أن يكون الرضا سـرّا ويبدو الإنكار وسط النادي
ومن العدل أن يشاع بهذا مثل ما شاع ذاك في الأشهادِ
كي يسرّ الصديق بالعفو عنّي مثل ما سرّ بالنكير الأعادي

* * *

(١) الشرى : الحنظل ، أي الشراب المرّ . والأري : العسل .
(٢) جمّت : كثرت وتزاحمت والبلابل : الهموم .
(٣) برحٌ : مؤلم .

ما أخرج من شعره في الشكوى والحبس

قال [من البسيط]:

قد كنـت أعجـب من مالـي وكثرته وكيف تغفـل عنـه حرفـة الأدب

حتى انثنت وهـي كالغضبى تلاحظني شزْراً فلم تبق لي شيئـاً من النشب[1]

فاستيقنـت أنّهـا كانـت علـى غلطٍ فاستدركته وأفْضت بي الـى الحرب[2]

الضّب والنـون قد يُرجـى التقاؤهما وليس يرجى آلتقـاء اللّب والذهب[3]

وقال أيضاً [من الوافر]:

كأنّ الدهـر من صبـري مغيظٌ فليس تغبنّـي منـه الخطوبُ[4]

يحـاول أن تلين له قناتي ويأبـى ذلك العـود الصليب

ألاقـي كلّ معضلةٍ نآدٍ بوجـهٍ لا يغيّره القطوب[5]

وأعتنـق العظيمـة إن عرتني كأنْ قد زارنـي منهـا حبيب

وبين جوارحـي قلـب كريم تَعجّـبُ من تماسـكه القلوب

تلـوح نواجـذي والـكأس شربي وأشربهـا كأنّـي مستطيب[6]

ففـوق السـرّ لي جهـرٌ ضحوكٌ وتحـت الجهـر لي سرٌّ كئيب

سأثبـت إن يصادمنـي زماني بركنيْه كمـا ثبـت النجيب

وأرقـب ما تجـيء به الليالي ففـي أثنائـه الفـرج القريب

---

(١) شزراً غاضبةً .

(٢) الحَرب : الهلاك .

(٣) النون : الحوت من السمك والضبّ : حيوان معروف يشبه الهر .

(٤) تغبّني : تزورني .

(٥) النآد : الشديدة الوقع .

(٦) النواجذ : الأضراس ، وهي أربعة .

وقال [من مجزوء الكامل]:

قــاسيت من دهــري سفيهاً ما إن رأيت له شبيها
ثبتــتْ نصــال سهامه في ثغــرة لي تنتحيها
فـكأنّنـي استقبـلتـه بمقاتلــي إذ أتّقيهــا

وقال [من الطويل]:

إذا لم يكن بدٌّ من المــوت للفتى فأروحـه الأوحـى الــذي هو أسرعُ[1]
ومــا طال عمــرٌ قطُّ إلاّ تطاولت بصاحبــه روعـات ما يتوقّع
فكن عرضــاً بالعيش لا تغتبــط به فمحصولــه خوفٌ وعقبــاه مصرع

وقال [من الطويل]:

إذا جمعــت بين امرأين صناعةً وأحببــت أن تدري الــذي هو أحذقُ
فلا تتفقّــدْ منهمــا غير ما جرت به لهمــا الأرزاق حين تفرّق
فحيث يكون النقص فالــرزق واسعُ وحيث يكون الفضـل فالــرزق ضيّق

وقال [من المنسرحِ]:

عهــدي بشعــري وكلّــه غزلُ يضحــك عنــه الســرور والجذلُ
أيام همّــي بحبّــةٍ بهم الـــــقلب عن النائبــات مشتغل
فالآن شعــري في كلّ داهيةٍ نيرانهــا فـي الضلــوع تشتعل
أخــرج من نكبــةٍ وأدخـل في أخـرى فنحســي بهــن متصل
كأنهــا سنةٌ مؤكـدةٌ لابـدّ من ان تقيمها الـدول
فالعيش مــرٌّ كأنّــه صبرٌ والمــوت حـلــوٌ كأنّــه عسل

---

(1) الأوحى : الأسرع .

وقال في الاستتار من قصيدة [من الخفيف]:

ليس لي منجدٌ على ما أقاسي ... من كروبي سوى العليم السميع
دفتري مؤنسي وفكري سميري ... ويدي خادمي وحلمي ضجيعي
ولساني سيفي وبطني فريضي ... ودواتي عيني ودرْجي ربيعي
أتعاطى شجاعةً أدَّعيها ... في القوافِي لقلبِيَ المصدوع
بمقالٍ أعزَّ من ليث غابٍ ... وفعالٍ أذلّ من يربوع[1]
كلما هرَّ في جواري هرٌّ ... كاد يقضي إلى فؤادي المروع[2]
وإذا اجتاز في السطوح فمن قبل ... قبوع الجرذان منه قبوعي

وكتب من الحبس قصيدة منها [من الطويل]:

كتبْتُ أقيكَ السُّوءَ من محبسٍ ضَنْكِ ... وعينُ عدوّي رحمةً منه لي تبكي
وقد ملكتني كفُّ فظٍّ مسلّطٍ ... قليل التقي ضارٍ على الفتك والإفك
صليت بنار الهم فازددت صفوة ... كذا الذهب الإبريز يصفو على السبك

وكتب إلى صديق له وهو محبوس [من الكامل]:

نفسي فداؤك غير معتدٍّ بها ... إذ قد مللْت حياتها وبقاءَها
ولو انّ لي مالاً سواها لم أكن ... أرضى لنفسك أن تكون إزاءها
لكن صفرْت فلم أجد إلا التي ... قد آن لي أن أستطيل ذماءها[3]
فإذا شكرت لمن فداك فإنّني ... لك شاكرٌ أنْ قد قبلت فداءها
وكأنني المفديُّ حين أرحْتَنَي ... من ناثباتٍ ما أطيق لقاءها

---

(١) اليربوع : حيوان قاضم يشبه الفأر ، قصير اليدين ، وطويل الرجلين والذنب .
(٢) هرّ : صوّت .
(٣) صفرت : خليت . والذماء : بقية الروح وقوّة القلب .

وكتب وهو في الحبس الى أبي العلاء صاعد بن ثابت [من مجزوء الرمل]:

أيهــا السيد قد كنــــــت إلى الوصــل تسارعُ
وتــراعينــا ببــرٍّ مــوالٍ متتــابع
فلمـاذا قـد تسربلـــــت لنـا سربـال قاطع
نحن كالنسريْن في الصّحبة لـكنّـي واقــع[1]
وعلـى الطائــر ان يغشى أخــاه ويطــالـع[2]

وكتب إلى قاضي القضاة أبي محمد بن معروف ، وقد كان زاره في معتقله رقعة هذه نسختها :

لقد قوي دخول سيدنا قاضي القضاة إلى نفسي ، وجدد أنسي . وأعـزب نحسي ، ووسع حبسي . فدعوت الله تعالى بما قد ارتفع إليه ، وسمعه له . فإن لم أكن أهلاً لأن يستجاب مني ، فهو أيده الله أهل لأن يستجاب فيه ، وأقول مع ذلك [من البسيط]:

دخلــت حاكم حكاّم الزمــان على صنيعــة لك رهــن الحبس ممتحنِ
أخنتْ عليه خطـوبٌ جارَ جائرها حتــى توفّــاه طول الهــمّ والحَزَنِ[3]
فعــاش من كلمــاتٍ منــك كنٍّ له كالــروح عائــدة منــه إلــى البدن

وقال في مستخرم مال كان يرفق به حال مصادرته ويتشكر منه في تلك الحال [من الكامل]:

لله درّ أبــي محمــدٍ الذي ضمنــتْ إساءتــه بنــا إحسانا
طــويت جوانحــه علــى خيريَّة مكتومــةٍ تبــدو لنــا أحيانا

(١) النسرين : مثنّى نسر ، والواقع : اسير : أو الذي لا يستطيع التحليق .
(٢) يغشى : يؤم داره ويتفقّد أحواله .
(٣) أخنت : حلّت .

حـرٌّ تكلف غير ما في طبعه　　من قسـوةٍ تكسـو العـزيز هوانا
عـكس النفـاق لنـا فأخفـى باطناً　　حسنـاً وأظهـر ضدَّه إعلانا
ولـه خلال العسف رفـقٌ ربما　　سغشى الضعيف الرازح الحيرانا[1]
مستخرجٌ للمـال مضطـرٌ إلـى اسـتعمال ما يرضـي بـه السلطانا
متلـطفٌ في فقرنـا ولـو أنه　　وجـد السبيل إلـى الغنـى أغنانا
يتطـرق الأستـار لا عن نيّةٍ　　ولـو استطـاع لهـا الصيانـة صانا
متوعّـر الجنبـات في استخراجه　　وإذا تعطّـف للفتـوة لانا
فتـراه في ديوانـه مستأسداً　　ليثـاً وفـي خلواتـه إنسانا
رجـل يؤدّبنا ونحـن مشايخٌ　　مثـل المعلـم يضـرب الصبيانا
عدنـا وقـد شبنـا إلـى حال الصِّبا　　في مكتـب يستشهـد الولدانا
نهـواه علمـاً أنـه خير لنا　　من غيره ان قلّـد الديوانا
عجبـاً له إذْ هذِهِ آثارُهُ　　فينـا وهـذا شكرُنـا وثنانا
فـالله يحفظـه علينـا راضياً　　ويعيدنـا من بأسِـهِ غضبانا

وقال أيضاً في الحبس [من الطويل] :

إذا لم يكنْ للمـرءِ بدٌّ منّ الردّى　　فأسهلُـهُ ما جاءَ والعيش أنكد
وأصعبـه ما جاءه وهـو رائعٌ　　تُطيفُ به اللـذات والحـظ مسعد
فإنِ أك شرَّ العيشتين أعيشها　　فإنـي إلـى خير الممـاتيْن أقصد
وسيّان يومـا شقْـوةٍ وسعادةٍ　　إذا كان غبـاّ واحـداً لهمـا الغد[2]

وكتب إلى عضد الدولة وقد خرج إلى الزيارة بالكوفة [من الطويل] :

توجّهْـتَ نحـو المشهـد العلـم الفرد　　على اليمـن والتـوفيق والطائـر السعد
نزور أمـير المؤمنـين فيالهُ　　ويالك من مجـدٍ مسيخٍ على مجد

---

(١) العسف : الظلم .
(٢) الغبّ : الذي يزور يوماً ويترك آخر .

فلـــم ير فوق الأرض مثلك زائراً ... ولا تحتهـــا مثـــلُ المزور إلى اللحد

مددت إلى كوفـــانَ عارضَ نعمةٍ ... بصـــوتٍ بلا يرقٍ يروع بلا رعد[1]

وتابعـــت أهليهـــا ندىً بمثوبةٍ ... فرحـــت إلى فوزٍ وراحـــوا إلى رفد[2]

أمـــولاي مولاك الـــذي أنـــت ربّه ... إليك على جور النوائـــب تستعدى

وهـــذي يدي مُدَّتْ إليك بقصّةً ... أعيذك فيهـــا من إبـــاءٍ ومـــن ردّ

أتانـــي شتـــاءٌ ليس عنـــدي دثارُهُ ... سوى لوعةٍ في الصدر مشبوبة الوقْد[3]

فلـــو أن برد الجلـــد عاد الى الحشا ... وفـــار الحشـــا الحـــران منـــي على الجلد

أزيحـــت لنفسي علّتاهـــا فأعرضتْ ... عن البثّ والشكوى الى الشكر والحمد

وداويْتُ داءَيٌ النَّقضـــين ذا بِذا ... أعـــدّل إفراطـــاً من الضـــدّ بالضد

ولكنـــي أستبطـــن الحـــرّ كربةً ... وأستظهـــر الضرَّ الشـــديد من البرد

وكم تثبـــت الحوْبـــاء في شبـــحٍ به ... جروحٌ دوامٍ من مناحســـة النكد[4]

أليات وقـــعٍ لو تكون بيذبل ... تضعضـــع ركنـــاه تضعضـــع منْهدٍّ[5]

فلـــولا رجـــاءٌ ملء أرجـــاء أضلعي ... وعلـــم يقـــين بالرعـــاية والعهد

وأنّ نسيم الانعطـــاف تهـــبّ لي ... هبـــوب نسيم النـــرجس الغضِّ والورد

قضيت بإحداهـــن نحبـــي حسرة ... ولـــو كان لي قلـــب من الحجـــر الصّلْد

وهبنـــي قد حملتهـــا فأطقتها ... إطاقة صلـــب العـــود مصطبـــر جلد

فمـــن لي بصبـــرٍ عن جبينـــك لامعاً ... إذا شيم ما بـــين السّماطـــين من بعد[6]

برانـــي بَريَّ القـــدْح شوقٌ مبرِّحٌ ... إليه ووجـــد جلّ عن صفـــة الوجد[7]

---

(١) العارض : الغيم الممطر .

(٢) الرفد : العطاء .

(٣) المشبوبة : المستعرة .

(٤) الحوباء : النفس أو الروح .

(٥) يذبل : إسم جبل .

(٦) شيم : أبصر ونظر إليه والسّماطين : الصفّين ، والجانبين .

(٧) براني : أنحلني .

إذا أبصرت عينـاي خدا معفّراً لديك نقلت التـرب منـه إلى خدي
وإن سمعَـتْ أذنـاي عنـك محدثاً لهجت بتكرير الحديث الذي يُبدي
فذكراك جهري حـين يطـرق زائري ونجواك سري حين أخلـو بهـا وحدي
فلا تبعدنّـي عنـك من أجـل عثرةٍ فإن جياد الخيل تعثـر إذ تخدي[1]
ولـو كنـت تنفـي كلّ من جاء مخطئاً إذا لَعَمَمْـت النـاس بالنّفـي والطرد
ومـن زل يومـا زلـة فاستقالها فذاك حقيق بالهـداية والرشد
ولي عنـد مولانـا وديعـة حرمةٍ وشـكر أياديه وديعتـه عندي
فإن عشـت كانـت عدتـي وذخيرتي وإن لم أعش فهـي التـراث لمن بعدي
توالـت سنـيٌّ أربـعٌ ومدامعي لهـا أربـعٌ كالسّـلك سلّ من العقد
أحـوم إلى رؤياك كما أنالَها حيام العطـاش الناظـرات إلى الورد[2]
فيا أيهـا المولى الـذي اشتـاق عبده إليه أمـا تشتـاق يومـاً إلى العبد ؟
فإن كان لم يبلـغ إلى رتبـة الرضا فبلّغـه فيما قبلهـا رتبـة الوعد
ومـر أمـرك العـالي بتغيير حاله وتخفيف ما يلقـى من البـؤس والجهد
لعلك ترضى عودةً بعـد بدأةٍ فيغـدو بوجـه أبيضٍ بعـد مسودٍّ
فقـد يجبـر العظـم الكسـير وربما تزايد بعـد الجبـر شدّة مشتد

وقال [من الطويل]:

هجرت دواتـي بعـد تصريف حلّها وواصلـت كالـورّاق قارورة الحبرِ
وعـاشرْتُ من دون الأخـلاّء دفترا يحـدّث عما مرّ في سالف الدهر
فطـوراً يسلّيني التعلّلُ بالمنى وطـوراً يكون الموت مني على ذكر

* * *

(١) تخدى : تسير مسرعة وتعثر : تزلّ .
(٢) الورد : منهل الماء .

ما أخرج من شعره في الحكمة

قال [من مجزوء الرمل] :

جملةُ الإنسان جيفَهْ وهيولاه سخيفه[1]
فلماذا ليتَ شعري قيلَ للنفس شريفه ؟
إنما ذلك فيه صنعة الله اللطيفه

وقال أيضاً [من مجزوء الكامل] :

أتهاب في العزمات ظلما ربما وقيت عنهُ
وأمامك الموت الذي أيقنت أن لا بدّ منه
هذي سبيل الخائب الكابي الزناد فلا تكنه[2]
الدهر خوّان ولكن كم سعيدٍ لم يخنه !
وشقيُّ جدٍّ قد تحرّز بالتصوّف لم يصنه
فاحذرْ مراراً أن يخون ومرة لك فأْتمنْه
واستبرْ لحظك بالتقلب في المطالب وامتحنه
وابسط رجاءً قد قبضتَ وثق بربك واستعنه

وقال أيضاً [من الطويل] :

ألا أيها الإنسان لأنك آيساً من الدهر ان تصفو عليك مشاربُهْ
فإنّ له حتماً من الشر واجباً وحتماً من الخير الهَنِيِّ عواقبه
وإن تلق من حتميْه ما كنت تبتغي فأولى بك الحتمُ الذي أنت طالبه
ستكسب ما ترجو ولو كنت كارهاً ككسيْكَ ما تخشى وأنت مجُانبه

---

(١) الهيولي : في الفلسفة ، المادة الأولى ، تنفعل وتحمل الصورة فتتولّد الموجودات .
(٢) الكابي الزناد : الذي لا يستعر ، كناية الحظّ السّيء .

وقال [من الخفيف]:

قــد تحابــى الجــواد نائبــة الدهــــر وفيهــا على البخيل وقاحَهْ
كم رأينا من نعمة قادها البخــل وأخــرى تذود عنهــا السماحه
ربمــا ضرّهــا التشــدّد والضّبــط فأضحــتْ من أصلهــا مجتاحه
فهــي محميَّة إذا نيل منها وإذا عزَّ نيلهــا مستباحه
وخصــوم الشــحيح يسعــون فيما غضّ من طرفه وهــاض جناحه[1]
وبنـات القلــوب تصغــي إلى من كان أسخـى نفســاً وأطلــقَ راحه

* * *

ما اخرج من شعره في الشيب والكبر وذكر آخر أمره

قال [من الوافر]:

يقــول النــاس لي في الشيب عن يزيد به جلال المرء ضعفا
ولــولا أنــه ذلٌّ وهون لما احتــكم المزين فيه نتفا

أخذه من قول الأول [من البسيط]:

كفــاك من ذلتــي للشيب حــين بدا أنــي توليت نتفــي لحيتــي بيدي

وقال [من المتقارب]:

لقــد أخلقــت جدّتــي الحادثات ومــن عاش في ريبهــا يخلقِ[2]
وبدّلننــي صــلعــاً شامـلا من الشعــر الفاحــم الأغسق[3]
وقــد كنــت أصلــعَ مِنْ عارضي فقــد صرت أصلــعَ منْ مفرقي

---

(١) الشحيح : البخيل . وهاض جناحه : جعله ضعيفاً .
(٢) أخلقت : أبلت ، وجدّتي : فتوتي وشبابي .
(٣) الأغسق : الأسود .

وقال [من المنسرح] :

لمـا دهتْنـي السنـون بالصَّلَعِ وقـل مالـي وضـاق متَّسعي
حاسبـت عن لمّتي مزيّنها حسـابَ شيخٍ للحـزم متبع[1]
قلـت له اقنـع عن قسـط نابتها بالربّـع ممّـا به عملـت معي
واعمـل علـى أنهـا مزارعةٌ شكوت فيهـا شكاةَ متَّضع
فاحطـط خراج الـذي أصبـت به واستـوف منّـي خراج مزدرع[2]

وقال [من مجزوء الكامل] :

وَجَـعُ المفاصـل وهـو أيـــــسـر ما لقيت من الأذى
جعـلَ الـذي استحسنْته واليأس من حظـي كذا
والعمـر مثـل الـكأس ير سب في أواخـره القذى

وكتب إلى أبي الحسن النقيب الموسوي [من الخفيف] :

أَقْعَدَتْنـا زمانـةٌ وزمان عائـقٌ من قضـاء حق الشريفِ[3]
فاقتصرنـا فيمـا نؤدي من الفر ض على الكتْب والرسول الحصيف[4]
والفتـى ذو الشبـاب يبسـط في التقـــصير عذر الشيخ العليل الضعيف

وكتب إليه يمدحه ويشكو إليه زمانته ، وسوء أثر السن عليه ، وحاجته إلى الجلوس في المحفة إذا أراد التصرف في حوائجه . وذلكَ في رجب سنة أربع وثمانين وثلاثمائة [من الطويل] :

إذا ما تعـدّت بي وسـارت محفّةً لهـا أرجـلٌ يسعـى بهـا رجلانِ[5]

---

(١) اللّمة : الشعر الذي يعلو الرأس .
(٢) الخراج : الضريبة واحطط : خفّف عنّي .
(٣) الزمانة : المرض الطويل .
(٤) الحصيف : العاقل .
(٥) المحفَّة : مركب كالهودج ، أو ما يشبه السرير يحمل عليه المسافر والمريض .

وما كنت من فرسانها غير أنها ... وفت لي لما خانت القدمان

نزلت إليها عن سراة حصان ... بحكم مشيي أو فراش حصان[1]

فقد حملت منّي ابن تسعين سالكاً ... سبيلاً عليها يسلك الثقلان

كما حمل المهد الصبيُّ وقبلها ... ذعرت ليوث الغيل بالنزوان[2]

ولي بعدها أخرى تسمى جنازة ... جنيبة يومٍ للمنيّة داني

تسير على أقدام أربعة إلى ... ديار البلى معدودهنّ ثماني

وإني على غيث الردى في جوانبي ... وما كفّ من خطوي وبطش بناني

وإن لم يدعْ إلا فؤاداً مروّعا ... به غير باق من أذى الخفقان

تلوم تحت الحجب ينفث حكمة ... إلى أذن تصغي لنطق لسان

لأعلم أني ميّتٌ عاق دفنه ... ذماء قليل في غدٍ هو فاني[3]

وإن فماً للأرض غرثان حائماً ... يراصد من أكلي حضور أوان[4]

به شره عم الورى بفجائع ... تركن فلاناً ثاكلا لفلان

غدا فاغراً يشكو الطوى وهو راتع ... فما تلتقي يوماً له الشفتان[5]

فكيف وحدّ القوت منه فناؤنا ... وما دون ذاك الحدّ رد عنان

إذا عاضنا بالنسل ممن يعوله ... تلا أوّلاً منه بمهلك ثاني

إلى ذات يومٍ لا ترى الأرض وارثاً ... سوى الله من إنسٍ يراه وجان

ألا أبلغا فرعاً نمتْه عروقه ... إلى كلّ سامٍ للمفاخر باني[6]

محمداً المحمود من آل أحمد ... أبا كلّ بكر في العلا وعوان[7]

---

(١) فراس حصان : فراش زوجةٍ عفيفة .
(٢) الغيل : الغاب ، والنزوان : الوثب .
(٣) الذماء : بقيّة الروح .
(٤) الغرثان : الجائع .
(٥) الفاغر : الفاتح ، والطوى : الجوع .
(٦) الفرع : الأصل .
(٧) العوان : المرأة التي ليست بكراً .

أبـا حسـن قطّعـت أحشـاء حاسد | طواهـا علـى البغضـاء والشنآن
يراك بحيث النجـم تصـدع قلبه | بحـدّ لسـان أو بحـد سنان
جرى جاهـداً والعفـو منـك يفوته | فكان هجينـاً طالبـاً لهجان[1]
وأنـت سمـاء في الذؤابـة صاعداً | وذاك حضيضٌ في القـرارة عاني[2]
أقيك الـرد إنـي تنبّهـت من كرىً | وسهوٍ على طول المـدى اعتوراني[3]
فأثبـتُّ شخصـاً دانياً كان خافياً | علـى البعـد حتـى صار نصب عياني
هو الأجـل المحتـوم لي جد جدُّهُ | وكان يرينـي غفلـة المتواني
له نذُرٌ قد آذنتنـي بهجمةٍ | له لسـت منهـا آخـذاً بأمان
ولا بدّ منـه ممهـلاً أو معاجلاً | سيأتـي فلا يثنيه عنّـي ثاني
هنـالك فاحفـظْ في بنـيّ أذمتي | وذدْ عنهـمُ روعـات كل زمان
فإنـي أُعتـدُّ المـودة منـك لي | حسامـاً به يقضـون في الحدثان
ذخـرت لهـم منـك السجـايا وإنّها | لأنفـع ممـا يذخـر الأبوان
وفـاءً ومـدّاً للجنـاح عليهم | وضنّـاً بهـم عن مس كل هوان[4]
وحرمـة أسـلافٍ كرامٍ حقوقها | ديون علـى الخلّين يصطحبان
وحظـك منهـا حسـب شأنـك إنّه | تعاظـم قدراً أن يقـاس بشان
وقـد ضمـن الله الجـزاء المحسن | وحسبـك من وافٍ وَفَـى بضمان
وهـذا قريضـي وهـو همٌّ بعثته | إلـى همّـةٍ عذراء ذات بيان
فكنـت كمـن جارى جواداً بمفرق | قوائمـه مشكولـة بحـران[5]
فإن لثمتنـي بالغبـار سوابقاً | قوافيه من لفـظٍ وحسـن معاني

---

(١) الهجين : المتولد بين عربي وأمة .

(٢) الذؤابة : أعلى الرأس ، والحضيض : الأسفل .

(٣) اعتوراني : لازماني وداخلاني .

(٤) ضناً : حفظاً ومنعاً .

(٥) المشكولة : المشدودة بالشكال ، وهو الحبل الذي تربط به الدابة .

فلا عار إن قصّرْتُ دون مبرّز شأن الناس قبلي سعيه وشآني

وعذري إليه خاطرٌ كلٌّ بعدما ثوى وهو ماضي الشفرتين يماني[1]

كذا الدهر إمّا عاد ينقض ما بنى وإما بنى ما ينقض الملوان[2]

وإن أخرتني اليوم سنٌّ تقدمتْ فقد أسلفتني حوز كلّ رهان

ليالِيَ طارت بي عقابُ بلاغتي وبذّتْ بغاثا ما استطاع يراني[3]

أبابيل جابت دون إدراك غايتي على أنّها لم تألُ في الطيران[4]

فأجابه أبو الحسن بقصيدة منها [من الطويل] :

ظماني إلى من لو أراد سقاني ودينْي على من لو يشاء قضاني

ولو كان عندي معسراً لعذرته ولكنّه وهو المليُّ لواني

رمى مقلتي واسترجع السهم دامياً غزالٌ بنجلاويْن تنتضلان[5]

أأرجو شفائي منه وهو الذي جنى على بدني داء الضنى وشجاني

أبيت فلم أستسق من كان غلّتي ولم أسترش من كان قبل براني[6]

فإن أسْرِ فالعلياء همّي وإن أقم فإني على بكر المكارم باني

وإن أمض أتركْ كلّ حيّ من العدى يقول ألا لله نفسُ فلان

أكرر في الإخوان عينا صحيحةً على أعينٍ مرضى من الشنآن

فلولا أبو إسحاق قل تشبثي بخلٍّ وضربي عنده بجران

هو اللافتي عن ذا الزمان وأهله بشيمة لا وانٍ ولا متواني

إخاءٌ تساوي فيه وداً وألفةٌ رديع صفاء لا رضيع لبان

---

(١) كلّ : ضعف .

(٢) الملوان : الليل والنهار .

(٣) بذّت : فاقت وتقدّمت والبغات : طائرٌ ضعيف .

(٤) أبابيل : يقال طيراً أبابيل : أي متجمّعة يتبع بعضها بعضاً ، قطيعاً خلف قطيع .

(٥) النجلاوين : العينين الواسعتين وتنتضلان : أي تتبارى في رمي السهام .

(٦) الغلّة : الظمأ ، ولم أسترش : أطلب الريش كناية عن المال ، وبراني : أنحلني .

تمــازج قلبانــا تمــازج إخوةٍ | وكلّ طلوبــي غاية أخوان
وربّ قريبٍ بالعــداوة ساخطٌ | وربٌ بعيد بالمــودة داني
وغيرك ينبــو عنــه طرفــي مجانباً | وإن كان منــي الأقــرب المتداني
لئــن رام قبضــاً سن بناتــك حادث | لقــد عاضنــا منــك انبســاط جنان
وإن بزّ من ذاك الجنــاح مطاره | قربّ مقــالٍ منــك ذي طيران
وإن أقعدتْــك النائبــات فطالما | سرى موقــراً من مجــدك الملوان
وإن هدمــت منــك الخطــوب بمرّها | فثــمّ لســانٌ للمناقــب باني
مآثــر تبقــى ما رأى الشــمس ناظرٌ | ومــا سمعــتْ من سامــعٍ أذنان
وموسومــةٌ مقطوعــة العقــل لم تزل | شواردُ قد بالغــن في الجولان
وما زلّ منك الــرأي والحــزم والحجى | فتأســى إذا ما زلّــت القدمان
ولــو أن لي يومــا علــى الدهــر إمرةً | وكانت لي العــدوى على الحدثانِ[١]
خلعــت علــى عطفيْك برد شبيبتي | جواداً بعمــري واقتبــال زماني
وحمّلــت ثقــل الشيب عنــك مفارقي | وإن فلّ من غربــي وغضّ عناني[٢]
ونــاب طويلاً عنــك في كلّ عارضٍ | وخــط بخطــوٍ أخمصــي وبناني
علــى أنــه ما انفــلّ من كان دونه | حميم يرامــي عن يدٍ ولسان
ومــا كلٌ من لم يعــط نهضــاً بعاجزٍ | ولا كلّ ليثٍ خادرٍ بجبان[٣]
وإنــك ما استــرعيت منــي سوى فتىً | صبــورٍ علــى رعــي المــودة حاني
حفــيّ إذا ما ضيع المــرء قوله | وفــي إذا ما خوّن العضدان
من الله أستهــدي بقــاك وأن ترى | محــلاً لأيام العــلا بمكان
وأسألــه أن لا تزال مخلّداً | بملــقــى سمــاعٍ بيننا وعيان

---

(١) الحدثان : الليل والنهار .

(٢) الغرب : السهم ، وفلّ : قطع .

(٣) الخادر : المسترخي .

إذا ما رعـاك الله يومـاً فقـد قضى مآرب قلبـي كلهـا ورعـاني

وكتب إليه أبو إسحاق أيضاً، وكان بين إنفاذه إليه هذه القصيدة وبين موته اثنا عشر يوماً، ولعلها آخر شعره [من الطويل] :

أبـا كل شيء قيل في وصفـه حسن إلـى ذاك ينحـو من كنـاك أبـا الحسنْ
فوحّدهـا للاختصـار إشـارةً إلـى جملـةٍ تفصيلهـا لـك مرتهنْ
تخولّتهـا في خـلقـةٍ وخليقةٍ وإن لم تكن أنت الخليق بهـا فمنْ[1]
ومـا هي إلا كنية لك إرثها وإن مسّهـا من غير أربابهـا الدّرن
ولـو أنّ في تحريمهـا لي قدرةً لمـا أصبحـت في غير بيتـك تمتهن
ألسـت لهـا بعـد الموصـي وآله وأنتـم انـاسٌ فيكمُ المجـد قد قطن
ولـكنّ هذا الدهـر جار عليكمُ وبالـغ حتـى في الكنـى لكمُ محن
يجاذبـكم علياءكم كلّ حاسدٍ به مرضٌ بين الحيازم قد كمن[2]
فيجـري إلـى غاياتـكم طالبـاً لها علـى غير منهـاجٍ وأنتـم علـى السنن
مناقبـكم حقٌ بدتْ بيّنـاته ودعـواه أضغـاثٌ يراهـنّ في الوسنْ[3]
لكم في الثـريا خطّةُ وهـو في الثرى فيا بعدهـا من أن يلزّهمـا قرنْ[4]
وقد تستوي الأشخاص في عين من رأى وتفتـرق الأعيان في فهـم من فطنْ
وبين وسيمـات الوجـوه تشابـهٌ فـكن فاصـلاً بين التهيُّج والسّمن
وإنْ جـلـدة الوجـه الـوسيم تغضّنَتْ فلا تحسبَنْ تلك الغضون بهـا عكن[5]
توقّلتـمُ في كلِّ هضبـة سؤددٍ فأوفيت واستعليت منها علـى القنن[6]

---

(١) الخليق : الجديد .
(٢) الحيازم : الصدور ، وكمن : استتر .
(٣) الأضغاث : الأحلام ، والوسن : النوم والنعاس .
(٤) يلزّهما : يجمعها ، وقرن : سلك .
(٥) تغضّنت : تجعّدت ، والعكن : السُّمنة في الجسد .
(٦) توقّلتم : صعدتم ، والقنن : القمم .

تقسّـم هذا الفضـل بين طوائف ... وأقسامـه مجموعـة فيك تختزن
غدوْا لك كالأبعـاض إذ أنـت كلهم ... كمـالا عجيبـا مثلـه قط لم يكن
تراهـم إذا غابـوا عن المنـزل الذي ... تحـلّ به كانـوا حضـوراً له إذن
وإن غبـت عنهـم ظاعنـاً بان فقرهم ... إلى الواحـد الفـذِّ الـذي عنهـمُ ظعن
وإمـا يبـاريك المباري بهيئة ... وزيٍّ وملبـوسٍ علـى جسمـه حسن
ففـي درعـك الإنسـان تمـت صفاته ... وجمـعت معـاليه وفـي درعـه الوثن
كتبـت إلـى ابـن الموسـوي رسالةً ... بلا دَخَـلٍ يدنـو إليهـا ولا دخن[1]
بأنّـي مذ بايعتنـي الـودّ جاعـلٌ ... سوادي من قلـبٍ وعـينٍ له ثمن
فإن رمتـه من صادقٍ غير ماذقٍ ... فدونك صدري مسكناً تحتـه شجن[2]
إذا اغتربـت منـك المـوالاة عنـد من ... ينافـق فيهـا فهـي عنـدي في الوطن
صفت مثل ما تصفو المدام من القذى ... وطابـت كمـا طابـت من الغبـر الدَّخن
ولـم لا وأنـت الماجـد السيّد الذي ... له منـنٌ لم تستطـع حملهـا المنن
أقيك الردى ليس القـلا عنـك مقعدي ... ولـكن دهانـي بالزّمانـة ذا الزمن[3]
وغادرنـي حلف المضـاجـع راهـناً ... على خلّـةٍ في الحـال والنفس والبدن
فإن تنأمنـك الـدار فالـذكر ما نأى ... وإن بان مني الشخص فالفكـر لم يبن
وإن طال عهـد الإلتقـاء فدونه ... عهـودٌ عليهـا من رعايتنـا جنن[4]
وأيسـر حدٍ يلـزم النـازح الفتى ... من الحقّ بسط العذر للدّالف اليفن[5]

وقال الشريف يجيبه عن هذه القصيدة ، وجعل الجواب على رويها دون وزنها لأن ذلك الوزن المقيد لا يجيء الكلام فيه إلا متقلقلا ، ولا النظم

---

(١) الدخل : سوء النية ، والدخن : الحقد وغيره .
(٢) الماذق : المخادع الكاذب .
(٣) القلى : البغض ، والزمانة : المرض المزمن .
(٤) جنن : حفظٌ وستر .
(٥) الدّالف : السائر بالحمل الثقيل واليفن : المسنّ ، والشيخ الكبير .

بزعمه إلا مختلا [من البسيط] :

دع من دموعك بعد البين للدّمن غداً لدارهمُ واليوم للظّعن[1]

هل وقفةٌ بلوى خبتٍ مؤلّفةٌ بين الخليطين من شامٍ ومن يمن

عجنا على الربع أنضاءً محرّمةً أثقالها الشوق من بادٍ ومكتمن[2]

موسومةٌ بالهوى تدري برؤيتها أنّ المطايا مطايا مضمري شجن

ثم انثنينا على بأسٍ وقد شرقت نواظرٌ بمجاري دمعها الهتن[3]

من ملبغٍ لي أبا إسحاق مألكةً عن حنو قلبٍ سليم السرّ والعلن[4]

جرى الوداد له مني ، وإن بعدت منا العلائق ، مجرى الماء في الغصن

لقد توامق قلبانا كأنهما تراضعا بدم الأحشاء لا اللبن[5]

مسوّدٌ قضبَ الأقلام نال بها نيل المحمر أطراف القنا اللّدن

إن لم تكن تورد الأرماح موردها فما عدلت إلى الأقلام عن جبن

والطاعن الطعنة النجلاء عن جلد كالقائل القولة الغرّاء عن لسن

ما قدر فضلك ما أصبحت ترزقه ليس الحظوظ على الأقدار والمهن

قد كنت قبلك من دهري على حنقٍ فزاد مابك في غيظي على الزمن

أنت الكرى مؤنساً عيني ، وبعضهمُ مثل القذى مانعاً عيني من الوسن

قد جاءت النفثة الغراء ضامنةً ما يوثق النفس في سرٍّ وفي علن

أنِطت من حسنها ماءً بلا نضبٍ وحزت من نظمها دراً بلا ثمن

فاقتد إليك أبا إسحاق قافيةً قود الجواد بلا حبلٍ ولا رسن

أنشدتها فحدا سمعي غرابتها إلى الضمير حداء الركب بالبدن

---

(١) الدّمن : الآثار والطلول والظعن : الرحيل .
(٢) عجنا : ملنا .
(٣) الهتن : المتتابع .
(٤) المألكة : الرسالة .
(٥) توامق : من الومق : وهو الحب والعشق .

كانـت تقـاعس لو ما كنـت قائدها　　تقاعس البازل المحبـوب في شطن[١]

تستـوقف الـركب إن مرَّتْ معارضُه　　يهـدي عقيلتهـا العـذراء من لمـن

* * *

ذكر وفاة أبي إسحاق وما رثاه به الموسوي

توفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة من شوال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وكانت سنوه إحدى وتسعين سنة قمرية . فرثاه ابو الحسن بهذه القصيدة الفريدة التي أفصح بها عن بعد شأوه في الشعر . وعلو محله في كرم العهد ، وقد كتبتها كلها لحسن ديباجتها وكثرة رونقهـا ، وجودة ألفاظها ومعانيها ، واستهلالها [من الكامل]:

أعلمْـتَ من حَمَلـوا علـى الأعواد　　أرأيْتَ كيف خبـا ضياءُ النّادي ؟

جبـلٌ هوى لو خرّ في البحـر اغتدى　　من وقعـهِ متتـابعَ الإِزباد

ما كنـت أعلـم قبـل دفنـك في الثرى　　أنّ الثـرى يعلـو علـى الأطواد[٢]

بُعـداً ليومـك فـي الزمـان فإنه　　أقـذى العيونَ وفـتَّ في الأعضاد[٣]

لا ينفـد الدمـع الـذي يبـكي بـه　　إن القلـوب لـه مـن الأمداد

كيف انمحـى ذاك الجنـاب وعُطِّلت　　تلك الفجـاجُ وضـلَّ ذاك الهادي

طاحـتْ بتلك المكرمـات طوائح　　وعَـدَتْ علـى ذاك الجـلال عوادي[٥]

قالـوا أطـاع وقيدفـي شطـن الردى　　أيدي المنـون ملـكت اي قياد ![٥]

من مصعـب لـو لم يقـده إلّهـه　　لقضـائـه مـا كـان بالمنقـاد

هذا أبـو إسحـاق يغلـق رهنـه　　هـل ذائـدٌ أو مـانـع أو فـادي[٦]

---

(١) البازل : الفتيُّ من الإبل والشطن : الحبل الطويل ، أو الحبل مطلقا .

(٢) الأطواد : جمع طود وهو الجبل .

(٣) فتٌّ : الإضعاف والتوهين .

(٤) طاحت : قضت ، والعوادي : المصائب .

(٥) القياد : حبلٌ تقاد به ، والشطن : الحبال .

(٦) غلق الرهن : استحق ، يريد أنه مات .

لو كانت تُفدى لافتدتك فوارسٌ مطروا بعارضِ كلِّ يومِ طراد[1]
وإذا تألق بارق لوقيعةٍ والخيل تفحص بالرجال بداد[2]
سلّوا الدروع من العياب وأقبلوا يتحدثون على القنا الميّاد[3]
لكن رماك مجبن الشجعان عن إقدامهم ومضعضع الأنجاد[4]
كالليث يهون بالتراب ويمتلي غيظاً على الأضغان والأحقاد
والدهر تدخل نافذات سهامه مأوى الصّلال ومربض الآساد
ألقى الجران على عنطنط حميرٍ فمضى ومدَّ يداً لأحمر عاد[5]
أَعْزِزْ عليَّ بأن أراك وقد خلتْ من جانبيك مجالس العوّاد
أعزِزْ عليَّ بأن أراك بمنزلٍ متشابه الأمجاد والأوغاد
أعزز علي بأن يفارق ناظري لمعان ذاك الكوكب الوقّاد
في عصبةٍ جنبوا إلى آجالهم والدهر يعجلهم عن الإرواد[6]
ضربوا بمدرجة الفناء قبابهم من غير أطناب ولا أعماد
ركبٌ أناخوا لا يرجّى منهمُ قصدٌ لاتّهامٍ ولا إنجاد[7]
كرهوا النزول فأنزلتْهم وقعةٌ للدهر نازلةً بكل مقاد
فتهافتوا عن رجلِ كلّ مذلّلٍ وتطارحوا عن سرْج كلّ جواد
بادون في صور الجميع وإنّهم متفردون تفرّد الآحاد
مما يطيل الهمّ أن أمامنا طولَ الطريق وقلَّةَ الأزواد
عمري لقد أغمدت منك مهنداً في الترب كان ممزّق الأغماد

---

(١) مطروا : كثروا .
(٢) البداد : الدعوة للمبارزة .
(٣) العياب : الصدور والقلوب .
(٤) يعني بالذي رماه هنا « الموت » .
(٥) الجران : باطن عنق الجمل أو الفرس والعنطنط : الطويل .
(٦) جنبوا : مالوا . والإرواد : الإكتحال .
(٧) أناخوا : حلّوا ، والاتهام : قصد تهامة والإنجاد : قصد نجد .

قد كنت أهوى أن أشاطرك الردى | لكن أراد الله غير مرادي
ولقد كبا طرف الرقاد بناظري | منذ افتقدت فلالعاً لرقادي[1]
ثكلتْكَ أرضٌ لم تلدْ لك ثانياً | أنّي ومثلك معوز الميلاد
مَنْ للبلاغة والفصاحة إنْ هَمَى | ذاكَ الغمام وعبّ ذاك الوادي[2]
من للملوك يحزّ في أعناقها | بظبا من القول البليغ حداد
من للممالك لا تزال تلمّها | سدّاد ثغرٍ ضائعٍ وسداد
من للمحافل يستزلّ رماحها | ويردّ رعلتها بغير جلاد[3]
من للمهارق تسترقّ قلوبها | بزلازل الإبراق والإرعاد[4]
وصحائفٌ فيها الأراقم كُمَّنٌ | مرهوبة الإصدار والإيراد
تدمي طوابعها إذا استعرضتها | من شدّة التحذير والإيعاد
حمرٌ على نظر العدو كأنها | بدمٍ تخطّ بهنّ لا بمداد
يقدمن إقدام الجيوش. وباطلٌ | أن يهزمنّ هزائم الأجناد
فِقَرٌ بها تمسي الملوك فقيرةً | أبداً إلى مبدأ لها ومعاد
وتكون سوطاً للحرون إذا ونى | وعناق عنق الجامح المتمادي[5]
نزقي وتلدغ في القلوب، وإن تشا | حط النجوم بها من الإبعاد
أمّا الدموع عليك غير بخيلة | والقلب بالسلوان غير جواد
سوّدت ما بين الفضاء وناظري | وغسلت من عينيَّ كلّ سواد
ريُّ الخدود من المدامع شاهد | أن القلوب من الغليل صوادي
ما كنت أخشى أن تضنّ بلفظةٍ | لتقوم بعدك لى مقام الزاد

---

(١) كبا : سقط . فلالعاً : دعاء على العاثر يعني « لا أنعشه الله » .
(٢) العبّ : ارتفاع الماء ، وهمى الغمام : أمطر .
(٣) الرعلة : الجماعة التي تتقدم غيرها .
(٤) المهارق : المخارج والكوى التي تنفذ منها الرّيح .
(٥) الحرون : المعاند .

ماذا الـذي منـع الفنيق هديره … من بعـد صولتـه علـى الأذواد[1]
ماذا الـذي حبس الجـواد عن المدى … من بعـد سبقتـه إلـى الآماد
ماذا الـذي منـع الهمـام بوثبةٍ … وعـدا علـى دمـه وكان العادي
قل للنوائـب عدّدي أيامه … لغنـىً عن التعـديد بالتعـداد
حمّـال ألـوية العـلاء بنجـدةٍ … كالسيف يغنـي عـن منـاطِ نجاد
قَلُصَتْ أظِلَّـة كلُّ فضـلٍ بعـده … وأمـرّ مشـربهـا علـى الورّاد[2]
فقضـي لسانـك إذ ذوتْ ثمراته … أن لا دوام لنضـرة الأعواد
وقضـى جنانـك مذ خبـتْ وقداته … أن لا بقـاء لقـدح كلِ زناد[3]
بقيتْ أعيجـانٌ يضـلّ تبيعها … ومضَـتْ هوادٍ للرجـال هوادي[4]
يا ليت أنـي ما اقتنيتـك صاحباً … كم قنيةٍ جلبـتْ أسـىً لفؤادي
من لم يسفّ إلـى التناسـل نفسه … كُفِـيَ الأسـى بتفاقـد الأولاد[5]
برد القلـوب بمـن تحـب بقاءه … ممّـا يجـر حرارة الأكبـاد
ليس الفجائـع بالذخائـر مثلها … يا ماجـد الأعيان والأفـراد
ويقـول من لم يدر كنهَـكَ إنّهم … نقصـوا به عدداً من الأعداد[6]
هيهـات أدرج بين برديك الردى … رجـل الرجـال وأوحـد الآحاد
لا تطلبـي يا نفس خِلاً بعده … فلمثلـه أعيا علـى المقتاد
فقـدت ملاءمـة الشـكول لفقده … وبقيت بين تبـاين الأضداد
مـا مطعـم الـدنيا بحلـوٍ بعده … أبـداً ولا ماء الحيا ببراد

---

(١) الفنيق : الفحل من الإبل .
(٢) قلصت : أي تقلّصت وصغرت .
(٣) خبت : انطفأت .
(٤) أعيجان : من العوج ، وهو الالتواء وعدم الاستقامة .
(٥) يسفّ : يركن الى الشهوة .
(٦) الكنه : المعنى .

الفضـل ناسـب بيننـا إذ لم يكن شرفـي مناسبـة ولا ميـلادي
إن لا تكنْ من أسرتـي وعشيرتي فلأنـت أعلقهـم يـداً بودادي
أو لا تكن عالـي الأصـول فقـد وفى عظـم الجـدود بسـؤدد الأجداد
لادرَّ دريٌّ إن مطلْتـكَ ذمةً فـي باطـن متغيّب أو بـادي
إن الوفـاء كمـا اقترحـت فلـو تـكن حياً إذاً مـا كنـت بـالمزداد
ليس التنـافس بيننـا بمعاود أبـداً وليس زمـاننـا بمعـاد
ضاقـت علـيَّ الأرض بعـدك كلُّها وتـركت أضيقهـا علـيَّ بـلادي
لك في الحشـا قبـرٌ وإن لـم تأوه ومـن الدمـوع روائـح وغـوادي
سلّـوا من الأبـراد جسمـك فانثنى جسمـي يسـلّ عليك في الأبـراد
كم من طويل العمـر بعـد وفاته بالـذكر يصحـب حاضـراً أو بادي
ما مات من جعـل الزمـان لسانه يتـلـو مناقـب عـوّد وبوادي
فاذهـب كمـا ذهـب الـربيع وإثره باقٍ بـكلّ مهـابطٍ ونجاد
لا تبعـدنَّ وأين قربـك بعدها إنّ المنـايا غاية الإبعاد
صفـح الثـرى عن حرّ وجهـك إنّه مغـرىً بـطـيًّ محاسـن الأمجاد[1]
وتماسـكت تلك البنـان فطالما عبـث الـردي بأنامـل الأجواد
وسقـاك فضـلك إنـه أروى حياً من رائـح متعـرّض أو غـادي[2]
جدثٌ علـى أن لا نبـات بأرضه وقفـت عليه مطالـب الـرواد

ومر يوماً بقبره وهو بالجنينة من أرض كرخايا فقال [من الطويل] :

أيعلـم قبـر بالجنينـة أننـا أقمنـا به نبغـي النـدى والمعاليا ؟
عطفنـا فحيَّيْنـا مسـاعيه إنهـا عظـام المساعـي لا العظـام البواليا

---

(١) مغري : مولع .
(٢) الحيا : المطر .

مررنـــا به فاستوقفتْنـــا رسومُـهُ كما استوقف الروض الظباء الجوازيا[1]

ومــا لاح ذاك التــرب حتــى تخيّلتْ من الدمــع أوشــالٌ ملأن المـآفيا[2]

نزلنــا إليه عن ظهور جيادنــا نكـفكف بالأيدي الدمـوع الجواريا

ولمــا تجاهشنــا البـكاء ولـم نطق عن الوجـد إقلاعـا عذرنـا البواكيا

أقــول لركب رائحين تعرجوا أريكم به فرعـاً من المجـد ذاويا

ألمّوا عليه عاقـرين فإنّنا إذا لم نجـد عقـراً عقرنـا القوافيا

وحطـوا به رحـل المـكارم والعلا وكبّـوا الجفـان عنـده والمقاريا[3]

فلــو أنصفــوا شقـوا عليه ضمائراً وجــزّوا رقابــاً بالظُّبـا لا نواصيا

وقفنــا فأرخصنــا الدمــوع وربّما تكون علـى سوم الغـرام غواليا[4]

ألا أيهــا القبــر الـذي ضم لحدَهُ قضيبـاً علـى هام النوائـب ماضيا[5]

هل ابــن هلالٍ منــذُ أودى كعهدنا هلالاً علــى ضوء المطامـع باقيا

وتلك البنــان المورقــات من الندى نواضـب ماءٍ أم بواقٍ كمــا هيا ؟

فإن نيل من ذاك اللســان مضاؤه فإن به عضــواً من المجـد باليا

مجيب الدواعــي حائــداً أو مدافعاً هنــاك مـرِمٌ لا يجيب الداعيـا[6]

ومــا كنــت آبــى طول لبــث بقبره لَوَ أنــي إذا استعديتــه كان عاديا

صفائــح تستسقــي الدمــوع روائحاً علــى جانبيهــا والغمــام غـواديا

ترى الكلــم الغــرّان من بعــد موته نـوافـر ممــن رامهـن نـوائيا[7]

---

(١) الجوازيا : من جاز الشيء : أي قطعه وسار فيه .

(٢) الأوشل : من الوشل وهو الماء القليل .

(٣) الجفان : القصع التي يوضع بها الطعام والمقاريا : من القرى ، أي الطعام .

(٤) السوم : المفاصلة في الشراء .

(٥) القضيب : السيف .

(٦) مرمٌ : مقيمٌ وماكث .

(٧) نوافر : شوارد ، ونوائياً : مبتعدة .

هو الخاضب الأقلام نال بها علاً ... تقاصر عنها الخاضبون العواليا[1]

معيدُ ضرابٍ باللسان لوانّه ... بيوم وغىً فلّ الجراز اليمانيا[2]

مرير القوى نال المعالي واثباً ... إذا غيره نال المعالي حابيا[3]

مضى لم يمانع عنه قلب مشيّع ... إذا همّ لم يرجع عن الهمّ نائيا[4]

ولا المسندوه بالأكفّ إلى الحشى ... على جزعٍ والمفرْشوه التراقيا

ولا ردّ في صدر المنون براحة ... يرد بها سمر القنا والمواضيا

خلا بعدك الوادي الذي كنت أنسه ... وأصبح تعروه النوائب واديا

أرحتَ علينا ثلّة الوجد ترتعي ... ضمائرنا أيامها والليا ليا

ولولاك كان الصبر منّا سجيةً ... تراثاً ورثناه الجدودَ الأواليا

رضيت بحكم الدهر فيك ضرورةً ... ومن ذا الذي يغذو بما ساء راضيا

وطاوعت من رام انتزاعك من يدي ... ولو أجد الأعوان أصبحت عاصيا

تطامنتُ كيما يعبر الخطب جانبي ... فألقي على ظهري وجرّ زماميا

ملأت بمحْياك البلاد مساعياً ... ويملأ مثواك البلاد مناعيا

كما عمّ عالي ذكرك الخلق كلّه ... كذاك أقمت العالمين نواعيا

رثيتك كي أُسلوك فازددت لوعةً ... لأن المراثي لا تسد المرازيا

وأعلم أن ليس البكاء بنافعٍ ... عليك ولكنّي أُمنّي الأمانيا

---

(١) أي هو الذي نال بالقلم ما لم ينله غيره بالسيوف .

(٢) الجراز : السيوف القاطعة ، واليمانيا : المنسوبة الى اليمن .

(٣) مرير القوى : شديدها .

(٤) همّ : قصد وأراد .

الباب الرابع

في ذكر ثلاثة من كتاب آل بويه يجرون مجرى الوزراء

١١٦ - أولهم أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف

أحد صدور المشرق ، وفرسان المنطق ، وأفراد الكرم الكبار، الحسان الآثار ، والأخبار ، وأعيان الممدحين المقدمين في الآداب والكتابة ، والبراعة والكفاية، وجميع أدوات الرياسة . وكان مع تقلده ديوان الرسائل لعضد الدولة طول أيامه معدوداً في وزرائه ، وخواص ندمائه، وتقلد الوزارة بعده دفعات لأولاده .

وأنا أورد من غرر نثره التي تعرب عن أدب فضفاض، وخاطر بالإجادة والإحسان فياض . ومن لمع شعره التي هي أحسن من زهر الرياض ، وأسلس من الماء على الرضراض، ما هو من شرط هذا الكتاب ، المشتمل على ملح الآداب .

* * *

ما أخرج من سلطانياته

فصل من كتاب عن الطائع لله ، إلى ركن الدولة ، لما ورد عضد الدولة العراق :

فأنت وعضد الدولة كلأكما الله يدا أمير المؤمنين فيما يأخذ ويذر ، وناظراه

فيما يقرب ويبعد . بكما افترش مهاد الملك بعد إقضاضه ، ورفع منار الدين بعد انخفاضه . فأبشرا من الله تعالى بالحسنى ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين .

ومن كتاب عنه إلى عضد الدولة

وراع الشرف الذي أفرعك أمير المؤمنين ذروته ، وعقد بك ذؤابته . وتوقل في فلك الفخر كيف أردت ، ومس في حلل المجد أنى شئت . واستدم النعمة عليك بالتقوى لله تعالى ، وبحسن الطاعة لأمير المؤمنين، فإنهما جنتاك وعدتاك وذريعتاك المشفعتان عند الله تعالى في أولاك وأخراك . وأحسن كما أحسن الله إليك .

ومن كتاب عنه إلى أهل الشام

قد علمتم بشهادة الآثار ، وتظاهر الأخبار ، ما أعد الله لأمير المؤمنين بطاعته وليه المنصور، وصفيه المبرور . وعضد الدولة ايده الله تعالى من حام حقيقته ، ساد خلته ، راع سدته ورعيته . لا يثنيه عن غاياته عارض الشام ، ولا يلهيه عن هماته راحة الحمام [من الطويل] :

مضـاميرهُ أَعْيَتْ علـى من يرومُها ... وكلٌّ مدى عن غايتيْه قصيرُ

فهـو عين أمير المـؤمنين إذا نظر ، ولسانـه إذا نطـق ، ويده إذا لمس

فهو عين أمير المؤمنين إذا نظر ، ولسانه إذا نطق ، ويده إذا لمس ، ألانت أم أمضت . ووطأت أم أقضت .

ومن كتاب إلى عضد الدولة في فتح كرمان

وتآمروا على الوقوع إلى ناحية الجروم ، وأجنهـم الليل فادرعـوه مقتـادين بخزائم أنوفهم ، إلى مصارع حتوفهم .

ومن كتاب عنه في عود الطائع
إلى بغداد والتقائه معه

ولما ورد أمير المؤمنين النهروان . أنعم بالإذن لنا في تلقية على الماء فامتثلناه وتقبلناه، وتلقانا من عوائد كرمه ، ونفحات شيمه . والمخائل الواعدة بجميل آرائه، وعواطف إنحائه ، ورعاية ما كنفنا يمنه ، وشايعنا عزه ، إلى أن وصلنا إلى حضرته البهية ، شرفها الله تعالى في الجديدية التي استقبلت منه بسليل النبوة وقعيد الخلافة، وسيد الأنام، والمستنزل بوجهه درر الغمام، فتكفأت علينا ظلال نوره وبشره ، وغمرتنا جهات تفضله وفضله . وقرب علينا سنن خدمته ، وأنالنا شرف القعود بين يديه ، على كرسي أمر بنصبه لنا عن يمينه ، وأمام دسته، وأوسعنا من جميل لقياه، وكريم نجواه ، ما يسم بالعز أغفال النعم ، ويضمن الشرف في النفس والعقب ، ويكفل من الفوز في الدين والدنيا بغايات الأمل . وكانت لنا في الوصول إليه ، والقعود بين يديه ، في مواقع ألحاظه ، وموارد ألفاظه، مراتب لم يعطها أحد فيما سلف ولم تجد الأيام بمثلها لمن تقدم . وسرنا في خدمته على الهيئة التي ألقى شرفها علينا ، وحصل جمالها مدى الدهر لدينا ، إلى أن سار إلى سدة دار الخلافة والسعود تشايعه . والميامن تواكبه . وطلائع الآمال تشرف عليه . وثغر الإسلام يبتسم إليه . فعزم علينا بالانقلاب معه على ضروب من التشريف ، لامورد بعدها في جلال، ولا موقف وراءها لمذهب في جمال. واجتلت الأعين من محاسن ذلك المنظر ، وتهادت الألسن من مناقب ذلك المشهد ، ما بهر بصر الناظر ، وعاد شمل الإسلام مجموعاً ، ورواق العز ممدوداً ، وصلاح الدهماء مأمولا ، ونور الدين والدنيا مرقوباً .

ومن كتاب عنه إلى أخيه مؤيد الدولة لما فتح جرجان :

وصل كتاب مولاي بذكر الفتح الذي ألبسه الله جماله ، والنجح الذي قرب

الله عليه مناله . والنعمة التي نبت عن متعاطيها فانتقلت إليه ، والمملكة التي اضطربت بمالكيها فقرت لديه .

ومن كتاب عنه إلى أخيه مؤيد الدولة أيضاً في ذكر علة نابته من الحمى .

ورد على الخبر بعارض من الحرارة ، وعك له سيدي مؤيد الدولة أيده الله تعالى، بعقب دواء تناوله، واتصال ذلك بمليلةأزعجته، وحمى نابته. فتصرفت في الأفكار، وملكني الإشفاق، وخلص إلى قلبي ـ من ألم ما عراه وإلى نفسي من وجل ما شكاه ـ ما كاد يوحش جناب الأنس ، ويخل بشيمه الصبر ، لولا أن المعهود في مثل هذا العارض يعقب الاستفراغ أكثر الأمر ، ثم تفضي عقباه إلى استقبال الصحة والإبلال والقوة ، حرس الله ساحته ، وحمى مهجته ، وأحسن الدفاع عنه !

ومن كتاب عنه في ذكر وفاة ركن الدولة :

وقد كانت المصيبة نفرت سرب النعم ، ورنقت شرب الأمل ، وأوحشت رباع المجد والكرم، لولا ما عصم الله به ، وهدى له من تذكر النعمة في ثروة العدد ، والبقية الحسنى في الأخوة الولد ، ثم في العزة والقدرة والسلطان والبسطة ، وفيما شد به الأعضاد ، في إخوان الصفاء الذين سيدي أيده الله تعالى ناظم شمل محاسنهم ، وفائت سبق أفاضلهم .

ومن كتاب في ذكر أبي تغلب :

وقد كان الغضنفر بن حمدان ، حين نفضته المذاهب، ولفظته المهارب . وأقلقته عن مجاثمة المكايد والكتائب ، وتطوح إلى بلاد الشام ، يتنقل بين مصارع ، يحسبها مراتع . ومجاهل يعدها معالم ، يروم انتعاشاً والجد خاذله ، ويبغي انتعاشاً والبغي طالبه .

ومن كتاب إلى الأمير خلف بن حمدان :

وأما ما صحب فلاناً من ألطاف وأتحاف ، فقد وصل وكان البعض منه كافياً

في البر ، وافياً بالحق . إلا أن سيدي يأبى إلا الإغراق في اللطف قائلاً وفاعلاً ، لا أعدمه الله شمية الفضل ، ولا أخلاني فيه من كلام العهد ، ومما أقف فيه موقف العذر في مخاطبة سيدي ان فلاناً ورد علي ، وقد ضاق الوقت عن توفيته واجب حقه لا ستمرار العزائم في قصد نواحي العراق ، لإعادة ما نضب بها من ماء السياسة ، ومال في جنباتها من رواق الأمر والنهي ، بضعف المنن ، وانتكاث المرر . وكتبت كتابي هذا وقد استقل بي المسير ، مقدما بعون الله كتائب الرعب مستصحباً مفاتح النصر .

ومن كتاب في فتح ميا فارقين :

فأمرنا أبا الوفاء أن يلين مسه لأهل البلد ، إبقاء على ذلك الثغر من ان تصاب له ثغرة، واتقاء لاراقة دم فيه شبهة .

ومن كتاب آخر :

ولما ضاق عن هذا المخذول حلمنا باتساع غوايته ، ووعر الطريق إلى استبقائه . استخرنا الله تعالى في استرجاع ما ألبسناه من النعم .

ومن كتاب عن نفسه إلى مؤيد الدولة :

وصل كتاب مولانا جواباً عما خدمت به حضرته المحروسة ، مهنئاً، فحسبتني وقد تأملت عنوانه ـ مغلوطاً بي ، أو معنياً به غيري ، إعظاما لتلك الأيادي الغر ، والنعم الزهر ، التي اعددتها في الشرف مناسب ، وإلى الأيام والليالي ذرائع .

ومن كتاب عن عضد الدولة :

وزيد الآن عادة الألطاف بدواب تستكرم مناسبتها ، وتحمد نجابتها . ويعرف عتقها في المنظر، وسرها في المخبر ، نرضاها لركابنا ، ونعتمدها باختيارنا عائدة بإحمادنا واعتدادنا .

* * *

ما اخرج من إخوانياته

كتب الى الصاحب : كتابي أدام الله عز مولانا وحالي ـ فيما أعاينه من تمثيل حضرته وتذكر خدمته ، والمواقف التي سعدت فيها برؤيته . وأفدت من مشاهدته حظها ومقابلة نعم الله عليه وعلى الأدب وحزبه ، والكرم وأهله فيه ـ حال امرىء هب وقد أوردته الأحلام مناهل أمله ، فهو يتلهف تذكراً . ويتلذذ تحَيّراً . ويناجي النفس تمثلاً ، ويراقب المنى تعللا . وأحمد الله تعالى على الأحوال كلها ، وأسأله قرب الإدالة ، والعقبى السارة ، وأقول [من الطويل] :

أقول وقلبي في ذراك مخيِّمٌ ... وجسمي جنيبٌ للصَّبا والجنائبِ[1]
يجاذب نحو الصاحب الشوقِ مقْودي ... وقد جاذبتني عنه أيدي الشوّاذب[2]
سقي الله ذاك العهد عهداً من الحيا ... وتلك السجايا الغرَّ غُرَّ السّحائب
تذكّرت أيامي بقربك والمنى ... يقابلني بالعزّ من كل جانب
وفي ربعك الدنيا تزفّ محاسناً ... وتفْترُّ منك عن ثنايا مناقب
وقد لحظتْ عيناي من شخصك العلا ... ومن فرعك الفيْنان أعلى المناسب
ومن لفظك الدّر المصون ، ومن حَيا ... محيّاك ما لم تُجْرِهِ كفُّ خاطب
وأخلاقك الغرّ التي لو تجسّمت ... لكانت نجوماً للنجوم الثواقب
ففاضت على خدي سوابق عَبرةٍ ... كما أسلمتْ عقدا انامِلُ كاعب
سلامٌ على تلك المكارم والعلا ... تحيّة خلٍّ عن جنابك غائب
يكابد ما لو كان بالسيف ما مضى ... وبالمزن لم تبللْ لهاةٌ لشارب[3]
وإني وإن روّعت بالبين شائمٌ ... طوالع عتبي من طلاع العواقب

---

(١) الجنيب : المبعد ، والغريب . والجنائب : من الجنابة وهي النجاسة ، أو هي الريح التي تهبّ جنوباً .

(٢) الشواذب : الشاذب : المتنحّي عن وطنه .

(٣) يكابد : يعاني ، والمزن : المطر . واللهاة : اللّحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم .

ومــا أنــا بالنــاس صنائعــك التي	كتبْـنَ علـيَّ الــرقّ ضربــة لازب[1]

ابتدأت أطال الله بقاء مولاي الصاحب بكتابي هذا . وفي نفسي إتمامه نثراً ، فمال طبعي إلى النظم ، وأملى خاطري على يدي منه ما كتبت ، ونعم المعرب عن الضمير مضمار القريض، وقد اقتصرت عليه من الكتاب ناطقاً عني ، واثقاً بما عنده لي ، وأنا أسترعيه غيبه ، واستغطيه عيبه ، وكنت كتبت إلى حضرته من أول منزل أو ثانيه بذكر ما أودعه حر الفراق قلبي ، وأزالته أيدي الأشواق من عزائم صبري، وتوقعت الجواب عنه فأبطأ ، وورد هذا الركابي خالياً من كتابه وكانت عادة كرمه جارية عندي بخلافه ، ولولا الثقة به وبما استفدته من اللقاء والخدمة ، وحرمة الوفادة والهجرة من أذمة عهده لأبديت ما أخفيت من قلق وانزعاج ، لاختلاف العادة على ، ومولادي ولي صوني عن موقف الظن والرجم بالغيب ، فإني مهتم في خدمته على حسب الضن بها ، ومنافسة كل احد عليها ، إن شاء الله تعالى .

ومن كتاب له إليه :

قد كان وردلمولانا الصاحب أدام الله عزه [من الطويل] :

كتــابٌ لَوَ آن الليل يرمــي بمثله	لألقــت يداً في حجــرتيْه ذكاءُ[2]
تهــادى بأبــكار المعانــي وعونها	وأعيان لفــظ ما لهــنّ كفاءِ
شوارد لولا أنهــن أوالفٌ	ضرائــر إلا أنهــنّ ســواء
لبسنــا بهــا نعمــى وألبســت الربا	خمائــل روضٍ جادهــنّ سماء
بنــان ابــن عبــادة تعلين نوءه	ومــا صوبــه إلا حياً وحياء[3]

(١) ضربة لازب : أي ضربة لازم .
(٢) ذكاء : الشمس .
(٣) النوء : المطر ، والنجم . والصوب : المطر والعطاء .

وثلاث كتب تناظرت في الحسن والإحسان ، وتقابلت في البر والإنعام . لا زالت أياديه قلائد الأعناق، ومرامية مضامير السباق . ولا انفكت عين الله حامية له ، وكافلة به !

ومن كتاب له إليه :

وقف مولانا على ما كتبت به معرضا بخدمته ، ومجلياً عن نيته ، فصدقه وحققه ، وقال أدام الله سلطانه : إن لسان أثره في الفصاحة كلسان قلمه . يتجاريان كفرسي رهان . وناهيك بالأول اشتهارا ووضوحا ، وبالثاني غرراً وحجولاً . وكنا لمثل هذه الحال نعده ونعتمده ، ونتنجز عدات الفضل عنه ، وحسبنا ما أفادتناه التجارب فيه كافلاً بالسعادة، ودرك الإرادة ، وما زالت مخائله وليداً وناشئاً. وشمائله صغيراً ويافعا ، نواطق بالحسنى عنه وضوامن النجح فيه ، فقد أصبح الظن أيقانا ، والضمان عيانا ، والتقدير بيانا ، والاستدلال برهانا ، ونرجو أن الله بحسن الامتاع به ، والدفاع عنه ، كما أحسن الظن به وحقق الأماني فيه .

ومن كتاب :

وقفت على الأبيات التي أتحفني بها سيدي ، وتكلفت لجوابها، على ظلع في خاطري لطول السفار، واتصال حالي بالحل والترحال ، ومولاي يأخذ العفو ويرضى بالميسور ، ويعذر مستأنفاً على التقصير في جواب ما يأتيني من أمثاله ما دمنا في ملكة الهواجر وتعب البكر والأصائل.

ومن كتاب له إلى الصاحب في فتح عمان وإبادة الزنوج بها ، وما وصل إلى عضد الدولة من الغنائم .

وكانت لأولئك الكفرة عادة اشتهرت منهم في استباحة الناس وأكل لحومهم ، وبلغ من كلبهم على ذلك أنهم كانوا يتنقلون بينهم إذا شربوا بأكف الناس ، وسأل مولاي عن هذا النقل الغريب فحكى له عنهم أنه لا شيء في

الإنسان ألذ من كفه وبنانه ، وكان في ذلك اليوم الذي شارف فيه طلائع العسكر المنصور باب عمان ثار من بعض المكامن طوائف من أولئك الكلاب فكبا ببعض الغلمان دابته فاختلسوه واقتسموه بينهم وأكلوه في الوقت ، وتعجب الناس من ضراوتهم وقساوتهم، وقد أبادهم الله تعالى جده وطهر البر والبحر من عبثهم ومعرتهم ، فانقاد أهل جبال عمان باخعين بالطاعة، معتصمين بذمة الجماعة ، وتمت نعمة الله على مولانا في هذا الفتح وكملت له مغانم الأجر ، ووصل أمس غنائم تلك الناحية وفيها فيل صغيره بقدر الفرس . ما عهد ألطف ولا أظرف منه ، وفي الغنائم كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، والله تعالى يجني مولانا ثمار الأرض برا وبحرا ، سهلا ووعرا ، بمنه وكرمه آمين .

ومن كتاب له إلى ذي الكفايتين أبي الفتح :

فأما استبطاؤه لعبده في تراخي ما كان مستشرفاً من جهته ، لعلمه من أخبار حضرة مولانا الملك وما عليه حاله في مساورة الإشفاق، ومسامرة الأفكار. إلى أن يعرف خبر الخيل المنصورة المصاحبة ركاب مولانا في سلامتها من وقدة تلك الهواجر ، ووعورة تلك المسالك ، وما تولى الله تعالى مولانا به من كفايته، وأفاء عليه من ظل حفظه وحراسته ، فقد وقفت عليه وكنت طالعت حضرته بكتب جمة تقر بها العيون، ويفاد بمثلها السكون . وانتظرت بالشرخ حال الاستقرار، واستجماع الدار . ليكون ما أطالع به ناهضاً بما أنحوه ، ومغنيا عما يتلوه، من غير فكر في عوادي الأسفار ، وعواقب الحل والترحال ، إلى ما اعتمدته من التخفيف لتكافؤ الأحوال بنا وبه في المسير ، ومناصبة الهجير . وأنا الآن أعود لعادتي في خدمته ، واستعمار عهدي من رأيه بمواصلة حضرته .

ومن كتاب له إلى أبي إسحاق الصابي :

علمت كيف تنتظم فرق البلاغة ، وتلتقي طرق الخطابة ، وتتراءى أشخاص البيان ، وتتمايل اعطاف الحسن والإحسان. وقرأت لفظا جليا ، حوى معنى

خفيا ، وكلاما قريبا ، رمى غرضا بعيداً وفصولاً متباينة ، كساها الائتلاف صور المشاكلة ، ومنحها الامتزاج صيغة المضارعة ، ولحمة الموافقة ، فصارت لدلالة الأول منها على الثاني ، وتعلق العجز بالهادي ، فيها أولاد أرحام مبرورة ، وذوات قربى موصولة ، تتعاطف عيونها ، وتتنصف أبكارها وعونها .

ومن كتاب له إليه :

وصل كتاب سيدي بكلام شرف في نفسه ، وكرم في جنسه ، فهو جوهر الفضل والألفاظ اعراض ، وعنصر الأدب والمعاني أغراض . وفهمته فهم من قعدت به الاستطالة عن موقف الشكر فاستسلم ، واكتنفه العجز فسلم وسلم ، وأعيته العبارة عن موجب البر فلاذ بأكناف العجز ، واعتزف بالقصور عن مفترض الحق .

ومن كتاب له إليه :

وصل كتاب مولاي بما قرب الى جناه ، وبعد على مداه ، من محاسن لفظه ونظمه ، ومباره التي ما زال يؤثرني فيها بالرغائب ، ويصفيني منها بالعقائل . فوقفت منه بين اعتبار واقتباس ، واعتذار واغتباط ، واستبصار في موضع الفضيلة . وشكر لما جمع الله لي في وده من المنح الجزيلة ، ووجدت خطابه مفتتحا بشكوى الأيام في انحرافها ومكاره أحداثها ، فاستوحشت منها لاستيحاشه ، واستعديت عليها لاستعدائه ، وشايعت المهجنين لآثارها ، والزارين على أحكامها ، لإعراضها دون آماله ، وقدحها في أحواله . ولم يستبق الجمال لنفسه والفضل لأهله دهر اناخ على مولاي بصرفه ، واختزله دون واجب حقه ، وقد أجبت عن القصيدة وإن كنت اعملت فيها خاطراً قدمته السفر ، وكده الحل والرحل ، وعلى مولاي المعول في ضم نشره ، وتسديد مختله ، وحفظ غيبي فيه [من الطويل] :

وقيتَ أبا إسحاق من حافظٍ عهداً ⁂ وراعٍ لمن يمنى بفرقته ودّا

ومنفــردٍ بالمكرمــات تألّفتْ عليه المعالــي فاستقــلّ بهــا مجدا
بلــوت أخــلاّءَ الـزمــانِ وكلُّهم سواءٌ فلا ذمًّا منحْــت ولا حمدا
ومن يبغِ صفـو الـودّ من كلّ صاحبٍ يكن صبحــه ليلاً ومسعاتــه كدّا
سواك أبــا إسحــاق إنــك والنّدى لأوفاهُــمُ عهــدا وأصفاهُــمُ عقدا
وأبعدهــم في كل مكرمــةٍ مدى وأنظمهــم في جيد مأثــرةٍ عقدا
تلاقــت بنــا الآداب في خير منسبٍ عليه تساقينــا علــى ظمــإٍ بردا
وألّفْــنَ أرواح الصناعــة بيننا فنحــن معــاً والــدار نازحــةٌ جدا[1]
ضلالاً لدهــر أنــت من حسناته ولمــا تكنْ في نيل إحسانــه الفردا
لعاً إنه الدهر العثور وإنه لسيّان من أجْدى عليه ومن أكدى
يميل علـى ذي الفضـل للجهـل ضلّةً يجرّعــه سمــاً ويُبْــدي له شهدا
علـى أنــه سَلْــمٌ لمــن حلّ بالحمى حمى الملك المدعـوّ للدولـة العضدا

* * *

ما أخرج من شعره في عضد الدولة

قال من قصيدة أولها [من البسط]:

ما للنـوى وقفـت دمعـي علـى الطّلل واستودَعَتْنــي مطــايا الحــلّ والرِّحلِ
ترمــي بطرفــك في أطرافهــا فترى ما في الضّمائر من غشٍّ ومــن دَغَل[3]
أريتنــا النقص في رأي الأولـى وضعوا كرْمــان من خوَلٍ عنهــا ومــن فشل
بمائهــا الوشِــلِ معْ تمرهــا الدّقلِ ولصِّهــا البطــلِ وأهْلهــا الهمل[4]
وكم تركْت بهــا للنــاس من مثلٍ وكم نصبْت علـى الأنصـاب من مثل

---

(١) النازحة : البعيدة .

(٢) لعاً : دعاء على العاثر « أي لا أنعشه الله » وأكدى : ضنّ وبخل .

(٣) الدغل : الافساد .

(٤) الوشل : القليل ، والدقل : أردأ أنواع التمر والبيت ليس بشيء .

يفــدي مقامــك فيه الخلــق قاطبةً ... ونحــن نفــديك بالأرواح والمقل
وليس يثبــت في فرع العــلا قدمٌ ... إلا إذا ثبتَتْ في موضــع الزّلل
خلائــق هَذّبَتْهنَّ العــلا فغدتْ ... بين الخلائــق كالإســلام في الملل
اسعِـدْ بوافـدِ نيروزٍ تقابله ... باليمــن والعــزِّ والتـأييد والجذل
واستـأنف العيش مســروراً بجدّته ... في ظلِّ عزٍّ مدى الأيام متّصل

ومن قصيدة قال في آخرها [من الوافر]:

وهــاك تهــز عطفيْهــا اختيالاً ... وتعجــب كلٌّ مستمــع ثناكـا
تسير بهــا الــرواة بكلّ أرضٍ ... وتُطْـرِبُ من أحبَّــك أو قلاكا[1]
نظيرة تربهــا لفظــاً ومعنى ... فدى لك من يقصِّــر عن مداكا
وكلّ الشعــر زورٌ ما خلاه ... وكلّ النـاس زورٌ مـا خلاكا

ومن أخرى فيه [من البسيط]:

الله أكبــر والإســلام قد سلما ... وعـاد شمــل العــلا والمجــد ملتئما
وظــلّ ملْك بنــي العبــاس معتلياً ... لمــا غدا ببغــاة الحــق مدَّعما
بآل بويه أعلــى الله رايتَهُ ... وشــدّ من عقــده ما كان منفصما
سادوا الملوكَ وشادوا المجدَ وابتدروا ... إلـى ذرى أمـدٍ نال السُّهــى شمما[2]
همُ قلادة عزٍّ أنــت واسطةٌ ... فيهــا ، وكلٌّ بمــا قد قلتــه علما

ومنها في وصف السيوف [من البسيط]:

بيضٌ تصافــح بالأيدي مقابضها ... وحدُّهــا صافــح الأعنــاق والقمما
ضحــكْن من خلل الأغمــاد مصلتةً ... حتـى إذا اختلفَــتْ ضربــاً بكْين َ دما

---

(١) القلى : البغض .
(٢) السُّهى : نجم في السماء .

حنَّتْ خراسانُ شوقاً إذ حننْتَ لها حتى كأنكما نازعتما رحما

واهتزَّ منبرها يهفو إليك ، ولو أطاق لاخترق القيعان والأكما

رفعت راياتك اللاتي خفقْن على أسدٍ نقلْن على أكنافها أجما[1]

لا تنتحي بلداً إلا أفضْتَ به عدلاً وأجليت عنه الظّلم والظّلما

سامتْك أبناء سامانٍ فما بلغوا مدى من العزٍّ لم ترفع له علما

وناضلوك عن العليا فكنت بها أولى وأثبتَ منهم في العلا قدما

وصاولوك فكانوا في الوغى نقدا يأبى الصّال وكنت البازل القطما[2]

ومن عضدية في وصف مجلس [من الطويل]:

فيا مجلساً عزّ الخلافة محدقٌ بأقطاره والندّ والنّور والخمرُ

وقد أرجت أرجاؤه وتعطّرتْ بساطع نشرٍ ما يقاس به نشر

وفتّح فيه النرجس الغضُّ أعيناً محاجرها بيضٌ وأحداقها صفر

كأن الشموع المشعلات خلاله ثواكل عبري ما ينهْنهها الزّجر

إذا قطعت منها الرؤوس تضاحكت وكان على قطع الرؤوس لها بشر

ألا يا أمير المشرقين ومن به تفاخرت الدنيا وكان له الفخر

ولم تخلق الدنيا لغيرك فانتظرْ فهذا هو الفأل المحقّق لا الزّجر

وقال من سذقية [من المنسرح]:

ما لي لما بي من الهوى رمق كأنما سدّ دوني الطّرقُ

كأنّ نار الأمير ساطعةً من نار قلبي استعارها السذق[3]

في ليلةٍ باتت النجوم بها حائرةً تنمحي وتنمحق

---

(١) الأجم : الشجر الكثير الملتف .

(٢) الصيال : المواثبة والقتال ، والبازل : الجمل في سنته التاسعة ، والقطم : المتشهي للضراب .

(٣) السذق : ليلة الوقود .

ونخرط الليل في النهار فما يؤنس إلاّ الصباح والشّفق
بكلّ منشورةٍ ذوائبها محمرةٍ من شواظها الأفق[1]

وقال في السكر المبني بشيراز، ويروي لغيره [من الهزج]:

شربنا ذهباً يجري بشاطىء فضّة تجري
وما زلنا على السِّكر نداوي السُّكر بالسُّكر[2]
درينا كيف أصبحنا وأمسينا وما ندري
وفاض الماء فيض البحـ ـر منصبّاً إلى بحر
كجدوي عضد الدو لة في نائله الغمر[3]

* * *

١١٧ ـ أبو أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي

روضة مجد وشرف ، وحديقة فضل وأدب ، وكان أحد أركان الدولة الديلمية ، يكتب لمعز الدولة أبي الحسين برسم المطيع لله ، ويتصرف بالعراق في جلائل الأعمال، ويلاحظ بعين الإعظام والإجلال ، وكان آخذاً بطرفي النظم والنثر . فمن مشهور شعره وجيده ما كتبه إلى القاضي التنوخي [من الكامل]:

شوقي إلى القاضي المنيف بمجده شوقٌ يفوت الوصف أيسر حدِّهِ
وبحسب فرط الأنس كان بقربه قلقي لما قد ساءني من بعده
ولو أنّني مما أحبّ ممكّنٌ لم أعْدُ إغذاذاً أسير لقصدهِ[4]
ووصلت آصال السرى بغدوِّها وقرنْت إرقال المطيِّ بوخده[5]

---

(١) الشواظ : لهبٌ لا دخان معه .
(٢) السِّكر : بالكسر- بناء من صخرٍ وحجاره .
(٣) الغمر : الكثير .
(٤) الإغذاذ : الإسراع في السير .
(٥) الإرقال والوخد : ضربان من سير الابل والمطي : جمع مطيّة ، وهي الدابة .

ولئــن عدمــت سعادتــي بلقائه فلقــد أقمــت علــى رعــاية عهده
وشــكرت سالف برّه وأشعــت محــــــكم ودّه وقضيت واجــب حمده
وعلمــت أنــي إن طلبــت مشاكلاً لعــلاه لم تظفــر يداي بندّه
فقصــرت إخلاصي عليه ممسكا بإخــائــه محظى بمــطلع سعده
من ذا يقــاس إليه في آدابه أو علمــه أو هزلــه أو جـدّه
والمــكرمات بأسرهــا في حزبه والصالحــات جميعهــا مــن عنـده
بجميل شاهــده سالــم غيبه وكريم صحبتــه وخــالص وده
أفــديه من حرٍّ حليفِ مناقبٍ لولا تكامــل فضلــه لم أفْده
لم تجـر أمجــاد الرجــال إلــى مدىً للسّبــق إلا حاز نيل أمـدّه
وكأنّ أضــواء المحاســن كلّها مقدوحــةٌ نـيرانُهــا مـن زنده
فالله يبقيه ويرغـد عيشه ويعــزّه ويعيذنــا مـن فقـده

فأجابه القاضي بقصيدته وهي قوله [من الكامل]:

روحــي فداؤك والــورى من بعده جرّدت سيف صبابتــي من غمدِهِ
عين الإمــام وكـفّــه اليمنــي وحــــــــدّ حسامه الماضـي ووسْطـى عقده
كلفٌ ببــذل المــال يحســب غنْمه في عزمــه ونمــوّه في حصـده
وجــه يجــول البشْـر فيه برونقٍ ماء السّمــاح يفيض من إفرنْده[1]
متنقّــبٌ بحيائــه فكأنمـا شقّ الــربيع شقيقه في خـدّه
ومقابــلٌ من فارس في دوحةٍ أوفــت علــى قحطانــه ومَعَدِّه
هو شدّ من أزر المــكارم والعلا حدثــاً ولــم يبلــغ أوان أشدّه[2]
يفــديه من نوب الزمــان معاشر أحرارهــم لا يلحقــون بعبده
أبــدت مقابحهــم محاســن فعـله والضّــدّ يظهــر حسنُــه فـي ضدّه

---

(١) الإفرند والفرند سواء : وهما ماء السيف ورونقه .
(٢) الأزر : القوة والمساعدة . والحدث : اليافع .

ما كنت أعرف قدر ما خوّلته ... حتى بليت بقربه من بعهده
جاءت ألوكته إليَّ كأنها ... وصل الحبيب اعتضْتَهُ من صدّه[1]
ففتحت حين فتحتها عن روضة ... متفتحٌ حوذانها في ورده[2]
فقرأتها عوداً على بدءٍ كما ... عاد المولىّ في قراءة عهده
يا جنّة الخلد التي أنا نازلٌ ... ما بين كوثرها وطوبى خلده
لو أستطيع ركبت متن الريح أو ... أسريت نحو ذراك مسرى وفده
وهو الزمان فإن يساعد صرفه ... فبجدّه يسعى الفتى لا كدّه

ولأبي أحمد المذكور في وصف سحابة أدركته فاكتسى بكساء حتى أقلعت [من المنسرح]:

خرجت من عندكم فأدركني ... سحابة ذات منظرٍ صلفِ
غمامةٌ كالعمامة انتلفت ... فوق رؤوس المشاة في السُّدف[3]
تنالها كفّ من يزاولها ... تقول للمرء ويك لا تقف
يختطف الأرض وقع صيّبها ... مثل اختطاف المخالب العقف[4]
فوقعه والكساء يدفعه ... وقع سهام الأتراك في الهدف
كأنّما كلّ قطرةٍ وقعت ... عليه درٌّ بدا من الصّدف
لو أن ما ذاب منه يجمد لم ... يصلح لغير العقود والشّنف[5]
فيها من الرعد كالدبادب والـ ... ـصَّنج إذا ما ضرْبنَ في شرف[6]
واشتعل البرق في جوانبها ... مثل السيوف انتضيْن من غلف

---

(١) الألوكة : الرسالة .
(٢) الحوذان : نبات .
(٣) السدف : الظُّلَم .
(٤) الصيّب : المطر ، والعقف : المعقوفة .
(٥) الشّنف : الحلي والأقراط .
(٦) الدبادب : الصياح والضجّة .

قد جمعت حالتين في طلقٍ صوت عذولٍ ودمع ذي لهف
لو كان كلّي لسان ذي نصرٍ بوصفه واحتشدْتُ لم أصف

وكتب إلى الصاحب يشكو إليه علة النقرش وعلو السن ، فقال [من المتقارب] :

إلى الله أشكو ضنى شفنّي وكم قبلةٍ من ضنى قد شفاني
وسقماً ألحّ فما لي بما أحاط برجلي منه يدان
تراني وقد كنت ثبت الجنان إذا الليل جنّ سليب الجنان
أقطع آناءه بالأنين وأرقب للصبح وقت الأذان
أنقّل في موضعٍ موضع فحيث حللت نبا بي مكاني
أؤمل روحاً فيأتي النهار بأضعاف ما بتّ فيه أعاني
أقول أقيل فلا استطيع من ألمٍ ملحفٍ غير واني[1]
فمن ليلةٍ أرونانية ويوم بما ساءني أروناني
أرجيّ تقضّي ما أشتكيه من مرضٍ بتقضّي الزمان
وإني قد جزت حدّ الكهول وناهزت ما عمَّر الوالدان
وجرّمت ستين شمسيّة فسُدَّتْ عليَّ طريقُ الأماني
وأوهتْ عراي ، وهدّت قواي، وليس لما يهدم الدهر باني
وإن كان لا يهتدى صرفه إلى أجل منسإ غير داني[3]
وكنت على ثقة أنه إذا شاء أبرأني مَن براني
فيا من له الخلق والأمر من بعافيةٍ منك تشفي ضماني
وجدْ لي نأي أجلٌ أو دنا بعفو وسعْتَ به كل جاني

(١) الملحف : ملحٍ ومتجدّد .
(٢) أروناني : نسبة الى الأرونان ، وهو الصعب من الأيام ، والشديد في كل شيء .
(٣) المنسأ : المؤخّر .

وهبني لأحمد والمصطفى ن من آله أهل بيت الجنان
همُ عدّتي وبهم أتقي الـ ـعقاب وأرجو خلود الجنان

فكتب إليه الصاحب مجيباً [من المتقارب]:

عناني من الهمّ ما قد عناني فأعطيت صرف الليالي عناني
ألِفْتُ الدموع وعفْت الهجوع فعيناي عينان نضّاختان[1]
لسقمٍ ألحّ على سيّدٍ بد قد غفرْت ذنوب الزّمان
أحاط برجليه جوراً عليه وأني ونعلاهما الفرقدان
وكيف سطا بهما واستطال وأرض بساطهما النِّيران
وهلاّ تجاوزه قاصداً إلى عصبةٍ عصبت بالهوان
إذا ما سعى لطلاب العلا فكلٌّ أوانٍ همُ في توان
وسوف توافيه كفّ الشفاء بما أنشأتُ باسمه من أمان
وتفقأ فيه عيون الزمان عزيز المحل رفيع المكان
ويبقى جمالا لأقرانه وقد قصروا عنه ألفيْ قران
أتتني بالأمس أبياته تعلّل روحي برَوح الجنان
كبرد الشباب وبرد الشراب وظل الأمان ونيل الأماني
وعهد الصّبى ونسيم الصّبا وصفو الدّنان ورجع القيان
فلو أن ألفاظها جسّمت لكانت عقود نحور الغواني
فيا ليت عمري في عمره يزاد ولو أنه حقبتان
فيا مهجة قدمت دونه بغانيةٍ عند ذكر الغواني
أجيب عن الشعر مسترسلاً بطبع شجاعٍ وقلب جبان
فلولا سكوني إلى فضله قبضت بناني بقبضي لساني

* * *

(١) عفت : ملّيت وتركت ونضاختان : دامعتان فائرتان .

١١٨ ـ أبو القاسم علي بن القاسم القاشاني

بقية مشيخة الكتاب المتقدمين في البراعة ، المالكين لأزمة البلاغة المتوقلين في هضاب المجد ، المترقلين في درجات الفضل . وقد أخرجت من نظمه ونثره ما هو ثمرة العقل . وعين القول الفصل .

فصل ـ كتابي أطال الله بقاء مولاي وأنا متردد بين جذل لتجدد بره في خطابه . وبين خجل من قوارع زجره وعتابه . فإذا خليت عنان انسى في رياض مباره ، فرتعت جاذبيته لاعج الإشفاق . فلو كان سوء ظنه بي صادقاً لا اعترفت ، ولعدت منه بحقوي كريم لا يبهظه اغتفار الجرائم، ولا يتعاظمه الصفح عن الجرائر .

فصل ـ علقت هذه المخاطبة والأشغال تكنفني ، وكد الخاطر بأسباب شتى تقتسمني . ووراء ذلك كلال الذهن ، بارتقاء السن، ونقصان الخواطر ، بزيادة الشواغل. واستمرار البلادة ، لمفارقة العادة . وهو والله يعيذه من السوء مقتبل الشباب ، زائد الأسباب، مؤتنف المخايل ، إلى علم لا يدرك مضماره ، ولا يشق غباره . فإذا حملني على مساجلته . فقد عرضني للتكشف، وإن عرضني على محنة التتبع ، فقد سلبني ثوب التجمل .

فصل ـ أظلني من مولاي عارض غيث أخلف ودقه ، وشامني منه لائح غوث كذب برقه ، فقل في حران ممحل أخطأه النوء . وحيران مظلم خذله الضوء .

فصل ـ وصل كتاب مولاي [من الطويل]:

فكم فرحةٍ أَدّى وكم غلةٍ جلا   وكم بهجةٍ أوْلى وكم غمة سلّى

وسألت الله واهب خصال الفضل له ، وجامع خلال النبل فيه ، وحائز جمال المروءة للزمان ببقائه ، ومانح كمال المزية للإخوان بمكانه ، أن يتولى حفظ النعم النفسية . ويديم حياطة المهج الخطيرة ، بصيانة تلك الشيم العلية ، حتى تستوفي

المكارم أعلى حظها في أيامه ، وتحوز الفضائل أقصى غايتها في مضماره [من الطويل] :

فينجح ذو فضلٍ ويكمد ناقصٌ ويبهج ذو ودٍّ ويكمد حاسدُ

فصل ـ وما أرتضى نفسي لمخاطبة مولاي إذا كنت منفي الشواغل، فارغ الخواطر ، مخلى الجوارح ، مطلق الإسار ، سليم الأفكار. فكيف بي مع كلال الجد ، وانغلاق الفهم ، واستبهام القريحة ، واستعجام الطبيعة، والمعول على النية ، وهي لمولاي بظهر الغيب مكشوفة . والمرجع الى العقيدة ، وهي بالولاء المجض معروفة . فلا مجال للعتب بين هذه الأحوال، كما لا مجال للعذر وراء هذا الخلال .

فصل ـ مراتع أهل الفضل موبئة . ووجوده مطالب النزاع مظلمة غير مضيئة، إلا في محل الشيخ الخصيب ، وفنائه المألف الرحيب ، لا جرم أن الآمال عليه موقوفة ، وأعنة الوراد إليه معطوفة ، وداره مقصودة ، وحاله مكدودة، والمنهل العذب كثير الزحام .

فصل ـ إن كان أوداؤه في فضله مستهمين ، وأولياؤه في إحسانه فوضى مشتركين . فلي بحمد الله عفو صنائعه ، وصفو شرائعه. لا أسبق إلى جمامها ، ولا أنازع ثني زمامها، فعلى حسب ذلك تصرفي وتجملي من أقسام ما يحدث عنده ويعرض له ، هذا. وقد بلغني من تشريف الأمير المؤيد إياه بالعيادة ، وإطالته عنده الإقامة ومعه المفاوضة، ما أمكن في نفسي، وقوى ثقتي وأنسى ، فإنه لم يكن إلا سبباً لتجدد هذه النعمة ، وذريعة إلى لباس هذه الرتبة . فالله الذي قرن لمولاي تيسير ما قد قاسى عظيم المجد الذي لا يوازي، وعميم الفخر الذي لا يسامي، ودل بقليل ما مسه على كثير ما وعدت تباشير السعادة من مزيد الكرامة .

فصل ـ قد كان منزله مألف الأضياف ، ومأنس الأشراف ، ومنتجع الركب ،

ومقصد الوفد . فاستبدل بالأنس وحشة ، وبالنضارة غبرة ، وبالضياء ظلمة . واعتاض من تزاحم المواكب تلازم المآتم ، ومن ضجيج النداء والصهيل ، عجيج البكاء والعويل .

وله من كتاب إلى الصاحب أوله هذه الأبيات [من المنسرح]:

إذا الغيوم آرجفن باسقها ... وحفّ أرجاءها بوارقها[1]
وغيّبت للثرى كتائبها ... وانتضيت وسطها عقائقها
وجلجل الرعد بينها فحكى ... خفقَ طبولٍ ألحّ خافقها
وابتسمت فرحةً لوامعها ... واختلفت عبرةً حمالقها[2]
وقيل طوبى لبلدةٍ نتجت ... بحقّ أكنافها فوارقها[3]
أية نعماء لا تجلّ بها ... وأيّ بأساء لا تفارقها
فليسق غيث الندى أبا القاسم الـ ... ـمقرم وزير الأيام وادقها
تحكي سجاياه هزّةً وندىً ... وأين من خلقه خلائقها
ولتهد ريح الصبا محمّلةً ... أنفاس طيب أمست تعانقها
في روضة لا النعيم سابقها ... ولا نسيم الرياض لاحقها
جاور حوذانها بنفسجها ... وزان ريحانها شقائقها[4]
هبت رخاء مريضة فشفت ... مرضي وشاق النفوس شائقها
لم تبق منه النوى سوى كبدٍ ... تدمي وعينٍ تجري سوابقها
إني وإن غالب الهوى جَلَدي ... صبراً لصادي الأحشاء خافقها
ذكري لأيامنا التي غفلت ... عنها العوادي ونام رامقها[4]

---

(١) أرجفن : حرّكن ، والباسق : العالي .
(٢) الحمالق : العيون.
(٣) الفوارق : جمع فارقة ، وهي الناقة يأخذها المخاض.
(٤) الحوذان : نبات.
(٥) الرامق : المتطلّع.

إذ النوى لا تروعنا وإذ الـ ... أيام مأمونةٌ بوائقها[1]
والله لو أنَّ ما أكابده ... بهضب رضْوى خرّت شواهقها

هذه أطال الله بقاء مولاي نتائج أريحية ، أثارها مخاطبات مولاي التي هي انقع لغلتي من برد الشراب، وأعذب إليّ من برد الشباب. فجاش الصدر بما أبرأ إليه من عهدته، وأسكنه ظل أمانه وذمته ، ليسبل عليه ستر مودته ويتأمل بعين محبته . نعم وقد محا الزمان آثار إساءته إليّ ، بما أسعفني به من إقبال مولاي علي ، وتتابع بره في مخاطباته لدي . فكل ذنب لهذه النعمة مغفور ، وكل جناية بهذا الإحسان معمور.

فأجاب الصاحب بكتاب صدره هذه الأبيات [من المنسرح]:

بدت عذارى مدَّتْ سُرادقها ... وأقسم الحسنُ لا يفارقها
كواعبٌ أخرستْ دمالجها ... عنّا وقد أنطقت مناطقها[2]
خراعبٌ حقّها وصائفُها ... تشي بأبدانها قراطقها[3]
صينت عن العطر أن يطيبها ... إلا الذي حملت مخانقها
أم روضة أبرزت محاسنها ... ومايني قطرها يعانقها
فأورد الورد غصنها بدعا ... وشقّ عن أرضها شقائقها
وأعشت الناظرين حليتها ... وشاق أحداقهم حدائقها[4]
أم أشرقت فقرة بدائعها ... حديقة زانها طرائقها[5]
أتى بها بالكمال ناسجها ... وزانُها بالجمال ناسقها

---

(١) البوائق : المصائب والشدائد.
(٢) المناطق : من النطق ، أو جمع منطقة وهي ما يشدّ بها الوسط .
(٣) الخرعبة : الحسناء في بياضٍ وسمن وطراوة والقراطق ضربٌ من الثياب.
(٤) أعشت : أضعفت
(٥) الفقرة : نبات.

لله حـلف العـلا أبـو حسن وقـد جـرت للعـلا سوابقها
فحـاز خصـل الـرهـان عن كثب وفرّجـتْ عنـده مضايقهـا
لله تـلك الألفـاظ حـامـلةً غـرَّ معـانٍ تُعْيي دقـائقها
يكـاد إعجـازهـا يشكـكها في سـوَرٍ أنهـا تـوافقهـا
أهـدي سلامـاً حكى السلامـة من أسقـام سوءٍ يخـاف طـارقها[1]
كـأنّـه دارنـا ولـم يـرها نـاعبهـا للنـوى ونـاعقـها
كأنّهـا غفـلـة الـرقيب وقـد مكنـتُ مـن نظـرةٍ أسـارقها
أهــديت منـه مـا لـو تحمّلـه الـ أيام لـم يستقـلّ عـاتقها[2]
تحـدو بـه صبـوةً ركـائبها راتـكةً لا يميل سـائقـها[3]
خذهـا وقـد أحصـدت وثائقها وأُلحقـت بالسّهـى سـواهقـها
نـاشدتـك الله حين تنشدها وخلّـةً لا يخيـل صـادقها
إلاّ تعمّـدت رفـع رايتها ليمـلأ الخـافقيـن خـافقها
نعـم وعش في النعيم ما طلعت شمس نهـارٍ وذرَّ شارقها[4]

هذه أطال الله بقاء مولاي أبيات علقتها والروية لم تعتلقها ، واعتنقت فيها والفكرة لم تعتنقها، لا ثقة بالنفس ووفائها ، وسكونا إلى القريحة وصفائها ، بل عِلماً بأني وإن أعطيت الجهد عنانه ، وفسحت للكد ميدانه . لم أدان ما ورد من ألفاظ أيسر ما أصفها به الامتناع عن الوصف ان يتقصاها . والبعد عن الإطناب ان يبلغ مداها ، ولقد قرع سمعي منها ما أراني العجز يخطر بين أفكاري، والقصور يتبختر بين أقبالي وإدبـاري . إلـى أن فكرت أن فضيلـة المولـى يشتمـل عبـده ويخيم ، وإن تصرفت عنده ، فثاب الى خاطر نظمت به ما إن طالعه صفحاً وجوداً

(١) الطارق : النازل ليلاً.
(٢) العاتق : ما بين المنكب والعنق.
(٣) رتك البعير : قارب بين الخطا.
(٤) ذرَّ شارقها : ظهرت أشعتها .

رجوت ان يحظى بطائل القبول، وأن يتبعه نقداً تراجع على أعقاب الخمول، هذا ولا عار على من سبقه سباق الزمان ، المستولي على قصب الرهان .

* * *

ومن مشهور شعر علي بن القاسم وجيده قوله [من الطويل]:

وإنـــي وإن قصـــرت عن غير بغضةٍ ... لراعٍ لأســـبـاب المـودّة حافظُ
ومـا زال يدعونـي إلـى الصدٍّ ما أرى ... وآبـــي فتثنينـــي إليك الحفـــائظ
وأنتظـر العقبـى وأغضـي علـى القذى ... ألاين طـوراً فـي الهــوى وأغـالظ
وأسـتمطــر الإِقبـــال بالــودّ منكمُ ... وأصبـــر حتـــى أوجعتنـــي المغايظ
وجرّبت ما يسلي المحـــب عن الهوى ... وأقصـرت والتجـــريب للمـرء واعـظ

الباب الخامس

في ذكر شعراء البصرة ومحاسن كلامهم

١١٩ ـ القاضي التنوخي أبو القاسم علي ابن محمد بن داود بن فهم

من أعيان أهل العلم والأدب وأفراد الكرم، وحسن التسيم ، وكان كما قرأته في فصل للصاحب : إن أردت فإني سبحة ناسك ، أو أحببت فإني تفاحة فاتك . أو اقترحت فإني مدرعة راهب ، أو آثرت فإني نخبة شارب . وكان يتقلد قضاء البصرة والأهواز بضع سنين ، وحين صرف عنه ورد حضرة سيف الدولة زائراً ومادحاً، فأكرم مثواه ، وأحسن قراه ، وكتب في معناه إلى الحضرة ببغداد، حتى أعيد إلى عمله ، وزيد في رزقه ورتبته ، وكان المهلبي الوزير وغيره من وزراء العراق يميلون إليه جداً . ويتعصبون له ويعدونه ريحانة الندماء، وتاريخ الظرفاء. ويعاشرون منه من تطيب عشرته ، وتلين قشرته، وتكرم أخلاقه ، وتحسن أخباره ، وتسير أشعاره، ناظمة حاشيتي البر والبحر، وناحيتي الشرق والغرب.

وبلغني أنه كان له غلام يسمى نسيما ، في نهاية الملاحة واللباقة ، وكان يؤثره على سائر غلمانه ، ويختصه بتقريبه واستخدامه، فكتب إليه بعض من يأنس به يقول [من الرمل] :

هل على من لامه مدغمٌ   لاضطرار الشعر في ميم نسيمِ

فوقع تحته : نعم ولم لا ؟!

ويحكى أنه كان في جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبي، ويجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة ، والتبسط في القصف والخلاعة. وهم ابن قريعة ، وابن معروف، والقاضي التنوخي وغيرهم . وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها ، وكذلك كان الوزير المهلبي ، فإذا تكامل الأنس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه، وهبوا ثوب الوقار ، وتقلبوا في أعطاف العيش، بين الخفة والطيش ، ووضع في يد كل واحد منهم كأس ذهب من ألف مثقال إلى دونها مملوء شراباً قطربلياً أو عكبريا فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشرب أكثره ، ويرش بها بعضهم على بعض، ويرقصون أجمعهم، وعليهم المصبغات ومخانق البرم[1] والمنثور، ويقولون كلما يكثر شربهم هرهر . وإياهم عنى السري بقوله [من المنسرح]:

مجالسٌ ترقص القضاة بها ... إذا انتشوا في مخانق البرمِ
وصاحبٍ يخلط المجون لنا ... بشيمةٍ حلوةٍ من الشّيم
تخضب بالراح شيبة عبثاً ... أناملٌ مثل حمرة العنم[2]
حتى تخال العيون شيبته ... شيبة فعلانَ ضرّجتْ بدم

فإذا أصبحوا عادوا لعادتهم في التزمت والتوفر والتحفظ بأبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء .

وقد أخرجت من غرر شعر التنوخي ما هو من شرط الكتاب فمن ذلك وصف الليل والنجوم بقوله [من الخفيف]:

ربّ ليلٍ قطعته بصدود ... وفراقٍ ما كان فيه وداعُ

---

(١) البرم : نوع من الثياب.
(٢) العنم : شجرة صغيرة دائمة الخضرة لها ثمر أحمر تتخذ للصباغ .

موحشٍ كالثقيل تقـذى به العيــــن وتأبـى حـديثـه الأسمـاع
وكـأنّ النجـوم بيـن دجـاه سنـنٌ لاح بينهـن ابتـداع[1]
مشرقـاتٌ كـأنّهـن حجـاجٌ تقطـع الخصـم والظـلام انقطاع
وكـأن السمـاء خيمـة وشيٍ وكـأنّ الجـوزاء فيهـا شـراع
كان ليلاً فصيّرتْـهُ نهاراً كتـبٌ تكْبِتُ العـدى ورقاع[2]

وقوله [من السريع]:

كأنّمـا المـرّيخ والمشتري قدامـه في شامـخ الرفعَهْ
منصـرف بالليل عن دعوةٍ قد أسرجـوا قدّامـه شمعه[3]

وقوله (وعهدي بأبي بكر الخوارزمي يستظرفه) [من الرجز]:

وجـاء لاجـاء الـدّجـى كـأنه من طلعـة الواشـي ووجـه المرتقبْ
وفعـل الـظّلام بالضيـاء ما يفعلـه الحـرف بأبنـاء الأدب

وقوله [من الطويل]:

كأنّ النجـوم الزهـر في غلس الدجى سنـا أوجـه العـافين في سنَـة الردِّ[4]
وقـذ أبطـأت خيل الصبـاح كأنّها بخيلٌ تباطا حين سيل عن الرّفد[5]

وقوله أيضاً [من الطويل]:

وليلـة مشتـاقٍ كـأنّ نجومـها قد اغتصبـتْ عين الـكرى وهـي نوّمُ
كأنّ عيون الساهـرين لطولها إذا شخصت للأنجـم الـزهـر أنجم[6]

(١) السنن : الشرائع والابتداع: من البدعة التي ليست من الشريعة.
(٢) تكْبتهمْ : تحيرهم فلا يدرون جوابا.
(٣) أسرجوا : أوقدوا وأشعلوا وأناروا .
(٤) سنة الردّ : سنة الدّخل والريع ، أي السنة المخصبة .
(٥) الرفد : العطاء .
(٦) شخصت : نظرت وتطلعت .

كأنّ سواد الليل والفجر ضاحكٌ يلوح ويخفي أسودٌ يتبسّم

وقال في غور الكواكب عند الصباح [من البسيط]:

عهدي بها وضياء الصبح يطفئها كالسُّرج تطفأ أو كالأعين العور
أعجب به حين وافى وهي نيرةٌ فظلّ يطمس منها النور بالنور

وقال من سائر الأوصاف والتشبيهات [من مجزوء الرمل]:

بات يسقيني ويشربْ ذهباً للهم مذهبْ
شادنٌ يحمل ماءً فيه نارٌ تتلهّبْ
وردةٌ ضاحكةٌ عن أقحوانٍ حين يقطب
لو أدرناها على ميتٍ لكان الميت يطرب
ليت شعري أسروراً أم مداماً بتُّ أشرب
صبّ في الكاسات منها كالشّهاب المتصوّب(١)
فرأيت الرّاح شرقاً ورأيت الهمّ مغرب
غُصُنٌ فوق كثيبٍ ونهارٌ تحت غيهب
لك منه مطربٌ يرضيك إن شئت ومضرب
جنّةٌ عذّبت فيها بتجنٍّ وتجنّب(٢)
هل رأيتم أحداً قبلي بالجنّة عُذِّب ؟
بأبي أنت وأمي من بعيدٍ حين تقرب
ليَ قلبٌ كيف ما قلّبه الله يقلّب.
وجفونٌ يغضب الغمض عليها حين يغضب
ربّ ليلٍ كتجنيك مقيمٌ ليس يذهب

---

(١) المتصوّب : الهابط والمنطلق.
(٢) التجنّب : الهجر.

قـد قطعنـاه بـعـزمٍ كـالحـريـق المتـلهـّب
وكـأنّ البـرق لمـا لاح فيـه يتنصّب
كـاتـبٌ من فوق فرع الـغيم بالعقيان يـكتب
وكـأنّ الـرعـد حـادٍ أو منـادٍ أو مثـوّب
ونجـومُ الليـل وقـفٌ كـلآلٍ لـم تثقـب
وبـد البـدر كسيـفٍ فـي يـد الجـوزاء مُـذْهب

وقال ، وهو من قلائده [من المتقارب] :

وراحٍ من الشـمس مخلوقـةٌ بدت لك في قدحٍ من نهارِ
هـواءٌ ولـكنّـه ساكنٌ ومـاءٌ ولـكنّـه غير جاري
إذا ما تأملتهـا وهـي فيه تأمّلـت نـوراً محيطـاً بنـار
ومـا كان في الحـق أن يجمعا لبعـد التدانـي وفـرط النّفار[1]
ولـكن تجـانس معناهمـا الـبسيطـان فاتفقـا في الجوار
كأنّ المـدير لهـا باليمين إذا مال للسقـي أو باليسار
تدرّع ثـوبـاً من الياسمين لـه فـرد كمٍ من الجلنار[2]

وقال في وصف دجلة والقمر [من الكامل] :

لم أنس دجلة والدجى متصوّب والبـدر في أفق السماء معرّبُ
فكأنها فيـه بسـاطٌ أزرقٌ وكأنّه فيهـا طرازٌ مُذْهب

وقال أيضاً في الروض [من الخفيف] :

ورياضٍ حاكت لهـنّ الثريا حلـلاً كان غزلهـا للرعودِ
نثـر الغيث درّ دمـعٍ عليها فتحلّـت بمثـل درّ العقود

---

(١) فرط النّفار : كثرته .

(٢) تدرّع : أي لبس.

أقحوانٌ معانقٌ لشقيقٍ كثغور تعضّ ورد الخدود
وعيونٌ من نرجس تتراءى كعيونٍ موصولة التسهيد
وكأنَّ الشقيق حين تبدي ظلمة الصدع في خدود الغيد
وكأنَّ الندى عليها دموعٌ في جفونٍ مفجوعةٍ بفقيد

وقال في البرد [من البسيط] :

وليلةٍ ترك البرد البلاد بها كالقلب أشعر بأساً وهو مثلوجُ
فإن بسطت يداً لم تنبسط خصراً وإن تقلّ فقل لي فيه تثليج[1]
فنحن منه ولم نخرسْ ذوو خرسٍ ونحن منه ولم نفلج مفاليج[2]

وقال فيه أيضاً [من البسيط] :

أما ترى البرد قد وافتْ عساكره وعسكر الحر كيف انصاع منطلقا
والأرض تحت ضريب الثلج تحسبها قد ألبست حبكاً أو غُشِّيت ورقا[3]
فانهضْ بنارٍ إلى فحمٍ كأنّهما في العين ظلمٌ وإنصافٌ قد اتفقا
جاءت ونحن كقلب الصبّ حين سلا برداً فصرنا كقلب الصّب إذ عشقا[4]

وقال من قصيدة كثيرة العيون ، وكان الصاحب يفضلها على سائر شعره ، ويرى أنها من أمهات قلائده [من الكامل] :

أحببْ إليَّ بنهرِ معقلٍ الذي فيه لقلبي من همومي معقلُ[5]
عذبٌ إذا ما عبَّ فيه ناهلٌ فكأنّه في ريق حبٍّ ينهل[6]

---

(١) الخصر : البارد.
(٢) الفلج : من الفالج الذي يصاب به المرء وهو نوعٌ من الشلل .
(٣) الضريب : الصقيع ، والصنف.
(٤) الصبّ : العاشق ، وسلا : نسي وتصبّر.
(٥) المعقل : من العقال وهو السجن والتقييد .
(٦) عبّ الماء : شربه بشوق.

متسلسلٌ وكأنّه لصفائه دمعٌ بخدَّيْ كاعبٍ يتسلسل
وإذا الرياح جريْن فوق متونه فكأنه درعٌ جلاها صيقل
وكأنّ دجلة إذ يغطمط موجها مللٌ يُعظّم خيفةً ويبجّل[1]
وكأنها ياقوتةٌ أو أعينَ زرقٌ تلائم بينها وتوصل
عذبتْ فما تدري أماءٌ ماؤها عند المذاقة أم رحيقٌ سلسل
ولها بمدٍّ بعد جزرٍ ذاهبٍ جيشان يدبر ذا وهذا يقبل
وإذا نظرت الى الأبلّة خلتها من جنة الفردوس حين تخيّل[2]
كم منزلٍ في نهرها آلى والسرو ر بأنه في غيره لا ينزل
وكأنما تلك القصور عرائسٌ والروض فيه حليٌّ خودٍ ترفل
غنّتْ قيان الطير في أرجائها هزجاً يقل له الثقيل الأول
وتعانقت تلك الغصون فأذكرت يوم الوداع وغيرهم يترحل
ربع الربيع به فحاكت كفّه حللاً بها عقد الهموم تحلل[3]
فمدبّجٌ وموشّحٌ ومدنّرٌ ومعمّدٌ ومحبرٌ ومُهلْهَل
فتخال ذا عيناً وذا ثغراً وذا خداً يعضّضُ مرةً ويقبّل

وكتب إلى الوزير المهلبي ، وقد منعه المطر من خدمته [من الطويل] :

سحابٌ أتى كالأمن بعد تخوُّفِ له في الثرى فعل الشفاء بمدنفِ[4]
أكبّ على الآفاق إكباب مطرقٍ يفكّر أو كالنادم المتلهّفِ
ومدّ جناحيه على الأرض جانحاً فراح عليها كالغراب المرفرف
غدا البرُّ بحراً زاخراً وانثنى الضّحى بظلمته في ثوب ليلٍ مسجّف[5]

---

(١) يغطمط : يموج ويضطرب.
(٢) الأبلّة : الشجر المثمر الذي تسقيه المياه وخلتها : حسبتها.
(٣) حاكت : نسجت .
(٤) المدنف : المريض المشرف على الهلاك .
(٥) السجفة : شدة الظلام.

يعبّس عن برقٍ به متبّسمٍ عبــوس نحيلٍ في تبسّـم معنف
تحاول منه الشـمس في الجـوّ مخرجاً كما حاول المغلوب تجـريد مرهف[1]

أين هذا من قول ابن المعتز [من الوافر]:

تحـاول فتـق غيمٍ وهـو يأبى كُعنيِّنٍ يـريـد نـكاح بكرِ[2]

رجع :

فأتــرع ماءً وارد حـوضه أسلســال ماءٍ أم سلافـةِ قرقفِ[3]
أتــى رحمــةً للنــاس غيري فإنه علــيَّ عذابٌ مالــه من تكشُّف
سحابٌ عدانـي عن سحـابٍ وعارض منعــت به من عارضٍ متكفْكف

أخذه من قول الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك وهو [من الخفيف]:

لســت أدري ماذا أذمّ وأشكو من سمــاءٍ تعوقنــي عـن سماءِ
غير أنــي أدعــو علــى تيك بالشكـــــــل وأدعــو لهـذه بالبقاء

الجواب من الوزير المذكور [من الطويل]:

أتــت رقعـةُ القاضـي الجليل فكشّفتْ وســاوس محـــزون الفــؤاد مـلهّفِ
فأهــدت نظامــاً مـن قريضٍ كأنه نظــام لآلٍ أو كوشـيٍ مُفوّف[4]
تكامــل فيه الظـرف والشــكل مثلما تكامــل في مُهــديهِ كلُّ التظّرَفُ
حوى منتهـى الحسنــى بأول خاطرٍ يكلّفــه في الشعــر ترك التكلّف

(١) المرهف : الماضي من السيوف.
(٢) العنّين : العاجز في فحولته .
(٣) أترع : أشرب ، والقرقف : من أسماء الخمر.
(٤) النظام : العقد ، والقريض : الشعر والمفوّف : المزيّن والمنمّق.

قال في وصف قصيدة [من مجزوء الكامل] :

وقصيدةٍ ألفاظها في النظم كالدرّ النثيرِ
جاءت إليّ كأنها التوفيق في كلّ الأمور
بأرقّ من شكوى وأحسن من حياةٍ في سرور
لو قابلتْ أعمى لأضحى وهو ذو طرْفٍ بصير
فكأنّها أملٌ تحقّق بعد يأسٍ في الصدور
أو كالفقيد إذا أتت بقدومه بشرى البشير
أو كالمنام لساهرٍ أو كالأمان لمستجير
أو كالشفاء لمدنفٍ أو كالغني عند الفقير
وكأنّما هي من وصالٍ أو شبابٍ أو نشور[1]
لفظٌ كأسر معاندٍ أو مثل إطلاق الأسير
وكأنه إذ لاح من فوق المهارق والسطور[2]
ورد الخدود إذا انتقلت به على درّ الثغور
غررٌ غدت وكأنّها من طلعة الظبيّ الغرير[3]
من كلّ معنى كالسلامة أو كتيسير العسير
كتبت بحبرٍ كالنّوى أو كفر نعمى من كفور
في مثل أيام التواصل أو كاعتاب الدهور
أهديتها ياخير من يختار في كرمٍ وخير

وقال في ثوف كتاب [من مجزوء الكامل] :

وافى كتابك مثلما وافى لمفقودٍ بشيرُ

---

(١) النشور : البعث من جديد.
(٢) المهارق : جمع مهرق ، وهي الصحيفة.
(٣) الغرير : الجميل ، والخَلْق الحسن.

وكأنّه الإقبال جا ء أو الشّفاء أو النّشور
كأنّه شرخ الشبا ب وعيشه الغضّ النضير
وافى وعير الليل وا قفةٌ الركائب لا تسير
فأضاء لي من كلّ فـجٍ منه فجرٌ مستنير
وارتدّ طرف الدهر عنّي وهو مطروفٌ حسير[1]
ورأيت أفلاك السرو ر بكلّ ما أهوى تدور
وفضّضته فكأنّه أثواب وشيٍ أو حبير[2]
خطٌ وقرطاسٌ كأنّهما السوالف والثغور
وكأنّه ليلٌ يلو ح خلاله صبحٌ منير
ما بين خطٍ كالحيا ة إذا استتبّ لها السرور
وبدائعٍ تدع القلو ب تكاد من طربٍ تطير
في كل معنى للغني يحويه محتاج فقير
أو كالفكاك يناله من بعد ما يأسٍ أسير[3]
أو كالسعادة أو كما يتيسر الأمر العسير
فاسلم ودم ما دام ذو سلمٍ وما أرسى ثبير[4]

وكتب إلى أبي أحمد بن ورقاء قصيدة أولها مستحسن جداً وهو [من الطويل]:

أسيرٌ وقلبي في هواك أسير وحادي ركابي لوعةٌ وزفيرُ
ولي أدمعٌ غزرٌ تفيض كأنّها جَداً فاض في العافين منك غزير[5]

---

(١) الحسير : المنكفىء الخائب.
(٢) الحبير : الناعم الجديد من الثياب.
(٣) الفكاك : التحرّر من القيد وغيره .
(٤) ذو سلمٍ : اسم مكان ، وثبير : إسم جبل.
(٥) الجداء : العطاء .

وطـرفٌ طريفٌ بالسّهـاد كأنه   لهـاك وجيش الجـود فيه مغير.
ريـاضـكمُ خضـرٌ يـرفُّ نباتها   ونـوءكم رطـبُ السّحـاب مطيـر
وجـوهٌ كـأكبـاد المحبين رقّةً   ولـكنهـا يـوم الهياج صخور

وكتب إلى بعض أصدقائه قصيدة منها [من الطويل] :

كتبـت وليـلـي بـالسّهـاد نهـار   وصـدري لورّاد الهمـوم صدارُ[1]
ولـي أدمـعٌ غزَرٌ تفيض كأنها   سحائـب فاضـت مـن يديك غزارُ
ولـم أر مثـل الدمـع ماءً إذا جرى   تلهّب منـه فـي المدامـع نار
رحلـت وزادي لـوعـةٌ ومطيتي   جوانـح من حرّ الفـراق حرار
مسيرٌ دعـاه النـاس سيراً توسّعاً   ومعنـىً آسمـه إن حقّقـوه إسار
إذا رمـت أن أنسـى الأسـى ذكّرتْ به   ديارٌ لهـا بين الضـلـوع ديار
لك الخير عن غير اختياري ترحّلي   وهـل لي علـى صرف الزمـان خيار
وهـذا كتابـي والجفـون كـأنّما   تحـكّم فـي أشفارهـنّ شفار[2]

الغـزل من شعره

قال [من الكامل] :

حَوَرٌ بعينيْه أطال تحيّري   ترك الـدمـوع كخدِّه المتعصفرِ
غصـنٌ تأوّد فوق دعصٍ من نقا   ليلٌ تبلّـج عـن نهـارٍ مسفر[3]
كالشـمس إلا أنـه متنفّسٌ   عـن مسـكةٍ متبسّـمٌ عن جوهر
وأطـال من ليلـي وقصّـر ليلة   أنّـي سهـرت وأنـه لم يسهـر

(١) الصدار : ثوب بلا كمّين يغطي الصدر فوق القميص الخارجي.
(٢) الشّفار : السيوف القاطعة ، أو كلّ حدٍّ قاطع.
(٣) التأوّد : الميل والانعطاف.

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل] :

بأبي وجهك لو أشبهه منك الضيعُ
أنت بدرٌ ماله في فلك الوصل طلوع

وقال أيضاً [من الطويل] :

رضاك شبابٌ لا يليه مشيب وسخطك داءٌ ليس منه طبيبُ
كأنك من كلّ النفوس مركّبٌ فأنت إلى كل النفوس حبيب

وقال في أمرد جسيم [من البسيط] :

قالوا عشقت عظيم الجسم قلت لهمْ الشمس أعظم جرمٍ حازه الفلكُ
من أين أستر وجْدي وهو منهتكٌ ما للمتيَّم في فتك الهوى درك[1]

وقال فيه [من الوافر] :

لبستْ نحافة الغصن النحيف وذبْت سوى ذماءٍ في ضعيفِ
يحوريٍّ المحاسن والمعاني وإنسيٍّ المخايل والأليف
له في كلّ عضوٍ دعصُ رملٍ ثقيل الجسم ذو روحٍ خفيف
أأعشق لا عشقت أخا نحولٍ سوى أني أخو الخلق الظريف
إذا لمسْته كفّي لم تلامس سوى جلدٍ على عظمٍ نحيف

ومما أنشدت له ، ولم أجده في ديوانه [من السريع] :

قلت لأصحابي وقد مرّ بي منْتقباً بعد الضيّا بالظّلمْ[2]
بالله يا أهل ودادي قفوا كي تبصروا كيف تزول النعم

* * *

(١) المتيّم : العاشق ، والدرك : من تدارك الشيء : تلافاه قبل وقوعه .
(٢) المنتقب : المستتر .

١٢٠ ـ ابنه أبو علي المحسن ابن القاضي [التنوخي]

هلال ذلك القمر ، وغصن هاتيك الشجر ، والشاهد العدل لمجد أبيه وفضله ، والفرع المثيل لأصله ، والنائب عنه في حياته . والقائم مقامه بعد وفاته ، وفيه يقول أبو عبد الله بن الحجاج [من الوافر]:

إذا ذكر القضاة وهم شيوخ   تخيّرت الشباب على الشّيوخِ
ومن لم يرضَ لم أصفعْه إلاّ   بحضرة سيدي القاضي التّنوخي

وله كتاب الفرج بعد الشدة، وناهيك بحسنه. وإمتاع فنه . وما جرى من الفأل بيمنه ، لا جرم أنه أسير من الأمثال . وأسرى من الخيال .

أخبرني أبو نصر سهل بن المرزبان أنه رأى ديوان شعره ببغداد أكبر حجما من ديوان شعر أبيه ، وان بعض العوائق حال بينه وبين تحصيله حتى فاته . واشتد الأسف عليه ، ولو تقدر له استصحابه كسائر الدواوين البديعة لكنت اتفسح في الانتخاب منه . ولكني الآن مقل من شعره . وسيقع لي ما أتكثر به وألحق المختار منه بمكانه من هذا الباب بمشيئة الله تعالى وعونه ومما علق بحفظ أبي نصر المذكور وأنشدنيه للقاضي أبي علي قوله ، وهو معنى ظريف ما أراه سبق إليه، وهو [من الطويل]:

خرجنا لنستسقي بين دعائه   وقد كاد هدب الغيم أن يبلغ الأرضا[١]
فلما ابتدا يدعو تقشّعت السما   فما تمّ إلا والغمام قد انفضّا[٢]

---

(١) يمن الدعاء : خيره وبركته .
(٢) تقشّعت : أي انكشفت وزال الغمام عنها وانفضّ المجلس: تفرّق بعد عقده.

وأنشدني غيره له ، وأنا مرتاب به لفرط جودته ، وارتفاعه عن طبقته ، [من الطويل] :

أقول لها والحيّ قد فطنوا بنا ... وما لي على أيدي المنون براحُ[1]
لِما ساءني أن وحّشتني سيوفهم ... وأنك لي دون الوشاح وشاح

ومما أنشده لنفسه في كتاب الفرج بعد الشدة [من الطويل] :

لئن أشمت الأعداء صرفي ورحلتي ... فما صرفوا فضلي ولا ارتحل المجدُ
مقامٌ وترحالٌ وقبضٌ وبسطةٌ ... كذا عادة الدنيا وأخلاقها النّكد

كأنه نسج على منوال المتنبي حيث قال [من الطويل] :

على ذا مضي الناس : اجتماعٌ وفرقةٌ ... وميتٌ ومولودٌ ، وقالٍ ووامقُ[2]

ومما ينسب إليه قوله لبعض الرؤساء في التهنئة بشهر رمضان [من الخفيف] :

نلت في ذا الصيام ما ترتجيه ... ووقاك الإله ما تتّقيهِ
أنت في الناس مثل شهرك في الأشهـ ... ـر بل مثل ليلة القدر فيه

وأنشدني له غير ثقة وهو متنازع [من الكامل] :

قلْ للمليحة في الخمار المذْهبِ ... أفسدْتِ نسكَ أخي التّقي المترّهبِ[3]
نور الخمار ونور وجهك تحته ... عجباً لوجهك كيف لم يتلهّب
وجمعت بين المذهبيْن فلم يكن ... للحسن عن ذهبيْهما من مذْهب
فإذا بدتْ عينٌ لتسرق نظرةً ... قال الشعاع لها اذهبي لا تذهبي

* * *

(١) البراح : المتسع من الأرض ، أو الظهور والبيان .
(٢) القالي : المبغضص ، والوامق ، المحبّ .
(٣) النسك : التعبّد والزهادة .

وأما ابنه أو القاسم علي فلم يبلغني بعد شعره ، وقد بلغني ذكره على لسان أبي الحسن علي بن موسى الكرخي . وقد أوردت ما أنشدنيه عنه لأبي المطاع ذي القرنين ابن ناصر الدولة أبي محمد في باب الأمراء من بني حمدان فليراجع .

* * *

١٢١ ـ ابن لنكك البصري ، أبو الحسن محمد بن محمد

فرد البصرة وصدر أدبائها وبدر ظرفائها في زمانه ، والمروع اليه في لطائف الأدب وظرائفه طول ايامه . وكانت حرفة الأدب تمسه وتجشمه ، ومحنة الفضل تدركه فتخدشه ، ونفسه ترفعه ، ودهره يضعه ، واتفق في أيامه هبوب الريح للمتنبي[1]، وعلو رتبته ، وبعد صيته ، وارتفاع مقدار ابي رياش اليمامي ، وسمو نجمه ، ونفاق سوقه ، وفوزهما بالمراتب والحظوظ دونه وسعادتهما من الأدب بما شقي به ، وحصل أبو الحسن على ثلبهما ، والتشفي بذمهما ، والقعود تحت المثل السائر « أوسعتهم ذما وأودوا بالإبل » وأكثر شعره ملح وظرف ، خفيفة الأرواح ، تأخذ من القلوب بمجامعها . وتقع من النفوس أحسن مواقعها . وجلها في شكوى الزمان وأهله ، وهجاء شعراء أهل عصره ، وما أشبه شعره في الملاحة وقلة مجاوزة البيتين والثلاثة ، إلا بشعر كنية أبي الحسن بن فارس . وأقدر أنه في الجبال، كهو في العراق، وكان يقال في منصور الفقيه: إذا رمى بزوجته قتل ، وكذلك ابن لنكك إذا قال البيت والبيتين والثلاثة أغرب بما جلب ، وأبدع فيما صنع ، فأما إذا قصد القصيد فقلما يفلح وينجح ، وبلغني ان الصاحب كتب على ظهر جزء من شعر ابن لنكك [من المجتث] :

شعر الظّريف ابن لنكك   مهذّبٌ ومحكّكْ[2]

---

(١) كناية عن الشهرة .
(٢) المحكّك : المراجع والمتقن .

مـذهّـبٌ وممسـكٌ بمثـلـه يتمسّـك

* * *

ما أخرج من شعره في الشكوى، وذم الزمان وأهله

قال [من مجزوء الرمل]:

يـا زمـانـاً ألبس الأحـرار ذلاًّ ومهـانَـهْ
لسـت عنـدي بـزمـانٍ إنّمـا أنـت زمِانهْ[1]
كيف نرجـو منـك خيراً والعـلا فيـك مهـانه
أجنـونٌ مـا نـراه منـك يبـدو أم مجـانه[2]

وقال أيضاً [من الطويل]:

زمـانٌ رأينـا فيه كلّ العجائب وأصبحـتِ الأذنـاب فـوق الذّوائبِ
لو انَّ علـى الأفـلاك ما في نفوسنا تهافتـتِ الأفـلاك مـن كلّ جانب

وقال أيضاً [من الوافر]:

عجائـب فـي زمانـك شاهـدات علـب خـرف مـن الفَلَك المحيطِ
يـرى متيقظـاً مـا لا يـراه إذا مـا نـام آكـل قنّبيط

لأن له خاصية في توليد السوداء، ويرى أحلاماً ردية .

وقال [من المنسرح]:

عجبـت للـدهـر فـي تصرفِّـهِ وكـلّ أفعـال دهـرنا عجبُ
يعانـد الدهـر كل ذي أدبٍ كـأنّمـا نـاك أمَّـه الأدب

---

(١) الزِّمانة : المرض المزمن .
(٢) المجانة : من المجون، وهو العبث والتلهّي .

وقال أيضاً [من الطويل] :

يقولون لي أصبحت في العلـم واحداً　　وفـي الشعـر والآداب مالَكَ ثاني
فقلـت صدقتـمْ أيّهـا النـاس إنّني　　كـذاك ولـكن في حِرٍ أمٍّ زماني

وقال أيضاً [من الوافر] :

مضـى الأحـرار وانقرضـوا وبـادوا　　وخلّفنـي الـزمـان عـلـى عـلوجِ
وقالـوا قد لزمْـت البيت جدّاً　　فقلـت لفقـد فـائـدة الخروج
لمـن ألقـى إذا أبصـرت فيهم　　قروداً راكبين عـلـى السروج
زمـانٌ عزّ فيه الجـود حتّى　　تعالـى الجـود في اعلـى البروج[1]

وقال في المعنى [من البسيط] :

جار الزمـان علينـا في تصرّفهِ　　وأيُّ دهـرٍ علـى الأحـرار لم يجرِ
عنـدي من الدهـر ما لو أنْ أيسرَهُ　　يُلقـي علـى الفلك الـدوّار لم يـدر

وقال أيضاً [من الخفيف] :

نحـن والله في زمـانٍ غشوم　　لـو رأينـاه فـي المنـام فزعْنـا
يصبـح النـاس فيه من سوء حالٍ　　حقّ مـن مـات منهـم أن يُهَنّا

وقال أيضاً [من البسيط] :

لا مكّث الله دنيانـا فقيمتها　　ليسـت تفـي عنـد ذي عقـل بقيراطِ[2]
دنيا تأبّـتْ علـى الأحـرار عاصيةً　　وطاوعَـتْ كلَّ صفعـانٍ وضرّاط

---

(١) عـزّ : نـدر .
(٢) لامكّث : لا أبقى ، والقراط يختلف وزنه حسب البلاد ، في مكة ربع سدس الدينار ، وفي العراق . نصف عشر .

وقال [من الوافر]:

زمانٌ قد تفرّغ للفضول ... يسوّدُ كلَّ ذي حمقٍ جهولِ
فإن أحببتمُ فيه ارتياحاً ... فكونوا جاهلين بلا عقول

وقال أيضاً [من البسيط]:

إن أصبحتْ هممي في الأفق عاليةً ... فإن حظّي ببطن الأرض ملتصقُ
كم يفعل الدهر بي ما لا أسرُّ به ... وكم يسيء زمانٌ جائرٌ حنِق
كم نفخةٍ لي على الأيام من ضجرٍ ... تكاد من حرِّها الأيامِ تحترق

وقال أيضاً [من المنسرح]:

نحن من الدهر في أعاجيب ... فنسأل الله صبر أيوبِ
أقفرت الأرض من محاسنها ... فابكِ عليها بكاءَ يعقوب

وقال أيضاً [من الكامل]:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف بلا أكنافِ[1]
بطيالسٍ وقلانسٍ محشوّةٍ ... يتعاشرون بقلّة الإنصاف[2]
ما شئت من حللٍ وفرْه مراكبٍ ... أبواب دورهمُ بلا أجواف[3]

وقال أيضاً [من المنسرح]:

لا تخدعنْكَ اللّحى ولا الصور ... تسعة أعشار من ترى بقرُ
تراهمُ كَالسّحاب منتشراً ... وليس فيه لطالبٍ مطر
في شجر السّرو منهمُ مثلٌ ... له رواءٌ وما لَه ثمر[4]

---

(١) في خلفٍ : أي في قومٍ .
(٢) الطيالس : الثياب التي تستر الجسم جمع طيلسان .
(٣) الأفره : الجميل ، والنشيط الخفيف.
(٤) الرواء : المظهر .

كأنه أخذه من قول ابن الرومي [من الخفيف] :

فغدا كالخلاف يورق للعيـ ـن ويأبى الإثمار كلَّ الإباءِ

وقال أيضاً [من الكامل] :

يا طالباً بالعلم حظاً مسْعدا ... في ذا الزمان رأيت رأي مخرنقِ
إنفاق علمٍ في زمان جهالةٍ ... ترجو ودهر عَمىً وسخفٍ مطبقِ
كن ساعياً ومصافعاً ومضارطاً ... تنلِ الرّغائب في الزّمان وتنفق
أو ما رأيت ملوك عصرك أصبحوا ... يتجمَّلون بكل قاصٍ أحمق
لا تلق أشباه الحمير بحكمةٍ ... موّه عليهم ما قدرت ومخرق[1]

وقال أيضاً [من المنسرح] :

لم يبق حرّ إليه يختلف ... بل كلّ نذلٍ عليه مختلفُ[2]
يا فلكاً دار بالنذالة والجهـ ـل إلى كم تدور يا خرف
فعاقلٌ ما يبلّ أنملةً ... وجاهلٌ باليدين يغترفُ[3]

وقال أيضاً [من الطويل] :

لعنتم جميعاً من جوءٍ لبلدة ... تكنّفهم جهل ولؤمٌ فأفرطا
وإنَّ زماناً أنتمُ رؤساؤه ... لأهلٌ لأنْ يُخرى عليه ويُضرطا[4]
أراكم تعينون اللئام وإنني ... أراكم بطرْق اللؤم أهدى من القطا

وقال أيضاً :

عدنا في زماننا عن طريق المكارمِ

---

(١) المخرقة : التلاعب والاحتيال .
(٢) النذل : الخادم ، والوسخ .
(٣) يبلُّ أنملة : كناية عن الكسب ، أي أن العاقل فقيرٌ معدم ، والجاهل يغترف المال اغترافاً .
(٤) لأهلٌ : أي مستحقٌ وجدير .

من كفى الناس شرّه فهو في جود حاتم

* * *

ما أخرج من شعره في الهجاء لأبي رياش

كان أبو رياش باقعة في حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها ، غاية بل آية في هذ[1] دواوينها وسرد أخبارها ، مع فصاحة وبيان ، وإعراب وإتقان ، ولكنه كان عديم المروءة، وسخ اللبسة ، كثير التقشف ، قليل التنظف . وفيه يقول أبو عثمان الخالدي [من الرجز]:

كأنّما قمل أبي رياش ما بين صئبان قفاه الفاشي[2]
وذا وذا قد لجّ في انتفاش شهدانج بُدِّدَ في حشْحاش[3]

وكان مع ذلك شرها على الطعام، رجيم شيطان المعدة ، حوتي الالتقام ، وثعبان الالتهام، سيء في المواكلة ، دعاه أبو يوسف اليزيدي والي البصرة الى القصعة ، فكان بعد ذلك إذا حضر مائدته أمر بأن يهيأ له طبق ليأكل عليه وحده .

ودعاه يوماً الوزير المهلبي الى طعامه ، فبينا هو يأكل معه إذ امتخط في منديل الغمر ، وبزق فيه ، ثم أخذ زيتونة من قصعة فغمزها بعنف حتى طفرت نواتها فأصابت وجه الوزير ، فتعجب من سوء شرهه ، واحتمله لفرط أدبه .

وفي شره أبي رياش يقول ابن لنكك ما هو في نهاية الملاحة وحسن التعريض [من الوافر]:

يطير إلى الطعام أبو رياشٍ مبادرةً ولو واراه قبرُ[4]

---

(١) الهذّ : هنا سرعة القراءة .
(٢) الصئبان : بيض القمْلِ والبراغيث .
(٣) الشهدانج : حبُّ القنّب ينفع من الحمى والبرص .
(٤) واراه : ستره وأخفاه .

أصابعه من الحلواء صفرٌ ولكنَّ الأخادع منه حمرُ[1]

وأنشدني أبو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمي . قال : أنشدني الصاحب لابن لنكك في أبي رياش وكان يطعن على أبي نواس وأبي تمام [من الطويل] :

يقول : ابن هاني أفسد الشعر ضلَّةً وشعر أبي تمّامكم هو أضيعُ
أبا الريش ،يا صفعان ،صفعات واجبٌ ولكن مضى من كان في الله يصفع

وقال أيضاً [من البسيط] :

أبو رياشٍ بغى والبغي مهلكةٌ فشدّدوا العين ترموه بآبدتِهْ[2]
عبدٌ ذليلٌ هجا للحين سيِّدَهُ تصحيف كنيته في صدغ والدته

وقال فيه أيضاً [من الكامل] :

أأبا رياش يا قبيح المنظر يا منكراً يُنْمى إلى مستنكرِ
تصحيف كنيتك التي كنّيتها في استْ التي حملتك تسعة أشهر

وقال فيه أيضاً [من الكامل] :

نبئت أن أبا رياشٍ قد حوى علم اللغات وفاق فيما يدّعي
من مخبري عنه فإني سائلٌ من كان حَنَّكَهُ بأيْرِ الأصمعي

وقال فيه أيضاً [من الوافر] :

على القبح الفظيع أبو رياشٍ يعاشرنا بأخلاقٍ ملاحِ
يبيح أكفّنا أبداً قفاه فنصفعه على جهة المزاح

---

(١) الأخادع : عروق في العنق .
(٢) الآبدة : الداهية ، والقافية الشاردة.

وقال فيه وقد وليَ عملاً بالبصرة [من الكامل] :

قل للـوضيع أبـي رياشٍ لا تبلْ ... تِهْ كلَّ تيْهـك بالـولاية والعملْ[1]
ما ازددت حين وليتَ إلا خِسَّةً ... كالكلـب أنجس ما يكون إذا اغتسل

* * *

ما أخرج من هجائه لجماعة من الأدباء والشعراء

أما هجاؤه للمتنبي فقد أوردته في أخباره ، ولا وجه لإعادته . وقد كان ورد البصرة من ديار ربيعة شاعر يكنى أبا الهيذام كلاب بن حمزة ، وكان ابن لنكك يتولع به ويبدع في هجائه ، كقوله فيه [من البسيط] :

نفسـي تقيك أبـا الهيذام كلَّ أذىً ... إنّـي بكلّ الـذي ترضـاه لي راضي
مـا بال جعسـك مركوبـاً علـى ذكري ... يا أكرم الناس من باقٍ ومـن ماضي[2]
ما كان أيري فقيهـاً إذ ظفـرْتَ به ... فكيف ألبستـه دنيّةً ألْقاضي ؟[3]

وقال فيه ايضاً [من الوافر] :

حوِي يومـاً أبـو الهيذام أيري ... وذاك بمثلـه أبـداً حَرِيُّ
فبـرنَسَ رأسـه بالجعس حتى ... تنـكّر منـه لي خلـقٌ وزي[4]
فقلـت هديت لم برنسْـت أيري ... فقـال لأن أيـرك قـرمطي

وقال أيضاً [من البسيط] :

أنـت ابـن كل البـرايا لكن اقتصروا ... على اسـم حمـزة وصْفًاً غير تشميخِ
كدار بطيخ تحـوي كلّ فاكهةٍ ... ومـا اسمهـا الدهـر إلاَ دار بطيخ

---

(١) تهِ : افتخرْ .
(٢) الجعس : الرّجيع .
(٣) الدنيّة : الخسّة .
(٤) برنس : إي ألبسه البرنس ، وهو ثوب رأسه منه ملتصق به ، أو القلنسوة ، الطويلة .

وقال أيضاً [من الكامل]:

يا من تطيَّبَ وهـو من حرق استْه | قلـقٌ يكابـد كلَّ داءٍ معضلِ
فشـل الصّيال ومـا عهدنـا دبره | مذ كان يفشـل عن صيال الفيشل[1]
وأراه في الكتـب الجليلـة زاهداً | لا يستجيد سوى كتـاب المـدخل
قبّلتـه ولثمـت فـاه مسلّما | لثـم الصـديق فم الصـديق المجمل
فدنـا إلـيَّ علـى المـكان وقـال لي | أفـديك مـن متشـوّقٍ متغزّل
إن كنـت تلثمنـي بحـقٍ فاسقني | بلسـان بطنـك فـي فمـي من اسفل

وقال في الرملي الشاعر[من الوافر]:

لأمٍّ الشاعـر الرملـيِّ صدغٌ | صبـورٌ مـا علمـت علـى الدّباغ
فرغـت ولـم تكن فَرَغَـتْ فرامتْ | إدامـة نيكهـا حتـى الفـراغ
فقلـت لهـا فديتـك لا تجـوري | فليس علـى الرّسـول سوى البلاغ

وقال فيه أيضاً [من الرجز]:

إن الرميلـيَّ بليدٌ خـاطرُهْ | يشعـر مـا دامـت لـه دفاترُهْ

* فالشعراء كلّهم خواطره *

وقال فيه إيضاً[من مجزوء الرمل]:

حـلف الرملـيُّ فـيمـا اقـتص عنّـي وحـكاه
يـدّعـي يـوم اصطلحـنا أننـي قبّلـت فـاه
لـم أقبّـل فـاهُ لكـن قبّلـت نعـلـي قفـاه

---

(١) الصيال : التوائب والقفز . والفيشل : الضخم الرأس يعني به الذكَّر.

وقال في المبرمان النحوي [من الوافر] :

صداعٌ من كلامك يعترينا وما فيه لمستمعٍ بيانُ
مكابرةٌ ومخرقةٌ وبهتٌ لقد أبرمْتنا يا مبرمان[1]

* * *

ما أخرج من شعره في الغزل والشراب

قال [من الوافر] :

حبيبٌ جفْوتي فرضٌ عليه مفرِّي في الهوى منه إليهِ
إذا لحظاته قتلتْ محبّاً تَشَحَّطَ منه في دم وجنتيه[2]

وقال أيضاً [من الوافر] :

أتطمع أن تحبّ ولا جفونٌ مؤرّقةٌ ولا قلبٌ جريحُ
فأين هوىً تذوب به وتبلى أراك تظنُّ أنَّ الزمر ريح[3]

وقال أيضاً [من الوافر] :

وروضٌ عبقريّ الوشي غضٌّ يشاكل حين زخْرف بالشقيقِ[4]
سماء زبرجدٍ خضراء فيها نجومٌ طالعاتٌ من عقيق
خليليَّ اسْقياني الراح صرفاً إذاً وحريق قلبي بالرّحيق
ذراني قبل أن ألقى حمامي أشوب بريق من أهواه ريقي

(١) البهت : الزور والكذب ، والبرم : القرف والملل .
(٢) تشحّط : تخبّط واضطرب .
(٣) الزمر : صوت المزمار.
(٤) الشقيق : زهرٌ أحمر .

وقال أيضاً [من الخفيف] :

قد شربنــا عــلــى شقائــق روضٍ شربــت عبـرة السّحــاب السكوبِ
صبغــتْ من دم القلــوب فما تبـــــصــر إلاّ تعلّقــت بالقلوب

وقال أيضاً [من المنسرح] :

أمــرُ غدٍ أنــت منــه في لبس وأمس قد فات فالــه عن أمسِ
وإنمــا العيش عيش وقتـك ذا فبــادرِ الشــمس بابنـة الشمس

وقال أيضاً [من الوافر] :

أقــول لصاحبــي والــراح روحٌ لجســم الـكأس في كفّ النديمِ
وقــد حبس الـدجـى عنّــا بواكٍ تسيل نفـوسهــا فـوق الجسـوم
ونحـن مـن المســرّة في سماءٍ فمــن سارى الضياء ومـن مقيم
شموعــك والـكؤوس مع الندامى نجــومٌ فـي نجـومٍ فـي نجوم

وقال في قلة شربه وسرعة سكره [من الوافر] :

فديتــك لو علمــت ببعض ما بي لمــا جرّعتنــي إلاّ بمسعطْ [1]
فحسْبــك أنَّ كرمــاً في جـواري أمـرّ ببـابــه فأكاد أسقــط

وله في مثل ذلك [من المجتث] :

لـو أننـي مسعيٌّ شربــت مـا شئــت حيناً
لــكننــي عهــديٌّ فاعـرف حـديثـي يقينا
قـرأت عهـــدة كـرمٍ فكان سـكري سـنينـا

---

(١) المسعط : الإناء الذي يجعل فيه السَّعوط .

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل]:

أيهـا الشيخ الـذي برّ ز قدمـاً في السيـادَهْ
والـذي أعطـاه أهـل الـ أرض في السّبـق المقاده
وأقـرّ الـكلُّ منهـمْ أنّـه عيـن القـلاده
أنـا يكفينـي مـن المشـ روب مـا يكفـي جراده
وحديثـي طـال فيـه مثـل تفسـير قتاده[1]
وهـو إبـرامٌ ونقضٌ فاكفِنـي فيـه الإعاده[2]

* * *

ما أخرج من ملحه في سائر الفنون

قال [من الطويل]:

تولّـى شبـابٌ كنـت فيه منعّماً تروح وتغـدو دائـم الفرحاتِ
فلسـت تلاقيه ولـو سرت خلفه كمـا سار ذو القـرنين في الظّلمات

وقال [من الطويل]:

فراقُ أخلائـي الـذين عهدتهم يوكِّلُ قلبـي بالهمـوم اللّوازمِ
ومـا ذا أرجّي من حياةٍ تـكدَّرتْ ولو قد صفَتْ كانت كأضغاث حالم[3]

وقال أيضاً [من الكامل]:

نكرتْ نحولـي وهـو من فرط الأسى لفـراق إخـوانٍ علـيٍّ كـرامِ
وتعجّبـتْ للشيب ، لا تتعجّبي هـذا غبـارُ وقـائـع الأيّام

---

(١) قتادة : أحد رجال الحديث والمفسرين .
(٢) الإبرام : العقد ، والنقض : التحلّل منه .
(٣) الأضغاث : الأوهام .

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز [من الكامل]:

قالــت كبــرْتَ وشبــتَ قلــت لهـا ... هــذا غبـار وقـائـع الـدهرِ

وقال أيضاً [من الوافر]:

إذا خفـق اللـواء علـيٌّ يومـاً ... وقـد حمـل امـرؤ القيس اللِّـواءَ[1]
رجـوت الله لا أرجـو سـواه ... لعـلّ الله يـرحـم مـن أساءَ

وقال أيضاً [من البسيط]:

إذا أخو الحُسْن أضحى فعلـه سمجاً ... رأيت صورتـه مـن أقبـح الصورِ[2]
وهبْك كالشـمس في حسـنٍ ألـم ترنا ... نفـرٌّ منهـا إذا مالــت الـى الضَّرر

أخذه الصاحب فقال [من المتقارب]:

يقــال تركت الــذي حسنـه ... يـكاد يخجِّـل شمس الضحـى
فقلــت وشـمس الضــحـى تحتمي ... إذا بســطـتُ في المصيف الأذى

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل]:

نحــن بالبصـرة فـي لـو ... نٍ من العيش ظـريفِ
نحــن ما هبّــتْ شمال ... بين جنّـاتٍ وريـف
فــإذا هبّــت جنـوبٌ ... فـكأنّـا فـي كنيـف

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل]:

ليس فـي البصـرة حرٌّ ... لا ، ولا فيـهـا جـوادُ

---

(١) خفق : أي ظلّله وعلاه ، وخفقت الأعلام : ارتفعت وتحرّكت بالهواء .
(٢) السمج : المكروه المستثقل .

إنّما البصرة أنشا بٌ ونخلٌ وسماد[1]

* * *

١٢٢ ـ ابنه أبو إسحاق إبراهيم

شاعر مجيد ، لم يتصل بي من شعره غير ما أنشدته له معارضاً قول أبيه [من السريع]:

وعصبةٍ لمّا توسطتهم صارت عليَّ الأرض كالخاتمِ
كأنّهم من سوء أفهامهم لم يخرجوا بعدُ إلى العالم
يضحك إبليسُ إذا زارهم لأنهم عارٌ على آدم

بقوله [من السريع]:

لا تصلح الأرض ولا تستوي إلا بكم يا بقر العالمِ
من قال للحرث خلقتم فلم يكْذب عليكم لا ولم يأثم
ما أنتمُ عارٌ على آدمٍ لأنّكم غير بني آدم

وقال أيضاً [من السريع]:

وليلةٍ أرّقني طولها فبتّها في حيرة الذاهلِ
كأنما اشتقتَ لإفراطها في طولها من أمل الجاهل

وقال أيضاً [من المنسرح]:

يا سفلاً أوقظوا بخسّتهم لكنْ عن الجود والنّدى ناموا
لا تكذبوا صحّ أنكم نعمٌ عندكم للزمان أنعام[2]

* * *

(١) الأنشاب : جمع نشب ، وهو الحطب وشجر القسي.
(٢) النعم : الحيوانات الداجنة .

١٢٣ ـ أبو عبد الله الحسين بن علي النمري

صاحب أبي رياش وابن لنكك ، وكان من صدور البصرة في الأدب والشعر ، وقد جمع الحفظ الكثير الغزير ، والعلم القوي القويم ، والنظم الظريف المليح .

فمما سار من ذلك قوله من قصيدة في ذي الكفايتين أبي الفتح ، وكان ورد عليه الري فأحسن إليه ووصله بصلة حسنة فيها دراهم في كل درهم منها خمسة دراهم وفيها أيضاً دنانير كل دينار منها بخمسة دنانير ، واستهلالها [من الكامل] :

واهاً لأيام الصبابة واها ... بل آه من تذكارهنّ وآها[1]

فالى الحرينة فالجنينة فالربى ... مغنى الأحبة حبّذا مغناها[2][3]

روضٌ كلفْتُ بنوره وبنوْره ... وربى ألفت هواءها وهواها

أصبو إلى أترابها وترابها ... ومهاة عيشي في ظلال مهاها

فيهنّ شمسٌ لا تروم عيوننا ... حذر العيون سناءها وسناها

نمرية من دونها متنمّر ... أخشى شباه تارةً وشباها[4]

ماذا على النمر الكرام عشيرتي ... لو ضمّ بين فتاتها وفتاها

فتيان صدقٍ كالشموس تعوّدت ... قنص النفوس ظباؤها وظباها

يا من لنفسٍ شطرها في بلدةٍ ... بذرى العراق وشطرها بسواها

ظمئي إلى حوِّ الشفاه ، وإنما ... حوّ الشفاه سقامها وشفاها[5]

ظمأ الهمام إلى المكارم والعلا ... وقد ارتوى منها كما أرواها

---

(١) واهاً : كلمة تلهّف على مافات من الأيام الطيّبة .

(٢) الحرينة والجرينة : موضعان .

(٣) المهاة الأولى : البلور الصافية ، والمِهى الثانية : كناية عن النساء .

(٤) السِّبا : اشتعال النار ، أو الحدُّ القاطع .

(٥) حوّ الشفاء : أي تميل الى السّمر والسواد

وجلست في النادي الـذي حاز الندى　　من جنّـةٍ دانٍ إلـيَّ جنـاها
دارٌ عـرفـت معانقـة الـكرى　　وأخـذت حظّـي لهـوهـا ولهاهـا
عاتبـت مـكرمـة الزمـان فأعتبت　　فيهـا ونـاجيت السـرور شفاها
ملكٌ أغـرّ وبـركةٌ لجيّـةٌ　　في روضـةٍ تعـطـي العيون رضاهـا
يحبـوك ذا المـال الجـزيل وهـذه الـــماء　　المعين وهــذه رياها
روضٌ إذا جـرت الـرياح مريضةً　　في زهـرة استشفَـتْ به مرضاها
وإذا تقابلـت النـدامـى وسطـه　　سكر الصّحـاة كمـا صحـا سـكراهـا
يتسلسـل المـاء الـزلال خـلاله　　فتخالـه الحيّات خفّ سـراها
تنسـلّ أو تنسـاب غـير لواذعٍ　　فكأنّمـا وشـى الحبـاب رقاها [1]
وأخـذْت من أقمـاره وشموسه　　من تبـره ولجيْنـه أشباهـا
من أبيضٍ يقـقٍ وأصفَـر فاقعٍ　　لو مِعْـنَ كنَّ سلافـةً ومياها [2]
قد ضوعفـت زنـةً فزادت زينةً　　يجلـو القـذى عنّـا جلاء قذاها
خيفـت عليهـن العيون فعوّذت　　باسـم الآلـه وباسـم شاهنشاها
يا ابـن العميد عميد دولتـه الذي　　بلسانـه وسـنـانـه سنّـاهـا
ما أنـت إلاّ صحّـةٌ مكـلوءةٌ　　تتقـاصـر الأفهـام دون مـداها
فإذا مرضـت ولا مـرضـت فإنّه　　مـرض الـريـاح يطيب فيه ثناها
لم تنسِـكَ الأمـراض ذكر صنائعٍ　　تُوْلـي وشـكر صنائـعٍ تـولاها
فاسلـم لدولتـك التـي وطّدتها　　ورعيت أولاهـا علـى أخـراهـا [3]

وله من قصيدة كتب بها إلي وبأختها التي تقدمتها أبو سعيد بن دوست كعادته.

---

(١) رقاها : صعودها .
(٢) اليقق : الشديد البياض ، والفاقع : الذي لا يخالطه لون آخر ، ومعن : ماضٍ مسند لنون النسوة ، ماع يميع : أي سال .
(٣) وطّدتها : أرسيت دعائم ملكها .

المشكورة في مهاداتي بطرائف الآداب التي تصلح لهذا الكتاب [من مجزوء الكامل]:

سرت النجائب بالنجائبْ ترمي الكواكب بالكواكبْ[1]
ترمي تجاهات المشا رق من تجاهات المغارب
رغباً إلى ملكٍ تحكّم في رغائبه الرغائب
ملكٌ تبوّأ من علا ه في النواصي والذوائب
حيث السوابغ والسوا بق والنجائب والجنائب[2]
يهب المنعّمة الكوا عب والمطهّمة السلاهب[3]

ومنها :

زرناك من أرض البصيـ ـرة شاحبين على شواحبْ[4]
نرد المناهل كالمجا هل والسباسب كالسبائب[5]
لاريّ دون الريّ والـ ـبحر الغطامط ذي الغوارب[6]
بحرٌ جواهره طوا فٍ في سواحله رواسب
لا دونها اللجج الكوا رب لا ولا اللجج الكواذب[7]
كم من ظباءٍ بالبصيـ ـرة في المقاصر والسباسب[8]
إنس ووحشٌ يشتبهـ ـن سوى الذوائب والحقائب

---

(١) النجائب : النوق ، والنجائب من القوم : السادة وقد جانس هنا جناساً تاماً .
(٢) السوابغ : الدروع .
(٣) المطهّمة : الخيول ، والسلاهب : الطويلة .
(٤) الشواحب : النوق الهزيلة .
(٥) السباسب : القفار .
(٦) الغطامط : كثير الأمواج وغزير الماء .
(٧) الكوارب : التي تحدث الغمّ والكرب .
(٨) المقاصر : الأخبية .

أدمٌ يقاسمن الأرا ك جناه والقضب الرطائب
فلإنسها أغصانه تجلو به برد السحائب
ولوحشها غضّ الجنى عبث المعازف والملاعب
نصطاد وحشياتها وتصيدنا الإنس الخراعب [1]
يا ربّ يوم لي كظلّك أو كظنّك أو يقارب
رقّت حواشيه وغضّت عين واشيه المراقب
قصرت لنا أطرافه قصر القناع عن الذوائب [2]
وتبرّجت لذّاته للخاطبين وللخواطب [3]
نزلت به حاجاتنا بين المحاجر والحواجب
وكسونني حللاً صقلن خواطري صقل القواضب [4]
حللاً قديباج الخدو د مطرزات بالشوارب
فلتشكرنّ رياضنا جدوى سحائبك الصوائب
ولتنظمنّ لك القصا ئد كالقلائد للكواعب [5]

* * *

١٢٤ ـ المفجع البصري

هو أبو عبد الله الكاتب ، له مصنفات كثيرة ، وهو صاحب ابن دريد والقائم مقامه بالبصرة في التأليف والإملاء ، وفيه قيل [من مجزوء الكامل] :

إن المفجّع ويله شرُّ الأوائل والأواخرْ

---

(١) الخراعب : جمع خرعبة ، وهي الشابة الحسنة الخلق البيضاء الجسيمة .
(٢) الذوائب : خصلات الشعر في أعلى الجبين .
(٣) تبرّجت : تزيّنت وأسفرت .
(٤) القواضب : السيوف القواطع .
(٥) القلائد : جمع قلادة ، وهي ما تضعه الفتاة في عنقها من عقد أو حليّ والكواعب الفتيات النواهد .

ومــن النــوادر أنّــه يملــي علــى النــاس النــوادر

كأنه من قول أبي تمام [من الوافر]:

ومــالك بالغــريب يدٌ ولـكنْ تعــاطيك الغـريب مـن الغريب

أو من قول الآخر [من مجزوء الكامل]:

ومــن المظــالــم أن قعـد ت علــى المظالــم يـا فـزارَهْ

وأما شعره فقليل كثير الحلاوة. يكاد يقطر منه ماء الظرف ، حكى أبو بكر الخوارزمي قال : قال لي اللحام : أنشدني المفجع لنفسه [من الخفيف]:

ليَ أيرٌ أراحنــي الله منــه صــار همّــي بـه عريضــاً طويلا
نام إذ زارنــي الحبيب عنـاداً ولعهـدي بـه ينيك الرسولا
حسبــت زورةً علــيَّ لحيني فافترقنــا ومـا شفينــا غليلا

فقلت فيه [من الكامل]:

إنّ المفجّــع فالعنــوه مؤنّثٌ نغــلٌ يدين ببغض أهــل البيت[1]
يهــوى العلــوق وإنّمـا يلقاهم بمـؤخّـرٍ حيٍّ وقُبْــلٍ ميت[2]

وأنشدني أبو الحسين الشهـرزوري الحنظلي . قال : أنشدنـي المفجع لنفسه في غلام له يكنى أبا سعد [من الخفيف]:

زفــراتٌ تعتادنــي عنــد ذكـرا ك وذكراك مـا يريم فؤادي
وســروري قد غاب عنّـي مَذ غبــــــْت فهــل كنتمــا علــى ميعاد
حاربتْنــي الأيام فيك أبــا سعـــــدٍ بسيف الهــوى وسهــم البعاد

---

(١) النغل : ابن الزنى .
(٢) العلوق : الأولاد.

ليس لي مفــزع سوى عبراتٍ من جفــونٍ مكحولــةٍ بالسّهاد
في سهــادي لطــول أنســي بذكرا ك اعتياضٌ عن الـكرى والرقاد[1]
وبحسبــي من المصــائب أنّي في بـلادٍ وأنتــمُ فـي بـلاد

وأنشدني أبو نصر الروذباذي الطوسي للمفجع [من الهزج]:

ألا يا جامـع البصر ة لاخَرَّبَـكَ اللّهُ
وسقّــى صحنــك المزن مـنَ الغيث فـروّاه
فـكم من عاشــق فيك يــرى مـا يتمنـاه
وكم ظبــي من الإنس مليحٍ فيــك مـرعـاه
نصبنــا الفـخَّ بالعــلم لـه فيـك فصدنـاه
بقـرآنٍ قــرأنـاه وتفسيــرٍ روينـاه
وكم مـن طالــبٍ للشعـــــر بالشعــر طلبناه
فمــا زالــت يـد الأيا م حتــى لان مثنـاه
وحتــى ثبّــت السـرج عليــه فـركبنــاه
ألا يــا طالــب الأمـر د كذْبٌ مـا ذكـرناه
فــلا يغــررْك ما قلنا فمــا بالجـدّ قلنـاه
ولــو كان من البعض بريًّا حيــن نلقـاه
فــرح بالدرهــم الضرب إليـــه تتــلاقـاه
فبالدرهـــم يستنـــز ل ما فـي الجــو مـأواه

ومن ملحه المشهورة قوله لإنسان أهدى إليه طبقاً فيه قصب السكر وأترج ونارنج وأراه أبا سعد غلامه فقال [من مجزوء الرمل]:

إنّ شيطانــك في الظر ف لشيطـانٌ مـريدٌ[2]

---

(١) الكرى : النعاس .
(٢) المريد : الخبيث المتمرّد الشرّير .

فلهـذا أنـت فيـه تبتـدي ثم تعيـدُ
قـد أتتنا تحفـةٌ منـك علـى الحسـن تزيدُ
طبـقٌ فيـه قـدودٌ وخـدودٌ ونهـود

وقوله في غلام مغن جدر فازداد حسناً [من السريع] :

يا قمـراً جدّر حيـن استوى فزاده حسنـاً وزادت همومْ
كأنما غنّـى لشـمس الضحى فنقّطتـه طـربـاً بالنجـوم

وقوله أيضاً [من الخفيف] :

سيدي أنـت إنَّ عبـدك أمسى خافقـاً قلبـه خفـوق الجناحِ
فاغتنـم غفلـة الـرقيب وزرْه في رداءٍ من الدجـى ووشاح

وقال ، ويروي لابن لنكك [من السريع] :

لنـا سـراجٌ نـوره ظلمةٌ ليس له ظلٌّ علـى الأرض
كأنّـه شخص الإمـام الذي تبغـي الهـدى منه أولـو الرفض[1]

ومن ظريف قوله في الهجاء [من السريع] :

فسـا علـى قومٍ فقالـوا له إن لم تقـم من بيننـا قمنا
فقـال لا عـدت فقالـوا له من نتـن فيه ذا كمـا كنا

ووجدت بخط أبي الحسين علي بن أحمد بن عبدان في مجموعة المسمى حاطب ليل للمفجع البصري يقول [من الوافر] :

أداروهـا ولليل اعتكـارٌ فخلـت الليل فاجـأه النهارُ
فقلـت لصاحبـي والليل داجٍ ألاح الصبـح أم بدت العقار

---

(١) أولو الرفض : أي الشيعة .

فقال هي العقار تداولوها مشعشعةً يطير لها شرار
فلو لا أنني أمتاح منها حلفت بأنها في الكأس نار[1]

* * *

١٢٥ ـ نصر بن أحمد الخبز أرزي

كنت على طي شعره وذكره، إما لتقدم زمانه أو سفسفة كلامه ، ثم تذكرت قرب عهده وتكلف ابن لنكك جمع ديوان شعره . فسنح لي أن أضمن هذا الكتاب. لمعاقد علقت بحفظي منه ، والإعراض عن التصفح لباقي شعره وترك الفحص عما يصلح للإلحاق بها من ملحه ، وعلى ذكره. فقد بلغني من غير جهة أنه كان أمياً لا يكتب ولا يتهجى، وكانت حرفته خبز الأرز في دكانه بمربد البصرة، فكان يخبز وينشد أشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه ، ويتطرفون باستماع شعره ، ويتعجبون من حاله وأمره . وأحداث البصرة يتنافسون في ميله إليهم وذكره لهم ، ويحفظون كلامه لقرب مأخذه وسهولته. وكان ابن لنكك ـ على ارتفاع مقداره ـ ينتاب دكانه ويسمع شعره . فحضره يوماً وعليه ثياب بيض فاخرة فتأذى بالدخان وساء أثره على ثيابه، فانصرف وكتب إليه [من الوافر]:

لنصرٍ في فؤادي فرط حبٍ ينيف به على كلّ الصحابِ[2]
أتيناه فبخّرنا بخوراً من السّعف المدخّن بالتهاب
فقمت مبادراً وحسبت نصراً يريد بذاك طردي او ذهابي
فقال متى أراك أبا حسينٍ فقلت له إذا اتّسخت ثيابي

فلما قرئت عليه الرقعة التي فيها هذه الأبيات، أملى على من كتب له في

---

(١) أمتاح : أغرف .
(٢) ينيف : يزيد .

ظهرها هذه الأبيات [من الوافر]:

منحـت أبـا الحسين صميم ودّي ... فداعبنـي بألفـاظٍ عذابِ
أتـى وثيابـه كالشيب لوناً ... فعـدْن له كريعـان الشباب
وبغضٌ للشيب أعـدّ عندي ... سواداً لونـه لون الخضاب
فـإن يكن التفـزز فيه فخراً ... فلـم يكنى الوصـيُّ أبـا تراب [1]

ويحكى أنه ما كشف قناع الغربة قط لقصور همته على المذكر دون المؤنث وشعره شاهد بذلك : فمن النوادر أن شاعراً يكنى بزعمه أبا طاهر انتمى إليه وورد نيسابور بأشعار تناسب دعوته، وانتحل كثيراً من محاسن السري والخالديين وغيرهم من المحسنين، الذين لم تقع أشعارهم بعد إلى خراسـان، حتـى تقشـر فلسه ، وظهر عواره وخزيه ، وجرى أمره علـى ما قالـه أحمـد بن طاهـر [مـن البسيط]:

أظـنّ دعوتـه في الشعـر جائزةً ... له علـيٌّ كمـا جازت علـى النّسبِ

وفيه يقول أبو بكر الخوارزمي [من المنسرح]:

يقـول تصـرُّ أبـي فقلـت لهم ... عنـدي بهـذا شهـادة حسنَهْ
نعـم ولـكنْ أمّـه حملتْ ... من بعـد ما مات شيخـه بسنه

فمن ملح نصر قوله [من الطويل]:

خليلـيّ هل أبصرتمـا وسمعتما ... بأكـرمَ من مولـىً تمشّـى الـى عبدِ
أتـى زائـراً من غير وعـدٍ وقـال لي ... أصونـك عن تعليق قلبـك بالوعد
فمـا زال نجـم الـكأس بينـي وبينه ... يدور بأفـلاك السعـادة والسّعدِ

---

(١) التفزّز : فزرته وبزرته : إذا غررته وغلبته . والوصيّ : الإمام علي عليه السلام ، وقد كناهُ الرسولﷺ بهذا اللقب فكان أحبّ الألقاب إليه .

فطـوراً علـى تقبيل نرجس ناظرٍ   وطـوراً علـى تعضيض تفّاحـة الخدّ

وقوله [من مجزوء الرمل]:

مـن يكن يهـواه للخلـــق فإنّـي عبـد خُلقِهْ
إن حسـن الخلـق أبهى   للفتـى من حسـن خلَقِهِ

وقوله [من البسيط]:

قالـوا عشقـت صغيراً قلـت أرتـع في   روض المحاسـن حتـى يدرك الثمرُ[1]
ربيع حسـنٍ دعانـي لافتتـاح هوى   لمّـا تفتّـح منه النَّـوْر والزهر[2]

وقوله [من المنسرح]:

وددت أنّـي بكفّـه قلمٌ   أو أننـي مدّة علـى قلمِهْ
يأخذنـي مرّةً ويلثمني   إن علقـت منـه شعـرة بفمه

وقوله [من البسيط]:

قد قلت إذ خان صبري من كلفت به   ولـم يكن عنـه لي صبـرٌ ولا جلدُ[3]
إن كان شاركنـي في حبّـه وقحٌ   فالنهـر يشـرب منـه الكلـب والأسد

وقوله [من الكامل]:

لا تعشقـنّ ابـن الـربيع فإنّه   عنـد التجـرّد آية الآياتِ
وجـه كعبّـادانَ ليس وراءه   لمحبّه شيءٌ سوى الخشبات[4]

---

(١) أرتع : أمرع وأتنعّم .
(٢) النّور : الأكمام من الزهر .
(٣) كلفت به : عشقته .
(٤) عبادان : جزيرة ، والخشبات : موضع وراءها .

وقوله [من الخفيف]:

تتجنّى عليَّ ذنباً وتعتلّ ... بأنْ قد رأيت منِّي ذلّهْ
لعن الله قُربةً ليس فيها ... لفتىً يطلب التعلّة علّه

وقوله [من الطويل]:

ألم يكفني ما نالني في هواكمُ ... إلى أن طفقتم بين لاهٍ وضاحكِ[1]
شماتتكم بي فوق ما قد أصابني ... وما بي دخول النار بل طنز مالك[2]

وأنشدني أبو القاسم الحسين بن محمد بن حبيب المذكور، قال : أنشدني عبد السميع بن محمد الهاشمي، قال : أنشدني نصر بن أحمد الخبز أرزي لنفسه [من الخفيف]:

شاقني الأهل لم تشقني الديارُ ... والهوى صائرٌ إلى حيث صاروا
جيرةٌ فرّقتهم غربة البيـ ... ـن وبين القلوب ذاك الجوار
كم أناسٍ رعوا لنا حين غابوا ... وأناسٍ جفوا وهم حضّار[3]
عرضوا ثم أعرضوا، واستمالوا ... ثم مالوا ، وأنصفوا ثم جاروا[4]
لا تلمْهم على التجنّي فلو لم ... يتجنّوا لم يحسن الاعتذار

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي الفقيه له من قصيدة [من البسيط]:

ورد الخدود ورمان النهود وأغـ ... ـصان القدود تصيد السّادة الصّيدا[5]

---

(١) طفقتم : ظفرتم وجعلتم .
(٢) الطنز : السخرية والاستهزاء .
(٣) رعوا المودة : وصلوها وحنّوا إليها .
(٤) أعرضوا : صدوا وأشاحوا .
(٥) الصيد : الكرام السادة .

شرطـي إذا ما رأيت الخصر مختصراً والـردف مرتدفـاً والقـدّ مقدوداً

* * *

١٢٦ ـ أبو عاصم البصري

أنشدني أبو سعيد نصر بن يعقوب لأبي عاصم في اقتران الهلال والثريا والزهرة [من المتقارب]:

رأيت الهـلال وقـد أحدقته نجـوم الثـريـا لـكي تسبقَهْ
فشبّهتـه وهـو فـي إثرها وبينهما الزّهـرة المشرقه
بقـوسٍ لـرامٍ رمـى طـائراً فأتبـع فـي إثـره بندقه[١]

وله في اقتران الهلال والزهرة [من الخفيف]:

قارن الزهـرة الهـلال، وكانا في افتـراقٍ ما بـين صدٍّ وهجرهْ
فإذا ما تقارنـا قلـت طوقٌ من لجـينٍ قد علّقـت فيه درّه

وله في الغزل [من الرمل] :

يا بنفسي من إذا جمّشته نثـر الـورد عليه ورقه[٢]
وإذا مدت يدي طرّته أفلتـت منـي وعـادت حلقه[٣]

* * *

١٢٧ ـ أبو الحسين الظاهر البصري

أنشدني أبو علي محمد بن عمر الزاهر . قال : أنشدني أبو الحسين الظاهر البصري لنفسه قوله [من البسيط]:

نفسي الفـداء لمـن جاءت تودّعني يوم الفـراق بقلـب خائفٍ وجلِ

---

(١) البندق : رصاص صغير كروي الشكل يستعمل في بعض القذائف للقتال والصَّيد .
(٢) جمّشته : داعبته .
(٣) الطرّة : الخصلة من الشعر التي تعلو الجبين .
(٤) الوجل : الخوف .

قد كنت فارقتُ روحي خوفَ فرقتِها   لكن حييت بطيب الضّم والقبل

وله من قصيدة في مفصود [من البسيط]:

كأنّما دمه في الطست حين جرى   صرفٌ من الراح في قعبٍ من الذهبِ[1]

حتى إذا رجعت في كمه يده   كالشمس غابت عن الأبصار في الحجب

كانت كما قال في القرآن خالقنا   واضمم جناحك يا موسى من الرهب

وله في وصف حيّة قتلها في بعض أسفاره [من الرجز]:

عرفت في الأسفار ما لم أعرف   من كل موصوفٍ وما لم يوصفِ

آليت لا أنصف من لم ينصف   ولا أفي دهري لخلٍّ لا يفي

سرت وصحبي وسط قاعٍ صفصف   إذ أشرفت من فوق طودٍ مشرف[2]

رقشاء ترنو من قليبٍ أجوف   تومي برأسٍ مثل رأس المجدف[3]

في ذنبٍ مندمجٍ معقّف   حتى إذا أبصرتها لا تنكفي[4]

علوتها بحدّ سيفٍ مرهف   فظل يجري دمها كالقرقف[5]

* أتلفتها لما أرادت تلفي *

---

(١) الصرف من الراح : الخمرة الصافية ، والقعب : الإناء .

(٢) الصفصف : المستوى المنخفض والطود : الجبل .

(٣) القليب : البئر .

(٤) تنكفي : تتراجع وتهرب .

(٥) المرهف : الحاد القاطع ، والقرقف : الخمرة .

الباب السادس

في ذكر نفر من شعراء العراق ونواحيها ، سوى بغداد وسياق ملحهم ولطائفهم

١٢٨ ـ ابن التمار الواسطي

شعره يتغنى بأكثره ملاحة ورشاقة ، وإنما كان يقوله تطرباً لا تكسبا ، وقد بلغني به أبيات قلائل إلا أنها قلائد، كقوله [من البسيط]:

أمـا ترى اليوم في أثوابـه الجدد ... يحـكيك يـا غرّة الأيام والأبدِ

فاشـرب وسـقّ الندامـى من مشعشعةٍ ... كلـون خدّك لم تنقص ولـم تـزد

علـى غـدير إذا هبّ النسيم بـه ... أبصـرتـه مـن حبيك الـريح كالزّرد[١]

وله [من الكامل]:

الخمـر شمسٌ في غلالـة لاذٍ ... تجـري ومطلعهـا من الخرداذي[٢]

فاشــرب علـى طيب الزمــان فيومنا ... يوم التـذاذٍ قد أتـى برذاذِ

وانظـر إلـى لمـع البــروق كأنها ... يومَ الضِّــراب صفائــحُ الفولاذ

وقوله عفا الله عنه [من البسيط]:

قم فانتصف من صروف الدهر والنُّوَبِ ... واجمع بكأسك شمـل اللهـو والطربِ

---

(١) الحبيك : النسج .

(٢) اللاذ : حرير أحمر صيني والخرداذي : الخمر .

أمـا ترى الليل قد ولّـت عساكره　　　مهزومـةً وجيوش الصبـح في الطّلب
والبـدر في الجانـب الغربـيٍّ تحسبه　　　قد مدّ جسراً علـى الشـطّيْن من ذهب

* * *

١٢٩ ـ أبو طاهر الواسطي المعروف بسيدوك

شعره يروى حين يروي، ويحفظ حين يلحظ، وما لظرفه نهاية، ولا للطفه غاية ، ولا عيب فيه غير أن الذي وقع إليّ منه قليل يلتقي طرفاه ، وتجتمع حاشيتاه ، وديوان شعره ضالتي المنشودة ، ودرتي المفقودة ، ولا بأس من حصوله ، أنشدني كل من أبي طاهر ميمون بن سهل الواسطي الفقيه وأبي الحسن المصيصي ومحمد بن عمر الزاهر قال : أنشدني سيدوك لنفسه ، وهو أحسن وأبلغ ما سمعته في طول الليل [من البسيط] :

عهـدي بنـا ورداء الشمـل يجمعنا　　　والليل أطولـه كاللّمـح بالبصرِ
فالآن ليلـيَ مذ غابـوا فديتهمُ　　　ليل الضّـرير فصبحـي غير منتظر

وأنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان له [من الوافر] :

أراح الله نفسـي من فؤادٍ　　　أقـام علـى اللجّاجـة والخلافِ[١]
ومـن مملـوكةٍ ملـكت رقاها　　　ذوي الألبـاب بـالخـدع اللّطاف
كأن جوانحي شـوقـاً إليها　　　بنـات المـاء ترقص في حقاف[٢]

وأنشدني ميمون الواسطي، قال : أنشدني سيدوك لنفسه [من الوافر] :

أظـن بليّةً دهمـتْ فـؤادي　　　وأحسبهـا غـزال بنـي سليم
وإلاّ لم يغـبّ فتعـتريني　　　مـذلّـة ضيمـه مـن غير ضيم ![٣]

(١) اللجاجة : الإلحاح .
(٢) الحقاف : جمع حقف ، وهو المعوج من الرمل .
(٣) يغبّ : يبتعد .

ولـي عينٌ إذا فقدتـه صارت كعين الشـمس مـلبسـةً بغيم

وأنشدني له أيضاً [من مخلع البسيط]:

أنـت من القلـب في السواد وموضـع السـرّ من فؤادي
يا ساكنـاً في سواد عيني وبينُ جفـنـي والـرقـادِ
لـم تنـأ لمّـا نـأيت عنّي ولا تبـاعـدت بالبعـاد

وأنشدني أيضاً له [من الطويل]:

جنت صبحة الأضحى علـيَّ فأذهبتْ فؤادي فلا ضرّي ملـكت ولا نفعي
فيا يوم عيد النحـر ما لك مهدياً لنحريَ سهم النحر نبّت عن الشّرعِ (1)

وله من أبيات [من مجزوء الكامل]:

حـذري عليك أشـدّ من حذري على بصـري وسمعي
إن كنـت تنـكر ما أقو ل فهـاك سـل سهـري ودمعي

ووجدت منسوباً إليه في بعض التعليقات [من المتقارب]:

جعلـت فداءك قـد زارني أخـلاّء أعظـم أقـدارهمْ
وعزمـي أكون لهـم ساقياً فكن بأبـي أنـت خمّارهمْ

* * *

١٣٠ ـ أبو عبد الله الحامدي

حامدة : من أعمال واسط ، ولم يبلغني ذكر هذا الرجل إلا ممـا أنشـدنيه ميمون الواسطي، قال : أنشدني أبو عبد الله لنفسه بالحامدة [من البسيط]:

مشتاقـةٌ طرقـتْ في النـوم مشتاقا أهـلاً بمـن لم يخـنْ في العهـد ميثاقا

---

(١) نبّت : جاوزت وأعرضت .

أهلا بمـن ساق لي طيف الأحبّة من ... أرض الأحبة ، بل أهـلاً بمـن شاقا[1]
يا زائـراً زار من قربٍ علـى بعد ... آنسـت مستوحشـاً لا ذقـت ما ذاقا
الله يعلـم لو أنّـي استطعـت لقد ... أفرشـت ممشـاك احداقـاً وآماقا[2]
يا ليل عرِّجْ علـى إلفين قد جعلا ... عقـد السواعـد للأعنـاق أطواقا
ضاق العنـاق وضـمّ الشـوق بينهما ... ضمّ القـرينْين أعناقـاً فأعناقا

وأنشدني له أيضاً [من الكامل] :

قل للمليحـة في الخمـار المشمشي ... كم ذا الـدلال عدمـت كلّ محرّشٍ[3]
يا من غدا قلبـي كنـرجس طرفها ... في الحـبّ لا صاحٍ ولا هو منتشي
هذا الـربيع بصحـن خدك قد بدا ... لمقبّـلٍ ومعضّـضٍ ومخمّشِ
فمتـى أبيـت معـانقـاً لبهـاره ... ولـورده المستـأنـس المستـوحش[4]

وأنشدني له أيضاً [من الطويل] :

سقانـي وحيّانـي وبـات معـانقي ... فيا عطف معشـوقٍ علـى ذلّ عاشقِ
ويا ليـلةً باتـت سواعدنـا بها ... تدور علـى الأعنـاق دور المخانق
نبـثُّ من الشـكوى حديثـاً كأنه ... قلائـد درٍّ في نحـور العواتق[5]

وأنشدني له [من الكامل] :

يا راحـلاً تـرك البـكاء مبـاحا ... مـا رحت أنـت ، بـل اصطباري راحا
إن اخلفتْنـي فيك أسـبـاب المنى ... وغـدوْت لي سقمـاً وكنـت صلاحا

---

(١) شاق : أتعب .
(٢) الآماق : مجاري الدمع .
(٣) المحرّش : المفسد .
(٤) البهار : الضوء والبياض .
(٥) العواتق : الفتيات في أوّل نهادهن .

فلقد عهدتك مسعداً لي في الهوى وعهدت وجهك في الظلام صباحا

وأنشدني له [من الكامل] :

ما الرأي عندك أيّها البدر في عاشقٍ لك خانه الصبرُ
وقّع برأيك فوق قصّته يا منْ إليه النهي والأمر
لو أنّ حسناً زاد في عمرٍ لازددت عمراً بعده عمر

* * *

١٣١ ـ أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم المعروف بالأنباري

بلغني له قصيدة فريدة تدل على أن صاحبها من أفراد الشعراء ، وهي في ابن بقية لما قتل وصلب ، وقد أثبتها كما هي [من الوافر] :

علوٌّ في الحياة وفي الممات لحقٌ أنت إحدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا وفود نداك أيام الصِّلات[1]

وأخذه من قول ابن المعتز [من الطويل] :

وصلُّوا عليه خاشعين كأنّهمْ وفودٌ وقوفٌ للسلام عليه

رجع :

كأنك قائمٌ فيهم خطيباً وكلهمُ قيامٌ للصلاةِ
مددْت يديك نحوهمُ احتفالاً كمدِّهما إليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن يضمّ علاك من بعد الممات
أصاروا الجو قبرك واستنابوا عن الأكفان ثوب السافيات[2]

---

(١) الصّلات : المنح والعطايا .

(٢) السافيات : جمع سافية ، وهي الريح تحمل غباراً .

لعظْمـك في النفـوس تبيت ترعى   بحـرّاسٍ وحفّـاظٍ ثقـات
وتشعـل عنـدك النيران ليلاً   كـذلك كنـت أيـام الحياة
ركبـت مطيّة مـن قبـل زيدٍ   عـلاهـا في السـنين المـاضيات
وتلك قضيةٌ فيهـا تأسٍ   تبـاعـد عنك تعيير العـداة
ولـم أر قبـل جذعـك قطُّ جذعا   تمـكّن من عنـاق المـكرمات [1]
أسـأت إلـى النوائـب فاستثارت   فـأنـت قتيل ثـأر النائبـات
وكنـت تجير من صرف الليالي   فعـاد مطـالبـاً لك بالتـرات [2]
وصيّر دهـرك الإحسـان فيه   إلينـا مـن عظيم السيئات
وكنـت لمعشرٍ سعـداً فلما   مضيت تفـرّقـوا بالمنحسـات
غليلٌ بـاطـنٌ لك فـي فؤادي   حقيقٌ بـالـدمـوع الجـاريـات

أخذه من قول ابن الرومي [من مخلع البسيط] :

لـم يظلـم الدهـر أن توالى   فيـكم مصيبـاتـه دراكـا
كنتـم تجيرون من يعادي   منـه فعـاداكم لـذاكـا

عـاد :

ولـو أنّـي قدرت علـى قيامي   بفرضـك والحقـوق الـواجبات
ملأت الأرض من نظـم القوافي   ونحـت بهـا خـلاف النائحات
ولكـنّـي أصبّـر عنك نفسي   مخافـة أن أعـدّ من الجنـاة
ومـالك تربـةٌ فـأقـول تسقي   لأنّـك نصـب هطـل الهـاطلات
عليك تحيّة الـرحمـن تترى   بـرحمـاتٍ غـوادٍ رائحـات [3]

* * *

(١) الجذع : الأرومة .
(٢) الترات : جمع ترة وهي الثأر .
(٣) تترى : أي متتابعة بعضها بعد بعض .

١٣٢ ـ أبو الحسين محمد بن عمر الثغري الكاتب

أحد المقلين المحسنين، ولم أسمع له إلا ملحاً نادرة ، كقوله في خط العذار ، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرته [من الخفيف]:

لي حبيبٌ يزهى بحسنٍ عجيبٍ   وبقدٍّ مثل القضيب الرطيبِ
أحرقت بالسواد فضّةَ خديه   فقد أحرقت سواد القلوب

وقوله في وصف التمر [من المجتث]:

أما ترى التمر يحكي   في الحسن للنظارِ
مخازناً من عقيقٍ   قد قمّعت بنضار[١]
كأنّما زعفران   فيه مع الشهد جاري
يشفّ مثل كؤوسٍ   مملوءةٍ من عقار[٢]

وقوله في الباقلاء الرطب [من الوافر]:

فصوص زبرجدٍ في غلف درٍّ   بأقماعٍ حكتْ تقليمَ ظفرِ
وقد صاغ الإله ثياباً   لها لونان من بيضٍ وخضر
ربيعٌ للقلوب بكلّ أرضٍ   ونقلٍ ما يملّ لشرب خمر[٣]

وله في الرمان [من الوافر]:

ورمّان رقيق القشر يحكي   ثديَّ الغيد في أثواب لاذِ[٤]
إذا قشّرته طلعتْ علينا   فصوصٌ من عقيقٍ أو بخاذ[٥]

* * *

(١) قمّعت : زيّنت ، والقمع ، التصق بأسفل التمرة أو نحوها حول علاقتها .
(٢) يشفّ : يرقّ .
(٣) النقل : ما يؤكل مع الخمر من فستق وغيره.
(٤) اللاذ : الحرير الأحمر .
(٥) البخاذ : فارسية ، وهي من الجواهر التي لونها احمر .

١٣٣ - أبو محمد بن زريق الكوفي الكاتب رحمه الله تعالى !

أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان ، قال : أنشدني ابو سليمان المنطقي ببغداد ، قال : انشدني ابن زريق لنفسه [من البسيط] :

سافرت أبغي لبغدادٍ وساكنها مثلاً فحاولت شيئاً دونه الياسُ
هيهات بغدادُ الدنيا بأجمعها عندي . وسكان بغدادٍ همُ الناس

وأنشدني له غيره في شعر الصولي [من السريع] :

داري بلا خيشٍ ولكنّني عقدت من خيشيَ طاقَيْنِ[1]
دار إذا ما اشتد حرٌّ بها أنشدت للصوليٍّ بيتين

وله أيضاً في العيادة [من مجزوء الخفيف] :

يا مريضاً بسقمه مرض الحلم والوفا
لم يكن تركيَ العيا دة هجراً ولا جفا
لم أطق أن أراك - يا أكرم الناس - مدْنفا
طال خوفي عليك فا لحمد لله إذا كفى

وقال في قينة تسمى دبسية حسنة المخبر قبيحة المنظر [من المجتث] :

أبا سعيد أصخ لي يا سيدي ونديمي[2]
منيت أمس بأمرٍ من الأمور عظيمِ
حصلت عند صديقٍ حرٍّ ظريفٍ كريم

---

(١) الخيش : نسيج من الكتّان الرديء .
(٢) أصخ لي : استمع وانتبه .

أسقـي علـى شدو دبسيّة فتنفـي همـومي [1]
فكنـت حين تغنّي لـدي جنـان النعيـم
وإن نظـرت إليهـا فـفـي العـذاب الأليم
وإن شـربـت بصوتٍ فـالـراح بالتسنيم [2]
وإن شـربـت بـلحظٍ فـالمهـل بـالـزقّوم [3]
فـكان سمعـي بخير ومقلتـي فـي الجحيـم

وأنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان لأبي محمد بن زريق ، يخاطب به أبا عبد الله الكوفي لما قلد مكان أبي جعفر بن شيرزاد ، وحصل في الدار التي كان أبو جعفر يناظر الناس فيها وعلى دسته وفي مثل حاله . وقـد كان حضـره قبـل ذلك فحجب [من البسيط]:

إنـا رأينـا حجابـاً منـك قد عرضا فلا يكن ذلّنـا فيه لك الغرضا
اسمع لنصحي ولا تغضـب عليَّ فما أبغـي بقولـي لا مالاً ولا عرضا
الشـكر يبقـى ويفنـى ماسـواه ، وكم سواك قد نال ملـكاً فانقضـى ومضى
في هذه الـدار في هذا الـرواق على هذا السـرير رأينـا الملك فانقرضا

قال : فاعتذر إليه الكوفي ، وقال له : حسبنا، وقضى حوائجه .

* * *

١٣٤ ـ أبو الورد

بلغني أنه كان من عجائب الـدنيا في المطايبـة والمحـاكاة ، وكان يخـدم

---

(١) الدبسية : المغنيّة .
(٢) التسنيم : أي ترفع كؤوسها .
(٣) الزقوم : شجرة مرّة كريهة الرائحة يأكل أهل النار في جهنم ثمرها .

مجلس المهلبي الوزير ، ويحكي شمائل الناس وألسنتهم ، فيؤديها كما هي ، فيعجب الناظر والمسامع ويضحك الثكلان . وكان أبو إسحاق الصابي قد بلي به حتى قال فيه [من الطويل] :

ومن عجب الأيام أن صروفها تسوء امرأً مثلي بمثل أبي الوردِ
فيا ليتها اختارت نظيراً وأنّها رمتني بشنعاء الدّواهي على عمد [1]
فكم بين معقور الكلاب وإن نجا ذليلاً ومقتول الضّراغمة الأسد

وفيه يقول السري حيث يذكر صفعه للملحي الشاعر [من الطويل] :

وما خلت صفعان العراق يسومني لأمثاله ذماً يسيرا ولا حمدا [2]
إذا ما أبو الورد انتحاه بكفه حسبت قفاه روضةً تنبت الوردا

ولأبي الورد شعر لهو في الإضحاك مثل قوله [من مجزوء الرمل] :

أنا في كل سحيرٍ في مداراةٍ لا يرى
دائباً يطلب وجهاً حسناً من بيت غيري
قلت نِكْ يا أيرُ من ير تع في خيري وميري [3]
قال : لا أستطيع نيكاً لكسيرٍ وعوير

وقوله [من الوافر] :

طفيليٌّ يؤمّ الخبز أنّي رآه ولو رآه على يفاعِ [4]
ولا يروي من الأخبار إلاّ أجبت ولو دعيت إلى كراع [5]

(١) الشنعاء : القبيحة ، والداهية : المصيبة .
(٢) يسومني : يكلفني ، وسامه الخسف : أذله .
(٣) المير : الخيرات من طعامٍ وغيره .
(٤) الطفيلي : الحشري الذي يحضر المآدب دون دعوة واليفاع : المرتفع من الأرض .
(٥) يشير الى الحديث « ولو أني دعيت إلى كراعٍ لأجبت والكراع بضم الكاف : ما دون الكعب من قوادم الدواب .

وقوله [من مجزوء الرمل] :

وصديقٍ جاءني يسألني ماذا لديْك
قلت : عندي بحر خمرٍ حوله آجام نيك [1]

وقوله [من الطويل] :

ولي صاحب أفسى البرية كلّها يشكّكني فيه إذا ما تنفسا
تحولّتِ الأنفاس منه إلىَ استْه فما أحدٌ يدري تنفّس أم فسا

وقوله [من مجزوء الكامل] :

ليس اشتقاق أبي المظفَّرْ من أن يرى ظفراً فيظفرْ
لكن تطاول ظُفْرُهُ فلذاك قيل أبو المظفر

(١) الآجام : جمع أجمَة ، وهي الشجر الكثير الملتف .

الباب السابع

في ذكر قوم من شعراء بغداد ومحاسن أشعارهم

١٣٥ ـ ابن نباتة السعدي : أبو نصر عبد العزيز ابن محمد بن نباتة

من فحول شعراء العصر وآحادهم ، وصدور مجيديهم . وأفرادهم الـذين أخذوا برقاب القوافي، وملكوا رق المعاني ، وشعره مع قرب لفظه بعيد المرام ، مستمر النظام ، يشتمل على غرر من حر الكلام ، كقطع الروض غب القطر ، وفقر كالغنى بعد الفقر . وبدائع أحسن من مطالع الأنوار . وعهد الشباب ، وأرق من نسيم الأسحار ، وشكوى الاحباب ، وأول ما وقع شعره إلى خراسان إنما وقع على يد أبي نصر سهل بن المرزبان ، فإنه استصحبه من بغداد في جملة ما حصله بها ، من ظرائف الدفاتر ولطائفها ، وذخائرها وأخايرها ، وأتحفني به وهو بغبار السفر ، وجعلني فيه ابا عذرة النظر . فحسبته والطرف معقود به ، شخص المحبـوب بدا لعين محبه ،وباكورة الأشعار، أرفع من باكورة الثمار ، فكم مرتع أنس فيه رعيت . وكم فص مختص منه وعيت . وأنا كاتب من عيونه ما يمتع الخواطـر ، ويجلـو النواظر ويصدق قوله ، وقد أحسن فيه كل الإحسان [من الوافر] :

وكم للّيل عنـدي من نجومٍ   جمعْـت النثـر منهـا في نظامي
عتابـاً أو نسيبـاً أو مديحاً   لخـلٍّ أو حبيبٍ أو همـامِ

تفيد بهـا العقـول نهـىً وصحواً وقـد فعلـتْ بهـا فعـل المدام

لهـا في حلبـة الآداب ركضٌ إلـى حبّ القلـوب بلا احتشام

وقوله [من البسيط]:

خذها إذا أنشدت [في القوم] من طربٍ صدورها علمتْ فيها قوافيها

ينسى لهـا الـراكب العجـلان حاجته ويصبـح الحاسـد الغضبـان يطريها[1]

وقوله أيضاً [من الخفيف]:

فات عبـد العـزيز سابقـة القو ل وإنّـي لـوصفـه فـي لحاقِ

طلعَـتْ في القلـوب ألفاظـيَ الغـــرُّ طلـوعَ النجـوم في الآفاق

وقوله [من المنسرح]:

هذا الـكلام الـذي خصصـت به أخصّ في الخالـدات من أحدِ

قـولٌ هو المـاء لذّ مطعمه فـكل قـولٍ سـواه كالزَّبد

* * *

ما أخرج من غرره في الغزل والنسيب

قال من قصيدة [من الطويل]:

وبـدر تمـامٍ بتُّ ألثـم رجلـه وأكبـره عـن أن أقبـل خـدَّه

تعشَّقـت فيـه كلّ شيءٍ يودّه من الجور حتى كـدت أعشق صدَّه[2]

البيت الأول كأنه مأخوذ من قول ابن طباطبا [من الرجز]:

وشـادن روحـي في يديهِ تبيت تهمـي قبلـي عليـهِ[3]

* يؤثـرن رجليه عـلى خـدّيه *

---

(١) يطريها : يمدحها .

(٢) الصدّ : الهجر والامتناع .

(٣) تهمي : تسقط بغزارة .

والبيت الثاني فيه رائحة من قول منصور الفقيه [من المتقارب] :

سررت بهجرك لمّا علمت ... بأنّ لقلبك فيه سرورا
ولولا سرورك ما سرّني ... وما كنت يوماً عليه صبورا
لأني أرى كلّ ما ساءني ... إذا كان يرضيك سهلاً يسيرا

وقال من أخرى [من الطويل] :

عجبت له يخفي سراه ، ووجهه ... به تشرق الدنيا وبالشمس بعدَهُ [1]
ولا بدّ لي من جهلةٍ في وصاله ... فمن لي بخلٍّ أودع الحلم عنده

ومن أخرى [من البسيط] :

يا من أضرّ بحسن الشمس والقمر ... فلم يدعْ فيهما للناس من وطرِ [2]
نفسي فداؤك من بدرٍ على غصنٍ ... تكاد تأكله عينايَ بالنظر
إذا تفكّرتُ فيه عند رؤيته ... صدّقت قول الحلوليّين في الصور [3]

ومن أخرى [من الطويل] :

سقى الله أرضاً لا أبوح بذكرها ... فتعرف أشجاني بها حين تذكرُ
سوى أنها مسكيّة التّرب ريحها ... ترفّ وتندي والهواجر تزفر
نعمت بها يجلو عليّ كؤوسَه ... أغرّ الثنايا واضح البشر أحور [4]
فوالله ما أدري أكانت مدامة ... من البدر تجني أم من الشمس تعصر ؟

---

(١) سراه : مسيره .
(٢) الوطر : الحاجة والمأرب .
(٣) الحلويّون : أي الذين يقولون بحلول الإله في الناس ، وهم من المتصوّفة .
(٤) الأحور : من الحور ، وهو شدّة سواد العين مع شدّة بياضها .

إذا صبّهــا جنــح الظــلام وعبّها رأيت رداء الليل يطــوي وينشر

ومن أخرى [من الكامل]:

دعهــم وقلبــي لا أريد رجوعه أبــداً فقلبــي كان أصـل فسادي
لو يعلمــون صلاح حــالــي بعدهمْ ما فرقــوا بينــي وبين فؤادي

ومن أخرى [من البسيط]:

إن كنت تمنــع سعــدي من مطالبها فلســت تمنــع سعــدي من تمنّيها
لله نغمــة أوتــارٍ ومسمعــةٌ باتــت تـدل علــى شوقــي أغانيها
وقهــوةٌ كشعــاع الشــمس طالعةٌ أفنيت بالمــزج فيهــا ريق ساقيها
يا لذّةً بيمين الــدهــر أدفعها في صدره وهــو من أحشــاي يدنيها
لو كان يعلــم أنّــي عنــك أخدعه ثنــى أناملــه لــي حين أثنيها

* * *

الشكوى وذم الـزمان

قال [من البسيط]:

في كلّ يومٍ لنــا في الدهــر معركةٌ هام الحــوادث في أرجائهــا فلقُ[١]
حظــيّ من العيش أكلٌ كلّــه غصصٌ مرّ المــذاق وشـربٌ كلّـه شرق[٢]

وقال [من الطويل]:

وكم من خليلٍ قد تمنّيت قربه فجــرّبتــه حتــى تمنّيت بعــدَهُ
ومــا للفتــى في حادث الدهــر حيلةٌ إذا نحســه في الأمــر قابــل سعده

---

(١) الفلق : الشجّ .
(٢) والشرق : مشرق بالماء : أي غصّ به .

أرى همـــم المـــرء اكتئابـــاً وحسرةً عليه إذا لم يسعـــد الله جدّه[1]

كأنه مأخوذ من قول المتنبي [من الطويل]:

وأتعـــب خلـــق الله من زاد همّه وقصّـــر عمـــا تشتهـــي النفس وجده

وقال من قصيدة [من الكامل]:

ما بال طعـــم العيش عنـــد معاشرٍ حلـــوٌ، وعنـد معاشـــرٍ كالعلقمِ
من لي بعيش الأغبياء فإنّه لا عيش إلاّ عيش من لم يعلم

هذا معنى متداول، ومن احسن ما قيل فيه قول ابن المعتز [من الكامل]:

وحـــلاوة الـــدنيا لجاهلها ومـــرارة الـــدنيا لمـــن عقلا

وقال من أخرى [من الكامل]:

يأبـــى مقامـــي فـــي مكان واحدٍ دهـــرٌ بتفـــريق الأحبّـــة مـــولعُ
كفـــكفْ قسيّك يـــا فـــراق فإنّه لم يبـــق في قلبـــي لسهمـــك موضع

كأنه من قول المتنبي [من الوافر]:

رمـانـــي الدهـــر بالأرزاء حتـــى فؤادي في غشـــاءٍ مـــن نبالِ
فصـرت إذا أصـابتنـــي سهامٌ تـكسّـــرت النّصـــال عـلـــى النصال

وقال [من الوافر]:

برمـــت من الحياة، وأيّ عيشٍ يكون لمـــن مطاعمـــه الخبـالُ ؟[2]
ولـــو أنّـــي أعـدّ ذنـــوب دهري لضـاع القـــطـر فيهـــا والـــرمال[3]

---

(١) الجدّ : الحظّ .
(٢) برمت : مللت ، والخبال : الفساد ، .
(٣) القطر : يعني قطرات المطر .

وقال [من الوافر]:

سقامٌ ما يصاب له طبيبٌ وأيامٌ محاسنها عيوبُ
ودهرٌ ليس يقبل من أديبٍ كما لا يقبل التأديب ذيب
يحب على المصائب والرزايا فلا كان المحبّ ولا الحبيب

وقال [من الوافر]:

متى أرجو مسالمة الهموم وآمل صحة الجسم السقيمِ ؟
وكرّ الحادثات عليّ تجني جنايات القروف على الكلوم[1]

وقال [من الطويل]:

طلاب المعالي للمنون صديق وطول الأماني للنفوس عشيقُ
تسربلْ ثياب الموت أو حلّل الغنى تعشْ ماجداً أو تعتلقْك علوق
وما الفقر إلاّ للمذلة صاحبٌ وما الناس إلاّ للغنيٍّ صديق
وأصغر عيبٍ في زمانك أنّه به العلم جهلٌ والعفاف فسوق
وكيف يسرّ الحر فيه بمطلبٍ وما فيه شيءٌ بالسرور حقيق
إذا لم تكن هذي الحياة عزيزةً فماذا إلى طول الحياة تتوق
ألا إنّ خوف الموت مرٌّ كطعمه وخوف الفتى سيفٌ عليه ذلوق[2]
وإنك لو تستشعر العيش في الردى تحلّيت طعم الموت حين تذوق

وقال [من مجزوء الكامل]:

كيف السبيل إلى الغنى والبخل عند الناس فطنَهْ
خذ من زمانك كلّ شيءٍ لا يجرّ عليك منّه

---

(١) الكلوم : الجراح .
(٢) الذلوق : القاطع .

ونبتْ بنا أرض العرا ق فما محنّاها بمحنه
غير الرحيل ، كفى البلا د بنقلة الفضلاء هجنه !

وقال رحمه الله [من الوافر] :

وتأخذ من جوانبنا الليالي كما أخذ المساء من الصباحِ
أما في أهلها رجلٌ لبيبٌ يحسّ فيشتكي ألم الجراح
أرى التشمير فيه كالتواني وحرمان العطيّة كالنجاح[1]
ومن لبس التراب كمن علاه فلا تخضعْك أنفاس الرياح
وكيف يكدّ مهجته حريصٌ يرى الأرزاق في ضرب القداح[2]

وقال سامحه الله [من البسيط] :

أراحني الله من قلبٍ منيت به يهوى القعود ويهوى أشرف الرتبِ
أطلبْ لصدرك همّاً بالمنى كلفاً وخلّ صدري فما لي فيه من أرب
والمجد يطلب بالآفات طالبه لم يحظ بالمجد من لم يحظ بالنكب
ما للزمان سوى أولاده درنٌ إن لم يكونوا بنيه فالزمان أبي[3]

* * *

الفخر والحماسة

قال [من الطويل] :

خليليَّ قد لجّ الزمان ولجّ بي مرادٌ، وأحداث الزمان تعوقُ
وأيّ فتىً غنّيتما وسقيتما فتىً فيه نفث السحر ليس يحيق[4]

---

(١) التشمير : الجدّ والعمل .
(٢) يكدّ : يتعب .
(٣) الدّرن : الوسخ ، أو الإبلاء والافناء .
(٤) يحيق : يؤثّر .

فتى تطرب الألحان من شرفٍ به ... ويسكر منه الخمر وهو مفيق

كأنه نسجه على منوال قول القائل [من المنسرح] :

ريحان ريحانه إذا ورد الـ ... ـروض ، ومنه تأدّب الأدبُ
تشربه الكأس ليس يشربها ... يطرب من حسن وجهه الطرب

وبعد قوله «فتى تطرب الألحان » قوله :

ولو شئت علّمت المكارم شيمتي ... ولكنّني بالمكرمات رفيقُ
أخاف عليها أن تجود بنفسها ... إذا ما أتاها في الزمان مضيق

وقال أيضاً [من الوافر] :

ومغرورٍ يحاول نيل عرضي ... فقلت له : الكواكب لا تنالُ
يعاين في المكارم فيض كفّي ... ويزعم أنه ذهب النوال
ويعجب أن حويْت الفضل طفلاً ... ألا لله ثم ليَ الكمال
أحمّل ضعف جسمي ثقل نفسي ... ونفسي ليس تحملها الجبال
وأسمع كلّ قولٍ غير قولي ... فأعْلمُ أنّه خطل محال[1]

وقال من قصيدة [من الطويل] :

رضينا وما ترضى السيوف القواضب ... نجاذبها عن هامكم وتجاذبُ[2]
فإيّاكم أن تكشفوا عن رؤوسكم ... ألا إنّ مغناطيسهنّ الذوائب
أقول لسعدٍ والركاب مناخةٌ ... أأنت لأسباب المنيّة هائب
وهل خلق الله السرور فقال لا ... فقلت أثِرْها أنت لي اليومَ صاحب
وخلّ فضول الطيلسان فإنّما ... لباسك هذا للعلا لا يناسب

---

(١) الخطل : الفساد في الرأي .
(٢) القواضب : القواطع .

عمائــم طلاّب المعــالــي صــوارمٌ وأثــواب طــلاب المعــالــي ثعالب

ولـي عنــد أعنـاق المـلــوك مـآربٌ تقـوزُ سيوفـي هـنّ لـي والـكواثب [1]

خلقنــا باطـرافِ القنــا لظهورهم عيونـاً لهــا وقـع السيوف حـواجب

أؤمّـل مـأمــولاً بغيـر صـدورهـا فواخجلتـا إنّــي إلـى المجـد تائب

وله من قصيدة في صباه [من البسيط]:

تضاءل الـدهـرُ حتـى ضاع في هممي واستفحل المجدُ حتى صار من شيَمي

فلــو يكون سواد الشعــر في ذممي ما كان للشيب سلطـانٌ علـى اللّمم [2]

فالعيش من نِعَمي والمـوت من نقمي وحكمــة الفَلَك الـدوّار من حكمي

والحزم والعـزم في الأقـوام من خلقي كما الفصاحـة فـي الأقـوال من كلمي

لو يعلــم النــاس قدري في زمانهمُ صلّـوا لوجهــيَ واشتاقــوا ثرى قدمي

ما زلــت اعــطف أيامــي وتمنحني نيلاً أدقّ من المعــدوم في العدم

حتى تخـوفَ صرف الدهــر بادرتي فرد كفّــي وأومــا أن يســدّ فمي [3]

أذمّ كلّ خليلٍ بات يحمدني أنــا الــذي ما لَهُ خلٌّ سوى الندم

وليس سؤلــي يا قلبــي سوى رهجٍ تجــوده من دم الفرســان بالدِّيَم [4]

وقال [من الطويل]:

وعنّفنــي في موكب المــوت معشرٌ وقالوا أيهوى الجدب من هو في الخصبِ

وإنــي لأدري أنّ في العجــز راحةً وأعلـم أن السهـل أوطا من الصعب

ولــو طلــب النــاس المـكارم كلّهم لكان الغنـى كالفقــر والعبــد كالرّب

---

(١) الكواثب : الجموع ، والكثيب ، التلّ من الرمل .

(٢) اللمم : جمع لمّة أي شعر الرأس .

(٣) أوما : أصله أومأ بالهمز فسهل الهمزة بقلبها ألفا وهي بمعنى أشار .

(٤) الرّهج : الغبار .

ولكن أشخاص المعالي خفيّةٌ / على كل عينٍ ليس تنظر باللّب
لقد زادني حرب الزمان تجارباً / فلا عشت في يومٍ يمرّ بلا حرب
ومن يك يعتاد الكروب فؤاده / فإنك يا قلبي خلقت من الكرب

وقال [من الكامل]:

وأنا البصير بكل علم غامضٍ / وإذا رأيت مذلّة فأنا العمي
والذلّ أثقل من جبال تهامةٍ / عندي وأعذب منه سمّ الأرقمِ (١)

وقال [من المتقارب]:

إذا استروح الغمر من همّه / هربْت إلى الهمّ مستروحا
وإني على شغفي بالمديـ / ـح لست أسرّ بأن أمدحا
وما ينقم الدهر شيئاً علي / سوى أنفي منه أن أفرحا

وقال من قصيدة [من الطويل]:

وإنّي لأغضي الطرف عن كلّ منظرٍ / يصبّ إليه النّاسك المتماسكُ (٣)
وما ذاك من جهلٍ به ، غير أنني / عيوفٌ لأخلاق الأراذل تارك(٤)

وقال من قصيدة [من الطويل]:

وآخذ عفو العيش لا أستكدّه / لحى الله غنماً يستفاد مع الغرمِ (٥)
فإن كنت أرضى بالبشاشة منكمُ / ويستر عدْمي شيمتي وتكرّمي
فربّ جوادٍ قيّد الفقر جوده / ومبتسمٍ تعبيسه في التبسّم

---

(١) الأرقم : الأفعى السّامة .
(٢) الغمر : الجاهل .
(٣) أغضي : أطرق حياءً وأغضُّ .
(٤) العيوف : التارك .
(٥) لحى : لعن ، والغنم : من الغنيمة ، والغرم : الذنب والإثم .

وله من أخرى [من الطويل]:

وهل ينفع الفتيان حسن جسومهم إذا كانت الأعراض غير حسانِ
فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى فما كلّ مصقول الحديد يماني[1]

وله من أخرى [من البسيط]:

حتى م نقدم والأيام تغلبنا وغيرنا يغلب الأيام بالفشلِ
يا أهل بابلَ عزمي قبله فكري في النائبات وسيفي بعده عذلي
وعندكم نعمٌ عندي مصائبها لكم وصال الغواني والصبابة لي
قالوا حنيفة شجعانٌ فقلت لهم كلّ الشجاعة والإقدام في الدول
ما لي أغير على دهري فأسلبه ويحجمون وفي أيديهم نفلي[2]
إن لم تسلني المواضي عن جماجمهم إذا تطايرن فالتقصير من قبلي

* * *

غرر في المدح وما يتصل به

قال من قصيدة في سيف الدولة [من البسيط]:

يا أيّها الدهر إنّ العيّ كالخطل ما دهرنا غير سيف الدولة البطلِ
نواله جعل الأرزاق من قبلي وعزّه صيّر الأيام من خولي[3]
وما تمهّل يوماً في ندىً وردىً إلاّ قضيت للمح البرق بالكسل

ومنها في ذم الروم والأسرى منهم :

قد كنت تأسرهم بالسيف منصلتاً فصرت تأسرهم بالخوف والوهلِ[4]

---

(١) يماني : السيف المنسوب إلى اليمن.
(٢) النفل : العطايا .
(٣) الخول : العبيد .
(٤) الوهل : الخوف والرعب .

من يزرع الضرب يحصدْ طاعة عجباً ... ومن يربّي العلا يأمن من الثكل[1]
كانت سحابك فيهم كلُّ بارقةٍ ... حمراء تهطل بالأيدي على القلل[2]
فاليوم سحبك فيهم كلّ بارقةٍ ... غرّاء تهطل بالأموال والحلل
حتى تمنّى مليك الروم حظّهمُ ... وأنّه معهم في الأسر لم يزل

كأنه أخذه من قول ابي دهبل الجمحي في قوله [من المنسرح]:

ما زلت في العفو للذنوب وإطـ ... ـلاق لعانٍ بجرمه غلقِ
حتى تمنّى البراء أنهم ... عندك أمسوا في القدّ والحلق[3]

ومنها في شكر صنائعه :

وما أريد عطاء غير ودّكمُ ... وبشركم ينجلي من جودكم بجلي
قد جدت لي باللهى حتى ضجرت بها ... وكدت من ضجرٍ أثني على البخل
إن كنت ترغب في بذل النوال لنا ... فاخلق لنا رغبةً ، أولاً فلا تنل
لم يبق جودك لي شيئاً أؤمله ... تركْتني أصحب الدنياَ بلا أمل

وله إيضاً فيه [من الطويل]:

سيوفك أمضى في النفوس من الرّدى ... وخوفك أمضى من سيوفك في العدى
فتىً يتحامى لذّة النوم جفنه ... كأنّ لذيذ النوم في جفنه قذي[4]
أطرفك شاكٍ أم سهادك عاشقٌ ... يغار على عينيْك من سنّة الكرى
ومن سهرت في المكرمات جفونه ... رعى طرفه في جوِّها أنجمَ العلا
فليس ينام القلب والجفن ساهرٌ ... ولا تغمد العينان والقلب منتضي[5]

---

(١) الثكل : الفقد .
(٢) القلل : يعني الرؤوس .
(٣) القدّ والحلق : أي في القيود والزرد ، يعني الأسر .
(٤) القذى : ما يقع في العين من أذىً .
(٥) منتضى : انتضى سيفه : شهره وسلّه .

ومن قصيدة في المهلبي الوزير [من الكامل] :

لا تأمنوا آراءه وظنونه ... إنّ العيون لها من الأمدادِ[1]
وتعوّذوا بالله من أقلامه ... إن السيوف لها من الحسّاد

ومن أخرى في علي بن دوست بن المرزبان [من الطويل] :

أما لو تخيّرتُ المنى لمنحته ... كمال عليٍّ أو سلوت عن الحبِ
ترى الشمس أمّاً والكواكب إخوةً ... وتنظر من بدر السماء إلى تربِ[2]
غنيت عن الآمال حين رأيته ... فأصبح من بين الورى كلهم حسبي
فلم أطلب المعروف من غير كفّه ... وهل تطلب الأمطار إلاّ من السّحْب

ومن أخرى [من الوافر] :

فدتك بدائع الألفاظ طرّاً ... وأبكار القوافي والمعاني[3]
نزلت من المكارم والمعالي ... بمنزلة الشباب من الغواني
فلا زالت لياليك البواقي ... مواصلة بأيّام التهاني

وله من أخرى في المهلبي الوزير [من الطويل] :

وتطرق أقفال الغيوب بصارمٍ ... من الرأي يخشى الغيب منه ويرهبُ
وتطعن في صدر الكتائب معْلماً ... كأنّك في صدر الدواوين تكتب[4]
ولست أرى كسب الدراهم نافعي ... إذا لم يكن لي في المكارم مكسب
ولي همّةٌ لا تطلب المال للغنى ... ولكنها منك المودة تطلب

---

(١) الأمداد : الأعوان .
(٢) الترب : الرفيق من عمرٍ واحد .
(٣) طرّاً : قاطبة .
(٤) المعْلَمْ : المكان الذي له خبرةٌ في طعنه .

وقال لأبي العلاء صاعد بن ثابت يمدحه ويستهدي منه شراباً [من الخفيف]:

أيّ يومٍ من صاعدٍ لم أرح فيـــــه بخيلٍ كثيرة الأسـلابِ
من نوالٍ يسـري بغير سؤالٍ وعـطاء يهمـى بغـير طـلاب
جئتـه زائـراً وقـد ركب الأفـــلاك والنجم تحتـه فـي التـراب
بمعـانٍ سـرقْتهـا مـن عـلاه فـكأنّـي قـرأتـهـا مـن كتاب
وأشـارت ألحـاظه بـدنـوّي فـكأنّـي سمعـت فصـل الخطاب[1]
ثم قبّلـت ظاهـر الـكفّ منـه فـكأنّـي قبلـت وجـه السحـاب
يـا جـواداً أرواحنـا مـن عطايا ه وأفهـامنـا مـع الألبـاب
إن هـذي الهمـوم تقـدح فينا قدح كفيك في السِّـلام الصلاب[2]
فاسْقنـا صَيِّبَ المـدام سقـاك الله صـوب الآمـال والآراب
خندريسـاً كأنّهـا تتقـي المز ج بـدرعٍ مسـرودةٍ مـن حباب[3]
خجلـتْ مـن جـلالـكم فأتتنـا في رداءٍ مـؤزّرٍ ونقـاب
تهـب المـال للفقيـر وتغـزو شـربهـا فـي عسـاكـر الأطـراب
سرقـت حسـن خـلقـهـا من سجايا ك وأخـلاقـك الـكرام الـرغـاب
إنّهـا في السحـاب وبْـل وفـي الريـح نسيمٌ ونشـوةٌ فـي الشـراب[4]
خـلـق الله صاعـداً يوم خلـق النـــــاس للـكأس والنـدى والضراب
ما سؤال الـدنيا له وهـي في عيـــنيه أدنـى مـن ودّهـا الـكذاب
قـد ظلمنـاه فـي السـؤال لأنّـا مـا سألنـاه ردّ شـرخ الشباب[5]

---

(١) فصل الخطاب : الكلام الذي لا اعتراض عليه ولا جواب .

(٢) السِّلام : بكسر السين : الحجارة .

(٣) الخندريس : يعني الخمر ، والمسرودة : المصنوعة والحباب : ما يعلو الخمر من فقاع .

(٤) الوبل : المطر .

(٥) شرخ الشباب : ما تقضّى منه .

وقال من قصيدة لعضد الدولة [من المنسرح] :

يا عضد الدولة الذي قمعت دولته الدهر وهو جبّار
أنت نهارٌ والعالمون دجىً وأنت طرفٌ والناس أعيار[1]
ليس لنا في المديح محمدةٌ فعلك غيث والقول نوار

وله من أخرى فيه [من المتقارب] :

سلمت على عثرات الزما ن يا عضد الدولة المنتخبْ
ولا زلت ترفع من دولةٍ تواضعْتَ فيها بهذا اللقبْ
قسمْت زمانك بين الهمو م تنعم فيها وبين الدأب[2]
فيوماً تمير عفاة النسور ويوماً تمير عفاة الأدب[3]

وقال من قصيدة في عضد الدولة يصف فيها نار السذق [من الطويل] :

لعمري لقد أذكى الهمام بأرضه مشهّرةً ينتابها الفجر صاليا[4]
تغيب النجوم الزهر عند طلوعها وتحسد أيام الشهور اللياليا
هي الليلة الغراء في كلّ شتوةٍ تغادر جيد الدهر أتلع حاليا[5]

وقال وقد كثر الإرجاف بعلة عضد الدولة رحمه الله تعالى [من البسيط] :

إذا سمعت حديثاً عنك أحسبه يرتاع قلبي وما ألفي بمرتاعِ
تجلّد الحر لا ينسى حفيظته ولو رأى دمه يستنّ بالقاع
أرجوك أقرب ما قالوا به رمقٌ وحين يؤيس منك المؤيس الناعي[6]

(١) الطرف : بكسرٍ فسكون ـ الفرس ، والأعيار : جمع عير ، وهو الحمار .
(٢) الدأب : العمل والمثابرة .
(٣) تمير : من المير ، وهو الطعام وغيره .
(٤) أذكى : أوقد .
(٥) الجيد : العنق ، والأتلع : المنتصب .
(٦) الرمق : بقية الروح .

وأسـأل الـركب هـل أحسستُم فزعاً | لو كان ميتـاً لضاعــت ثلّـة الراعي
أرضـى وأقنـع بالأطمـاع كـاذبـةً | فمـا يضـرّك لـو أبقيت أطماعي
قـد كاد يعـرف وجـه الـذلّ في نظري | ويظهر العجـز والتقصير فـي بـاعي [1]

* * *

غــرر الأوصاف

قال في وصف فرس أدهم أغر محجل، حمله عليه سيف الدولة أبو الحسن [من الكامل]:

يا أيهـا الملك الـذي أخـلاقه | مـن خلقـه، ورواؤه مــن رائـه
قـد جاءنــي الـطـرف الـذي أهـديته | هـاديـه يعقــد أرضـه بسمائه
أولايــةً ولّيتنـا فبعثتـه | رمحـاً سبيب العـرف عقــد لـوائه [2]
يختـال منه علـى أغـرَّ محجَّلٍ | مـاء الدياج قـطرةٌ مـن مـائه
وكأنّمـا لطـم الصبـاح جبينـه | فـاقتصّ منـه فخـاض فـي أحشـائه
متمهلاً والبــرق مـن أسمـائـه | متبـرقعـاً والبــدر مـن أكفـائه
مـا كـانــت النيران يـكمــن حـرّهـا | لـو كان للنـيران بعض ذكـائه
لا تعلـق الألحـاظ فـي أعطـافه | إلاّ إذا كفكفـت مـن غـلوائه [3]
لا يكمـل الـطـرف المحـاسـن كـلها | حتــى يـكون الـطـرف مـن أسـرائـه

وقال أيضاً في وصف هذا الفرس [من الوافر]:

وأدهــمَ يســتمـدّ الليـل منـه | وتطــلـع بين عينيـه الثـرّيـا [4]
سرى خلف الصبــاح يطير مشياً | ويطـوي خلفــه الأفـلاك طيّـا

---

(١) باعي : يعني الباع في الإنسان : الذراع والعضد .
(٢) السّبيب من الفرس : شعر الذنب والعُرف والناصية .
(٣) غلوائه : يقصد شدّه سرعته .
(٤) الأدهم : الأسود .

فلما خاف وشك الفوت منه تشبّث بالقوائم والمحيّا

وله في وصف سكين [من السريع] :

مرهفةٌ تعجز وصف اللسان للسيف معنى ولها معنيان
تخلفه في حدّه تارةً وتارةً تخلف حدّ السنان
ما أبصر الراءون من قبلها ماءً وناراً جمعا في مكان

* * *

فقر وملح وأمثال وحكم

قال في ذم العراق [من الوافر] :

بلادٌ أنفس الاحرار فيها كضبٍّ القاع تروى بالنسيمِ
يجوز بها وينفق كلّ شيءٍ سوى الآداب طرّا والعلوم

وقال يصف كماة الحرب [من الوافر] :

نسوا أحلامهم تحت العوالي ولا أحلام للقوم الغضاب
إذا كانت نحورهمُ دروعا فما معنى السوابغ في العياب [1]

وقال يصف طيب الهواء [من الوافر] :

ألا يا حبذا طيب الغبوق وملبوسٌ من العيش الرقيقِ [2]
إذا ما الصبح أسفر نبّهتني جنوبٌ مسّها مسّ الشفيق [3]

---

(١) السوابغ : الدروع .
(٢) الغبوق : الخمر يشرب مساءً .
(٣) الجنوب : الريح تهبّ من الجنوب .

ألم فيه بقول ابن المعتز [من البسيط] :

والريح تجذب أطراف الرداء كما أفضى الشقيق إلى تنبيه وسنانِ

(رجع) :

وفتيانٍ تهمّهم هموم حديثهم ألذُّ من الرحيقِ [1]

وقال [من الطويل] :

وكنت إذا ما حاجة حال دونها نهارٌ وليلٌ ليس يعتذرانِ
حملت على حكم القضاء ملامها ولم ألزم الإخوان ذنب زماني

وقال من قصيدة في سيف الدولة [من الطويل] :

وأفلت نفقور يرقّع جلده وفيه لآثار السلاح خروقُ [2]
يجرّ العوالي والسهام بجسمه كمحتطبٍ للحمل ليس يطيق

سرقه من قول عنترة [من المتقارب] :

وغادرن نضلة في معركٍ يجرّ الأسنة كالمحتطبْ

وقال [من الطويل] :

ألا فاخْشَ ما يرجى وجدّك هابطٌ ولا تخش ما يخشى وجدّك رافعُ
فلا نافعٌ إلاّ مع النحس ضائرٌ ولا ضائرٌ إلا مع السعد نافع

سرقه من قول يزيد بن محمد المهلبي [من الكامل] :

وإذا جددْتَ فكل شيءٍ نافعٍ وإذا حددت فكل شيء ضائرُ

---

(١) الرحيق : الخمر .
(٢) نقفور : اسم امير من أمراء الروم .

وقال [من البسيط]:

سعى رجال فنالوا قدر سعيهمِ ... لم يأت رزقٌ بلا سعيٍ ولا طلبِ
حسن التأتي مفاتيح الغنى ، وعلى ... قدر المطالب تلفى شدة التعب

وقال في نظم مثل من كتاب كليلة ودمنة [من المنسرح]:

أحْسد قوماً عليك قد غلبوا ... وكلٌّ من بادرَ المنى غلبا
وكنت كالكرْم في تكرّمه ... تلتفّ أوراقه بما قربا

وقال [من الوافر]:

وإني لا أزال ألوم نفسي ... على طول التجنّب والبعادِ
وما أعتاض بالأقوام منكمْ ... وهل يعتاض صدرٌ من فؤاد ؟[1]

وقال [من الوافر]:

وما استبطأت كفّك في نوالٍ ... على عُدواء نأي واقترابِ[2]
ولو كان الحجاب لغير نفعٍ ... لما احتاج الفؤاد إلى حجاب

هذا أحسن ما قيل في الحجاب، وأحسبه بعد قول أبي تمام [من البسيط]:

ليس الحجاب بمقصٍ عنك لي أملاً ... إنّ السّماء لترجي حين تحتجبُ

وقال [من الكامل]:

مثل خلعت على الزمان رواءه ... عوز الدراهم آفة الأجوادِ

وقال [من الكامل]:

من لم يذق غصص التفرّق لم يمتْ ... الموت رمحٌ والفراق سنانُهُ

---

(١) اعتاض : اكتفى واستبدل .

(٢) العدواء : المركب الذي لا يطمئن من قعد عليه ، أو الأرض الصلبة غير المطمئنة ، والنأي : البعد .

وقال [من الكامل] :

يهوي الثناء مبرّزٌ ومقصّرٌ حبّ الثناء طبيعة الإنسان

وقال [من الوافر] :

نعلّلُ بالدواء إذا مرضنا وهل يشفي من الموت الدواءُ ؟
ونختار الطبيب وهل طبيبٌ يؤخّر ما يقدمه القضاء ؟
وما أنفاسنا إلاّ حسابٌ وما حركاتنا إلاّ فناء

وقال ، وهو من قلائده البديعة ، لشرف الدولة أبي الفوارس [من المتقارب] :

أسرّ إليك مقال النصيح ولست إلى النصح بالمفتقرْ
عليك إذا ضاغنتك الرجال بضرب الرؤوس وطعن الثّغر[1]
ولا تحقرنَّ عدواً رماك وإن كان في ساعديه قِصَرْ
فإن الحسام يحزّ الرقاب ويعجز عما تنال الإبر
وينفع في الرَّوعْ كيد الجبان كما لا يضرّ الشجاعَ الحذر
شبِ الرعب بالرهب وامزج لهم كما يفعل الدهر حلواً بمر[2]

* * *

١٣٦ ـ أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامي

من أشعر أهل العراق ، قولاً بالإطلاق ، وشهادة بالاستحقاق. وعلى ما أجريته من ذكره ، شاهد عدل من شعره والذي كتبت من محاسنه نزه العيون ، ورقى القلوب ، ومنى النفوس .

---

(١) ضاغنتك : من الضغينة أي إضمار الحقد والبغض .
(٢) شب : فعل أمر من شاب أي مزج .

ومن خبره أنه ولد في كرخ بغداد ، آخر نهار يوم الجمعة لست خلون من رجب سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، ونسبته في بني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب، وأمه شاعرة، وقال الشعر وهو ابن عشر سنين، فمن أول شعر قاله في المكتب قوله [من المنسرح]:

بدائع الحسن فيه مفترقة ... وأعين الناس فيه متفقَهْ
سهام ألحاظه مفوّقةٌ ... فكلّ من رام لحظه رشقه [1]
قد كتب الحسن فوق عارضه ... هذا مليح وحقٍّ من خلقه

وركب في صباه سمارية ولم يكن رأى دجلة قبل ذلك فقال [من الوافر]:

وميدانٍ تجول به خيول ... تقود الدارعين ولا تقاد
ركبت به إلى اللذات طِرفاً ... له جسمٌ وليس له فؤاد [2]
جرى فظننت أنّ الأرض وجهٌ ... ودجلة ناظرٌ وهو السواد

ورأى في يد غلام يميل إليه مرآة فقال [من المنسرح]:

رأيته والمرآة في يده ... كأنها شمسةٌ على ملكِ
فقلت للصورة التي احتجبتْ ... من غير زهدٍ فينا ولا نُسْك
يا أشبه الناس بالحبيب ألا ... تخبرنا عنك غير مؤتفك [3]
قال أنا البدر زرت بدركم ... وهذه قطعة من الفلك
قلت فإني أرى بها صدأً ... فقال هذا بقية الحَبَك [4]

وخرج من مدينة السلام ، وورد الموصل وهو صبي حين راهق ، فوجد بها

---

(١) المفوّقة : يقال فوّق السّهم : أي أراشه وأمدّه .
(٢) الطرف : الجيد من الخيل .
(٣) المؤتفك : من الافك ، وهو رمي الإنسان بحديث كذب.
(٤) الحبك : الحياكة والنسج، وحبك الشيء بالشيء : جمعه .

أبا عثمان الخالدي، وأبا الفرج الببغاء ، وأبا الحسين التلعفري ، وشيوخ الشعراء، فلما رأوه عجبوا منه واتهموه بأن الشعر ليس له ، فقال الخالدي : أنا أكفيكم أمره ، واتخذ دعوة جمع الشعراء فيها ، وحصل السلامي معهم ، فلما توسطوا الشرب أخذوا في ملاحاته ، والتفتيش على قدر بضاعته ، فلم يلبثوا أن جاء مطر شديد وبرد ستر الأرض، فألقى أبو عثمان نارنجا كان بين أيديهم على ذلك البرد، وقال : يا أصحابنا هل لكم في أن نصف هذا ؟ فقال السلامي ارتجالاً [من مجزوء الكامل] :

لله در الخالديِّ الأوحدِ النَّدب الخطيرِ
أهدى لماء المزن عند جموده نارَ السعير
حتى إذا صدر العتا ب إليه عن حَنَق الصّدور
بعثتْ إليه بعذرهِ من خاطري أيدي السرور
لا تعذلوه فإنّه أهدى الخدود إلى الثغور

فلما رأوا ذلك أمسكوا عنه . وكانوا يصفونه بالفضل، ويعترفون له بالحذق إلا التلعفري فإنه أقام على قوله الأول حتى قال فيه السلامي [من الكامل] :

يا شاعراً بسقوطِهِ لم يشعر ما كنت أول طامعٍ لم يظفرِ
لو كنت تعرف والداً تسمو به لم تنتسب ضعةً إلى تلعفّر
تاهَ ابن بائعةِ الفسوق على الورى بقذال صفعانٍ ونكهة أبخر[1]
وبلادةٍ في الشعر تشهد أنّه تيسٌ ولو نصرت بطبع البحتري
يحلو بأفواه الأنامل صفعُه حتى كأنّ قذاله من سكرّ

وقال فيه أيضاً [من الوافر] :

سما التلعفّريُّ الى وصالي ونفس الكلب تكبر عن وصالهِ

---

(١) القذال : القفا ، والأبخر : من رائحة فمه كريهه .

ينافـي خلقه خـلقـي فتأبى فعـالي أن تضـاف إلـى فعاله
فصنعتـي النفيسـة فـي لساني وصـنعته الخسيسـة فـي قـذاله
فـان أشعـرْ فمـا هو من رجـالي وإن يصفـعْ فمـا أنـا من رجـاله

ودخل يوماً إلى أبي تغلب وبين يديه درع فقال : صفها، فارتجل [من الكامل] :

يـا ربّ سابغةٍ حبتنـي نعمةً كافأتهـا بـالسـوء غيـر مفنّـدِ [1]
أضحـت تصـون عـن المنـايا مهجتي وظللـت أبـذلهـا لـكلّ مهنّـد

وورد حضرة الصاحب بأصبهان واستمطر منه بنوء غزير، وسرى في ضوء قمر منير، ولقيه بقصيدة منها [من الوافر] :

رُقـى العـذّال أم خـدعُ الرقيبِ سقتْ وردَ الخـدود من القـلوب
وآبـاهُ الصـبابـة أم بنـوهـا يروضـون الشـبيبـة للمشيـب [2]
وقفنـا مـوقف التـوديع نوطي نجـوم الـدمع آفـاق الغـروب
تعجـب مـن عنـاقٍ جـرّ دمعاً وتقبيـلٍ يشيّعُ بـالنـحيب
وقـد ضاق العنـاق فـلـو فطنّا دخـلنا فـي المخـانـق والجيـوب [3]
ونحـن أولاك نطلـب مـن بعيـدٍ لعـزتنـا وندرك مـن قـريب
تبسّـطنْـا علـى الآثـام لمّـا رأينـا العـفـو مـن ثمـر الـذنـوب

هذا البيت من إحسانه المشهور ، ولعله امير شعره .

ولولا الصـاحبُ اختـرع القـوافي لمـا سهـل الخـلاصُ من النسيب
ومـن يثنـي الـى ليثٍ هصورٍ لواحظـه عـن الرشـاء الـربيب [4]

---

(١) مفنّد: من التفنيد وهو الكذب .
(٢) يروضون : راض الشيء : ساسه وكبح جماحه .
(٣) المخانق : القلادة والعقد .
(٤) الليث الهصور : الأسد المفترس ، والرشأ : ولد الغزال .

وكيف يمسّ حد السيف طوعاً قريب الكفّ من غصن رطيب
وشبّهنا فكنت أبا نواسٍ ولكن جلّ عن قدر الخصيب
ومن يك مثل عبّادٍ أبوه يعشْ بين الأنام بلا ضريب
أحرْز الخائف الجاني، وكنز الـمقلّ المعتفى ، وأخا الغريب[1]
أما لك غير بأسك من عتادٍ ولا غير العظائم من ركوب
تروُض مصاعب الأيام قهراً وتحملها على عودٍ صليب
وتبذل دون تاج الملك نفساً متيّمة بتنفيس الكروب
وجرّبت الملوك فما أصابت لداءِ الملك غيرك من طبيب
فمن غصب الإمارة إذ حواها فما تحوي الوزارة بالغصوب
توارثها الكفاة وتقتضيها مناسب معرقٍ فيها نسيب[2]
تمائمكم مناطقكم إذا ما جفت بحضور شبّان وشيب
دعيتم في المهود بها وعدّت لكم قبل التصدّر والركوب
ولو صَدَقَتْك جنّ الليل عنّي شغفت بفن إنسيٍّ عجيب
مع القرنين من قلمٍ وطرسٍ أو العبدين من طاسٍ وكوب[3]
أشقّ الفكر عن لفظٍ بديعٍ فيقْدم بي على معنىً غريب

ولقي مؤيد الدولة بقصيدة أولها [من الكامل] :

وصل الخيال ومنك رمت وصالا هذي الزيارة لا تعدّ نوالا
زار الخيال فلا تزرني في الكرى حاشا لحسنك أن يكون خيالا
قد كنت فيك شككت يا بدر الدجى حتى رأيتك في اللثام هلالا
وهواك علّمني القريض فزاد في حبّيك أني منه أكسب مالا

---

(١) الحرز : الأمان والملجأ ، والمعتفى : الفقير .
(٢) المعرق : الأصيل في النسب .
(٣) الطرس : الكتاب ، والصحيفة .

هو منهضـي نحـو الأمير وهمةٌ حملـت إليـه صـلاتـه آمـالا[1]
ووتيرة الشعـراء فـي مـدحٍ وفي منـحٍ فتجمـع مفخـراً ونوالا
ضربـوا لك الأمثـال فـي أشعارهم لـكننـي بـك أضـرب الأمثال

ولقي الصاحب بأرجوزة حسنة ، منها [من الرجز] :

يا راقـداً لولا الخيال ما رقدْ هـل لك فـي عـارية لا تستردْ[2]
موشـيٌّ أثـواب الجمـال بـالغيدْ وفّـر حـظ جيـده مـن الجَيـد
لو لم يفض مـاء الشبـاب لاتّقد قـد استـدار صـدغه حتـى انعقـد
وصين ورد خـده عمـن ورد إن أبـا القاسـم كـالسيف الفـرنَدْ[3]
ذو بـدَهـات لم تخلّـد في خـلد أغـرّ ميمـون بـه الملك اعتضد
فمـا تحـل الـوزراء مـا عقد بجهدهـم مـا قـالـه ومـا اجتهـد
شتـان مـا بين الأسـود والنقـد هـل يستوى البحـر الخضم والثمد[4]
أمنيتـي مـن كلّ خيـرٍ مستعد أن يسلـم الصاحـب لي طول الأبد
حتـى يقـال لـم يطـل عمر لبـد فمـا أبـو ألفٍ رئيس معتمد[5]
كلّ غـلام منهـمُ رب بـلد يـا سعـده مـن والـد بما ولـد
وشْـم بروق سيفـه إذا وقـد وانسـاب مـاء المـزن فيه واطّرد
كالـروح لا تكمـن إلا فـي جسـد يحمله عبـل الشـوى عبـل الـكبد[6]
ينجـده وهـو عـريقٌ في النجد وإن جـرى كانـت لـه الـريح مدد

---

(١) الصلات : العطايا .
(٢) العارية : الأمانة والقرض .
(٣) الفرند : السيف بالفارسية .
(٤) الثمد : القليل من الماء .
(٥) لبد : من كنى النسر ، وهو يعمر طويلاً .
(٦) العبل : الضخم ، والشوء .

خاض الدماء وتحلى بالزبد كأنّه إنسان عينٍ في رمد[1]
يا مجريَ الفكر إلى أقصى أمد اسمع فقد انجز حرٌّ ما وعد
عذاراء لم يقرع بها سمع أحد لو عرضت على أبي النجم سجد
وخلّ من عاندني وما اعتقد فليس للحاسد إلاّ ما حسد

وكتب من أصفهان إلى ذي الكفايتين ابي الفتح بن العميد وهو بالري قصيدة منها [من الكامل]:

عَبَرَ الجواد بي الفراتَ ودجلةً وأتي نداك فليس يعرف معبرا
فالآن يرجع يا عليُّ القهقرى لم يستطع متقدّماً فتأخّرا
وأعيذها من أن يعارض مثلها بادٍ هواك صبرت أم لم تصبرا
قالت وقد بعث الملوك بمهرها مهري سواك فكن لغيري جوهرا
ما ضرّها إلاّ تواطؤ طيءٍ فيها على نحت المعاني بحترا[2]
جُمَلٌ غدا عنها جميلٌ مفحماً وكثرن في تفصيلهن كُثَيِّرا[3]

وكان بحضرة الصاحب شيخ يكنى بأبي دلف مسعر بن مهلهل الينبوعي يشعر ويتطبب ويتنجم ، ويحسد السلامي على منزلته ، فيتعرض له ويولع به . حتى ألقمه السلامي الحجر بأن قال له يوماً [من الخفيف]:

قال يوماً لنا أبو دلفٍ أبرد من تطرق الهموم فؤادَهْ
لي شعر كالماء قلت أصاب الشيخ لكن لفظه برّاده
أنت شيخ المنجمين ولكنْ لست في حكمهم تنال السعاده
وطبيبٌ مجرّبٌ ما له بالنجح في كلّ ما يجرب عاده

(١) إنسان العين : ناظرها .
(٢) بحترا : يعني البحتري الشاعر العباسي المشهور.
(٣) جميل : يعني جميل بثينة ، وكثيّر : يعني كثيّر عزّة ،وهما من شعراء الغزل والنسيب في العصر الأموي .

مرّ يوماً إلى عليلٍ فقلنا قرّ عيناً فقد رزقت الشهاده[1]

ولم يزل السلامي بحضرة الصاحب بين خير مستفيض، وجاه عريض، ونعم بيض، إلى أن آثر قصد حضرة عضد الدولة بشيراز، فجهزه الصاحب إليها، وزوده كتاباً بخطه إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف نسخته :

قد علم مولاي أطال الله بقاه أن باعة الشعر أكثر من عدد الشعر، ومن يوثق بأن حليه التي يهديها من صوغ طبعه، وحلله التي يؤديها من نسج فكره. أقل من ذلك. وممن خبرته بالامتحان فأحمدته، وقررته بالاختيار فاخترته. ابو الحسن محمد بن عبد الله المخزومي السلامي أيده الله تعالى، وله بديهة قوية توفي على الروية، ومذهب في الإجادة يهش السمع لوعيه، كما يرتاح الطرف لرعيه، وقد امتطى أمله، وخير له إلى الحضرة الجليلة رجاءأن يحصل في سواد أمثاله، ويظهر معهم بياض حاله. فجهزت منه أمير الشعر في موكبه، وحليت فرس البلاغة بمركبه، وكتابي هذا رائده الى القطر، بل مشرعه إلى البحر. فإن رأى مولاي ان يراعي كلامي في بابه، ويجعل ذلك ذرائع إيجابه، فعل إن شاء الله تعالى.

فلما وردها تكفل به أبو القاسم، وأفضل عليه، وأوصله إلى عضد الدولة، حتى أنشده قصيدته التي منها [من الطويل] :

إليك طوى عرض البسيطة جاعل قصارى المطايا أن يلوح لها القصرُ
فكنت وعزمي في الظلام وصارمي ثلاثة أشباهٍ كما اجتمع النسر
فبشّرت آمالي بملكٍ هو الورى ودارٍ هي الدنيا ويومٍ هو الدهر

فاشتمل عليه جناح القبول، ودفع إليه مفتاح المأمول. واختص بخدمة عضد الدولة في مقامه. وظعنه الى العراق، وتوفر حظه من صلاته وخلعه، واللهى تفتح اللهى، وسير فيه قصائد كتبت عيون غررها، وكان عضد الدولة يقول : إذا

(١) قرّ عيناً : هدأ وسكن .

رأيت السلامي في مجلس ظننت أن عطارداً نزل من الفلك الي ، ووقف بين يدي .
ولما توفي عضد الدولة تراجع طبع السلامي، ورقت حاله ، ثم ما زالت تتماسك مرة وتتداعى أخرى حتى انتقل الى جوار ربه ، في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة .

* * *

ما أخرج من غرره في النسيب والغـزل

قال [من الوافر]:

مُنيتُ بمـن إذا مُنِّيت أفضت ... منـايَ إلـى بنفسـج عـارضيْهِ
وفاضـت رحمـةً لي حين ولّـى ... مـدامعُ كـاتبـيَّ وكـاتبيْـه

وقال أيضاً [من المتقارب]:

ومختصـر الخـصـر من بعـده ... هـربـت فألقيت فـي صـدِّهِ
وقابلنـي وجهـه مقبـلاً ... بحـدّ الحسـام وإفرنْـده
فمـا زلـت أعصـر مـن خـدّه ... وأقـطـف مـن مجتنـى ورده
أشـمّ بنفسـج أصـداغـه ... وزهـراً تعصْفـر فـي خـدّه
وأظمـا فـأرشف مـن ريقـه ... فيـا حـرَّ صـدريَ مـن بـرده
ومـا للحـاظٍ سـوى وجهه ... ومـا للعنـاق سـوى قـدّه

وقال أيضاً سامحه الله تعالى [من الطويل]:

وفيهن سكرى للحظ سكرى من الصبا ... تعاتـب حـلـو اللفـظ حـلـو الشمائلِ
أدارت علينـا من سلافٍ حديثها ... كؤوسـاً وغنَّتنا بصـوت الخـلاخـل

وقال من قصيدة شبب فيها بغلام بدوي كان معه [من المتقارب]:

تعـلّقتـه بـدوي اللسا ... ن والـوجـه والـزي ثبـت الجنانِ(١)

---

(١) ثبت الجنان : ثبت العقل وراجحه .

أعانق من قده صعدةً ... ترى اللحظ منها مكان السنان[1]
أدار اللثام على ثغره ... فأهدى الشقيق إلى الأقحوان
ومِسْك ذوائبه سائلٌ ... على آس ديباجه الخسرواني[2]
يذوب اشتياقاً لنبح الكلاب ... إذا هاجنا طرب الغطْرفان[3]
أحييه بالورد والياسمين ... فيصبو إلى الشّيح والأيهقان[4]
ويشتاق فينا عواء الذئاب ... إذا هاجنا طرب العترفان[5]
فيا بدويٌّ سهامُ الجفون ... صر عن ضيوفك حول الجفان
فإن كان دينك رعيَ الذّمام ... فقل أنت من ذمتي في أمان

ومن قصيدة شبب فيها بغلام عيار من الشطار [من المنسرح]:

يا مرهفاً في لحاظة مرهفٌ ... ومخطف القدّ سهمه مخطفْ
من أودع الورد وجنتيك ومن ... نقّش طرز العذار أو غلّفْ
وما لهذا الصدغ المشوش قد ... عارض طرق التقبيل واستهدفْ
أطلع أفق العجاج لي قمراً ... بين نجومٍ تجول أو تزحف[6]
يقطر ماء الجمال منه وير ... تجّ إذا ارتج ردفه المردف
ومسرف الحسن لا يلام إذا ... جار على عاشقيه أو أسرف[7]
عقّف كلاّبه وأرهفه ... فقلت يكفيك صدغك الأعقف[8]

(١) الصعدة : القناة المستوية .
(٢) الآس : الريحان ، نبات ذو ثمار كروية بيضاء وسوداء ، وورقه عطر.
(٣) الغطرفان : الغطريف السيد الشريف ، والسَّخي السرّي ، والغطرفة : الخيلاء والتكبرُ .
(٤) الأيهقان : عشبٌ يطول وله وردةٌ حمراء ، وورقه عريض ، ويؤكل .
(٥) العترفان : الديّك .
(٦) العجاج : الغبار والدخان .
(٧) أسرف : جاوز الحدّ .
(٨) الكلاّب : حديدة عقفاء يعلّق، وأرهفه : جعله ماضياً عليها .

تغنيك عن سهمك اللحاظ وعن صارمك العضب قدّك الأهيف
ومال كفي على سوالفه والموت من دون لمسها يسلف
فمرّ مرّ السحاب يسحب فضل الكم عجباً وفاضل المطرف[1]
وقال والورد قد تعصفر في خديه غيظاً وآن أن يقطف
مثلك يلقي يداً عليّ أما يخاف من ناظري أن يتلف
لو مر بي الليث مات خوفاً ولو أبصر طيفي في النوم لم يطرف
أنا العذاب المذاب والأسد الأسود بأساً والمقرب المقرف[2]
أشطر مني فتىً إذا وقعت عليه عيني في الوقت لم يتلف
إذا شربنا بنت الكروم فبالبيض نحيا وبالقنا نتحف
لولا توقيّ أو مراقبتي أني عزيزٌ وأنت مستضعف[3]
نحرت حتى السماء واقعةٌ فوقي والأرض تحتنا تخسف
فقلت مهلاً فلست أول من أخطأ جهلا من قبل ان يعرف
البدر لا ينسخ الظلام على ديباجتيه والبحر لا ينزفْ
عزمت ان أدعي عليك فلا تصغ إلى من لحا ومن عنف
ولا تكلني إلى اليمين فلو شئت أكلت الزبور والمصحف[4]
فافترّ عن لؤلؤٍ وأسفر عنْ وردٍ وقبّلته فما استنكف[5]
وقال ما تشتهي فقلت له نقصف حسادنا بأن نقصف
فمال بي والظلام شملته وفجره في يمينه مرهف
إلى رياضٍ يغازل القطر ما دبّج من زهرها وما فوّف[3]

---

(١) العجب : التيه .
(٢) المقرف : الوجه القبيح ، أو المرض المرض.
(٣) توقّي : احتراسي .
(٤) الزّبور : كتاب داود عليه السلام .
(٥) إستنكف : اعترض وأشاح .
(٦) فوّف : زيّن وأبدع .

ما بين فتيان لـذةٍ عرفـوا الـــــعيش فنالـوا نعيمــه الألطف
هذا يحيّي وذا يـغـار وذا يلثـم كـرهـاً وذاك يستعطف
بـرد الثـرى بـردنـا وقـد زرّر الـــبـدر علينـا دواجـه المحصف[1]
وبيننـا خمـرتـان من ريقـة الـــكرم وريقٍ أشهـى من القرقف
ولـطّف الله لـي بمـدرجـةٍ أمثـالهـا عنـد مثلـي تـلطف
أنشــدتـه شعـر مـكشفٍ فأتى يلثـم تـلك السطـور والأحـرف
ومـات سكراً فمـتُّ مـن فـرحٍ وكـاد سـتـر الغـرام أن يـكشف

وله في غلام عباسي التحى فازداد حسناً [من المنسرح]:

لمـا التحـى أصبحـت عمـامته الـــسـوداء تجلـي مخضـرّة الحبكِ
وصــار يختـال أن يلين بخلـق الــــخـزّ عن ردفـه أو الفتك
في كلّ يـومٍ تـراه مـؤتزراً بالــروض بين الحيـاض والبـرك
ومـا علمنـا بأنّـه قمـرٌ حتـى اكـتسـى قطعـة من الفـلك

وقال من أرجوزة [من الرجز]:

وليلـةٍ كـأنّهـا علـى حـذرٍ ممرّهـا أسـرع مـن لمـح البصرْ
مــن قبلهــا لم أر ليـلاً مختصـر ولا زمـانــاً لم يبــن مـن القصـر
والليل لا يكرب إلاّ في غررٍ إذا وفـى أحبـابنـا فيه غـدر
زار وما اسودّ الدجـى ولا اعتكر أبيض إلاّ المقلتين والشّعـر
أغـر أوقـاتـي إذا زار غـرر[2] فلـم يكـن إلا السـلام والنظـر
أو قبلـة خالستهـا على خطر حتى انتضى الصبح حسامـاً مشتهر
وانفـلّ من أهــواه في جيش البكر فبـتّ محـزونـاً كـأنّـي لم أزر

* واحسرتـا لليلنـا كـيف انحسر *

---

(١) المحصف : المحكم ، أو المبعد .
(٢) زار غرر : أي على حين غفلة .

وقال [من المتقارب] :

عـــذارك جادت عليه الريـاض ... بـأجفــانهـا ... وبـــآمـاقهـا
وطـال غـرام الغوانــي بـه ... فقـد طـرّزتـه بـأحـداقهـا

وقال [من الخفيف] :

فاض ماء الجمـال في الأقطـار ... كـلّ بـدرٍ مطـرّزٌ بعـذارِ
قد أرانا عقارب الشعـر من خدّ ... يـه تـأوي مـكامـن الجلنـار

وقال من قصيدة [من المتقارب] :

يفضُّ الغــزال جفـون الغزل ... وقد فضح الـكحل فيها الـكحلْ[1]
ولا وجنــي الــورد فـي وجنتيـــــــــه ما أوجـب اللثــم ذاك الخجل

وقال من أخرى [من الكامل] :

ما تســـرع الألحـاظ تخـطـف وردةً ... مـن خـدّه إلا عثـرن بخـالهِ
مـذ نقّبــوه وزرفنـوا أصـداغـه ... ختـمــوا بغـاليةٍ عـلـى أقفـاله[2]

وقال [من الرجز] :

تعــرّض الشــعــر لعـارضيـه ... وأطـلــق العشـاق مـن يـديـهِ
كأن الصـــبـا يهتــزّ في عطفيه ... والحسـن تجـري خيلـه إليـهِ[3]
حتـــى إذا أبصـر وجنتيـه ... حجبتـا بمثـل حـاجبيـه
جـاد عـذاريـه بعبرتيــه ... كـأنمــا يغسـل مـن خديّهِ

* صحيفـة قـد كتبت عليه *

---

(١) يفض : يفت .
(٢) الزُّرفين : حلقةٌ للباب ، والغالية : وعاء الطيب .
(٣) عطفية : جانبيه .

وقال من قصيدة شبب فيها بغلام تركي [من الكامل]:

علقــت مفتــرس الضراغــم فارساً ... رحــب المدى والصــدر والميـدانِ
قمـرٌ من الأتـراك تشهــد أنّـه الـ ... ـخود الحصـان علـى أقـبّ حصان[1]
البـدر فـي ظل الغمامــة والنقـا ... فـي سرجـه والغصــن فـي الخفتان
ألّفْــتُ طرّتــه وغـرتـه ومـا ... كـان الـدجـى والصبـح يـأتلفان
ورمـى بـلحــظيه القـلـوب وسهمــه ... فعجبــت كيف تشـابـه السهمـان
بطـلٌ حـمائلــه كعـارضـه وحـا ... جبــه الأزجّ كقـوسـه المـرنـان[2]
حيّيتـه فـدنـا وأمــطـر راحتي ... قبـلاً فليت فمــي مـكان بنـاني
وخدعتـه بالـكـأس حتـى ارتـاض لي ... ودرأت عنّــي الحـدّ بالـكتمـان[3]
والمـرء مـا شغلتــه فـرصــة لذّةٍ ... نـاســي العــواقـب آمـن الحـدثان

وقال من قصيدة [من البسيط]:

وأعرضَــتْ إذ رأتْ في عارضــي دررا ... منظــومـة معهـا الأحـزان تنتظمُ
وللصــبابــة قـومٌ لا يسـرّهـمُ ... أن يلبســوا الـوشــي إلاّ تحتــه سقم
أشتــاق أهــلــي لظبــي بين أرحـلهـم ... والحـب يـوصل إذ لاتـوصـل الـرحم

ومن أخرى [من البسيط]:

مـا ضنّ عنــك بموجــودٍ ولا بخـلا ... أعـزّ مـا عنــده النفس التــي بذلا
يحـكي المطـايا حنينـاً والهجير جوىً ... والمـزن دمعـاً وأطــلال الـديار بلى

---

(١) الخود الحصان : المرأة الجميلة العفيفة . والحصان الأقب : الضامر البطن الدقيق الخصر.
(٢) الأزج : الرقيق في الطول. والمرنان هنا : ذات الصوت ، ويقال على القوس ، تسمّى بذلك الرنين صوتها .
(٣) درأت : منعت وتوقّيت .

ومن أخرى [من البسيط]:

الحبّ كالدهر يعطينا ويرتجع ... لا اليأس يصدقنا عنه ولا الطمعُ
صحيتُهُ والصّبا يغري الصبابة بي ... والوصل طفلٌ غريرٌ والهوى يفع[1]
أيام لا النوم في أجفاننا خلسٌ ... ولا الزيارة من أحبابنا لمع
وليلةٍ لا ينال الفكر آخرها ... كأنما طرفاها الصبر والجزع
إذ الشبيبة سيفي والهوى فرسي ... ورايتي اللهو واللذّات لي شيع[2]
أحييتها ونديمي في الدّحا أملٌ ... رحب الذرى وسميري خاطر صنع[3]
حتى تبسّم إعجاباً بزينته ... لفظٌ بديع ومعنى فيك مخترع

ومن أخرى [من الطويل]:

رسولي إذا لم يغْشهنّ رسول ... صباً وقبولٌ بل صباً وقبولُ
وقلبٌ سوى قلب الكتيبة باسلٌ ... وحدّ سوى حد الحسام صقيل
وما حسن صبر ما ترين ولا رضا ... بنأيٍ ولكن المحبّ حمول

كأنه ألم فيه بقول المتنبي [من الطويل]:

وما عشت من بعد الأحبّة سلوةً ... ولكنّني للنائبات حمول

ومن أخرى [من الخفيف]:

أَنُوارٌ وأين دار نُوار ... أظلم الناس في أشطّ الديارِ
ذات صدغٍ من البنفسج قد ما ... ل على وجنةٍ من الجلنار

---

(١) اليفع : الناشيء الحدث
(٢) شيع : أتباع.
(٣) الدحا : السعة ، والدفع ، والبسط.

ومن أخرى [من الوافر]:

ويغريني بذكر الربع غيدٌ ... به صيدٌ وحور فيه عينُ
سَلَلْنَ من الحداق السود بيضاً ... فما ندري قيانٌ أم قيون[1]

* * *

الخمريات وما يتعلق بها من سائر الأوصاف والتشبيهات

كتب إلى صديق له يصف النارنج [من الوافر]:

أتنشط للصبوح أبا عليٍّ ... على حكم المنى ورضا الصديق[2]
بنهر للرياح عليه درع ... تَذَهَّبَ بالغروب وبالشروق
إذا اصفرّت عليه الشمس صبّت ... على أمواجه ماء الخلوق[3]
وقفت به فكم خدٍّ رقيقٍ ... يغازلني على قدٍّ رشيق
وجمر شبّ في الأغصان حتى ... أضاع الماء في وهج الحريق[4]
فدهْم الخيل في ميدان تبرٍ ... يصاغ لها كراتٌ من عقيق
فهل لك في ختام المسك فضّتْ ... نوافجه ومختوم الرحيق[5]

وكتب إليه في وصف الجلنار [من الوافر]:

أحنّ إلى لقاء أبي عليٍّ ... ويأبى أن يحنّ إلى جواري
وقد جلبتْ علينا الراح حتى ... مللنا جلوة البيض العذاري
وصفَّر أوجهَ العذّال يومٌ ... وجوه شموسة تحكي اصفرارى

---

(١) القيون : الحدّادين والصنّاع.
(٢) الصبوح : شرب الخمرة صباحاً .
(٣) الخلوق : الطيب .
(٤) شبّ : اتّقد واضطرم .
(٥) النوافج : أوعية الطيب .

ونهرٌ تمرح الأمواج فيه مراح الخيل في رهج الغبار
إذا اصفرت عليه الشمس خلنا نمير الماء يمزج بالعقار[1]
كأن الماء أرض من لجين مغشّاةٌ صفائحَ من نضار
وأشجارٌ محمّلةٌ كؤوساً تضاحك في احمرار واخضرار
إذا أبصرن في نهرٍ سماءً وهبن له نجوم الجلنار
فزرنا إن نار الراح تكفي الندامى خيفتيْ عارٍ ونارِ

وقال في الدير الذي بقنطرة النوبندجان، وقد شربوا هناك ولبسوا أكاليل الزهر ورموا البنادق [من الطويل]:

أقنطرة النوبنْدَجان وديرها وحور مهى لا تألف الحور غيرَها
شربنا بها والروض يخلع زهره على الشرب والأشجار تنثر طيرها

كتب يستهدي الشراب [من البسيط]:

أرسلت أشكو إليكم غدوة ظمئي وما شككت بأني سوف أغتبقُ[2]
فقد كتبت إلى أن خانني قلمي وقد ترددت حتى ملّني الطرقُ
أنت امرؤٌ جوده غمرٌ ونائله همرٌ ووبل نداه مسبلٌ غدق[3]
فابعث إليّ بصفو الراح يشبهه منّي قريضٌ ومنك العرف والخلق

وكتب إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف [من الوافر]:

أظنُّ اليوم يهطل بالمدام فإن الأفق محمرّ الغمامِ
وما عوّدت حمل الكأس إلاّ على سكر الكروم او الكرام
وعهد سماء جودك بالعطايا كعهد دم الأعادي بالحسام

---

(١) النمير : العذب الزلال .
(٢) أغتبق : أشرب الخمرة مساءً .
(٣) غمرٌ : كثير ، وهمرٌ : متتابع .

إذا طلعتْ شموس الراح فينا | وهبنا كلّ مسرجة اللجام
أبحر الجود في بحر الأماني | وبدر الملك في بدر التمام
ومن عبد ابن يوسف صير اسمي | وصيّره الندى مولى السلامي
إذا ركبت أناملنا كميتاً | من الحبب المفضّض في لجام[1]
تحيينا بذكرك وانتقلنا | بمدحك دون سادات الأنام
طربت فما أبالي ما ورائي | ونار الراح مشعلةٌ أمامي
جفون المزن مذ عدمت بواكٍ | لرحمتنا وخدّ الورد دامي
فأحْيِ بها فتىً أحلى مناه | تقدّم من فداك إلى الحمام

وكتب إلى صديق يستدعيه أبياتا منها [من الكامل] :

يوماً لبست به الخلاعة حلّةً | وسحبتها فسحبت خير لباسِ
في مجلسٍ زجل الغناء متوّج الـ | ـكاسات فيه مهذّب الجلاس[2]
والطير قد طربت بحسن غنائها | لو أنها فطنت لشرب الكاس
والشمس من حسد تغير لونها | أن لا تكون كغرّة العباس
أنا لا أبالي من فقدت من الورى | إما حضرت فأنت كلّ الناس

وقال من قصيدة [من البسيط] :

وظبيةٍ من بنات الإنس في يدها | ووجهها للصبا والحسن خاتامُ[3]
قد حللت لؤلؤ الأزرار عن دررٍ | لهنّ في ثغرها الفضّيٍّ أتوام[4]
وزارت الروض منها مقلتان لها | وحشيتان وعذب الريق بسّام
والكأس للمسكر التبريّ صائغةٌ | والماء للحبب الدريّ نظّام

---

(١) الكميت : الحصان الذي يميل لونه الى الحمرة مع السواد .
(٢) الزجل : الذي يرفع صوته بالغناء والطرب .
(٣) الخاتام : لغة في الخاتم ، وقال الراجز . يا هال ذات الجورب المنشقّ أخذت خاتامي بغير حقّ .
(٤) الأتوام : جمع تومة وهي الكبيرة من اللؤلؤ .

بتنا نكفكف بالكاسات أدمعنا   كأننا في حجور الروض أيتام[1]

هذا البيت من إحسانه المشهور في ابتداع الاستعارة .

وقال من أخرى [من المتقارب] :

نفرغ أكياسنا في الكؤوس   نبيع العقار ونشري العقارا[2]
حمدنا الهوى ونسينا الفراق   ومن يشرب الخمر ينس الخمارا

ومن أخرى [من الخفيف] :

اشربا واسقيا فتىً يصحب الأيـ   ـام نفساً كثيرة الأوطار[3]
والنفوس الكبار تأنف للسا   دة أن يشربوا بغير الكبار
في جوار الصبا نحلّ بيوتاً   عمرتْ بالغصون والأقمار
ونصلّي على أذان الطنابيـ   ـر ونصغي لنغمة الأوتار
بين قومٍ إمامهم ساجدٌ للـ   ـكأس أو راكعٌ على المزمار

ومن أخرى [من الكامل] :

نسب الرياض إلى الغمام شريف   ومحلّها عند النسيم لطيفُ
فاشرب وثقّلْ وزن جامك إنّه   يومٌ على قلب الزمان خفيف[4]
أو ما ترى طرز البروق وتوسّطتْ   أفقاً كأن المزن فيه شفوف
واليوم من خجل الشقيق مضرّجٌ   خجلٌ، ومن مرض النسيم ضعيف
والأرض طرسٌ والرياض سطوره   والزهر شكلٌ بينها وحروف
وكأنّما الدولاب ضلّ طريقه   فتراه ليس يزول وهو يطوف

---

(١) الحجور : جمع حجر وهو الحضن والمأوى .
(٢) العقار الأول : بفتح أوله هو المال الثابت كالدور،والعقار الثاني بضمّ أوله : وهو الخمر .
(٣) الأوطار : الحاجات .
(٤) الجام : الكأس من الفضة.

ومن أخرى [من الطويل]:

ولبّاسةٍ حلى الشباب لعوبةٍ — بطرق الهوى عقادة للزمائمِ
غزال صريم في رجومٍ صوارمِ — وبدر تمامٍ في نجوم تمائم[1]
وكان رقادي بين كأس وروضةٍ — فصار سهادي بين طرفٍ وصارم
ولولا نسيبٌ مطربٌ من قصائدي — لما احتال طيفٌ في زيارة نائم

ومن أخرى [من الكامل]:

أنسيم هل للصلح عندك موضعٌ — فيزور طيفٌ أو تهبّ نسيمُ
والشيب دونك وهو موتٌ مضمرٌ — والهجر وهو تفرّقٌ مكتوم
بيني وبين الراح مثل حبابها — دمعٌ على وجناتها منظوم

ومن أخرى [من الطويل]:

وقد خالطَ الفجر الظلام كما التقى — على روضةٍ خضراءَ وردٌ وأدهمُ
وعهدي بها والليل ساقٍ ووصلنا — عقارٌ وفوها الكأس أو كأسها فم
إلى أن بدرنا بالنجوم وغربها — يفضّ عقود الدرّ والشرق ينظم[2]
ونبّهت فتيان الصبوح للذّةٍ — فلبّوا وما فيهم سوى الليل محرم
وفي كلّ كأسٍ للندامى بقيّةٌ — تلوح كدينارٍ يغطّيه درهم

* * *

سائر الأوصاف

نزل عضد الدولة شعب بوان والسلامي معه متوجهاً الى العراق، فقال له: قل في الشعب، فقد سمعت ما قال المتنبي، فعاد إلى خيمته وكتب [من البسيط]:

---

(١) الصريم: بفتح الصاد ـ القطعة العظيمة من الرمل.
(٢) بدرنا: أسرعنا وعجّلنا.

اشرب على الشّعب واحلل روضة أنفا قد زاد في حسنــه فازددْ به شغفا[1]

إذ ألبس الهيف من أغصانــه حللاً ولقّــن العجــم من أطياره نتفا

وأثمــرتْ حســن الأغصــان مثمــرةً من نازع قُــرُطــاً او لابسٍ شنفا[2]

والمـاء يثنـي علـى أعطـافه أزرا والـريح تعقـد فـي أطرافهـا شـرفا

والشمس تخرق من أشجارهـا طـرفاً بنـــورهـا فتــرينا تحتهـا طـرفا

من قائــلٍ نسـجــت درعــاً مفضّضة وقـائـل ذهبــت أو فضّضــت صحفـا

ظلّــت تـزفّ لـه الـدنيا محـاسنها وتستعـدّ لـه الألطـاف والتّحفـا

من عارضٍ وكـفـا ، أو طـائــرٍ هتفا، أو بـارقٍ خطفـا ، أو سـائــرٍ وقفا[3]

هذا مما قاله بديهاً وليس بمستحسن في الوزن إلا أن ابا تمـام قال [مـن الطويل]:

يقـول فيسـمـع، ويمشــي فيسـرع، ويضــرب فـي ذات الإلّـه فيوجـع

رجــع :

ولست أحصي حصى الياقوت فيه ولا درّاً أصــادفه فـي مـائـه صــدفا

يظـنّ من وقفــتْ فيه الشجــون به أنّ الصبابــة شابــت والهـوى خـرفا

تعسّف الشـــوق فيه كلّ ذي شجنٍ والشـــوق ألطفــه مـا كان معتْسفا[4]

فاحللْ عُرىَ الهـمّ واشربهـا مشعشعةً رقّ النسيم مبـاراةً لهــا وصفا

ماذا يقــول لك المـدّاح ؟ قد نفدت فيك المعاني وبحـر اللفـظ قـد نزفا[5]

لم يبــق لي حيلــةٌ إلاّ الدعــاء فإن يسمـع ظللـت عليـه الـدهــر معتكفا

---

(١) الشغف : الحبّ والميل .
(٢) الشنُف : الحليّ تلبس في الآذان .
(٣) وكف : هطل .
(٤) العسف : الظلم والشجن : الحزن .
(٥) نزف : أي لم يبق منه شيء .

وقال من قصيدة سذقية في أبي الفوارس وأبي دلف [من البسيط] :

ما زلت أشتاق ناراً أوقدتْ لهما ... حتى ظننت عذاب النار قد عذبا
يعلو الدخان بسودٍ من ذوائبها ... قد عطّ فيها قناع التبر واستلبا[1]
قد كلّلتْ عنبراً بالمسك ممتزجاً ... وطوقت جلناراً واكتست ذهبا
فالنور يلعب في أطرافها مرحاً ... والخمر يرعد في أكنافها رهبا
وطار عنها شرارٌ لو جرى معه ... برقٌ دنا او تلقّى كوكباً لكبا[2]
لو كان وقت نثارٍ خلته درراً ... أو كان وقت انتصارٍ خلته شهبا[3]
والليل عريان فيه من ملابسه ... نشوان قد شقّ أثواب الدجى طربا
أقسمْت بالطّرْف لو أشرفت حين خبَتْ ... جعلْت أنفس أعضائي لها حطبا

وقال من قصيدة أخرى [من الخفيف] :

فسمونا والفجر يضحك في الشر ... ق إلينا مبشّراً بالصباحِ
والثريا كراية أو كجامٍ ... أو بنان أو طائر أو وشاح
وكأن النجوم في يد ساقٍ ... تتهاوى تهاويَ الأقداحِ
وجمعنا بين اللواحظ والرا ... ح وبين الخدود والتفاح
وشممنا بنفسج الصدغ حتى ... طالعتنا من الثغور الأقاح
زمن فات بين بهو وشربٍ ... وغناء وراحةٍ وارتياح
معقلي نهر معقل فإن ارتحْـ ... ـت إلى منزل فدير نجاح
وحياتي بما حوتْه إلى الخمّـ ... ـار مصروفةٌ أو المَلاّح
مركبي مثل لمّتي أدهم جو ... نٌ ويحكيهما نديمي وراحي[4]

---

(١) عطّ : شقّ.

(٢) كبا : سقط وتعثّر .

(٣) النثار : ما ينثر من الذهب .

(٤) الجون : من الأضداد وهو للأسود والأبيض .

مركبة السفينة والزورق وهما أسودان، ولمته سوداء لأنه شاب، ونديمه اسود لأنه عربي ، ونبيذه نبيذ التمر وهو أسود .

وقال ، وكتب بها إلى الشريف الرضي، وكان خرج من داره في المطر فأعطاه كساء استتر به [من الكامل]:

ما زال بي مهر الشبيبة جامحاً حتى حملت على المشيب الكابي[1]

فسمعْت أقبح ما سمعت نداءها ما بال هذا الأشيبِ المتصابي

إنّي حلفت بربٍّ أشرف كعبةٍ في مشهد النشوات والأطراب

وبكل مخلوع العذار مجرّرٍ فضلَ الإزار مسحّب سحّاب

وبمصرّع الدّنّ الجريح وحرمة الـ ـوتر الفصيح وذمّة المضراب

ومتى حلفت بمثلها متأوّلاً فصدقْت بالأزلام والأنصاب[2]

وأنا دعيٌّ في البلاغة ملْصق في الشعر منسلخٌ عن الآداب

ويباع في الأكراد شعري إنّه يغلو إذا ما بيع في الأعراب

لقد ارتقَتْ تبغي أبا الحسن العلي يطمحْن منه إلى الأبيّ الآبي

الموسويّ الناصريّ أبوّةً وخؤولة علويّة الأنساب

في حيث أرّثت النبوة نارها فخبا لنور الحقّ كلُّ شهاب[3]

لا أدعي لك ، إنما بك أدعي أنّي وصلت إلى أعز جناب

زاد الإله بكم قريشا رفعةً وأقرّ عين قُصَيِّها بن كلاب

متناسلين وأنت كنت مرادهم مترددين إليك في الأصلاب

حتى ولدت فأغفلوا أنسابهم وغدا وجودك أشرف الأنساب

ألسان هاشمٍ الذي بغروبه تفري وناظر غالب الغلاب

---

(١) الجامح : الشرود ، والكابي : الذي يحدّ من نزوة الشباب وجموحه ، وكبا الفرس سقط .

(٢) الأزلام والأنصاب : ما كان يعبد في الجاهلية .

(٣) خبا : ضعف وانطفأ.

أشكو إليك عشيّةً لم نفترق فيها على مللٍ ولا استعتاب
ما كنت إلاّ جنّةً فارقتها كرهاً فصبّ عليَّ سوط عذاب
ودّعت دارك والسماء تجودني بيد الغمام فلا أرى بك ما بي
ما زلت أركض في الوحول مبارياً فيها الخيول لواحق الأقراب[1]
فجريت والعكاز أخصر شكّتي قصراً ولكنّي أعزّ ركابي[2]
ورأيت غالية الطريق ومسكه طيناً معدّاً لي على الأثواب[3]
وحمى كساؤك لا عدمت معيره درّاعتي وعمامتي وجبابي
فوليتَ يا بحر السماحة كسوتي وولي أخوك الغيث بلّ ثيابي
غيثان هذا ابن الذي من أجله خلق السحاب وذا سليل سحاب
فوصلت أشكو ذا وأشكر ذا وبالـ ـغيثين ما بهما من التسكاب
وخريدة عذراء رحت أزفّها ما بين ألفاظ شرفْنَ عذاب
جاءتك يحملها الجمال، وربّما وقف الجباء بها دويْن الباب
أهديتها خجلاً إلى متغلغل الـ أفكار محصد مرة الآداب[4]
لأبي القريض ابن المعاني بل أخي الـ إعراب حين يفوه والإغراب
ضمن الحسين له وموسى رتبةً في الفضل نافرةً عن الخطّاب
انظر بعين رضاً إلى ما صغته وأعره سمع مسامحٍ وهّاب
وتجاوزِ الخطأ الشنيع وأخْفهِ عن ناظر المتفيهق المغتاب[5]
واجهر إذا أنشدتها في محفلٍ فعثرت بين عيوبها بصواب

وقال من قصيدة عضدية في يوم صب الماء [من مجزوء الكامل] :

---

(١) مبارياً : مسابقاً .
(٢) الأخصر : الأوجزَ والشكّة : السلاح .
(٣) الغالية : أخلاط الطيب.
(٤) المِرّة : الفتل والإحكام في الصنع .
(٥) المتفيهق : المتكبّر المتوسّع في تأويل الكلام .

عدل الحبيب فمن يجور ودنا فأين بنا يسيرُ
عوّضت من عيسٍ تدو ر بي الفلا كأساً تدور[1]
وشربت ما وسع الصغير وزدت ما حمل الكبير
نبّهت ندماني وقد عبرتْ بنا الشعرى العبور
والبدر في أفق السما ء كروضةٍ فيها غدير
هبّوا فقد عيّي الرقيب ونام وانتبه السرور
وأشار إبليسٌ فقلنا كلّنا نِعْمَ المشير
صرعى بمعركةٍ تعفّ الوحش عنها والنسور
نوّار روضتنا خدو د والغصون بها خصوَر
والعيش أستر ما يكو ن إذا تهتّكت الستور
هبّوا إلى شرب المدا م فإنّما الدنيا غرور
طاف السقاة بها كما أهدت لك الصيّد الصقور
عذراء يكتمها المزا ج كأنّها فيه ضمير
وتظنّ تحت حبابها خداً تقبّله ثغور
حتى سجدنا والإما م أمامنا مثنى وزير[2]
وإذا صحونا فاللسا ن للعذب والفكر الغزير
نفتضّ معنىً أو يولّد بيننا مثلٌ يسير
أو يمدح الملك الجليل السيّد الفرد الخطير
ما عزه شيءٌ بغا ه فكيف أعوزه النظير[3]

ومنها :

---

(١) العيس : النوق.
(٢) مثنى وزير : من أوتار العود .
(٣) النظير : المثيل .

وغـداة أنـسٍ بشّرتـــــك بهــا المعــازف والخمـور
إذا مـاء غيثنا والأرض تـربتـهـا عبيـر
تغـري بصـبّ المـاء يا ملـكاً أنـاملـه بحـور
ويقــول سيبــك هـكذا صبّت عـلى العـافي البـدور[1]
ويقــول سيفــك هـكذا تجري ، إذا غضـب ، النحور
هيهـات تبتسـم الثغـو ر ولـم تسـدّ بـك الثغـور
قـد أذعنــتْ أرض العـد و وجــاء بـالنصـر البشير
هـذي الأمـاني لي عبيــدٌ والســرور معـي أجيـر
لا قيتـه فغضضـت طـر في إذا بـدا القمـر المنير
وجـررت أذيـالـي بمجـــــلســة وقلـت فمــن جـرير
وكـأن عـامـاً عشته فـي ظلّـه يـومٌ قصـير

وقال يصف الفقاعة ، وألقاها على طريق الإلغاز [من الوافر] :

شغفْــت بـدايـة لي أشتهيها ومـا فيهــا عن الــوصـل امتناعُ
بــاردة المجسّ ومـا اقشعرَّتْ معصّبــةٌ وليـس بهـا صـداع[2]
تمنّـع أو تحــل ذؤابتاهـا ويحسـر عـن مفـارقهـا القناع

وقال يصف سوداء [من البسيط] :

يا رب غانية بيضــاء تصحبني من العتــاب كؤوســاً ليس تنساغُ
أشتــاق طرّتهـا أم صـدغهـا ومعي من كلهــا طررٌ سودٌ وأصـداغ
كأننــا لا أتــاح الله فـرقتنا يا لعبـة المســك بـازٍ تحتــه زاغ[3]

---

(١) السيب : العطاء، والعافي : الفقير .
(٢) المجسّ : التحسُّس باليد .
(٣) الزاغ : غراب صغير إلى البياض .

وأمره عضدة الدولة أن يعمل أربعة أبيات تكتب على خواتيم النساء فكتب [من الكامل] :

مرقومة الجنبات بالبدع التي ... لم يهدها قط الربيع لروضةِ
كتمت روائحها فلما عذّبتْ ... بالنار فاح نسيمها فأقرّت
وكأنّما الملك الأجلّ السيد الـ ... ـمنصور عضد الملك تاج الدولة
أذكي مجامرها بنار ذكائه ... وغدا الدخان على علوّ الهمّة [1]

وقال من قصيدة عضدية سذقية [من الطويل] :

ألست ترى الأوضاح في دهمة الدجى ... ومنشؤها بالناظرين رفيقُ
دخاناً سخاميّ الصفات شراره ... بروقٌ وعقد الريح فيه وثيق [2]
وليلاً كيوم الوصل أمّا رياضه ... فزهرٌ وأما مسكه ففتيق [3]
وبغداد بحرٌ ساحلاه جواهرٌ ... ودجلة روضٌ طرّتاه شقيق
وقد صار ياقوتاً حصاها وعنبراً ... ثراها وأمسى الماء وهو رحيق

وقال من أخرى [من المتقارب] :

ولم نر بحراً جرى بالعقار ... ولا ذهباً صيغ منه جبلْ
إلى أن جرت دجلة في الشعاع ... وطُنّب بالنور أعلى القلل [4]
سحاب الدخان وبرق الشرار ... ورعد الملاهي وغيث الجدل
وما زال يعلو عجاج الدخا ... ن حتى تلوّن منه زحل
فكنا نرى الموج من فضةٍ ... فذهّبه النور حتى اشتعل

(١) المجامر : المواقد التي يوضع فيها الطيب والبخور .

(٢) السخام : السواد .

(٣) الفتيق : المشرق .

(٤) طُنّب : أضيء بأشعة النور التي هي كالحبال ، والقلل : أعالي الجبال .

وقال من أخرى يستهدي مهراً ويصفه [من الطويل]:

إليك بعثناها شوارد ضمّنت ... معاني لولاها لما شرف الشعرُ
عروساً ولكن زوّجت بنت ليلةٍ ... مخدّرة لكنّ فكري لها خدر[1]
إذا قال جسمي تستحل بحلة ... تقول له رجلاي بل مهرها مهر
فمن لي به لا الدهم فازت بلونه ... ولا البرشُ خازت بردتيْه ولا الصفر
كميتٌ تذال الشهب والبلقُ إن بدا ... وتسمو بما نالته من شبهه الشقر
يخوض إذا لاقى دماً لونه ... ولا ماء إلا ماء رونقه الغمر[2]
فغرّته مبيضّةٌ وحجوله ... ولكنْ أريقت فوق سائره الخمر[3]
وأسبق من عافٍ إليك وشاعر ... قوافيه أفرادٌ محجلّةٌ غرُّ
فلو شامه في أرض فارسَ فارسٌ ... لما أمسيا إلاّ ومصرٌ له مصر[4]
نتاج فتى في الحرب تنتج خيله ... وبالدم تسقى والنزال لها ضمر

وقال من أخرى في وصف السكر المبني بشيراز [من الطويل]:

على نهر سلّ في دجى الليل من رأى ... كواكبه زهراً تأمل أم زهرا
إذا طلعت فيه النجوم فما ترى ... به العين إلا الثلج مستودعاً جمرا
ثريَ قد أعاد الليل مسكاً عبيره ... وماءٌ أعاد البدر فضته تبرا

ومن أبيات يصف فيها ارتطامه في الوحل وتلوث ثيابه [من المنسرح]:

جملة أمري أني ركبت إلى ... دارك - لما أتيتها - الخطرا
لبست درّاعتي وعمّتي الـ ... ـخزّ فصارا كما ترى حبرا

---

(١) الخدر : الستار .
(٢) الغمر : الكثير .
(٣) الحجول : بياض الوجه .
(٤) شامه : أبصره وتطلع إليه .

أصبحت في الطين عقعقاً بلقاً وإن تعرّيت خلتني نمرا[1]

ومن أخرى في وصف عمامة [من البسيط] :

حسناء صافيةً بيضاء ضافية كأنّ رونقها في صارمٍ ذكر[2]
يزين أطرافها طرزٌ كما رقمت على المجرّة طرز الأنجم الزهر

وقال في وصف زنبور [من الطويل] :

ولابس لونٍ واحد وهو طائر ملوّنة أبراده وهو واقعُ
أغرّ محشيّ الطّيلسان مُدَبَّجٌ وسود المنايا في حشاه ودائع
إذا حك أعلى رأسه فكأنما بسالفتيه من يديه جوامع
يخاف إذا ولّى ويؤمن مقبلا ويخفي على الأقران ما هو صانع
بدا فارسيَّ الزّيّ يعقد خصره عليه فباء زيّنته الوشائع
فمعجره الورديّ أحمر ناصعٌ ومئزره التبريّ أصفر فاقع[3]
يرجّع ألحان الغريض ومعبدٍ ويسقي كؤوسا ملؤها السم ناقع[4]

* * *

غرر من محدائحه العضدية وما يتصل بها

قال من قصيدة [من البسيط] :

يزور نائلك العافي وصارمك الـ ـعاصي فتحويهما أيدٍ وأعناقُ
في كلّ يوم لبيت المجد منك غنىً وثروةٌ، ولبيت المال إملاق[5]

(١) العقعق : طائر كالغراب ذو لونين أبيض وأسود طويل الذنب . والبلق : ما كان في لونه سوادٌ وبياض .
(٢) الضافية : الطويلة . والذكر : القاطع .
(٣) المعجر : الرداء والثوب .
(٤) الغريض ومعبد : من كبار المغنّين ، والناقع ؛ القاتل .
(٥) الإملاق : الفقر والعفاء .

كم خضْت في لجّةٍ كالبحــر زاخرةٍ ماء المنـون بهـا حـاشـاك دفّاق
في فتيةٍ من ليوث الحـرب قد حفظت بالمرهفـات لهـم في الـرّوع أرماق[1]
من كلّ بعـل حياةٍ لا يعاقدها إلاّ علـى أنـه في الحـرب مطلاق
أمـام كل خميسٍ كل يوم وغى كـأنـه في صدور الخيـل ألحـاق[2]
رم أين شئـت من الـدنيا تنلـه فما للجـوّ عـرضٌ ولا للبحـر أعماق
من شكّ أنك مخلـوقٌ لتملكه كمثـل من شـكّ أن الله خلاّق
فللسمـاء سمـاءٌ مـن عـلاك وللـــــآفـاق من ذكرك المحمـود آفـاق

ومن أخرى [من البسيط]:

يا أهـلُ لسـت بمشتاقٍ إلـى وطني حتـى أرى خيل فناخسـر بينكمُ
أضحـي يهنّأ فـي الأضحـى بمنزلةٍ لا العـرب نـالت مـراقيهـا ولا العجم
أصغِـرْ بـأضـحيةٍ في غير يوم وغى فمـا أضـاحيك إلا الخيل والبهم
وإنمـا أنـت لطف الله جسّمه لنـا وفـي يـدك الأرزاق والقسـم
عـدلت حتى هممنـا أن نجـور، وكم من شاكرٍ نعمـاً في ضمنهـا نقم
إنّ المسيح وقـد بانـت دلالته لـولا هـداه لمـا ضلّـت به الأمم
في كلّ ناحيةٍ لم ترْعَهـا أمـمٌ الهــدْيُ منـهـا بيعـدٌ والأذى أمم[3]
إن البـلاد ومـن فيهـا مروّعةٌ بهـا إليك وإن ما طلتهـا قرم[4]
ومـا نُبالـي إذا ما كنـت شاهدها إن غاب معتضـدٌ عنهـا ومعتصم
عدهـا بنصـرك أو قل سوف أدركها فإنّ قـولـك في أمثالهـا قسم

---

(١) أرماق : أرواح .
(٢) الخميس : الجيش من خمس فرق.
(٣) أمم : قريب .
(٤) القرم : الشهوة والشغف.

ومن أخرى [من الطويل]:

يشبهه المداح في البأس والندى لمن لو رآه كان أصغر خادمِ
ففي جيشه خمسون ألفاً كعنترٍ وأمضي وفي خزّانه ألف حاتم

ومن أخرى [من البسيط]:

ومدح غيرك ذنب لا يقال، وما نصوغه فيك تهليلٌ وتحميدُ

فعش أعش في ذري رحب ودم تدم الـــخيرات لي وابق يبق المجد والجود

وقال من أخرى يصف بها قصراً بني على دجلة ونقشت في حيطانه أشعاره [من الكامل]:

فالروض عقّفتِ الصبّا أصداغه والموج صفّقت الشمال طرارَهْ[1]
وأظنّ دجلة أسلمت ، أو ما رأيـــت الجسر يقطع وسطها زنّاره
وحكى بناء المجد فيها غارسٌ غرس الصنائع حولها أشجاره
قد صوّر الفلك المدار كأنّه أنشاه قبل كيانه وأداره
وبنى على شرف الثريا قصره وطحا على فلك النعائم داره[2]
فالشّيد يصقل صانعوه لجينه والسّاج ينقش مخلصوه نضاره[3]
شغلت خواطرنا ولحظ عيوننا مذ صار يجعل طرزه أشعاره
أوسعْ مثالاً إن خطرت بباله ونلِ السماء إذا بلغْتَ دياره
ينسى العمالق واصفٌ أخبارَه ويهين مصرَ معدِّدٌ أمصاره

---

(١) الطرار : جمع طرّة بضم الطاء ، وهو شفير النهر .
(٢) طحا : بسط ، والنعائم : من منازل القمر .
(٣) الشيد : ما تطلى به الحائط من جصّ ونحوه والسّاج : شجر عظيم طويل عريض صلب الخشب وأسوده .

ومن أخرى في وصف الحرب ، وهو أحسن ما قيل فيها [من الكامل] :

يا سيف دين الله ما أرضى العدى	لو أنّ سيفك مثل عدلك يعدلُ
ما إن سننت لهم سناناً في الوغى	إلا أطلّ عليه منهم أيطل[1]
فالروض من زهر النجوم مضرّجٌ	والماء من ماء الترائب أشكل
والنقع ثوبٌ بالنسور مطيّر	والأرض فرشٌ بالجياد مخيّل[2]
يهفو العقاب على العقاب ويلتقي	بين الفوارس أجدلٌ ومجدّل[3]
وسطور خيلك إنما ألفاتها	سمرٌ تنقّط بالدماء وتشكل[4]

ومن أخرى في وصف يوم الفصح وإقامة رسمه [من الكامل] :

لولا اشتياق الماء كفك لم يكن	قلب الندى وحشي السحائب تنزلُ
ولقد نثرت على الهوا أمثاله	ذا سجسجٌ صافٍ وهذا سلسل[5]
وكأنّما ذهبيٌّ زرّافاتنا	ترمي بأسهم فضة تتسلسل[6]
من فوق كلّ ذؤابتين سحهابةٌ	أو بين كلّ اثنين منّا جدول
فأرقت حتى ماء وجهي إنّه	مع غير ماء الورد لا يتبدّل[7]
فاترك لنا ماء الشباب ولا ترقْ	ماء الصوارم فهو فيها أجمل

ومن أخرى وقد دخل عضد الدولة إصبهان والتقى مع أبيه ركن الدولة وأخويه [من البسيط] :

---

(١) الأيطل : الخاصرة، قال الشاعر : «له أيطلا ظبي ».
(٢) النقع : الغبار .
(٣) الأجدل : الصقر ، ومجدّل : قتيل .
(٤) السمر : الرماح.
(٥) السجسج : المعتدل الطيّب .
(٦) الزرّافات : هي المنازف التي ينزف بها الماء للزرع وما أشبه ذلك.
(٧) أرقت : سكبت .

لم يـدرِ حيٌّ وقـد جـاء البشير بـه ... إنّ الـزمـان لمـا نرجـوه متّسعُ
فزارهـا ليث غـابٍ فـرسٌ ... وبـدر تَمٍّ عليـه التـاج والخلع
لمـا تطلّـع والـرايـات تكتمه ... في ظلهـا وشـعـاع الشـمس مـرتفـع
أعـدى بإقبالـه من أهلهـا نفراً ... لم يعلمـوا أن درّ السـعـد يـرتضع
فليهْنها منـه روض زهـره درر ... فتـن العقـود ومـزن قطـره دفّع
لاحـظ أبـاك فهـذي مصـر معرضةٌ ... وأنـت يوسف والأسبـاط قد جمعوا
لكنهـم ما نووا غدراً ولا نقضوا ... عهداً ولا أضمروا غـلاً ولا ابتدعوا[1]
أيا أخـا الجـود وابـن المجـد لا بلدٌ ... إلاّ بذكرك أو بالسيـف يفتـرع[2]
فدىً لجـودك آمالـي وسابقها ... ومطمـعٌ من بحـار الشعـر ممتنع
فالقائلـون بطـاءٌ عن مـداي ، وإنْ ... أبدْعـت معنـىً فهـم في أخـذه سرع
همُ إذا خلطـوا شعـري بشعرهم ... كالطير يهـذون أو يحـكون ما سمعوا

ومن أخرى يذكر فيها التقاه بالطائع لله بعد أن رده إلى مدينة السلام وكان فارقها وهو شاب وعاد وهو أشيب [من الكامل] :

واشتـاق طلعتـك الخليفـة مظهراً ... لك شوقـه المطـويّ في أسرارِهِ
ودعـا الملـوك فـلـم يلـبّ دعـاءه ... إلاّ أحقهـم بـدار قـراره
عظّمـت أمـر الله فـي تعظيمه ... وأقمـت ديـن الله فـي استحضاره
وافـاك فـي بـرد النبـي محمدٍ ... بهـدي النبـي وسـمتـه ووقـاره[3]
يشـكو إلـى الإسـلام وخط مشيبه ... مـا كلّفتـه التـرك من أسفـاره
حتـى بـدا عضـد الهـدى وكـأنّما ... كـان الخضـاب أحال شيب عـذاره
حتـى إذا أبـدى الإمـام أمامه ... مـلـكاً كـبـدر التـمّ في أنـواره

(١) الغلّ : الحقد .
(٢) يفترع : يفتتح .
(٣) برد النبي : عباءته .

خلنـا علـى الـكرسـي ليثاً غابه سمـر القنـا نبتـت بفيض بحـاره
وغـداة ظلـت مسـايـر الإقبـال في خلـع الإمـام وطـوقـه وسواره
متسـوّراً بأهـلّـةٍ متطـوقاً بالشـمس أو بـالبـدر أو بأطاره
في خلعـةٍ صبـغ الشبـاب بلونها فالخلـق قـد جبلـوا علـى إيثاره

هذا من أملح ما مدح به اللباس الأسود، وقد سبق إلى ذلك

* * *

غرر من سائر مدحه وما يتصل بها

قال من قصيدة في أبي الوفاء طاهر بن محمد [من الوافر]:

ركـوب الهـول أركبـك المـذاكي ولبس الـدّرع ألبسـك الغـلائلْ(١)
ويـومـك ضـامـنٌ لغـدٍ علوّاً وعـامـك مـلحـق البشـري بقابل

وله في عبد العزيز بن يوسف يذكر قدومه على الخليفة الطائع لله رسولاً من عضد الدولة وبلاغته فيما تحمله [من المتقارب]:

ولمـا وقفـت أمـام الإملم تـأخـر خلصـانـه والشيعْ(٢)
دنـوت إلـى تـاجـه والسرير فهـذا تعـالـى وذاك اتسعْ
وضـاحـك بـرد النبـي القضيـب أنساً بخوضـك فيمـا شرعْ
سـفـرْت فتيمّـه مـا رأى وقلـت فـأطـربـه مـا سمعْ
وأثنـت فضـائلك البـاهـرات على مـلك الـدهر فيما اصطنع
طلعـت فـكنـت كنجـم الصبا ح دلّ عـلى الشـمس لمـا طلع
ومـن كلف الـدهـر أمثالكم فقـد كلف الـدهر مـا لم يسع(٣)

---

(١) المذاكي : جياد الخيل .
(٢) الخلصان : الأصدقاء المخلصون .
(٣) يسع : يستطع ويقدر.

ما أحسنها في دلالة الرسول على المرسل !

ومن أخرى له فيه [من الوافر]:

كرمْت وسدت فالجدوى انتهاب ... إذا زرناك والمدح اقتضابُ
أخزّانٌ وما أبقيت مالاً ؟ ... وأبوابٌ وقد رفع الحجاب ؟

ومن عيدية [من الخفيف]:

وإذا هنّىء الملوك فصبّحت ... من العيد أسعد التهنئاتِ
وفداك المحل فالنحر في أر ... ض منىً والمهل في عرفات
وتعجّلت أجر من خلع الإحرام ... عنه الأطمار في الميقات[1]
وأجاب الإله فيك دعائي ... غافر الذنب سامع الأصوات
زرته والغنى مني ويدي قد ... أتعب الناس عهدها بالصّلات
فكأني ملكت ناصية الدهر ... فصرّفتها على شهواتي[2]

ومن قصيدة أخرى [من الكامل]:

إن كان بالكرم الخلود فما أرى ... في العالمين سوى سعيدٍ يسلمُ
وله من الحسن البديع برافعٌ ... وعليه من بشر السماحة ميسم[3]
عبقٌ به مسك الثناء تكاد في النادي ... نوافج ذكره تتكلم[4]

ومن أخرى [من الكامل]:

قد قلت حين أفاض أحمد سيبه ... يا شقوة المتشبِّهين بأحمدِ
يشرون مثل جياده وعبيده ... أفيقدرون على ابتياع السؤدد[5]

---

(١) الأطمار : جمع طمر وهو الثوب.
(٢) الناصية : أعلى الشيء، وهنا يريد أنه مُلِّك قياده .
(٣) الميسم : العلامة والطابع .
(٤) النوافج : أوعية الطيب .
(٥) السؤدد : المجد والرفعة .

ومن أخرى [من الخفيف] :

هو بحرٌ من مائة ذائب التبر وأدنى أحجاره الياقوتُ
لي طعامٌ من داره وشرابٌ ومقيلٌ في ظله ومبيت[1]

ومن أخرى [من البسيط] :

أقبلْ عليَّ وقلْ ضيفي ومتّبعي وشاعري قاصدي راجيّ ممتاري[2]
أنت الإمام فمن أدعو وحضرتك الـ دنيا فأين أقضّي بعض أوطاري

ومن أخرى [من المتقارب] :

أفارق بغداد لا عن قلىً وأسري إلى البين لا عن كرمْ
أروح وأغدو ولي قائدا ن عزّ الإباء وذلُّ العدم[3]
وأرجو فتىً مكْرم للندى كما رجّت الأرضَ صوبُ الديم

ومن أخرى [من البسيط] :

ليس الوزراة إلاّ عندكم ولكم ولا مغارسها إلا بدوركمُ
لو أنصفت كلّ أرضٍ في منابتها لكان في أرض قُمٍّ ينبت الكرم

* * *

الشكوى والعتاب

قال [من الكامل] :

أفلا أجاز ولي ثلاثة أشهرٍ لا تعلمون بما أقيم تجمّلي[4]

---

(١) المقيل : حيث القيلولة وقت الظهر

(٢) ممتاري : قاصدٌ خيري وطعامي .

(٣) العدم : الفقر.

(٤) التجمّل : التصبر والتحمّل.

قـد بعـت حتـى بعـت طـرفـاً قائماً تحـت القـدور علـى ثلاثـة أرجل
ورهنـت حتـى قد رهنـت منادمي ومناشـدي ومـذكّري ومعلّلي
فـرأيت حـالـة حاسـديك كحالتي ورأيت منـزل حاسيديَّ كمنزلي

ومن أخرى [من الوافر] :

لبسـت العـدْم حتـى صار ذيـلي يضيق تقلّبـي فيـه كـزيقي[1]
وكادحْـت المطالـب بعـد ضرٍّ ودارأْت المعيشـة بعـد ضيق[2]
فقـد أوقـدْت صنـدوقـي ثيابي وصـبّ المـاء فـي حبّ الدقيق
فهـل في النـاس يـا للنـاس حرٌّ يبيّض وجـه ممتحـنٍ مضيق ؟
أريد أخـي إذا ماثـل عرشي وصـرت إلـى المعيشـة في مضيق
فأمـا حين يصلـح بعض حـالي فإنّ النـاس كلّهـمُ صـديقي

ومن أخرى [من الوافر] :

قطعتُـكمُ بـرغـم المجـد شهراً أشـدّ عليّ مـن شهـر الصيـامِ
وكيف أزوركم والمـزن تبـكي علـى داري بـأربعـةٍ سجام
وكانـت منـزلا طـلـق المحيا فصـارت واديـاً صعـب المرام
وبحـراً مـن عجائبـه خـلوصي إليكم ظامئـاً والبحـر طامي[3]
بناتـي كالضفـادع فـي ثـراها وأهلـي في الـروازن كـالحمام[4]
أنـادي كلّمـا ارتفعـت سحابٌ فـأبكتنـا البـوارق بـابتسام
حـوالينـا بـذاك ولا علينا كفانـا الله شـرّك مـن غمام
تهافـت ركّـع الجـدران فيهـا سجـوداً للـرعـود بـلا إمـام

(١) الزيق : من القميص ، ما أحاط منه بالعنق.
(٢) كادحت : من الكدح وهو العمل ِوالجدّ. ودارأت : من ادّارأ الشيء أي توقّاه وتلافاه .
(٣) الطامي : المتلاطم الزاخر .
(٤) الروازن : جمع روزنة ، وهي الكوّة .

كأنّ مصون ما أحرزت فيها ... على أبواب مشرعة الخيام
فلا بابٌ يردّ ولا جدارٌ ... يرد الطّرف عن وجهٍ حرام
وكانت جنّة الفردوس عادت ... ملاعب جنّةٍ ووكور هام[1]

ومن أخرى [من الخفيف]:

زرت حتى حجبت وانتقب النا ... س نقابين طرّزا باحتشام
إن بوّابك القصير طويل الـ ... ـباع في سوء عشرتي واهتضامي
هو تعويذ ملكك البارع الحسـ ... ـن وشيطان عبدك المستضام[2]
سمج الوجه لو غدا حاجب البيـ ... ـت كفرنا بالحجّ والإحرام[3]

ومن أخرى في سابور الوزير يشكو حاله وسقطه في سكره [من الطويل]:

محاسن غضّت ناظري من تعتّبا ... وفضلٌ نهاني وصفه أن أشبّبا
ترى كبرياء الملك فوق جبينه ... فتقرأ سطراً بالمهانة معربا
وليس الذي آباؤه وجدوده الـ ... ـملوك كمصنوع إذا ما تنسّبا
فيا ناظر الإسلام هل أنت ناظرٌ ... إلى خادمٍ أثنى عليك وأطنبا
إلى شاعر نادى وقد فغر الردى ... له فاه سابورٍ معي فتهيّبا[4]
ألم يخبر الشّرب النشاوي بقصتي ... ولم يتغنَّ الركب بي حين أهدبا[5]
ولم تتحدث في الخدور بسقطتي ... عذارى يقلّبن البنان المخضّبا
فدى الشعراء الشامتون بقصتي ... فتى في سماء الشعر يطلع كوكبا
فتى لم يسر إلا الذي صاغ أو روى ... وإن قعقع المغرور منهم وأجلبا

---

(١) الوكور : جمع وكر ، وهو الخباء .
(٢) المستضام : المظلوم والمنتقص حقه .
(٣) البيت : يعني الكعبة المشرفة .
(٤) فغر : فتح . وتهيّب : فزع وارتاع.
(٥) الأهداب : ضرب من سير الخيل فيه جدّ.

أظنـوا بأنـي إن سقطـت تكسّرتْ فوافـيّ أو عاودت فـكري وقـد أبى
توهّـنَ جسمـي فاشمتـوا أو تجملوا ولـكنَّ عضبـاً بين فـكيَّ ما نبا[1]
وكم سار شعـرٌ قاعـدٌ عنـه ربّه ودوّن قول مـن سطيح وصوّبا[2]
سلوا الموت عنّي كيف فلّلت غربه ونازعْتـه نفسـي وقـد كرّ مغضبا
شربنـا وكان الشـرب بعـد سفورنا علـى نـرجسٍ قبـل الشبيبـة شيّبا
ودجلـة تجلـو في المصنـدل شاطئاً يـرقّ وطيّـاراً يحفّ وربـربا[3]
وكانـت لنـا في جبهـة الدهـر ليلـةٌ كهمّـك لان العيش فيهـا وأخصبا
عفـا الدهـر عنها بعدمـا كان ساخطاً وأحسـن فيهـا بعدمـا كان مذنبا
فيا فرحتا لو كنـت أصبحـت سالما ويا سوءتـا إنْ مركبـي زلّ أو كبا
إذا لم أعربـد في أواخـر نشوتي فلا عار إن خطـبٌ علـيَّ توثبـا
وصبـراً علـى خير الخمار وشرّه بمـا قلـت أهـلاً للكؤوس ومـرحبا[4]
أروح وصبغ الـراح يخضـب راحتي وأغـدو بعضـوٍ مـن دمـي قـد تخضّبا
فلـو بصـرت عين الـوزير بشاعرٍ علـى مركب قـد شانـه الله مركبا
رأى اللهـو ميتـاً والمجـون ممـدّدا صريعـاً وجثمـان السـرور معذّبا
وباكرنـي أشياخ قومـي فـأكثـروا الـفضـول لعمـري والأذى والتعجّبا
يقولـون لي تبْ لا تعـود لمثلها وهيهـات ضاع الوعظ عنـدي وخيّبا
وكم قبلهـا قد متّ بالسكر مرةً وعـدت فكان العـود أحلـى وأطيبا
كـذا أبـداً إمـا ترانـي مجررا ذيـولـيَ سكراً او كسيرا مشعّبا
ولـكنْ علـى الأحـرار حمـل مؤونتي إذا ذهَبَـتْ بي نبـوة الدهـر مذهبا[5]

---

(١) الـ ـب : السيف . ونبا : فارق ، ويريد بالعضب هنا لسانه .
(٢) دوّن سجّل ، وسطيح : أحد الكهنة في الجاهلية.
(٣) المصندل: من الصندل وهو شجرٌ طيب الرائحة والربرب : القطيع من بقر الوحش أو الغزلان.
(٤) الخمار : أثر الخمرة في الرأس .
(٥) النبوة : الجفوة.

ولمـا جفانـا من ألفنـا وصـالهُ | وأخلف عام كان يرجـى وأجدبا
رهنّـا وصـرّفْنا وبعنا منـادلا | وحـليا ومـذخـورا إلينـا محبّبا
رأيت ابنتـي قد أحـرزت بعض حليها | فأنشـدت تعـريضـاً لهـا وتشبّبا
تجـول خلاخيل النسـاء ولا أرى | لرملـةَ خلخـالاً فقـالـت هيا أبا
سلبت الجـواري حليهـن فـلـم تـدع | سواراً ولا طـوقاً على النحـر مذهبا
فقلـت لهـا ظل الـوزير يبيحنا | جنابـاً إذا رضنـا به الدهـر أعتبا
إذا كان بدر الملك سابـور طالعاً | فلسـت أبـالـي بعـده من تغيّبا

* * *

ما أخرج في وصف شعره

قال من قصيدة في أبي الريان [من الخفيف]:

لـيَ فيك التـي ترى البحتـريٌّ أمْـتـار في نظمهـا أبـا تمّام
فهـي لفـظٌ سهـلٌ ومعنـىً بديعٌ | غرّة الفـكر درّة [فـي] النظام
كلمـا أنشـدت شهـدت بأن الـشهـر أمـر مسلّـم للسـلامي

ومن أخرى [من الكامل]:

وأزور دارك وهـي آنس جنّـةٍ | فيفيض حـولـي من نـداك الـكوثرُ
وأقـول فيك فـلا تفـاخـر طيٌّءٌ | إلا وتسـجـد لـي وتـركـع بحتر

ومن أخرى [من الطويل]:

وهنَّيتـه وحياً من الشعـر لم يلق | بألفـاظ غيري عنـد غيرك درسـه
صحيفتـهُ قلبـي إذا مـا كتبتـه | وأقـلامـه الأفـكار والـطبع نقسه[1]

---

(١) النقس : الحبر.

ومن أخرى [من المتقارب] :

وقافيةٍ منك أوضاحها ولكنَّ لفظيَ فيها لمعْ
عراقية اللفظ شامية الـ محاسن علْويّة المصطنع
فيا واحد المجد صنها فمن سوى واحد الشعر ما تستمع
مدحتك حتى بلغت المشيب وكنت ببابك دون اليَفَع (١)

وقال من أخرى [من الطويل] :

وأعطيت طبع البحتري وشعره فمن بالي بمال البحتري وعمرِهِ

وقال من أخرى [من المتقارب] :

ومضمومةٍ تحت حضن الدجى مقبّلة بشفاه الأماني
تروق زهيرا أزاهيرُها ويعشو إلى ضوئها الأعشيانِ

ومن أخرى [من الوافر] :

وقد زَعَمَتْ رواة الشعر أنّي ملكت عنان أبلقه العقوق (٢)

* * *

قد تمت ـ بحول الله تعالى وتيسيره ـ مراجعة الجزء الثاني من كتاب «يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر» لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري. ويليه ـ إن شاء الله تعالى ـ الجزء الثالث مفتتحا بترجمة «ابن سكرة الهاشمي» نسأل الله ـ جلت قدرته ـ أن يعين على إكماله ، بمنّه وفضله ، آمين .

---

(١) دون اليفع : دون الشباب.
(٢) الأبلق العقوق : مثلٌ يضرب لما لا يكون ولا يوجد قال رجل لمعاوية : افرض لي ولولدي ، قال : لا ، قال : ولعشيرتي فنمثل معاوية :
طلب الأبلق العقوق فلما لم يجده أراد بيض الأنوق

فهـــرس

الجزء الثاني من كتاب « يتيمة الدهر »
في محاسن أهل العصر ،
لأبي منصور عبد الملك بن محمد بم إسماعيل الثعالبي النيسابوري

البـاب العـاشر

في ذكر شعراء الموصل ، وغرر أشعارهم

القسم الثاني

في ملوك آل بويه ، وشعرائهم

الباب الأول : في الملوك الشعراء منهم

الباب الثاني

الباب الثالث

الباب الرابع

في ذكر ثلاثة من كتاب آل بويه يجرون مجرى الوزراء

الباب الخامس

في ذكر شعراء البصرة ، ومحاسن كلامهم

الباب السادس

في ذكر نفر من شعراء العراق ونواحيها ، سوى بغداد

الباب السابع

في ذكر قوم من شعراء بغداد